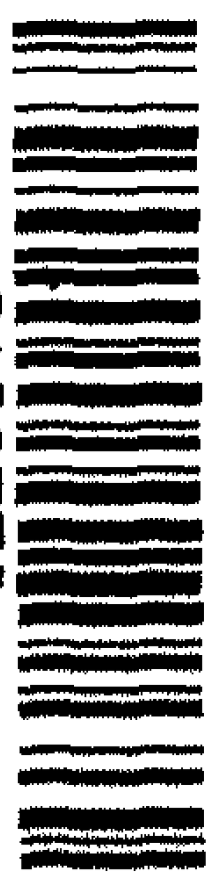
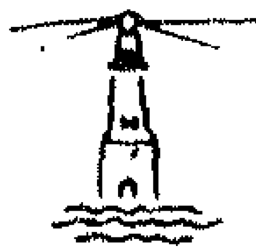
الحديث النبوى والتاريخ

الدكتور/ أحمد جمال العمرى







دار المعارف

الحديث النبوى والتاريخ

تأليف

الدكتور / أحمد جمال العمرى
استاذ الدراسات القرآنية والبلاغية
ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها
بكلية الآداب والتربية بالزقازيق



١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

الإهــداء

● إلى روح شقيقى «محمد صلاح الدين» فى الحياة البرزخية..
● كان رفيق حياتى وتَوْءَم روحى.. فى طفولتى.. وصباى.. وشبابى..
● وكنتُ أدّخره لكى يحملنى إلى مثواى حين يحين الأجل..
● وشاءت إرادة الحق سبحانه أن أحمله أنا إلى مثواه..
● لا أملك إلّا أن أقول - كما قال الرسول المصطفى - ﷺ - يوم فقد ابنه إبراهيم:
● «إنّ العَيْنَ لتَدمَع، وإنّ القَلْبَ ليَخْشَع، وإنّا لفراقك والله لمحزونون».
● رحمك الله رحمة واسعة.

أخوك
أحمد جمال الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾

[النجم ٣، ٤] صدق الله العظيم

مقدمة

- الموضوع وأهميته.
- منهج البحث
- مصادر البحث.

١ - الموضوع وأهميته

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ الله فلا مُضِلّ له. ومن يُضلل فلا هادى له.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيّه وخليله، المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد...

فإن القرآن الكريم، كمصدر تاريخى. إنما هو أصدق المصادر وأصحها، وأوثقها على الإطلاق، فهو موثوق السَّنَد، محفوظ النَّص.. ثم هو قبل ذلك وبعدَه كتاب الله المجيد، الذى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت ٤٢]

نزل على رسول الله - ﷺ - منجما فى ثلاث وعشرين سنة، حسب الحوادث والوقائع ومقتضى الحال، فيما بين عامى ١٣ ق.هـ، ١١هـ، ومن ثَمَّ فلا سبيل إلى الشك فى صحة نَصِّه بحال من الأحوال، لأنه ذو وثاقة تاريخية لا تقبل الجدل. فقد دُوِّن منذ البداية بإملاء الرسول- ﷺ - وتُلِى فيما بعد، وحُمل تصديقه النهائى قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

ولأن القصص القرآنى إنما هو أنباء وأحداث تاريخية، لم تلتبس بشىء من الخيال ولم يدخل عليها شىء غير الواقع، وأنه كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وبالحقِّ أَنْزَلْنَاهُ وبالحَقِّ نَزَل﴾[الإسراء ١٠٥]. وبهذه العناية التى بعثها الله فى نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبيِّها، بقى القرآن محفوظا فى حِرْزٍ حريز، إنجازًا لوعد الله الذى تكفَّل بحفظه حيث يقول عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلنَا الذِّكر وإنَّا له لحافظون﴾[الحجر٩]، ولم يُصِبْه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفل الله بحفظها، بل وَكَلَها إلى حفظ الناس، فقال سبحانه: ﴿والرَّبَّانِيُّون والأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾[المائدة ٤٤] أى بما طلب إليهم حفظه.

والسرّ فى هذه التفرقة.. أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد، وأن هذا القرآن جيء به مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها، فكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة، والإشارات التاريخية، والأحداث الكونية، زائدا عليها بما شاء الله زيادته، وكان سادًّا مسدّها، ولم يكن شيء منها يسد مسدّه، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة، وإذا قضى الله أمرًا يسّر له أسبابه، وهو الحكيم العليم.

فى القرآن الكريم.. نجد ذكرًا لتاريخ بعض بلاد العرب، فنجد سورة تحمل اسم مملكة كانت فى جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وهى سورة سَبَأ.. هذا إلى أنه قد انفرد دون غيره من الكتب المقدسة بذكر أقوام عربية بادت، كقوم عاد وثمود، فضلًا عن قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى والخضر، وقصة ذى القرنين وبناء سدّ يأجوج ومأجوج، وقصة أصحاب الأخدود، إلى جانب وقعة أصحاب الفيل، وهجرة الخليل إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام إلى الأرض الطاهرة فى الحجاز، ثم إقامة إسماعيل هناك، إلى غير ذلك مما حوى القرآن.

بيد أن القرآن العظيم لم يُنَزَّل كتابا فى التاريخ، يتحدث عن أخبار الأمم، كما يتحدث عنها المؤرخون، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد للتى هى أقوم، أنزله الله –سبحانه– ليكون دستورًا للمسلمين، ومنهاجا يسيرون عليه فى حياتهم، فإذا ما عَرَض لحادثة تاريخية، فإنما للعبرة والعظة. ومع ذلك فيجب ألا يغيب عن بالنا – دائما وأبدًا– أن القصص القرآنى إن هو إلا الحقّ الصراح، وصدق الحق – جل وعلا – حيث يقول لرسوله ﷺ:

﴿والَّذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ هُوَ الحَقّ﴾ [فاطر ٣١].

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بالحَقِّ﴾ [الزمر ٢].

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بالحَقِّ، فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وآيَاتِهِ يُؤْمِنُون﴾ [الجاثية٦]

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ﴾ [آل عمران ٦٢].

﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ [النساء ٨٧].

ولا يخفى على أحد علاقة الحديث النبوى الشريف بالقرآن الكريم، فالقرآن المجيد وحىُ الله إلى رسوله محمد– ﷺ – باللفظ والمعنى، والحديث النبوى وحى الله تعالى إلى الرسول – ﷺ – بالمعنى، أو إقرار الله تعالى لما صدر من رسوله ﷺ باجتهاده – من أقوال..

ومن هنا تكفل الحديث النبوى ببيان القرآن الكريم، فلولا تفسيرات الحديث للقرآن، لظل القرآن نصوصا يعجز البشر عن فهم مضمون آياتها، وفهم المراد منها، واستنباط عناصر موضوعات التاريخ، وقصص الأنبياء، وفهم أحداث الماضى، وتاريخ الأمم البائدة. وأحوالها وما حدث لأهلها، ومعرفة شئون حياتهم اليومية المتجددة المتعددة الجوانب، المتغيرة بتغير أنماط المعيشة، وأحوال المجتمعات البشرية، وتغير الظروف والزمان، وغير ذلك.

. أضف إلى ذلك - أنّ فى القرآن الكريم الأصول العامة للأحكام الشرعية فى العبادات والمعاملات والأخلاق، دون التعرض إلى تفاصيلها، والتفريع عليها إلا فى القليل النادر ففى القرآن الأصول الثابتة الصالحة لكل زمان ومكان، وقد جاءت فى آيات محكمات، محددة المعانى، ولكنها مجملة ومطْلَقة وعامة، تحتاج إلى ما يفصّل إجمالها، ويفرّع على أصولها، ويطبقها على وقائع حياة الناس.

فكان لابد أن يكون الحديث النبوى المصدر الثانى، المستمد أيضا من الوحى الإلهى، بمثابة البيان للقرآن، ويكون إطارًا لجميع أوجه البيان.

فالقرآن والحديث من منبع واحد، وقد سماهما الله تعالى باسم واحد. فكما قال سبحانه عن القرآن إنه ﴿الذِّكر﴾ ﴿إنَّا نَحْنُ نزَّلنا الذِّكرَ وإنَّا له لحَافِظُون﴾[الحجر ٩].

كذلك قال تعالى عن الحديث النبوى: ﴿وأَنْزَلْنَا إليكَ الذِّكر لتُبَيِّنَ للنَّاسِ ما نُزِّل إلَيْهِم﴾ [النحل ٤٤]

فالله تعالى أنزل الذِّكْر، وهو فهم القرآن وأوجه تطبيقه - أى الحديث النبوى، ليبين الرسول ﷺ للناس ما نزِّل الله إليهم من القرآن الكريم.

وفى هذه الآية دليل على أنه لولا نزول البيان من الله إلى الرسول ﷺ، لعجز الناس عن فهم وتطبيق القرآن. فالله تعالى نزل الذِّكر ﴿القرآن﴾ وأنزل الذِّكر - وهو حديث رسول الله- ليبين الرسولُ القرآن بحديثه الشريف. وكذلك جاءت نصوص القرآن الكريم تأمر الرسول -ﷺ- بتبليغ كل ما أنزل إليه، فقال تعالى: ﴿يـاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وإن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[المائدة ٦٧]. فالأمر بالتبليغ فى هذه الآية عام، فالله تعالى يأمر رسوله ﷺ بتبليغ مايوحى إليه من القرآن، ومن غير القرآن، وماأوحى إليه غير القرآن هو الحديث النبوى.

ومن الطبيعى أن يكون الحديث النبوى فى جملته موافقا للقرآن الكريم، فكلاهما - كما علمنا - وحى من الله تعالى إلى رسوله ﷺ. والدليل على ذلك.. ما أخبر به الله سبحانه، من أن القرآن والحديث كلاهما من مشكاة واحدة، وأن ما ينطق به الرسول - ﷺ - مُنزَّه عن الهوى والعبث والخطأ، لأنه وحى من عند الله تعالى، سواء أوحى به باللفظ والمعنى وهو القرآن، أو المعنى فقط وهو الحديث القدسى، والحديث النبوى. قال تعالى: ﴿والنَّجْمِ إذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى، إنْ هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمهُ شَدِيدُ القُوَى﴾[النجم١-٥] كما أمر الله تعالى بتصديق كل ما جاء به الرسول - ﷺ - والعمل به وترك ما نهى عنه، فقال عز وجل: ﴿وَمَا آتاكُم الرَّسُولُ فخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر ٧]. وقد امتنّ الله -جل وعلا-

على العرب عامة، وعلى المسلمين خاصة، بأنه أرسل لهم رسولا منهم.. ليبلغهم القرآن، وهذا هو الشطر الأول من رسالته.

ويزكيهم، أى يطهرهم من الشرك والرذائل، ويحلّيهم بالإيمان والتربية على العبادة والفضائل، كما يفقّههم فى القرآن..

ويعلمهم علوما ومعارف أخرى غير ما ورد فى القرآن، وهذا هو الشطر الثانى من رسالته، قال سبحانه: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ويُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُم الكِتَابَ والحِكْمَةَ ويُعَلِّمكُمْ ما لَمْ تكُونُوا تَعْلَمُون﴾[البقرة ١٥١] .

وهذه العلوم والمعارف التاريخية وأخبار القدماء وأحداث القصص القرآنى، لم يكن ليعلمها الرسول - ﷺ - من تلقاء نفسه، ولم يتعلمها فى أماكن التعليم، أو فى أديرة الأحبار والرهبان، وإنما علمه إياها سبحانه وتعالى. وفى ذلك يقول الحق سبحانه فى مناسبات تتصل بها: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ما كُنتَ تَعْلَمُها أَنْتَ ولا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾[هود ٤٩] ويقول عز وجل: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَاكُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وهُمْ يَمكُرُون﴾[يوسف ١٠٢].

وعن قصة مريم بنة عمران، يقول سبحانه لنبيه - ﷺ.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وما كُنْتَ لَدَيْهِم إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُم أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَم وما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[آل عمران ٤٤].

وعن علمه بقصة موسى - عليه السلام، يقول عز وجل لرسوله - ﷺ: ﴿وَمَا كُنتَ بجانِبِ الغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِين، وَلكِنَّا أَنْشَأْنا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ العُمُرُ، وما كُنْتَ ثَاوِيًا فى أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا، ولكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِين، وما كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّور إِذْ نادَيْنَا ولكِن رحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا ما أَتَاهُم منْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون﴾[القصص ٤٤-٤٦].

وعن أخبار الرسل وقصصهم، يقول رب العزّة لرسوله: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَك..﴾[هود ١٢٠].

وعن قصة يوسف - عليه السلام، يقول جل جلاله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِم عِبْرَةٌ لأُولِى الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ، وتَفْصِيلَ كُلِّ شىءٍ، وهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾[يوسف ١١١].

فالرسول- ﷺ - كان يوضح لصحابته ما يغيب عن أذهانهم من أمور، ويذكر لهم مدلول إشاراتها، وما حوته من إشارات تاريخية، وذكر لسير الأنبياء والمرسلين، وأخبار عن أحداث الماضين، من الشعوب البائدة، والأمم الفانية المنقرضة.

ولازالت أحاديث الرسول - ﷺ - وبيانه للآن الباب الواسع لفقه القرآن، وبيانه وتفسير ما فيه من الأحداث التاريخية، ونجد دليل ذلك فى كتب الحديث المعتمدة، حيث خصصت أقساما منها لتفسيرات الرسول- ﷺ - للقرآن، وبيانه لأصحابه..

ومن ذلك ما ذكره أبو عبيدة بن الجراح من إجابة رسول الله - ﷺ - على سؤال تاريخى حول فعل بنى اسرائيل بأنبيائهم، قال: «.. ثم قرأ رسول الله - ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران ٢١].

ثم قال رسول الله - ﷺ: «يا أبا عبيدة، قَتَلَت بنو اسرائيل ثلاثةً وأربعين نبيا أول النهار فى ساعة واحدة، فقام مائة رجل وسبعون رجلا من عُبّاد بنى اسرائيل، فأمروا من قتلوهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعا من آخر ذلك اليوم، فهم الذين ذكر الله»[١].

ولما كان القرآن الكريم مصدرًا تاريخيا هاما لما حواه من إشارات تاريخية، وذكر لأحداث جسام فى الأزمنة الغابرة،.. فإن الحديث النبوى مصدر تاريخى أيضا، بل مصدر تفسيرى توضيحى تحليلى لكل هذه الأحداث التاريخية القديمة، التى حدثت فى حياة الأقوام السابقين، ومرجع توضيحى لقصص الأنبياء وغيرها من القصص الواردة فى القرآن.

* ومن هنا تأتى أهمية دراسته كمصدر تاريخى هام، يوضح ما جاء فى القرآن مجملا، ويفسر ما ورد عاما، ويحلل الدقائق التاريخية، ويلقى الضوء عليها لتظهر فى جلاء ووضوح.

* ومن هنا كان اختيارى له موضوعا لهذا البحث: «الحديث النبوى والتأريخ».

ومن عجب فإن ميدان الدراسة التاريخية قد حُرِم من هذا المنهل الغزير «الحديث النبوى» ربما لأن هذا الميدان إنما ظل إلى عهد قريب يكاد يكون مقصورًا على المستشرقين، وتلاميذهم من العرب غير المسلمين، وأن هؤلاء وأولئك لم يتطرقوا فى دراساتهم إلى الأحداث التاريخية التى جاءت محلّلة مفسّرة فى الحديث النبوى.. ربما لأن هذه الدراسة بعيدة عن أغراضهم، أو لأن مجال البحث فيها قد لا يستهويهم لسبب أو لآخر، أو لأن المسلمين منهم إنما كانوا يُحسُّون الرهبة والحرج، والخوف من الوقوع فى المزالق إن هم تناولوا الأحداث التاريخية الواردة فى الحديث النبوى بالبحث والدراسة.

وأيا ما كان السبب.. فالذى لاشك فيه أن ميدان البحث فى التاريخ القديم - عند هؤلاء الدارسين، إنما خسر بذلك أصح مصادره وأصدقها وأوثقها على الإطلاق. ذلك أن كتب الحديث وشروحها - رغم أنها مصادر فقهية أكثر منها تاريخية - مورد غنى من الموارد الأساسية لتدوين

---

(١) رواه ابن جرير، راجع فتح القدير للشوكانى ٣٢٨/١.

أخبار الجاهلية فيما قبل الإسلام.. ومن ثَمّ فقد خسروا واحدًا من أهم مصادر التاريخ العربى القديم.

٢ - منهج البحث

من الطبيعى أن يكون منهجى فى البحث مستقلا، غير متأثر بأحد، لسبب بسيط: وهو أنه لم يسبقنى فى الكتابة فى هذا الموضوع أحدٌ من الباحثين، لصعوبة الموضوع ودقته، والخوف من الولوج فيه.. لذلك بدأت من أول الطريق، ومضيتُ أتلمس كل ما يتصل بموضوعى فى المصادر الأصيلة، فى محاولة جاهدة للتعرف على أبعاده.

ومَضَت مدة طويلة وأنا أقرأ فى كتب الحديث المختلفة، وأتفحص أبوابها، وأدوّن ما يتصل منها بالجوانب التاريخية، خاصة وقد تعرّفت على عناصر علم التاريخ، كما حددها العلماء، كالسخاوى والكافيجى من القدامى، والدكتور عبد العزيز كامل من المحدّثين وروزنثال من المستشرقين.

وكانت عناصر التاريخ تتركز فى عدة أمور، أهمها: «الزمان.. والمكان.. والأحداث.. وعالم الغيب، وعالم الواقع أى الأبطال أو الأشخاص» وكان علىّ أن أدور وأبحث فى كتب الحديث المتعددة عن كل ما يتصل بهذه العناصر.

وأخذت أحدد خطوط البحث، وصورته، حتى إذا ما تشبعت نفسى بما قرأت، بدأت فى جمع المادة العلمية، وكانت كثيرة هائلة ، نظرا لثراء الموضوع، وكثرة المواد الحديثية التى استخرجتها من مصادرها الأصيلة.

لقد كان هذا المنهج يحتم علىّ أن أقف جاهدًا عند النصوص المُسْنَدة الموثقة الصحيحة، وكان يحتم علىّ أن أُلِمّ بكل ما يتصل بجوانب الموضوع وعناصره الدقيقة، وأن أضعه فى الإطار المناسب، والصورة الواضحة.

*** لذلك فرض البحث نفسه أن يكون فى خمسة أبواب مستقلة ومترابطة فى نفس الوقت كل منها يشتمل على فصول بحسب طبيعته، يتصل بعضها ببعض.**

- **فى الباب الأول:** تناولت عنصر الزمن فى الحديث النبوى.. وماهيته وأنواعه.
- **وفى الباب الثانى:** تناولت عنصر المكان مبينا أبعاده وحدوده.
- **وفى الباب الثالث:** درست الأحداث التى تحدّث عنها رسول الله، ووردت فى القرآن وحفظها الحديث.. أو الأحداث التى تنبأ بها وتحققت فيما بعد.
- **أما الباب الرابع،** فقد تناولت فيه بالدراسة عالم الغيب الذى تحدث عنه الرسول ، مما نعرفه ونؤمن به ولم تقع عليه حواسنا.

● وأما الباب الخامس والأخير، فقد درست فيه ما يتصل بعالم الواقع، أى بالأشخاص والأبطال الذين تحدث عنهم رسول الله ﷺ. وكانت له معهم صلات أو علاقات أو مكاتبات.

* وقد كان من الضرورى أن أمهد لهذه الدراسة بتمهيد أوضح فيه بعض الأمور الهامة..

أولا: ما الحديث.. وما السُنة.. وما الخبر وما الأثر؟

ثانيا: ما التأريخ؟ مبدأه عند البشر، وبدايته عند المسلمين، وعناصره.

وقد ختمت هذا البحث بخاتمة توضح أهم نتائجه، ثم قائمة بأهم مصادره التى انتفعت بها، وأعقبته بفهرس للموضوعات الواردة فيه.

٣ - المصـــادر

هذا والمصادر العلمية التى رجعت إليها، واعتمدتها فى دراستى هذه كثيرة، وهى تنقسم بحسب طبيعة الموضوع والمنهج إلى مجموعات:

(أ) مصادر دينية.

(ب) مصادر تاريخية.

* فأما المصادر الدينية، ففى مقدمتها الكتب المقدسة الثلاثة: القرآن والتوراة والإنجيل بالإضافة إلى كتب الحديث المعتمدة: صحيح البخارى، وصحيح مسلم، وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد، وسنن الترمذى، وابن ماجه ، والسجستانى، والنسائى، وكنز العمال لعلى المتقى، ومجمع الزوائد للهيثمى. وغير ذلك.

ويضاف إليها مجموعة كبيرة من التفاسير، كتفسير الطبرى، وتفسير الفخر الرازى، وتفسير الزمخشرى، وتفسير الشوكانى، وتفسير الشيخ سيد قطب «فى ظلال القرآن» وأضواء البيان للشنقيطى.

ويلحق بهذه التفاسير: كتب التوحيد، وكتب ابن تيمية، وكتب الفقه وأحكام القرآن وغيرها.

* وأما المصادر التاريخية، فهى كثيرة، فى مقدمتها بالطبع كتب السيرة المشهورة كسيرة ابن هشام، والروض الأنف للسهيلى، وسيرة ابن كثير، والسيرة الحلبية، وجوامع السيرة لابن حزم، والشفا للتعريف بحقوق المصطفى للقاضى عياض.. هذا بالإضافة إلى كتب التاريخ القديمة، كتاريخ الطبرى، وتاريخ بغداد، والبداية والنهاية لابن كثير، وكتب الطبقات.. كطبقات ابن سعد، وأسد الغابة، والآثار الباقية عن القرون الخالية لابن جرير، والشماريخ فى علم التاريخ للسيوطى، وقصص الأنبياء لابن كثير، وقصص الأنبياء للنيسابورى الثعلبى، وتاريخ المدينة

المنورة لابن شبّة، ووفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودى.

ولقد أفدت كثيرا من كتب التاريخ الحديثة، مثل: **التاريخ العربى ومصادره، والتاريخ العربى وجغرافيته** للأستاذ أمين مدنى، **وتاريخ العرب القديم وعصر الرسول** لنبيه عاقل، **والتاريخ ومناهج البحث** لبشار عواد، **وتاريخ العرب قبل الإسلام** للدكتور جواد على، وتفسير التاريخ لعبد الحميد صديقى، **ودراسات تاريخية من القرآن** للدكتور محمد بيومى، **والقرآن والتاريخ** للدكتور عبد العزيز كامل، ومنهج البحث التاريخى لحسن عثمان، ونشأة علم التاريخ عند العرب لعبد العزيز الدورى..

وبالإضافة إلى هذه المصادر التاريخية ، القديمة والحديثة، رجعنا إلى مجموعة من الدراسات التاريخية والعلمية التى ألفها المستشرقون وتتصل بموضوعنا، كان فى مقدمتها:

علم التاريخ لهرنشو، وعلم التاريخ لجب، وعلم التاريخ عند المسلمين لروزنثال، إلى غير ذلك من المصادر التى أفادتنا إفادة كبيرة فى دراستنا مما هو مدرج فى هوامش البحث، وفى الثبت الأخير منه.

وأخيرا.. فهذا نوع جديد من الدراسة **الحديثية التاريخية**، تهيبت كثيرا قبل أن أخوض فى غمارها، لجلالها وعظمة مصدرها، بيد أنى استعنت بالله، وعقدت العزم على بذل الجهد من أجل الوصول إلى الغاية المبتغاة.. فإن كنت قد وفقت فحمدًا لله وشكرًا على ما ألهم وأنعم.. وإلا فإننى باحث على الطريق، قد وضعت لبنة فى بناء صرح الدراسات الحديثية، التى تحتاج إلى عناية كبيرة، وعلى إخوانى الباحثين أن يكملوا وأن يضعوا لبنات أكثر قوة، وأشد رسوخا، حتى تأتى أجيال أخرى فتقيم صرح الدراسات الحديثية والقرآنية التاريخية، كما أقامت أجيال سبقت صرح الدراسات اللغوية والفقهية والبلاغية، وغيرها من الدراسات التى اعتمدت على محكم التنزيل.

والله حسبى فهو نعم الوكيل..

جدة فى ٢٧ من رمضان سنة ١٤٠٧ هـ

أ. د. أحمد جمال العمرى

تمهيد

* ما الحديث..؟
* وما التأريخ..؟

- ١ -

أولا : الحـديث. .

* معنى الحديث:

يرى كثير من الباحثين - ولا سيما المتأخرين منهم، أن الحديث، والسنة، مترادفان متساويان، يحل أحدهما مكان الآخر، ففى كل منهما إضافة قول أو فعل أو تقرير أو صفة إلى النبى - ﷺ.

بيد أن ردّ هذين المصطلحين إلى أصولهما التاريخية، يؤكد وجود بعض الفروق الدقيقة بين الاستعمالين لغة واصطلاحا..

فالحديث - - كما يقول أبو البقاء[1]: اسم من التحديث، وهو الإخبار، ثم سُمّى به قولٌ أو فعل أو تقرير نُسب إلى النبىّ ﷺ[2]. و«معنى الإخبار»فى وصف الحديث كان معروفا للعرب فى الجاهلية، منذ كانوا يطلقون على أيامهم المشهورة اسم «الأحاديث»[3].

ويبدو أن الفراء أول من تنبّه إلىٰ هذا المعنى، حين رأى أن واحد الحديث أحدوثة، ثم جعلوه جمعًا للحديث[4]، ومن هنا شاع على الألسنة: «صار أُحْدُوثة»[5]، أو «صار حديثا»[6] إذا ضُرب به المثل. واستعمل الشاعر أبو كلّدة فى بيت واحد المثل والأحدوثة كأنما ليشير إلى ترادفهما، فقال[7].

وَلَاتُصْبِحُوا أُحْدُوثَة مثلَ قائلٍ ... به يَضْرَبُ الأمْثَالَ مَنْ يَتَمثّلُ

وكيفما نقلب مادة الحديث نجد معنى الإخبار واضحا فيها، حتى فى قوله تعالى: ﴿فليأتوا بحَدِيثٍ

---

(١) انظر هدية العارفين ٢٢٩/١، وإيضاح المكنون ٢٥١/١.
(٢) كليات أبى البقاء ص ١٥٢ (ط الأميرية سنة ١٢٨٠ هـ).
(٣) فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٥٢.
(٤) قواعد التحديث ٣٥.
(٥) الأغانى ١٥٠/٢١.
(٦) الأغانى ٢٧/١٤.
(٧) الأغانى ١٢٠/١٠.

مثله﴾[الطور ٣٤]. وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾[الزمر ٢٣]. وقد استشعر بعض العلماء فى مادة «الحديث» معنى«الجدة» فأطلقوه على ما يقابل القديم، وهم يريدون بالقديم كتاب الله، وبالجديد ما أضيف إلى رسول الله. قال ابن حجر فى شرح البخارى: «المراد بالحديث فى عُرْف الشرع ما أضيف إلى النبى – ﷺ – وكأنه أريد به مقابلة القرآن لأنه قديم»[١].

وهذا يفسّر لنا – إلى حد كبير – تورع كثير من العلماء من إطلاق اسم الحديث على كتاب الله، واستبدالهم «كلام الله» بحديث الله.

وفى «سنن ابن ماجة» رواية لحديث نبوى تكاد تقطع بضرورة هذا الورع، وهذا الأدب فى التعبير.

* عن عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه، أن رسول الله– ﷺ – قال: «إنما هما اثنتان: الكلام والهَدْى، فأحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهدى هدى محمد–ﷺ–»[٢].

وإذا وجدنا فى جُلّ كتب السنن «إن أحسن الحديث كتاب الله» ثم لاحظنا تفرّد ابن ماجة برواية «أحسن الكلام» أدركنا أنه ليس بمستبعد أن يكون الورع حَمَلَه على إيثار هذا التعبير، وكان أقل ما نستنبطه من ذلك أن فى العلماء من تحرّج من إطلاق اسم الحديث على كتاب الله القديم[٣].

والرسول – ﷺ – سمّى بنفسه قوله «حديثا» وكاد بهذه التسمية يميز ما أُضيف إليه عما عداه، حتى كأنه وضع الأصول لما اصطلحوا فيما بعد على تسميته «بالحديث».

جاءه أبو هريرة يسأله عن أسعد الناس بشفاعته يوم القيامة، فكان جوابه – ﷺ: «أنه علم أن لن يسأله عن هذا الحديث أحد قبل أبى هريرة، لحرصه على طلب الحديث[٤].

* والسنة – فى الأصل – ليست مرادفة للحديث، فإنها لمعناها اللغوى، كانت تطلق على الطريقة الدينية التى سَلَكها النبى – ﷺ – فى سيرته المطهرة، لأن معنى السنة لغة الطريقة.

فإذا كان الحديث عاما، يشمل قول النبى وفعله، فالسنة خاصة بأعمال النبى –ﷺ–.

وفى ضوء هذا التباين بين المفهومين، ندرك قول المحدثين أحيانا: «هذا الحديث مخالف للقياس والسنة والإجماع» أو قولهم عن عالم من العلماء: «إمام فى الحديث، وإمام فى السُّنة، وإمام فيهما

(١) تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى ص٤ ط مصر سنة ١٣٠٧هـ.
(٢) سنن ابن ماجه ١٨/١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.
(٣) الدكتور صبحى الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ٥ طبع دار العلم للملايين ببيروت سنة ١٩٧٩م.
(٤) صحيح البخارى؛ كتاب الرقاق رقم ٥١.

معا»(١) وأغرب من كل هذا - أن أحد المفهومين يدعم بالآخر، كأنها متغايران من كل وجه، حتى صحّ أن يذكر ابن النديم كتابا بعنوان «كتاب السنن بشواهد الحديث»(٢).

وحين عبّر الإسلام عن الطريقة بالسُّنّة، لم يفاجئ العرب، فلقد عرفوها بهذا المعنى كما عرفوا نقيضها وهى البدعة(٣). وكان فى وسعهم أن يفهموا منها هذا المعنى حتى عند إضافتها إلى اسم الجلالة فى مثل قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾[الأحزاب ٦٢].

أما الذين سمعوا لفظها من النبى - ﷺ - فى مثل قوله «عليكم بسُنَّتِي» فما كان لهم حينئذ أن يترددوا فى انصرافها إلى أسلوبه وطريقته فى حياته الخاصة والعامة.

ولئن أُطلقت السُّنّة فى كثير من المواطن على غير ما أطلق الحديث، فإن الشعور بتساويهما فى الدلالة، أو تقاربهما - على الأقل - كان دائما يساور نقاد الحديث.. فهل السُّنة العملية إلا الطريقة النبوية التى كان الرسول - ﷺ - يؤيدها بأقواله الحكيمة وأحاديثه الرشيدة الموجّهة؟

وهل موضوع الحديث يغاير موضوع السنة؟ .. ألا يدوران كلاهما حول محور واحد؟ ألا ينتهيان أخيرا إلى النبى الكريم، فى أقواله المؤيدة لأعماله، وفى أعماله المؤيدة لأقواله؟

حين جالت هذه الأسئلة فى أذهان العلماء، لم يجدوا بأسًا فى أن يصرحوا بحقيقة لا تُرد: إذا تناسينا مَورِدَىْ التسميتين، كان الحديث والسنة شيئًا واحدًا.

* الخبر والأثر:

والخبر أجدر من السُّنّة بأن يرادف الحديث، فما التّحديث إلاّ الإخبار، وما حديث النبى - ﷺ - إلاّ الخبر المرفوع إليه، غير أن إطلاق اسم الإخبارى على من يشتغل بالتواريخ ونحوها، حَمَل بعض العلماء على تخصيص المشتغل بالسنة بلقب «المحدِّث» لتمييزه عن «الإخبارى»، وعلى تسمية ما جاء عنه «حديثا» لتمييزه عن «الخبر» الذى يجىء عن غيره.

وهذا يفسر قولهم: «بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل حديث خبر، ولا عكس(٤).

(١) من ذلك ما يراه عبد الرحمن بن المهدى (ت ١٩٨هـ) من أن سفيان الثورى إمام فى الحديث، والأوزاعى إمام فى السنة وليس بإمام فى الحديث، ومالك بن أنس إمام فيهما معا. (انظر الزرقانى على الموطأ ١/٤).

(٢) الفهرست ص ٢٣٤.

(٣) أنظر الأغانى ١١٤/٧، ١١٩.

(٤) تدريب الراوى ص ٤.

والمحدِّثون الذين انتصروا لترادف الحديث والخبر لاحظوا - إلى جانب المدلول اللغوى المتماثل بين اللفظين - أن الرواة لم يكتفوا بنقل المرفوع إلى النبى - ﷺ - بل عُنوا معه بنقل الموقوف على الصحابى، والمقطوع على التابعى، فقد رَوَوْا إذن ما جاء عن النبى وما جاء عن غيره، والرواية إخبار هنا وهناك، فلا ضَيْر فى تسمية الحديث خَبَرًا، والخبر حديثا(١).

ومن خلال الزاوية نفسها.. نظروا إلى الأثر، فهو مرادف للخبر، والسنة والحديث. يقال: أثرتُ الحديث: بمعنى رويته، ويسمى المحدِّث أثريا نسبة للأثر(٢). فلا مسوغ إذن لتخصيص الأثر بما أضيف للسلف من الصحابة والتابعين، إذ أن الموقوف والمقطوع روايتان مأثورتان كالمرفوع، إلّا أن الموقوف يُعزى إلى الصحابى، والمقطوع يُعزَى إلى التابعى، بينما ينتهى المرفوع إلى الرسول -ﷺ-.

وهناك اصطلاحات فى بيان الفرق بين كل من الخبر والأثر، لن نخوض فيها، ولن نُمَارى فيها أصحابها(٣)، فقد أخذنا برأى الجمهور فى تساوى هذه المصطلحات جميعا فى إفادة التحديث والإخبار.

- ٢ -

* الحديث وقبول الأخبار:

عن أبى عبد الله: محمد بن عبد الله الحافظ - بإسناده - إلى محمد بن إدريس الشافعى قال: «قد وضع الله رسوله - ﷺ - من دينه وفرضه وكتابه، الموضع الذى أبان - جلّ ثناؤه - أنه جعله عَلَمًا لدينه بما افترض من طاعته، وحرّم من معصيته، وأبان من فضيلته بما قَرَن بين الإيمان برسوله مع الإيمان به، فقال سبحانه: ﴿فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[النساء ١٧١] وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النور ٦٢].

فجعل كمال ابتداء الإيمان الذى ما سواه تبع له الإيمان بالله ثم برسوله.

قال الشافعى: أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد، فى قوله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ

(١) علوم الحديث ومصطلحه ص ٦.
(٢) تدريب الراوى ص ٤.
(٣) من تلك الاصطلاحات أن المحدثين يسمون المرفوع والموقوف بالأثر، وأن فقهاء خراسان يسمون الموقوف بالأثر والمرفوع بالخبر. [انظر تدريب الراوى ص ٤].

ذِكْرَكَ﴾[الشرح ٤] قال: «لا أُذْكَر إلاّ ذُكِرت، أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله»(١).

قال الشافعي(٢): وفرض الله على الناس اتّباع وحيه وسنن رسوله، فقال فى كتابه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران ١٦٤] مع آيٍ سواها ذكر فيهن الكتاب والحكمة.. فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أَرْضَى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة: سنة رسول الله ﷺ. وقال ﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنكُم، فإن تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ فردُّوهُ إلى اللَّهِ والرَّسُولِ﴾[النساء ٥٩].

فقال بعض أهل العلم: كأبى هريرة، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وميمون بن مهران: ﴿أُولُو الأَمْرِ﴾: أمراء سرايا رسول الله – ﷺ. قال: ﴿فإِنْ تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ﴾: يعنى اختلفتم فى شيء، يعنى هم وأمراؤهم الذين أُمروا بطاعتهم ﴿فردُّوه إِلَى اللَّهِ والرَّسُولِ﴾ يعنى إلى ما قال الله والرسول(٣).

ثم ساق الكلام إلى أن قال(٤): «فأَعْلَمهم أن طاعة رسول الله – ﷺ – طاعته، فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوك فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثم لايَجِدُوا فى أَنْفُسِهِم حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء ٦٥].

واحتج أيضا فى فرض اتباع أمره، بقوله عز وجل: ﴿وَمَآ آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنْتَهُوا﴾[الحشر ٧] وغيرها من الآيات التى دلّت على اتباع أمره ولزوم طاعته، فلا يسع أحدًا ردّ أمره، لفرض الله طاعة نبيه.

قال الشافعى(٥): «وكان فَرْضه – جل ثناؤه – على من عَايَن رسول الله – ﷺ – ومَنْ بَعْدَه إلى يوم القيامة واحدًا، مِنْ أن على كلٍّ طاعته، ولم يكن أحدٌ غاب عن رؤية رسول الله – ﷺ – يعلمُ أمر رسول الله – ﷺ – إلاّ بالخبر عنه.

---

(١) تفسير الطبرى ١٥٠/٣٠، والرسالة ص ١٦، ومعرفة السنن والآثار ٩/١.

(٢) الرسالة ٧٣ ومفتاح الجنة ص ٤، ومعرفة السنن والآثار ١٠/١.

(٣) راجع تفسير الطبرى٥٠٤/٨ (ط دار المعارف).

(٤) الرسالة ٨٢.

(٥) معرفة السنن والآثار ١٤/١.

والخبر عنه خبران:

١ – خبر عامة: عن عامة، عن رسول الله – ﷺ – بجُمَلِ ما فَرَض الله – سبحانه – على العباد، أن يأُتوا به بألسنتهم وأفعالهم، ويؤتوه من أنفسهم وأموالهم، وهذا ما لا يسع جهله، وما يكاد أهل العلم والعوام أن يستووا فيه، لأن كلا كُلِّفَه كعدد الصلاة، وصوْم رمضان وحج البيت، وتحريم الفواحش.

٢ – وخبر خاصة، فى خاص الأحكام، لم يأت أكثره كما جاء الأول، لم يكلَّفه العامة. وكلِّف عِلْم ذلك مَنْ فيه الكفاية للقيام به دون العامة. وهذا مثل ما يكون منهم فى الصلاة من سهو يجب به سجود أو لا يجب، وما يفسد الحج أَوْ لا يُفسده، وما تجب به الفِدْية وما لا تجب.

وهو الذى على العلماء فيه عندنا قبول خبر الصادق على صِدْقِه، لا يسعهم ردُّه بفرض الله طاعة نبيه. قال الإمام الشافعى: «ولولا ثبوت الحجة بالخبر، لما قال رسول الله – ﷺ – فى خطبة – بعد تعليم من شهد أمر دينهم: «ألا فليبلّغ الشاهد منكم الغائب، فرُبَّ مبلّغ أوعى من سامع»[(١)].

ورُوى عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود، عن أبيه، قال: «قال رسول الله – ﷺ – «نَضَّر اللّهُ امْرَءًا سمع منا حديثا فأداه كما سمعه، ورُبَّ مُبَلَّغ أَوْعَى من سامع»[(٢)].

فلما ندب رسول الله – ﷺ – إلى استماع مقالته وأدائها امرءًا يؤدِّيها. والأَمْرُ واحد، دل على أنه لا يأمر أن يؤدَّى عنه إلا ما تقومُ الحجةُ به على مَنْ أُدِّى إليه.

وروى سالم أبو النَّضر أنه سمع عُبيد الله بن أبى رافع يخبر عن أبيه، قال: قال رسول الله –ﷺ– «لا أُلْفِيَنَّ أَحَدكم مُتَّكِئًا على أريكَته يأتيه الأمرُ من أمرى مما أمرتُ به أو نهيت عنه، يقول: لا أدرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه»[(٣)].

* وفى رواية المقدام بن معد يكرب، أن النبى – ﷺ – حرَّم أشياء يوم خيبر، منها الحمار الأهلى

---

(١) نقله السيوطى فى مفتاح الجنة ص ٤، وأخرجه أحمد فى المسند ٤/٥، ٣٧/٥ مرفوعا وأخرجه ابن ماجة فى مقدمة السنن ٨٥/١ – ٨٦ من حديث ابن عمر، وانظره فى جامع بيان العلم ٤٠/١.

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٩٦/٦ (ط المعارف) والشافعى فى الرسالة ص ٤٠١، وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٩/١/١ – ١٠، وابن ماجة فى مقدمة السنن ٨٥/١، وابن حبان فى صحيحه ٢٢٤/١ (المعارف).

(٣) الرسالة ص ٤٠٣، وسنن ابن ماجة ٧/٦/١، ومستدرك الحاكم ١٠٨/١، وسنن أبى داود ٢٨٠/٤، ومعرفة السنن والآثار ١٨/١.

وغيره، ثم قال رسول الله – ﷺ: «يُوشِك أن يقعد الرجلُ منكم على أريكته يُحَدِّث بحديثى فيقول: بينى وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراما حرّمناه، وإن ما حَرَّمَ رسول الله – ﷺ – كما حرَّم الله عز وجل»(١).

فهذا خبر من رسول الله – ﷺ – عما يكون بعده من ردِّ المبتدعة حديثه فوُجد تَصديقه فيما بعده.

أخبر أبو طاهر الفقيه – بإسناده – إلى شبيب بن أبى فضالة المالكى، قال: لما بُنى هذا المسجد – مسجد الجامع – إذا «عُمران بن حصين»(٢) جالس، فذكروا عند عمران الشفاعة، فقال رجل من القوم: يا أبا النّجيد: إنكم لتحدثوننا بأحاديث لم نجد لها أصلاً فى القرآن؟

قال: فغضب عمران وقال للرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت صلاة العشاء أربعا، ووجدت المغرب ثلاثا، والغداة ركعتين، والظهر أربعا، والعصر أربعا؟ قال: لا. قال: فعمَّن أخذتم هذا الشأن؟ ألستم عنا أخذتموه، وأخذناه عن نبى الله – ﷺ.

ووجدتم فى كل أربعين درهما درهما، وفى كل كذا شاة، وفى كل كذا بعيرٌ كذا؟ أوجدتم فى القرآن هذا؟ قال: لا، قال: فعَمّن أخذتم هذا؟ أخذناه عن النبى –ﷺ– وأخذتموه عنا.

وقال: وجدتم فى القرآن ﴿وليطوَّفُوا بالبَيْتِ العَتِيق﴾[الحج ٢٩] أوجدتم: فطوفوا سبعًا، واركعوا ركعتين من خلف المقام؟ أوجدتم هذا فى القرآن؟ فعَمَّن أخذتموه؟ ألستم أخذتموه عنا، وأخذناه عن رسول الله – ﷺ – وأخذتموه عنا؟ قالوا: بلى.

قال: سمعتم الله تعالى قال فى كتابه: ﴿ومآ أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر ٧].

قال عمران: فقد أخذنا عن نبى الله – ﷺ – أشياء ليس لكم بها علم(٣).

* هذا والحديث الذى رُوِى فى عَرْض الحديث على القرآن باطل لا يصح(٤)، وهو يتعكس

(١) مستدرك الحاكم ١٠٩/١، وسنن الدار قطنى ص ٥٤٥، ومعرفة السنن والآثار ١٩/١، وسنن أبى داود ٢٧٩/٤، وصحيح ابن حبان ١٤٧/١، ومسند أحمد ١٣٠/٤.

(٢) ترجمته وفضائله فى أسد الغابة ١٣٧/٤، والإصابة ٢٦/٥، والمستدرك ٤٧٠/٣.

(٣) أخرجه أحمد فى المسند ٤٤٣/٤، وأبو داود فى السنن ٤٢/٣، والترمذى ٢١٠/١.

(٤) وهو ما روى أن النبى – ﷺ – قال: «ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فأنا قلته. وما خالفه فلم أقله» وهو حديث وصفوه بالضعف الشديد والوضع، وذكر السخاوى أنه حديث منكر جدا) [راجع الرسالة ص ٢٢٤ وكشف الخفاء ٨٦/١، والأحكام ٧٦/٢، ولسان الميزان ٤٥٤/١، ومفتاح الجنة ص ١١].

على نفسه بالبطلان، فليس فى القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن(١).

والحجج فى تثبيت الخبر الواحد كثيرة منها ما احتج به الشافعي، من أن الرسول - ﷺ - بعث عماله ليخبروا الناس بما أخبرهم به من شرائع دينهم، ويأخذوا منهم ما أوجب الله عليهم.. ويعطونهم ما لهم، ويقيموا عليهم الحدود، وينفذوا فيهم الأحكام... .

وساق الكلام فى بَعْثِ أبى بكر - رضى الله عنه - واليا على الحج، وبَعْثِ علىّ - رضى الله عنه - بأوّل سورة براءة، وبعثِ معاذ - رضى الله عنه - إلى اليمن.

فإن زعم من رَدّ الحديث - أن من جاءه معاذ، وأمراء سراياه محجوج بخبرهم، فقد زعم أن الحجة تقوم بخبر الواحد، وإن زعم أن لم تقم عليهم الحجة، فقد أعظم القول.

* ويتصل بنقل الأخبار عن رسول الله - ﷺ - سؤال هام: - مَنْ يُقْبَل خَبَره؟

أجاب الإمام الشافعي، بقوله: لا تقوم الحجة بخبر الخاصة حتى يجمع أمورًا، منها:

(أ) أن يكون من حدّث به ثقة فى دينه، معروفا بالصدق فى حديثه، عاقلا لما يُحَدّث به، عالمًا بما يُحيلُ معانى الحديث من اللفظ.

(ب) وأن يكون ممن يؤدِّى الحديث بحروفه كما سمعه، ولا يحدِّث به على المعنى، لأنه إذا حدّث به على المعنى وهو غير عالم بما يحيل معناه، لم يَدْرِ لعله يُحيلُ الحلالَ إلى الحرام، وإذا أدى بحروفه لم يبق وجه تخاف فيه إحالتُهُ الحديث.

(جـ) حافظًا إنْ حَدَّث مِنْ حِفْظِهِ، حافِظا لكتابه، إن حدَّث من كتابه، إذا شَرَك أهلَ الحفظ فى الحديث وافق حديثَهم.

(د) بَرِيًّا من أن يكون مُدَلِّسا، يحدِّث عمَّن لَقى ما لم يسمع منه، أو يحدِّث عن النبى -ﷺ- مما يحدِّث الثقات خلافه.

ويكون هذا من فَوْقه ممن حدَّثه حتى ينتهى بالحديث موصولا إلى النبى - ﷺ - أو إلى من انتهى به إليه دونه، لأن كُلُّ واحد منهم مثبت لمن حدّثه، ومثبت على من حدّث عنه(٢).

قال: ومن كثر غلطه من المحدِّثين، ولم يكن له أصل كتاب صحيح، لم يُقْبل حديثُه(٣).

---

(١) السيوطى: مفتاح الجنة ص ٦.
(٢) الرسالة ص ٣٧٠ ومابعدها. ومناقب الشافعى للبيهقى ٣٢/٢، والكفاية ص ٢٣.
(٣) الرسالة ص ٣٨٢، ومعرفة السنن والآثار ٤٢/١.

ولا يستدلّ على أكثر صدق الحديث وكذبه إلّا بصدق المخبر وكذبه إلّا فى الخاص القليل من الحديث.

وهذا الذى استثناه الشافعى لا يقف عليه إلّا الحُذّاق من أهل الحفظ فقد يزلّ الصدوق فيما يكتبه فيدخلُ له حديث فى حديث.

وقد يزل القلم، ويخطئ السمع، ويخون الحفظ، فيروى الشاذ من الحديث عن غير قصد، فيعرفه أهل الصنعة، الذين قيّضهم الله تعالى لحفظ سنن رسول الله - ﷺ - على عباده بكثرة سماعه وطول مجالسته أهل العلم به، ومذاكرته إياهم.

قيل لعبدالرحمن بن مهدى: كيف تعرف صحيح الحديث من خطئه؟ قال: كما يعرف الطبيب المجنون.

وجاء رجل إلى عبد الرحمن بن مهدى، فقال: يا أبا سعيد، إنك تقول للشىء هذا صحيح، وهذا لم يثبت، فعمّ تقول ذلك؟

قال: أرأيت لو أتَيْت الناقد فأريتَه دراهمك، فقال: هذا جيد وهذا سُتُّوق (أى زائف) وهذا بهرج (المبطل السكة) أكنت تسأل عم ذلك؟ أو كنت تسلم للأمر؟ قال: بل كنت أسلّم الأمر إليه، قال: فهذا كذلك، لطول المجالسة، أو المناظرة، والخبرة[١].

كما قال شريح: إنَّ للأثر جَهَابِذَة كجهابذة الوَرَق.

-٣-

أنواع الأخبار:

ومما يجب معرفته فى هذا الباب أن نعلم.. أن الأخبار الخاصة المروية على ثلاثة أنواع:

١ - النوع الأول: اتفق أهل العلم بالحديث على صحته. وهذا النوع على ضربين:

أحدهما: أن يكون مرويًّا من أوجه كثيرة، وطرق شتى، حتى دخل فى حدّ الاشتهار وبُعد من توهّم الخطأ فيه.

فهذا الضرب من الحديث يحصل به العلم المكتسب، وذلك مثل الأحاديث التى رويت فى القَدَر،

---

(١) راجع معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١١٣.

والرؤية، والحَوْض، وعذاب القبر، وبعض ما روى فى المعجزات والفضائل والأحكام.. فقد روى بعض أحاديثها من أوجه كثيرة.

والضرب الثانى: أن يكون مرويا من جهة الآحاد، ويكون مستعملا فى الدعوات. والترغيب والترهيب، وفى الأحكام، كما تكون شهادة الشاهدين مستعملة فى الأحكام عند الحكام، وإن كان يجوز عليها وعلى المخبر الخطأ والنسيان، لورود نَصّ الكتاب بقبول شهادة الشاهدين إذا كانا عَدْلين، وورود السنة بقبول خبر الواحد إذا كان عدلا مُسْتَجْمِعا لشرائط القبول فيما يوجب العمل.

وأما فى المعجزات، وفى فضائل واحد من الصحابة، وقد رويت فيها أخبار آحاد فى ذكر أسبابها إلاّ أنها مجتمعة فى إثبات معنى واحد، وهو ظهور المعجزات على شخص واحد، وإثبات فضيلة شخص واحد، فيحصل بمجموعها العلم المكتسب.

بل إذا جمع بينها وبين الأخبار المستفيضة فى المعجزات والآيات، التى ظهرت على سيدنا محمد - ﷺ - دخلت فى حد التواتر الذى يوجب العلم الضرورى.

٢ - وأما النوع الثانى من الأخبار: فهى أحاديث اتفق أهل العلم بالحديث على ضَعْف مَخْرَجها. وهذا النوع على ضربين:

(أ) ضرب رواه من كان معروفا بوضع الحديث والكذب فيه. فهذا الضرب لا يكون مستعملا فى شىء من أمور الدين إلاّ على وجه التَّلْيين. روى الحسين بن محمد الرُّوْذَبَارى -بإسناده- عن سَمُرَة بن جُنْدُب، قال: قال رسول الله - ﷺ - «مَنْ روى عنّى حديثا وهو يرى أنه كذبٌ فهو أحد الكاذبين».

(ب) وضرب لا يكون راويه متهما بالوضع، غير أنه عُرِفَ بسوء الحفظ، وكثرة الغلط فى رواياته، أو يكون مجهولا لم يثبت من عدالته وشرائط قبول خبره ما يوجب القبول.

فهذا الضرب من الأحاديث لا يكون مستعملا فى الأحكام، وقد يستعمل فى الدعوات والترغيب والترهيب، والتفسير والمغازى، فيما لا يتعلق به حُكْم.

روى عن عبدالرحمن بن مهدى أنه قال: «إذا رَوَينا فى الثواب والعقاب وفضائل الأعمال، تساهلنا فى الأسانيد، وتسامحنا فى الرجال، وإذا روينا فى الحلال والحرام والأحكام، تشددنا فى الأسانيد وانتقدنا الرجال».

وروى محمد بن عبد الله الحافظ - بإسناده - عن يحيى بن سعيد القطان، قال: «تساهَلُوا فى التفسير عن قوم لا يُوَثِّقونهم فى الحديث، ثم ذكر ليث بن أبى سُلَيم، وجُوِيْبِر بن سعيد، والضحّاك، ومحمد بن السائب - يعنى الكلبى - وقال: هؤلاء يحمد حديثهم، ويكتب التفسير عنهم[١].

وإنما تساهلوا فى أخذ التفسير عنهم، لأن ما فسروا به ألفاظه تشهد لهم به لغات العرب، وإنما عملهم فى ذلك الجمع والتقريب فقط.

قال العباس بن محمد: سمعت أحمد بن حنبل وسئل وهو على باب أبى النضر «هاشم بن لقاسم» فقيل له: يا أبا عبدالله.. ما تقول فى «موسى بن عبيدة» وفى «محمد بن اسحاق» قال: أما موسى بن عبيدة، فلم يكن به بأس، ولكنه حدّث أحاديث مناكير عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر، عن النبى -ﷺ-.

وأما محمد بن اسحاق، فهو رجل تكتب عنه هذه الأحاديث - كأنه يعنى المغازى ونحوها فأما إذا جاءك الحلال والحرام أردنا قوما هكذا، وقبض العباس أصابع يده الأربع من كل يد ولم يضم الإبهام[٢].

٣ - وأما النوع الثالث من الأحاديث، فهو حديث قد اختلف أهل العلم بالحديث فى ثبوته.

فمنهم من يضعّفه بجرح له من بعض رواته خفى ذلك عن غيره.

أو لم يقف من حاله على ما يوجب قبول خبره، وقد وقف عليه غيره.

أو المعنى الذى يجرّحه به لا يراه غيره جرحا، أو وقف على انقطاعه، أو انقطاع بعض ألفاظه، أو إدراج بعض رواته قول رواته فى متنه.

أو دخول إسناد حديث فى حديث خفى ذلك على غيره.

* فهذا الذى يجب على أهل العلم بالحديث بَعْدهم أن ينظروا فى اختلافهم، ويجتهدوا فى معرفة معانيهم فى القبول والردّ، ثم يختاروا من أقاويلهم أصحها.

---

(١) أخرجه مسلم فى مقدمة صحيحه ٩/١، وأشار إليه الترمذى فى جامعه ١١٠/٢.

(٢) انظر التاريخ الكبير للبخارى ٢٤٦/١/٤، والجرح والتعديل لابن أبى حاتم ١٧٧/٢/٣، والعلل لأحمد ص ٣٨٩، ولسان الميزان ٤٩٣/٤.

- ٤ -

* **اختلاف الأحاديث:**

اتفق علماء الحديث على مجموعة من الأصول، وطبقوها فى حالات اختلاف الأحاديث.. أهمها.. ما حدّده الإمام الشافعى، قال:

- كلما احتمل حديثان أن يُستعملا معًا، استعملا معا، ولم يُعَطِّل واحد منهما الآخر.

* فإذا لم يحتمل الحديثان إلا الاختلاف، فالاختلاف فيهما وجهان:

أحدهما: أن يكون أحدهما ناسخا والآخر منسوخا، فيُعمل بالناسخ ويترك المنسوخ.

والآخر: أن يختلفا ولا دلالة على أيهما ناسخ ولا أيهما منسوخ - فلا يذهب إلى واحد منهما دون غيره إلاّ بسبب يدل على أن الذى ذهبنا إليه أقوى من الذى تركنا:

- وذلك أن يكون أحد الحديثين أثبت من الآخر، فنذهب إلى الأثبت..
- أو يكون أشبه بكتاب الله، أو سنة رسوله - ﷺ..
- أو أَوْلى بما يعرف أهل العلم..
- أو أصحّ فى القياس..
- أو الذى عليه الأكثر من أصحاب رسول الله - ﷺ.

* وإذا كان الحديث مجهولا أو مرغوبا عمن حَمَله، كان كما لم يأت، لأنه ليس بثابت(١).

ومما يحق معرفته فى هذا الباب، أن نعلم أن الله تعالى بعث رسوله - ﷺ - بالحق، وأنزله عليه كتابه الكريم، وضمن حفظه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لحافظون﴾[الحجر ٩]. ووضع رسوله - ﷺ - من دينه وكتابه موضع الإبانة عنه، كما قال سبحانه: ﴿وأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبيِّنَ للنَّاسِ ما نُزِّلَ إليْهِم ولعلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون﴾[النحل ٤٤].

- وترك نبيّه فى أمته حتى يُبَيِّن لأمّته ما بُعث به، ثم قبضه الله تعالى إلى رحمته، وقد تركهم على الوَاضِحة، فلاَ تَنْزِلُ بالمسلمين نازلة إلاّ وفى كتاب الله وسنة رسول الله - ﷺ - بيانُها: نَصًّا أو دلالة(٢).

- وجعل فى أمته فى كل عصر من الأعصار أئمة يقومون ببيان شريعته وحفظها على أمته وردّ البدعة عنها.

---

(١) راجع فى هذا معرفة السنن والآثار ٤٥/١، واختلاف الحديث ٥٧/٧ بهامش الأم.

(٢) الرسالة ص ٢٠. ويقول الشافعى: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها».

أخبر أبو سعد: أحمد بن محمد الصوفى - بإسناده - عن إبراهيم بن عبد الرحمن العُذْرى، قال: «قال رسول الله - ﷺ: «يَرِثُ هذا العلمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُه، يَنْفُون عنه تحريف الغَالِين، وانتحال المُبْطِلين، وتأويل الجاهلين».

وقد وُجد تصديق هذا الخبر فى زمان الصحابة، ثم فى كل عصر من الأعصار إلى يومنا هذا، وقام بمعرفة رواة السنة فى كلِّ عصرٍ من الأعصار جماعةٌ، وقفوا على أحوالهم فى التعديل والجرح، وبيّنوها ودوّنوها فى الكتب حتى من أراد الوقوف على معرفتها وجد السبيل إليها.

* وقد تكلم فقهاء الأمصار فى الجرح والتعديل فمَنْ سِوَاهم من علماء الحديث: روى الحِمّانى عن أبى حنيفة قال: «ما رأيت أحدًا أكذب من جابر الجُعْفِى، ولا أفضل من عطاء[1].

وحدّث الحِمَّانى قال: سمعت أبا سعد الصَّغَانِى قام إلى أبى حنيفة، فقال: يا أباحنيفة، ما تقول فى الأخذ عن الثورى؟ فقال: اكتب عنه، فإنه ثقة ما خلا أحاديث «أبى اسحاق» عن «الحارث»، وحديث «جابر الجعفى»[2].

وقال يحيى بن سعيد القطان: سألت شعبة، وسفيان الثورى، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، عن الرجل يُتَّهَم فى الحديث ولا يحفظ؟ فقالوا: بَيِّن أَمْرَه للناس.

وقال حرملة بن يحيى: سمعت الشافعى، يقول: «لولا شُعْبة ما عرف الحديث بالعراق، وكان يجىء إلى الرجل فيقول لا تُحَدِّث وإلا اسْتَعْدَيْتُ عليك السلطان»[3].

فعلى هذه الجملة كان دفاعهم عن السنة.

وبعد - فهذه مقدمة فى دراسة الحديث، قصدت من ورائها بيان ما جَرَت عليه الأحاديث فى الفصول والأبواب التالية، وما جرى عليه أحواله -ﷺ- ليتوصل بها إلى معرفة ما أوردته فيه الأحاديث.

ويعلم أن كل حديث أوردته - فى البحث - قد أردفته بما يشير إلى صحته، أو تركته مبهما وهو مقبول فى مثل ما أخرجته، وما عسى أوردته بإسناد فيه ضعف أشرت إلى ضعفه - فى بعض الأحيان - وجعلت الاعتماد على غيره.

وقد التزمت الاقتصار من الأخبار على ما يصح منها دون مالا يصح، أو التمييز بين ما يصح منها وما لا يصح، ليكون الناظر فيها من أهل السنة على بصيرة مما يقع الاعتماد عليه، لا يجد من زاغ قلبه من أهل البدع عن قبول الأخبار مَغْمَزًا فيما اعتمد عليه أهل السنة من الآثار.

---

(١) انظر علل الترمذى الملحقة بالجامع ونقلها عنه القرشى فى الجواهر المضيئة ١/٣٠.
(٢) القرشى: الجواهر المضيئة ١/٣٠.
(٣) مناقب الشافعى للبيهقى ٢/١٢١.

- ١ -

ثانيًا: ما التأريخ..؟

* معنى التأريخ:

التأريخ - فى المعنى اللغوى - غاية الشيء ووقته الذى ينتهى إليه. يقال «فلان تاريخ قومه فى الجود» أى الذى انتهى إليه ذلك.

والتأريخ مصدر من «أرّخ»، اللفظ الشائع عند العرب، بلُغَة قيس، أو «وَرّخ» بلغة تميم، وهذا اللفظ - كما يقول الصولى - لم يستخدمه كاتب قط[١].

ويرى بعض الباحثين، أن لفظ «تأريخ» مأخوذ من «ياريخ» العبرية، ومعناها القمر، أو «يَرَخ» ومعناها الشهر، وبناء على هذا الرأى يكون التأريخ: التوقيت أى تحديد الشهر[٢].

ويرفض المستشرق فرانز روزنثال هذا الرأى القائل بالأصل العبرى، نظرا لوجود حرف (ياء) فى الصورة العبرية[٣].

ويزعم بعض الدارسين، أن لفظ «التأريخ» مشتق من اللفظ الأكدى «أرخو» ويرفض روزنثال هذا الرأى أيضا، فهو فى رأيه أمر بعيد الاحتمال[٤].

ويعتقد بعض المؤرخين الأقدمين، أن لفظ «تأريخ» تعريب للكلمة الفارسية «ماه روز» ومعناها - كما يقول البيرونى - حساب الشهور والأيام[٥] أو التوقيت القمرى[٦]، لأن لفظه «ماه روز» يقصد بها تعيين بدء الشهر القمرى[٧]. ويستشهدون لذلك بما رواه البيرونى من أن الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لما كثرت لديه الأموال، واختلط عليه وقت توزيعها، جمع أعيان الصحابة، وسألهم عن كيفية التوصل إلى ذلك، فقال له الهرمزان ملك الأهواز،

---

(١) أبو بكر الصولى: أدب الكتاب ص ١٨٠، تحقيق محمد بهجة الأثرى، طبع القاهرة سنة ١٣٤١ هـ. وانظر محمود شكرى الألوسى: بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ج٣ ص ٢١٤ طبع القاهرة سنة ١٩٢٥م.

(٢) بلير: مادة تأريخ، دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٤ العدد ٨ ص ٤٧٣ (القسم العربى).

(٣) علم التأريخ عند المسلمين ص ٢١ الدكتور صالح العلى طبع بغداد سنة ١٩٦٣م.

(٤) المرجع السابق ص ٢١.

(٥) البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢٩ نشر ادوارد شاو، طبع ليبزج سنة ١٩٢٣م، وانظر حمزة الأصفهانى: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص٨ طبع برلين.

(٦) روزنثال: علم التأريخ ص ٢٣.

(٧) بلير: مادة تأريخ - دائرة المعارف الإسلامية ص ٤٧٤.

وكان قد أُسِرَ زمن فتح فارس، وحُمِل إلى عمر فأسلم، «إن للعجم حسابا يسمونه ماه روز، ويسندونه إلى من غلب عليهم من الأكاسرة». فعرَّبوا لفظة «ماه روز» بمؤرخ، وجعلوا مصدره «التأريخ»، واستعملوه فى وجوه التصريف، ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استخدام ذلك[١].

والتأريخ – اصطلاحا – معناه: الزمن والحقبة[٢].

وهذا المعنى الاصطلاحى، لم يرد لا فى الأدب الجاهلى، ولا فى القرآن الكريم، ولا فى الحديث النبوى، ولم يستخدم لأول مرة إلّا عندما أدخل الخليفة عمر بن الخطاب التقويم الهجرى. فقد ورد هذا الاصطلاح – كما يقول روزنثال – فى بَرْدِيّة يرجع تاريخها إلى سنة ٢٢ للهجرة، مما يدل على أن الكلمة كانت معروفة فى ذلك الحين[٣].

بعد ذلك، تطور مدلول كلمة «التأريخ» إلى أن أصبحت «الكتب التاريخية». وأقدمها: الكتب التى تتضمن مجموعات تراجم تسجل سنوات الميلاد والوفاة لبعض الملوك والشخصيات التى اهتم مؤلفو هذه الكتب بترجمتها.

وعلى هذا الأساس تطور مفهوم التأريخ عند العرب.. وأصبح التأريخ فنا يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت، بل عما كان فى العالم.

وموضوعه: يقوم على الإنسان والزمان..

ومسائله: قوامها أحوال الإنسان والزمان «المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان وفى الزمان[٤].

ولهذا السبب كانت كتب السيرة والمغازى والأنساب تدخل فى عداد الكتب التاريخية. ثم تطور معنى التأريخ إلى معناه الشائع، المعروف باستعمال كتب الحوليات لهذه الكلمة[٥] مثل: تاريخ الأمم والملوك للطبرى، وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهانى[٦].

هذا عن التعريف اللغوى والاصطلاحى، وهناك تعريف آخر اصطلح عليه المُحْدَثُون[٧] وهو:

---

(١) البيرونى، الآثار الباقية ص ٣٠ وانظر السخاوى: الإعلان بالتوبيخ عن ذم أهل التاريخ، نشره روزنثال فى كتابه «علم التأريخ عند المسلمين» ص ٥١٢.

(٢) روزنثال ص ٢٣.

(٣) علم التاريخ عند المسلمين ص ٢٤.

(٤) المختصر فى علم التاريخ ص ٣٢٧، والإعلان بالتوبيخ ص ٣٨٥.

(٥) علم التأريخ ص ٢٥.

(٦) المرجع السابق.

(٧) ر. ج. كولنجوود: فكرة التاريخ ترجمة محمد بكير خليل ومحمد عبد الواحد خلاف طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٨ ص٤١ وما بعدها.

أن التاريخ نوع من أنواع البحث العلمي. ولسنا نسأل الآن أى نوع من أنواع البحث هو - وإنما المهم هو أن التأريخ من حيث الأصل، يندرج تحت ما يمكن أن نسميه «العلوم» وهى التى نقصد بها ألوانا من التفكير تبعث فينا أسئلة معينة نحاول معرفتها والإجابة عنها.

إن العلم المقصود من هذا التعريف هو الكشف عن حقيقة الأشياء وهذا هو المراد من القول: إن التاريخ علم.

أما موضوعه، فهو الكشف عن جهود الإنسان، أى الأعمال التى قام بها الإنسان فى الماضى. أو قُلْ: محاولة تستهدف الإجابة عن الأسئلة والأخبار التى تتعلق بجهود البشرية فى الماضى القديم.

وأما طريقته - أو منهاج البحث فيه، فيمكن أن تقوم على تفسير الوثائق التاريخية، والأخبار، وقصص الماضى السحيق.

والوثائق.. هى الأشياء الموجودة فى زمان ومكان معينين، وهى أشياء لها طابعها الخاص الذى يحمل المؤرخ على التفكير فيها تفكيرا يستعين به على الإجابة عن الأسئلة التى تتعلق بأحداث الماضى، ومهما يكن من أمر فإن الباحثين متفقون على أن منهج التاريخ يستند فى الأصل إلى تفسير الوثائق، وتحليل الأحداث الواردة فيها، وتفسير قصص الماضيين.

وأما هدف التاريخ.. فهو معرفة الإنسان بنفسه وإحاطته علما بأعمال بنى الانسان فى الماضى.

- ٢ -

* مبدأ التأريخ البشرى:

الباحث الدارس لتاريخ الأمم السابقة، يجد أن هذه الأمم كانت تؤرخ بالأحداث الكبيرة قال ابن أبى خيثمة فى تأريخه[١]: قال على بن محمد - وهو المدائنى، عن على بن مجاهد، عن محمدبن اسحاق، عن الزهرى، وعن محمد بن صالح عن الشعبى، قالا:

«لما أُهبِط آدم من الجنة، وانتشر ولده، أرّخ بنوه من هبوط آدم، فكان ذلك التأريخ حتى بعث الله نوحا، فأرّخوا ببعث نوح، حتى كان الغَرَق، فهلك من هَلَك ممن كان على وجه الأرض، فلمّا هبط نوح وذُرّيته وكلّ من كان فى السفينة، قسّم الأرض بين ولده أثلاثا، فجعل لسام وَسَطًا من الأرض، ففيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان وقيبون، وذلك ما بين فيشون إلى شرقىّ النيل، ما بين منخر ريح الجنوب إلى منخر الشمال، وجعل لحام قسمه غربىّ

(١) نقلا عن كتاب السيوطى: الشماريخ فى علم التاريخ ص ٢ طبع ليدن بمطبعة بريل سنة ١٨٩٤م.

النيل فما وراءه إلى منخر ريح الدبور، وجعل قسم يافث من قيون فما وراءه إلى منخر ريح الصبا، فكان التأريخ من الطوفان إلى نار إبراهيم.

فلما كثر بنو اسماعيل افترقوا، فأرّخ بنو اسحاق من نار إبراهيم إلى مبعث يوسف، ومن مبعث يوسف إلى مبعث موسى، ومن مبعث موسى إلى مُلك سليمان، ومن مُلك سليمان إلى مبعث عيسى بن مريم، ومن مبعث عيسى بن مريم إلى مبعث سيدنا رسول الله -ﷺ-.

وأرّخ بنو اسماعيل من نار إبراهيم إلى بناء البيت حين بناه ابراهيم واسماعيل، ثم أرخ بنو اسماعيل من بنيان البيت إلى أن تفرقت بعدُ، فكان كلما خرج قوم من تهامة أرّخوا بخروجهم. ومن بقى من بنى اسماعيل يؤرخون من خروج سَعد ونَهد وجُهَينة، حتى مات كعب بن لُؤَىّ، فأرخوا من موته إلى الفيل، فكان التأريخ من الفيل إلى أن أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة، وكان ذلك سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة(١).

أخرجه ابن جرير فى تأريخه مختصرا إلى قوله «ومن مبعث عيسى إلى مبعث رسول الله -ﷺ- وقال:

«ينبغى أن يكون هذا على تأريخ اليهود، فأما أهل الإسلام فلم يؤرخوا إلّا من الهجرة، ولم يؤرخوا بشىء قبل ذلك، غير أن قريشا كانوا يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل» قال: «وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة، كيوم جَبَلة، والكُلاب الأول، والكُلاب الثانى، وكانت النصارى تؤرخ بعهد الإسكندر ذى القرنين، وكان الفرس يؤرخون بملوكهم».

* وأخرج ابن عساكر فى تأريخه(٢)، من طريق خليفة بن خياط، حدثنى يحيى بن محمد الكعبى، عن عبد العزيز بن عمران، قال:

لم يزل للناس تأريخ كانوا يؤرخون فى الدهر الأول من هبوط آدم من الجنة، فلم يزل ذلك حتى بعث الله نوحا فأرخوا من الطوفان، ثم لم يزل كذلك حتى حُرّق إبراهيم فأرخوا من تحريق إبراهيم. وأرخت بنو إسماعيل من بنيان الكعبة، ولم يزل ذلك حتى مات كعب بن لُؤَى. فأرخوا من موته، فلم يزل كذلك حتى كان عام الفيل، فأرخوا منه، ثم أرخ المسلمون بعد من الهجرة.

(١) أخرجه ابن جرير فى تأريخه مختصرا.
(٢) نقلا عن الشماريخ فى علم التاريخ ص ٣.

-٣-

* مبدأ التأريخ الهجرى:

فإذا نظرنا فى مبدأ التاريخ الهجرى، نجد أن الإسلام أرخ بالهجرة..

- فمن الذى أمر بالتأريخ بالهجرة؟

- هل رسول الله - ﷺ - أم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كما هو شائع ومحفوظ؟

قال ابن عساكر فى تأريخه[١] - بإسناده - عن ابن أبى سلمة، عن ابن شهاب.

«أن النبى - ﷺ - أمر بالتأريخ يوم قَدِم المدينة فى شهر ربيع الأول» رواه يعقوب بن سفيان.

وقال يونس: حدثنا ابن وهب عن ابن جريج، عن ابن شهاب. أنه قال: «التأريخ من يوم قدم النبى - ﷺ - المدينة مهاجرًا» قال ابن عساكر: هذا أصوب.

* والمحفوظ الشائع، أن الآمر بالتأريخ عمر بن الخطاب - رضى الله عنه.

قال السيوطى[٢]: وقفتُ على ما يعضّد الأول، فرأيت بخط ابن القماح، فى مجموع له، قال ابن الصلاح: وقفت على كتاب فى الشروط للأستاذ أبى طاهر محمد بن محمش الزيادى، ذكر فيه:

«أن رسول الله - ﷺ - أرّخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نَجْرَان، وأمر عليًا أن تكتب فيه أنه كُتِبَ لخَمْسٍ من الهجرة».

فالمؤرخ بالهجرة إذًا رسولُ الله ﷺ، وعُمر تبعه فى ذلك.

وقد يقال هذا صريح فى أنه يُقال أرّخ سَنة خمس، والحديث الأول فيه: أنه أرخ يوم قدوم المدينة؟

يجيب السيوطى، ويدفع هذا التعارض، فيقول: «لا منافاة، فإن الظرف - وهو قوله «يوم قدم المدينة» ليس متعلقا بالفعل، وهو (أمَرَ). بل بالمصدر، وهو التأريخ، أى أمر بأن يؤرخ بذلك اليوم، لَا أن الأمر فى ذلك اليوم.

يؤيد ذلك ما جاء فى كتب السنة المطهرة من أحاديث..

(أ) فقد روى البخارى - فى تأريخه الصغير - حدثنا ابن أبى مريم، حدثنا يعقوب بن

(١) الشماريخ فى علم التاريخ ص ٤.

(٢) الشماريخ فى علم التاريخ ص ٤.

اسحاق - وهو القلزمى، حدثنا محمد بن مسلم، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس - رضى الله عنهما قال: «التأريخ فى السنة التى قدم فيها النبى - ﷺ - المدينة».

(ب) وقال محمد بن عثمان بن أبى شيبة - فى تأريخه[١]، حدثنا مصعب بن عبدالله الزُّبيرى، حدثنا ابن أبى حازم، عن أبيه، عن سهل بن سعد.

«أخطأ الناس العدد، لم يعدّوا من مبعث رسول الله - ﷺ، ولا من متوفّاه، وإنما عَدُّوا من مَقْدِمه المدينة».

أخرجه البخارى - فى صحيحه بلفظ «ما عَدُّوا إلى آخره، ولم يقل أخطأ الناس».

* وإن يكن بعض صحابة رسول الله - ﷺ - التبس عليهم هذا الأمر، فذكروا أن عمر بن الخطاب هو الآمر بالتأريخ بالهجرة.

- قال أحمد بن حنبل: حدثنا رَوْح، حدثنا زكريا بن اسحاق، حدثنا عمر بن دينار..

* أن أول من أرّخ فى الكتب يَعْلى بن أمية - وهو باليمن، وكان يعلى أميرًا عليها لعُمر»

وقال البخارى - فى التاريخ الصغير: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن عثمان بن رافع، سمعت سعيد بن المسيب يقول:

قال عمر: متى نكتب التأريخ؟ فجمع المهاجرين، فقال له علىّ من يوم هاجر النبى - ﷺ - نكتب التأريخ[٢].

* وأخرج ابن عساكر، عن الشعبى[٣]، قال: «كتب أبو موسى إلى عُمر.. أنه تأتينا من قِبَلك كُتُبٌ، ليس لها تأريخ فأَرِّخْ، فاستشار عُمر فى ذلك، فقال بعضهم: أرخ لمبعث رسول الله - ﷺ. وقال بعضهم: لوفاته. فقال عمر: لا بل نؤرخ لمهاجرته، فإن مهاجرته فَرق بين الحق والباطل، فأرّخ به».

* وأخرج عن أبى الزناد، قال: «استشار عُمر فى التأريخ، فأجمعوا على الهجرة».

* وأخرج عن ابن المسيِّب، قال: «أول من كتب التأريخ عُمر لسنتين ونصف من خلافته. فكتبه لستَ عشرة فى المحرم بمشورة على بن أبى طالب»[٤].

* وقال ابن أبى خيثمة: حدثنا علىّ بن محمد - هو المدائنى- حدثنا قُرة بن خالد عن ابن سيرين: «أن رجلا من المسلمين قدم من أرض اليمن، فقال لعُمر: رأيت باليمن شيئًا يسمونه

---

(١) نقلا عن الشماريخ فى علم التاريخ ص ٥.
(٢) رواه الواقدى عن ابن أبى سَبْرة، عن عثمان بن عبد الله بن رافع.
(٣) نقلا عن الشماريخ فى علم التاريخ ص ٦.
(٤) المرجع السابق.

«التأريخ» يكتبون من عام كذا، وشهر كذا..

فقال عمر: إن هذا حَسَنٌ، فأرِّخوا، فلما أجمع على أن يؤرخ شاور..

فقال قوم: بمولد رسول الله - ﷺ - وقال قوم: بالمبعث، وقال قوم: حين خرج مهاجرًا من مكة، وقال قائل: بالوفاة حين توفى. فقال عمر: أرِّخوا خروجه من مكة إلى المدينة.

ثم قال: بأى شهر نبدأ فنُصَيِّره أول السنة؟ فقالوا: رجب، فإن أهل الجاهلية كانوا يعظمونه، وقال آخرون: شهر رمضان، وقال بعضهم: ذو الحجة، فيه الحج.

وقال آخرون: الشهر الذى خرج فيه من مكة، وقال آخرون: الشهر الذى قدم فيه المدينة، فقال عثمان: أرخوا من المحرم، أول السنة، وهو شهر حرام، وهو أول الشهور فى العدّة، وهو منصرف الناس عن الحج.

فصيَّروا أول السنة المحرم، وكان ذلك سنة سبع عشرة، ويقال سنة ست عشرة، فى نصف ربيع الأول.

وقد ذكر السيوطى نكتة فى جعل المحرم أول السنة، قال[1]: روى سعيد بن منصور فى سُننه - بإسناده - عن ابن عباس، قال فى قوله تعالى: (والفجر..) قال: «الفجر شهر المحرم هو فجر السنة»[2].

قال ابن حجر فى أماليه: «بهذا يحصل الجواب عن الحكمة فى تأخير التأريخ من ربيع الأول إلى المحرم، بعد أن اتفقوا على جعل التأريخ من الهجرة، وإنما كانت فى ربيع الأول».

وقال يعقوب بن سفيان الفَسَوى - فى تأريخه - بإسناده - عن عُبيد بن عُمير، قال: «المحرم شهر الله، وهو رأس السنة، فيه يكسى البيت، ويؤرخ التأريخ، ويضرب فيه الورق».

قال ابن عساكر: «إن أول المحرم سنة الهجرة يوم الخميس اليوم الثامن من أيّار سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة لذى القرنين».

---

(١) الشماريخ فى علم التاريخ ص ٦، ٧.

(٢) أخرجه البيهقى فى الشُعب وإسناده حسن.

- ٤ -

أسباب وضع التاريخ عند المسلمين:

ما هي الأسباب التى أدت إلى وضع التاريخ الإسلامى؟

* ذكر السيوطى - فى كتابه[١] - أهم الأسباب التى أدت إلى وضع التاريخ عند المسلمين، ومنها.

(أ) معرفة الآجال وحلولها.

(ب) انعقاد العِدَد.

(جـ) أوقات التعاليق.

(د) وفيات الشيوخ ومواليدهم، والرواة عنهم، فتعرف بذلك كذب الكاذبين، وصدق الصادقين. ويستشهد لذلك بقوله تعالى:

﴿يَـٰأَيُّها الَّذين آمَنُوا إِذَا تداينْتُم بِدَيْن إلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فاكْتُبُوه﴾ [البقرة ٢٨٢].

* وأخرج البخارى فى الأدب المفرد، والحاكم، عن ميمون بن مهران، قال: «رُفع إلى عمر صَكّ محلّه شعبان، فقال: أى شعبان؟ الذى نحن فيه أو الذى مضى، أو الذى هوآت؟.. ثم قال لأصحاب النبى - ﷺ - ضعوا للناس شيئا يعرفونه من التأريخ، فقال بعضهم: اكتبوا على تأريخ الروم. فقال: إن الروم يطول تأريخهم. يكتبون من ذى القرنين. فقال بعضهم: اكتبوا على تأريخ فارس. فقال: فارس كلما قام ملك طرح من كان قبله.. فأجمع رأيهم على أن الهجرة كانت عشر سنين، فكتبوا التأريخ من هجرة النبى - ﷺ -.

* وقال ابن عدى - بإسناده - عن أبى بحر الخراسانى، قال:
«لما استعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التأريخ».

● وقال حفص بن غياث: «إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين». يعنى سِنّه وسِنّ من كتب عنه:

● وقال حماد بن زيد: «لم نستعن على الكاذبين بمثل التأريخ».

ولقد أَرّخ المسلمون بالأشهر الهلالية[٢] التى تكون ثلاثين يوما، وقد تكون تسعة وعشرين

(١) الشماريخ فى علم التأريخ ص ٧، وانظر الآثار الباقية ص ٢٩، والسخاوى: الإعلان ص ٥١٢.
(٢) الشماريخ فى علم التاريخ ص ٨، وانظر ما كتبه الدكتور جواد على ج٨ ص٣٦٥.

– كما ثبت فى الحديث – دون الأشهر الشمسية الحسابية، التى هى ثلاثون أبدًا، فتزيد عليها، قال تعالى فى قصة أهل الكهف:

﴿وَلَبِثُوا فى كَهفِهِم ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف ٢٥].

قال المفسرون: زيادة التسعة باعتبار الهلالية، وهى ثلاث مائة فقط شمسية.

● وإنما كان التأريخ بالأشهر الهلالية، لحديث رسول الله – ﷺ –:

«إنَّا أُمّةٌ أُمِّية لَا نَحْسِب ولا نكتُب».

● وحديثه – ﷺ –: «إذا رأيتموه فَصُوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العدّة ثلاثين».

«وآلَى – ﷺ – من نسائه شهرًا ودخل عليهن فى التاسع والعشرين، فقيل له، فقال: «الشهر تسع وعشرون».

قال السيوطى[1]: قال والد شيخنا البُلْقينى فى التدريب: «كل شهر فى الشَّرع فالمراد به الهلالى إلاّ شهر المستحاضة وتخليق الحمل».

كما أرّخ المسلمون بالليالى[2]، لأن الليلة سابقة على يومها، إلاّ يوم عَرَفَة شرعا، قال تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُما﴾ [الأنبياء ٣٠].

قالوا: ولا يكون مع الارتقاق إلاّ ظلام، فهو سابق على النور.

وروى السُّدى عن أبى إسحاق: «أول ما خلق الله النور والظلمة، ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا، والنور نهارًا» قال: «وقد ثبت أن القيامة لا تقوم إلاّ نهارًا، فدلّ على أن ليلة اليوم سابقة، إذ كل يوم له ليلة.

والباحث المتأمل فى كتاب الله العزيز، يجد أن الحق سبحانه قد قدّم الليالى على الأيام فى كثير من الآيات، من مثل قوله تعالى:

﴿وَلَهُ ما سَكن فِى اللَّيْل وَالنَّهَارِ وهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم﴾ [الأنعام ١٣].

﴿إنَّ ربَّكُم الله الَّذِى خلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ فى سِتَّةِ أيَّامٍ ثُمّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِى اللَّيلَ النَّهَارَ يَطْلُبُه حَثِيثًا..﴾ [الأعراف ٥٤].

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لكُمُ اللّيْلَ لِتسْكُنُوا فِيه والنَّهَارَ مُبْصِرًا إنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لقَوْمٍ يَسْمَعُون﴾ [يونس ٦٧]

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الشماريخ فى علم التاريخ ص ٩، وانظر عبد الحميد العبادى: التاريخ عند العرب، فصل مضاف فى كتاب علم التاريخ لهرنشو ص ٥٢.

- ٥ -

● قيمة التأريخ العلمية وأثرها فى العلوم الدينية:

اشتمل كتاب رب العالمين - القرآن المبين - على سِيَر كثير من الأنبياء والمرسلين، وأخبار كثير من **الأمم السابقة**، وكان لهذا أثره العميق فى اهتمام علماء المسلمين بدراسة تأريخ الرسل والأنبياء، وكان أهم مرجع لهم فى هذه الدراسة: **الرسول المصطفى** - ﷺ -، **فكانوا يستقون منه كثيراً من الأخبار والمعلومات التاريخية عن هؤلاء الأنبياء والرسل**، ويوضح لهم ما كان فى زمانهم، وما صادفهم من أحداث، ويذكر جهادهم مع أقوامهم، وكفاحهم فى سبيل نشر دعوتهم، ويروى نبذا من حياتهم وتاريخهم.

أضف إلى ذلك أن القرآن المجيد تحدث كثيرا عن أمم بائدة، وذكر عنادهم وكفرهم وأتبع ذلك بما حاق بهم، لما ينطوى عليه من عبر.

كما أن القرآن الكريم تحدث كثيرا عن **النبى محمد** -ﷺ- بوصفه خاتم النبيين والمرسلين، وتحدث عن رسالته، وأحداث دعوته، وما صادفه من أمور جسام، وأشار إلى بعض مغازيه، وأهم نتائجها..

وكان لهذا كله اهتمام المسلمين عامة، والعرب خاصة بدراسة **الحديث النبوى الشريف**، **والسيرة العطرة**، بمشتملاتها وأحداثها، وسميت الدراسات الأولى لحياة الرسول باسم **المغازى**، وتعنى من الناحية التاريخية - دراسة أعماله الحربية، وإن كانت تشتمل فى حقيقة الأمر على **عصره كله**(١). وما أن وُضع لدولة الإسلام تأريخ، حتى ازداد اهتمام المسلمين بدراسة علم **الأنساب**، ولا يخفى ما لدراسة الأنساب من أهمية بالغة فى خدمة التاريخ وأحداثه. وعكف كثير من علماء الإسلام على دراسة **أحداث التاريخ الإسلامى** - بجانب اهتماماتهم الدينية الأخرى، بوصفها عوامل مساعدة لفهم علوم الدين.

فقد جمع **ابن جرير الطبرى** (ت ٣١٠هـ) بين التفسير والتأريخ، وكذلك **ابن كثير** (ت٧٧٤هـ) وجمع **الحافظ الذهبى** بين الفقه والتأريخ، وكان **محيى الدين الكافيجى** (ت٨٧٩هـ) وشمس الدين السخاوى (ت٩٠٢هـ) يجمعان أيضا بين الفقه والتأريخ.

وظل معظم علماء المسلمين، يستعينون بالتاريخ، نظرا لحاجتهم فى الأغراض الدينية، حتى صار **علم التأريخ وسيلة لفهم جوانب كثيرة من علوم الفقه والشريعة**، والتفسير والحديث. وهذا ما

---

(١) عبد العزيز الدورى: نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٨ - ٢٠.

جعل العلماء يؤلفون الرسائل، ويذكرون فى مؤلفاتهم المختلفة، القيمة العلمية لعلم التأريخ.

يقول السخاوى[1] مشيرًا إلى أهمية التأريخ فى علم الشريعة:

وبعد: «فعلم التأريخ فن من فنون الحديث النبوى، وزين تُقَرّ به العيون، حيث سلك فيه المنهج القويم المستوى، بل وقعه من الدين عظيم، ونفعه متين فى الشرع، بشهرته غنى عن مزيد البيان والتفهيم، إذ به يظهر تزييف مدعى اللقا، وبيان ما صدر منه من التحريف فى الارتقا، إذ كان اختل عقله، أو اختلط ولم يجاوز بلدته التى لم يدخلها الطالب قط، وتحفظ به الأنساب المترتب عليها صلة الرَّحم، والمتسبب عنها الميراث والكفاءة حسبما قُرِّر فى محله وفُهِم، وكذا تعلم منه آجال الحيوف، واختلاف النقود والأوقاف، التى ينشأ عنها من الاستحقاق ما هو معهود، وينتفع به فى الاطلاع على أخبار العلماء والزهاد، والفضلاء والملوك والأمراء والنبلاء، وسيرهم ومآثرهم، فى حربهم وسلمهم، وما أبقى الدهر من فضائلهم أو رذائلهم، بعد أن أبادهم الحدثان، وأبلى جديدهم الأوان، حيث تتبع الأمور الحسنة من مآثرهم، ولا يسمع منهم فيما تنفر عنهم العقول المستحسنة من أخبارهم، ويعتبر بما فيه من المواعظ النافعة، واللطائف المفيدة.»

*** ويقول السخاوى فى كتابه[2]، عن فضل المشتغلين بالتأريخ:**

«فلما كان الاشتغال بفن التأريخ للعلماء من أجل القربات، بل من العلوم الواجبات. المتنوعة الأحكام الخمسة بين الاصابات..

«وأما ما لعله يذكر فيه من أخبار الأنبياء– صلوات الله عليهم – وسُنَنِهم، فهو مع أخبار العلماء ومذاهبهم، والحكماء وكلامهم، والزهاد والنساك ومواعظهم، عظيم الغناء، ظاهر المنفعة، فما يصلح الإنسان به أمر معاده ودينه، وسريرته فى اعتقاداته، وسيرته فى أمور الدين، وما يصلح به أمر معاملاته ومعاشه الدنيوى، وكذا ما يذكر فيه من أخبار الملوك وسياساتهم، وأسباب مبادئ الدول وإقبالها، ثم سبب انقراضها، وتدبير أصحاب الجيوش والوزراء، وما يتصل بذلك من الأحوال التى يتكرر مثلها وأشباهها أبدًا فى العالم، غزير النفع، كثير الفائدة بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله، وجرّب الأمور بأسرها، وباشر تلك الأحوال بنفسه، فيغزر عقله، ويصير مجرّبا غير غرّ ولا غمر...».

«وإنه أيضا جم الفوائد، كثير النفع، لذوى الهمم العالية، والقرائح الصافية، لما جُبِل عليه طباعهم من الارتياح عند سماعهم هذه الأخبار إلى التشبّه والاقتداء بأربابها، ليصير لهم نصيب من حُسن الثناء، وطيب الذكر..».

---

(١) التبر المسبوك فى ذيل السلوك ص ٢ طبع بولاق سنة ١٨٩٦ م.
(٢) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ص ٤٠٠ – ٤٠١.

- ٦ -

* بداية التأليف العلمى فى التاريخ عند المسلمين :

لقد ألمحنا - فيما سبق - أن بداية التأليف العلمى فى التاريخ عند المسلمين، كانت وثيقة الصلة بالحديث والسنة، ولا عجب.. فإن علم الحديث والسنة يهدف إلى دراسة أقوال النبى - ﷺ وأفعاله وتقريراته، وكان الاعتماد فى ذلك أولاً، على الرواية الشفهية ، وإذا كان الحديث قد كُتب فى القرن الأول.. فإنه لم يدون تدوينا صحيحًا، دقيقًا وشاملاً، إلاّ فى القرنين الثانى والثالث الهجريين.

كذلك كان علم التاريخ عند المسلمين، يهدف فى البداية إلى دراسة سيرة رسول الله -ﷺ- وأخبار الغزوات والجهاد، ومآثر الصحابة والجماعة، وكان الاعتماد فيه أيضًا على الرواية الشفهية، قبل كل شيء. وهكذا نجد أن طبيعة علم التاريخ لم تكن تختلف فى بدايتها عن طبيعة علم الحديث. اللهم إلا فى هدف كل منهما، ونوع الروايات التى يعنى بها.

فالمحدثون، يعنون فى المقام الأول بالروايات التى تقرر المبادئ والتشريعات وأمور العقيدة، ويسجلون أقوال الرسول فى كل المناسبات، بينما يعنى المؤرخون بالروايات التى تتجه إلى سرد الحوادث.

فالحديث رواية ودراية.. والتأريخ عند المسلمين رواية ودراية أيضًا. وحسبنا دليلاً على اشتراك العلمين فى المصادر والمنهج، أن كل جيل كان يأخذ الروايات عن الجيل الذى سبقه، وأن المتن فى كل رواية كان مسبوقًا بالسند.

والمعروف أن المحدِّثين عنوا بالإسناد عناية كبيرة، وكانوا لا يثقون بالحديث إلاّ إذا كان إسناده سلسلة متصلة من الرواة الموثوق بهم، ولذلك اتجهوا إلى دراسة الرواة، والوصول إلى درجة تدقيق كل منهم فى نقل الأحاديث.

كذلك اهتم الإخباريون والمؤرخون بالرواة، وبحثوا عن مدى صدقهم وكذبهم فى نقل الأخبار والتاريخ، وهذه نقطة أخرى توطد العلاقة بين الحديث والتاريخ.

وأقدم المصادر التاريخية التى تجمع بين الحديث والتاريخ، هى كتب المغازى والسير، وطبيعى أن تكون نشأتها فى دار السنة، المدينة المنورة، التى عاش فيها صحابة رسول الله - ﷺ، وشاهدوا الرسول، وسمعوا أحاديثه ورووها، وعلموا ما فيها من أمور تتصل بالتاريخ وحركته وعناصره وأبعاده.

والواقع أن الكتابة فى تاريخ المغازى والسير، لم تنتشر من المدينة إلى غيرها من الأمصار إلاّ فى القرن الثانى الهجرى - وكيفما كانت الحال، فإن الكتابة فى المغازى تنقلنا لأول مرة إلى الكتابة

التاريخية الصحيحة عند المسلمين، على الرغم من ضَعْف بعض الروايات فى هذه الكتب التاريخية، بسبب ما نعرفه من أن نَصَّ الحديث لم يكن مجموعًا ومعينًا، وأن هذا فتح الباب لوضع الأحاديث المدسوسة، لتأييد طائفة معينة من المسلمين، أو لصالح فرقة أو مذهب أو قبيلة أو بلد[١].

وكانت تلك الكتب التاريخية الأولى تبحث فى سيرة النبى - ﷺ - وغزواته، وتجمع أخبار هجرة المسلمين، وأخبار غزوات النبى، والذين اشتركوا فيها.

* ومن أقدم كُتَّاب المغازى[٢] : عروة بن الزبير (ت٩٢هـ) وقد وصلت إلينا بعض رسائله فى كتب ابن اسحق والواقدى والطبرى.

* ومنهم أبان بن عثمان بن عفان (ت١٠٥هـ): الذى يُذكر أنه أول من دوّن مجموعة خاصة بالمغازى.

* ومن أشهر مؤرخى السيرة النبوية، شَرْحبيل بن سعد (ت١٢٣هـ)، وعبد الله بن أبى بكر ابن حزم (ت ١٣٥ هـ)، وعاصم بن عمر بن قتادة (ت١٢٠هـ): وكان هؤلاء جميعًا من المدينة المنورة.

* ومن كتاب المغازى أيضًا وَهب بن منبه (ت ١١٠هـ) وهو من الأسر الفارسية التى عاشت فى المدينة المنورة. وقد اشتهر وهب بمعرفته أخبار أهل الكتاب عن طريق اليمنيين من أهل الكتاب. وينسب إلى وهب بن منبه «كتاب المُبتدأ» الذى استغله الثعلبى فى كتابه «عرائس المجالس فى قصص الأنبياء». وكتاب المبتدأ - كما يشير عنوانه، يؤرخ لبدء الخلق، وإن كان يضم كثيرًا من قصص الأنبياء.

وينسب إلى وهب أيضًا «كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم[٣]» وغير ذلك، وهو التاريخ الخرافى لليمن. وعلى الرغم أن هذه الكتب لم تصل إلينا، فإننا نجد منها بعض النقول فى «كتاب التيجان» لابن هشام[٤]. وتوجد فى ألمانيا قطعة من كتاب فى المغازى لوهب بن منبه، تاريخ نسخها سنة ٢٢٨هـ وفيها ذكر لبيعة العقبة الكبرى، واجتماع قريش فى دار الندوة، والهجرة.[٥].

ومن أشهر من كتبوا فى مغازى رسول الله، محمد بن مسلم الزهرى (ت١٢٤هـ)، الذى درس فى المدينة المنورة، وتنقل بين مدن الحجاز ودمشق، واتصل بالخلفاء الأمويين، واشتهر بسعة معارفه، وبأنه جمع علم شيوخه فى المدينة، وكان قوى الذاكرة، شغوفا بجمع الأخبار، وكان يقول : «ما نشر

---

(١) الدكتورة سيدة كاشف: مصادر التاريخ الإسلامى، نشر الخانجى ص ٢٦.
(٢) انظر بحثنا : السيرة النبوية فى مفهوم القاضى عياض، فصل مصادر السيرة. طبع دار المعارف بمصر.
(٣) ياقوت : معجم الأدباء ٢٣٣/٧ (طبع أوربا).
(٤) هورونتس : المغازى الأول ومؤلفوها، ترجمة د / حسين نصار - طبع القاهرة سنة ١٩٤٩.
(٥) الدكتور عبدالعزيز الدورى وزميله : موجز الحضارة العربية ص ٣٦٠ طبع بغداد سنة ١٩٥٢ .

أحد من الناس هذا العلم نَشْرِى ولا بذله بَذْلِى». وقد امتاز بإقباله على تدوين الحديث والأخبار على غير المألوف فى ذلك الوقت، ويبدو أنه دوّن كثيرًا من الحديث والأخبار تلبية لرغبة الخليفتين عمر بن عبد العزيز، وهشام بن عبد الملك. وقد روى أحد تلاميذه أنه وجدت فى مكتبة الأمويين بدمشق، أكوام من المجلدات التى احتوت على المادة العلمية التى جمعها الزهرى[1].

ومن المهم أن نذكر أن خطوة جديدة - فى مجال الدراسات التاريخية، تمت على يد الزهرى، فإن المصادر القديمة تنسب إليه تأليف كتب، تضم مجموعات من الروايات التاريخية والأحاديث النبوية فى موضوع واحد، وتذكر أنه بدأ كتابًا عن القبائل العربية الشمالية، بأمر من خالد بن عبد الله القسرى، كما ألف كتابًا فى سيرة النبى - ﷺ - بيد أن هذا الكتاب لم يصل إلينا، وإنما نرى فى مجموعة الأحاديث المسماة «الزُّهْرِيّات». والتى رواها كتاب متأخرون، كثيرًا من الفقرات التى نقلها كُتّاب السيرة[2].

وكانت الأحاديث والأخبار التى جمعها الزهرى أساسًا لكتب ألفها فى المغازى ثلاثة من تلاميذه[3] أحدهم : معمر بن راشد اليمانى البصرى (ت١٥٠هـ) الذى خلف كتابًا فى الحديث والمغازى لا يزال محفوظًا فى استنبول على ورق الغزال، وقد نسخت هذه النسخة فى طليطلة سنة ٣٦٣ هـ. على أن أشهر تلاميذ الزهرى هو محمد بن اسحق (ت ١٥١ هـ) الذى ألف كتابًا فى المغازى، لم يصل إلينا كاملًا، وإنما وصلت منه نقول كثيرة فى سيرة ابن هشام.

وينقسم هذا الكتاب إلى أجزاء ثلاثة : الميتدأ والمبعث والمغازى، فعرض فى القسم الأول: لتاريخ الرسالات قبل الإسلام، وفى القسم الثانى: لسيرة النبى - ﷺ - فى مكة، وفى القسم الثالث : للدور المدنى من السيرة. وقد أشار ابن هشام (ت٢١٨هـ) فى مقدمة كتابه عن السيرة إلى التعديلات الجوهرية التى قام بها فى كتاب ابن اسحق، مثل حذف تاريخ أهل الكتاب من آدم إلى إبراهيم، وحذف كثير من الأخبار اختصارًا للكتاب، بيد أن قسطا كبيرًا مما حذفه ابن هشام وصل إلينا منه نقول فى تاريخ الطبرى، وفى أخبار مكة للأزرقى[4].

ثم جاء بعده - فى الكتابة عن المغازى، محمد بن عمر الواقدى (ت ٢٠٧ هـ) وكان من أهل المدينة مقبلًا على دراسة المعارف المنتشرة فى عصره، فنسخ جميع المخطوطات التى استطاع الوصول إليها، وقيل : إنه خلف ستمائة قمطر من الكتب من نسخ غلامين مملوكين، وأنه اشترى مخطوطات بألفى دينار. وقد ذكر ابن النديم فى الفهرست مؤلفات عديدة للواقدى، فى القرآن والحديث والفقه

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٣٦/٢ (طبع أوربا).

(٢) مصادر التاريخ الإسلامى ص ٢٩.

(٣) الدكتور صالح أحمد العلى، محاضرات فى تاريخ العرب ٢١٧/١ طبع بغداد سنة ١٩٥٥ م.

(٤) الدكتور زكى محمد حسن : دراسات فى الموازنة بين المؤرخين فى ديار الإسلام والمؤرخين الأوربيين ص١٠.

والتاريخ، منها : «التاريخ الكبير» «وكتاب الطبقات» و «السيرة النبوية» وعدد من الرسائل فى أخبار مكة، وبيعة السقيفة، وسيرة أبى بكر، والرِّدة، ويوم الجمل، وصفّين، وفتوح الشام، وفتوح العراق.. ولم تصل إلينا من هذه الكتب إلا نُقُول متفرقة فى كتب متأخرة، أما كتاب المغازى[١]، فهو الكتاب الوحيد الذى وصل إلينا.

* وجاء بعده محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ) المعروف بكاتب الواقدى، ولم يذكر ابن النديم من مؤلفاته غير كتاب «أخبار النبى»، ويبدو أن هذه السيرة وحدها كتبها ابن سعد بالصورة التى وصلت إلينا بعد أن رواها لتلاميذه، فى حين حفظ كتابه «الطبقات» بصوره المعروفة للمرة الأولى على يد الحسين بن فهم (ت٢٨٩ هـ). وجمع ابن معروف الكتابين فى كتاب واحد نحو سنة ٣٠٠ هـ. وتؤلف سيرة النبى -ﷺ- الجزء الأول منه، وتلى ذلك تراجم الصحابة والتابعين[٢].

والملاحظ فى السيرة التى خلفها ابن سعد، أنها تعرض فى بعض المواضع تفاصيل أوفى من ابن اسحق، كما أن «أخبار النبى» فى طبقاته، تضيف كثيرًا.. عن رسائل النبى - ﷺ، وسفاراته، وتعنى ببابين جديدين، هما : «علامات النبوة» و «صفة أخلاق رسول الله» مما كان أساسًا لما صنف من الكتب المتأخرة فى «الدلائل» و «الشمائل».

ويمتاز ابن سعد بأنه يذكر النص الكامل لكثير من الوثائق الأصلية، ولا ريب فى أن كتابة مثل هذا المعجم التاريخى فى تراجم النبى والصحابة والتابعين، تؤلف حلقة جديدة فى الوصل بين علم الحديث وبين الرواية التاريخية، على النحو الذى كان معروفًا بين القصاص والرواة. وقد نشرت «الطبقات الكبرى» فى ليدن بين سنتى ١٩٠٤، ١٩٢٨، على يد المستشرق إدوارد سخاو[٣].

وقد كان كُتّاب السيرة النبوية، وأصحاب كتب الطبقات، ومؤرخو الفتوحات والمغازى. أكبر المهدين لكتابات المؤرخين من بعدهم، حيث بدأ المؤرخون يكتبون فى التاريخ العام، وأحوال الأمم والبلاد، وتأثروا فى كتاباتهم بنماذج كتب التاريخ الفارسية، والتى نقل بعضها إلى العربية، مثل كتاب سير ملوك العجم، الذى عرّبه ابن المقفع (ت ١٤٠هـ)[٤].

ومن أقدم كُتّاب التاريخ العام ابن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦ هـ)، الذى لم يكن مؤرخًا فحسب، بل كان عالمًا فى النحو واللغة والعلوم الدينية والنقد الأدبى. ومن كتبه التاريخية «كتاب المعارف» فهو موجز فى تاريخ الخليقة، والرسل، والعرب فى الجاهلية، والسيرة النبوية، والفتوح والمغازى، وأخبار الصحابة والتابعين، والعرب والعجم. وهو مطبوع بمصر وأوربا.

---

(١) نشر فون كريمر الثلث الأول منه فى كلكتا سنة ١٨٥٦ ، وتوجد فى المتحف البريطانى مخطوطة كاملة من هذا الكتاب. [أنظر هوروفتس، المغازى الأولى ومؤلفوها ص ١١٩].

(٢) هوروفتس : المغازى الأول ص ١٢٧.

(٣) راجع عن نشأة علم التاريخ عند المسلمين، مقال جب فى دائرة المعارف الإسلامية مادة (تاريخ).

(٤) الدكتورة سيدة كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ص ٣٢.

ومن معاصرى ابن قتيبة، أحمد بن أبى يعقوب، المعروف باليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ). وقد ألف اليعقوبى كتبا عدة، أهمها كتابه فى التاريخ، المعروف بتاريخ اليعقوبى، وقد طبع فى ليدن، بإشراف الأستاذ هوتسما فى جزأين، الأول: فى التاريخ العام القديم، والثانى: فى تاريخ الإسلام، مرتب حسب الخلفاء، إلى عصر المعتمد على الله سنة ٢٥٩ هـ.

* ومن المؤرخين أيضا: أبو حنيفة الدينورى (ت ٢٨٢ هـ) وهو من علماء اللغة والنبات والهندسة والحساب، وقد ألف كتابا فى التاريخ، هو «الأخبار الطوال»، وهو يسير على نهج اليعقوبى فيبدأ من آدم – عليه السلام – إلى انقضاء ملك يزدجرد، ويذكر ملوك قحطان، والروم، والترك فى كل عصر، ثم يذكر الأئمة والخلفاء إلى آخر أيام المعتصم، وثورة بابك الخرمىّ وحروبه. وهذا الكتاب أكثر اختصارًا من تاريخ اليعقوبى فيما يتعلق بالتاريخ العام القديم، وأوفى فى تاريخ بنى أمية، وقد طبع فى ليدن فى جزأين. كما طبع فى مصر فى جزء واحد.

* أما أشهر المؤرخين المسلمين على الإطلاق، فهما الطبرى، والمسعودى.

أما الطبرى (ت ٣١٠ هـ) فقد ذاع صيته بتفسيره للقرآن، وبكتابه «تاريخ الرسل والملوك» الذى يعرف بتاريخ الأمم والملوك، والمشهور «بتاريخ الطبرى». وقد اعتمد المؤرخون بعده على تاريخه فنقلوا منه كثيرا، مثل مسكويه وابن الأثير وابن خلدون، وغيرهم.

وكتابه «أخبار الرسل والملوك» أول كتب التاريخ الشاملة، وقد بدأ بالخليقة ، ووقف فيه عند سنة ٢٠٢ هـ. وقد اتبع منهجا دقيقا – فى ترتيبه حسب السنين الهجرية، واتباعه طريقة الإسناد إلى رواة الحوادث بالتسلسل، وقد اعتمد فى تأليفه على الكتب التى كانت موجودة آنذاك، وعلى ما جمعه من الأحاديث والروايات عن شيوخه، فى أسفاره المتعددة.

وتظهر فى تاريخ الطبرى الصلة الوثيقة بين علمى الحديث والتاريخ، لأن الطبرى كان محدِّثا قبل أن يكون مؤرخا، لذلك جاء تاريخه مكملا فى كثير من النواحى، لكتابه الكبير فى تفسير القرآن الكريم.

– أما المسعودى (ت ٣٤٦ هـ)، فقد استن فى تأليف التاريخ سنة جديدة، فصار لا يرتب الحوادث حسب السنين الهجرية، بل جمعها تحت رءوس موضوعات من الشعوب والملوك والأسرات، وقد تبعه فى هذه الطريقة بعض المؤرخين، ولاسيما ابن خلدون. وكتاب المسعودى «مروج الذهب ومعادن الجوهر» كتاب تاريخى جغرافى عظيم القيمة، لم يكتف فيه المسعودى ببحث الموضوعات التى اعتادها المؤرخون المسلمون، بل تطرق إلى تواريخ الهند والفرس والروم واليهود، فأتى منها بأشياء طريفة، حتى لقد أطلق عليه «هيرودوت العرب».

وألف المسعودى كتابا آخر اسمه «التنبيه والإشراف» لخص فيه آراءه فى فلسفة التاريخ والكون، وآراء الفلاسفة، كما كتب فيه عن التاريخ القديم، وتاريخ المسلمين.

-٧-

* عناصر التأريخ:

تحدثنا فيما سبق عن معنى التأريخ ومبدئه وموضوعه وهدفه، وقلنا:

إن التأريخ فن يبحث عن وقائع الزمان من حيثية التوقيت والتعيين، بل عما كان فى العالم وأبعاده المختلفة، وقلنا إن موضوعه يقوم على الإنسان والزمان، وإن مسائله قوامها: أحوال الإنسان والزمان، المفصلة للجزئيات تحت الأحوال العارضة للإنسان فى الزمان والمكان.

من هنا نخلص إلى أن عناصر التأريخ الأساسية هى:

أولا : الزمان.

ثانيا : المكان.

ثالثا : الأحداث.

رابعا : عالم الغيب وارتباطه بعالم الواقع.

خامسا : الأشخاص والأبطال.

ومادمنا نبحث فى موضوع «الحديث النبوى وعلاقته بالتأريخ» فينبغى لنا أن ننظر فى هذه العناصر الأساسية، لنتعرف كيف تناولها الحديث، وما هى الأبعاد التى وصل إليها، وما هى الأمور التى حدّدها ووضحها، لنصل إلى توضيح وفهم العلاقة الوثيقة بين الحديث والتأريخ.

وسنخصص لكل عنصر من هذه العناصر بابا مستقلا إن شاء الله.

الباب الأول

الزمان.. ماهيته وأنواعه

تمهيد:

الفصل الأول : الزمن الكوكبى.

الفصل الثانى : ما قبل الزمن الكوكبى.

الفصل الثالث : ما بعد الزمن الكوكبى.

الفصل الرابع : الزمن النفسى.

تمهيد

ماهية الزمان.. وأنواعه

ما الزمان؟.. وكم قدره من أوله إلى انتهائه؟.. وما الدلالة على حدوث الأزمان؟

شاء الحق – سبحانه وتعالى – خَلْق خلقه، خلقهم من غير ضرورة كانت به إلى خلقهم، وأنشأهم من غير حاجة كانت به إلى إنشائهم، بل خَلَق من خصّه منهم بأمره ونهيه، وامتحنه لعبادته، ليعبدوه، وليحمدوه على نعمه، فيزيدهم من فضله ومنَنِهِ، ويسبغ عليهم فضله وطَوْله، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾[الذاريات ٥٦ – ٥٨].

فلم يزده خلقه إياهم إذْ خَلَقهم فى سلطانه على ما لم يزل قبل خلقه إياهم مثقال ذرّة، ولا هو إنْ أفناهم وأعدمهم ينقصه إفناؤه إياهم مثقال ذرة، لأنه لا يُغَيِّره الأحوال، ولا يدخله الملال، ولا ينقص سلطانه الأيام والليال، لأنه خالق الدهر والأزمان فعمّ جميعهم فى العاجل فضله وجوده، وشملهم كرمه وطوله، فجعل لهم أسماعا وأبصارًا وأفئدة، وخصّهم بعقول يعقلون بها التمييز بين الحق والباطل، ويعرفون بها المنافع والمضار، وجعل لهم الأرض بساطا ليسلكوا منها سُبُلا فجاجا، والسماء سقفا محفوظا – كما قال – وأنزل لهم منها الغيث بالإِدْرَار، والأرزاق بالمقدار، وأجرى لهم قمرَ الليل وشمسَ النهار، يتعاقبان بمصالحهم دائبين، فجعل لهم الليلَ لباسًا، والنهارَ معاشًا، وخالف مَنًّا منه عليهم وتطوُّلاً بين قمر الليل وشمس النهار، فمحا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة، كما قال جل جلاله، وتقدست أسماؤه: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ والنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً، لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُم ولِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحِسَابَ وكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تفْصِيلا﴾[الإسراء ١٢].

ليصلوا بذلك إلى العلم بأوقات فروضهم، التى فرضها عليهم فى ساعات الليل والنهار، والشهور والسنين، من الصلاة والزكاة والحج والصيام، وغير ذلك من فروضهم، وحين حدّ ديونهم وحقوقهم، كما قال عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّة قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ والحَجِّ﴾[البقرة ١٨٩] وقال جل شأنه: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً والقَمَرَ نُورًا وقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحِسَابَ ما خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بالحَقِّ، يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون، إِنَّ فِى اخْتِلاَفِ اللَّيلِ والنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فى السَّمواتِ والأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتقُونَ﴾ [يونس ٥].

إنعاما منه بكل ذلك على خلقه، وتفضلا منه به عليهم وتطولا. فَشَكَرَه على نعمه التى أنعمها عليهم من خلقه خَلْقٌ عظيم، فزاد كثيرا منهم من آلائه وأياديه على ما ابتدأهم به من فضله وطَوْله، كما وعدهم جل جلاله، بقوله: ﴿وإِذْ تَأَذَّنَ ربُّكم لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنكُم ولَئِن كَفَرْتُم إنّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[ابراهيم ٧].

وجمع لهم بين الزيادة التى زادهم فى عاجل دنياهم، والفوز بالنعيم المقيم، والخلود فى جنات النعيم فى آخرتهم، وأخر لكثير منهم الزيادة التى وعدهم، فمدَّهم إلى حين مصيرهم، ووقت قدومهم عليه توفيرا منه كرامته عليهم، يوم تبلى السرائر..

وكَفَر نعمَه خَلْقٌ منهم عظيم، فجَحَدُوا آلاءه، وعبدوا سواه، فسَلَبَهم ما ابتدأهم به من الفضل والإحسان، وأحلّ بهم النقمة المهلكة فى العاجل، وذخر لهم العقوبة المخزية فى الآجل، ومتّع كثيرا منهم بنعمه أيام حياتهم استدراجا منه لهم، وتوقيرا منه عليهم.

- وهنا نقف قليلا لنتساءل:

* **ما الزمان؟ وكم قدر جميعه، وابتداء أوله وانتهاء آخره؟**
* **وهل كان قبل خلق الله تعالى إياه شىء غيره؟**
* **وهل الزمان فان؟.. وهل بعد فنائه شىء غير وجه المسبِّح الخلّاق؟**

١ - الزمان.. ماهو؟

الزمان هو ساعات الليل والنهار، وقد يقال ذلك للطويل من المدة، والقصير منها. والعرب تقول: «**أَتَيْتُكَ زمانَ الحجَّاج أمير**» و «**زَمَنَ الحجّاج أمير**» تعنى به: إذْ الحجاج أمير.

وتقول: «**أتيتُكَ زَمَانَ الصِّرام**» تعنى به: وقت الصرام.

ويقولون أيضا: «**أتيتُك أزمان الحجّاج أمير**» فيجمعون الزمان، يريدون بذلك أن يجعلوا كل وقت من أوقات إمارته زمانا من الأزمنة، كما قال الراجز:

جَاءَ الشِّتَاءُ وقَمِيصِىَ أَخْلَاقُ   شَرَاذِمَ يَضْحَكُ منْه التّوَاقُ

فجعل القميص أخلاقا، يريد بذلك وصف كل قطعة منه بالأخلاق، كما يقولون «**أرض سباسب**» ونحو ذلك. ومن قولهم للزمان زمن، قول أعشى بن قيس بن ثعلبة:

وكُنت امْرءًا زمَنًا بالعِراقِ   عَفِيفَ المُنَاخِ طَوِيلَ التَّغَن

يريد بقوله «**زمنا**»: زمانا. فالزمان اسم لما ذكرت من ساعات الليل والنهار[1].

---

(١) ابن جرير الطبرى: الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٦ طبع محمد محمد مطر سنة ١٣٣٧هـ بمصر.

٢ - كم قَدْر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه؟

اختلف السلف من أهل العلم فى ذلك. فقال بعضهم: «قَدْر جميع الزمان سبعة آلاف سنة»، فقد روى سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «الدُّنيا جُمْعَة من جُمَع الآخرة، سبعة آلاف سنة، فقد مضى ستة آلاف سنة ومئو سنة، وليأتين عليها مئون سنين ليس لها موحد».

وقال آخرون: قدر جميع الزمان ستة آلاف سنة».

فقد روى أبو صالح قال: قال كَعْب: «الدنيا ستة آلاف سنة». وروى ابن معقل، أنه سمع وهبا يقول: قد خَلَا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة، إنى لأعرف كل زمان منها، ما كان فيه من الملوك والأنبياء، قلنا لوهب بن منبه: كم الدنيا؟ قال: «ستة آلاف سنة».

قال أبو جعفر: والصواب من القول فى ذلك، ما دَلَّ على صحته الخبر الوارد عن رسول الله- ﷺ - وذلك ما حدّثنا به محمد بن بشار، وعلىّ بن سهل، قالا: حدَّثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر، قال: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: «أَجَلُكُم فى أَجَلِ مَنْ كَانَ قبلكم، من صلاة العصر إلى مغرب الشمس»[1].

وحدثنا ابن حُميد - بإسناده - إلى نافع، عن ابن عمر قال:
«سمعت النبى - ﷺ - يقول: ألا إنما أَجَلكم فى أَجَلِ من خَلَا من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس».

وحدثنا الحسن بن عرفة - باسناده - إلى مغيرة بن حكيم، عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله - ﷺ - «ما بَقِىَ لأمّتى من الدنيا إلاّ كمقدار الشمس إذا صلّيت العصر».

وحدثنى محمد بن عوف - بإسناده - إلى مجاهد، عن ابن عمر، قال: كنا جلوسا عند النبى -ﷺ- والشمس مرتفعة على قعيقعان بعد العصر، فقال: «ما أعماركم فى أعمار من مضى إلاّ كما بقى من هذا النهار فيما مضى منه».

وعن ابن بشار - بإسناده - إلى قتادة، عن أنس بن مالك: أن رسول الله - ﷺ - خطب أصحابه يوما، وقد كادت الشمس أن تغيب ولم يبق منها إلاّ شِقّ يسير، قال: «والذى نفس محمد بيده ما بقى من دنياكم فيما مضى منها إلاّ كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه، وما ترون من الشمس إلاّ اليسير».

وعن هناذ بن السرى - بإسناده - إلى أبى صالح، عن أبى هريرة، قال:
قال رسول الله - ﷺ - «بُعثتُ والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى».

---

(١) الآثار الباقية من القرون الخالية ص ٧.

* وعن إسماعيل بن عبيد، قال: قدم أنَس بن مالك على الوليد بن عبد الملك، فقال له الوليد: ماذا سمعت رسول الله - ﷺ - يذكر به الساعة؟ قال:

سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «أنتم والساعة كهاتين وأشار بإصبعيه»[١].

* وعن محمد بن عمر - بإسناده - عن المستورد بن شداد الفهرى، عن النبى -ﷺ- أنه قال: بُعِثْتُ فى نفس السَّاعة، سَبَقْتُها كما سبقت هذه هذه لإصبعيه السبابة والوسطى ووصف لنا أبوعبدالله وجمعها.

* وعن تميم بن المنتصر - بإسناده - عن أشياخ من الأنصار، قالوا: سمعنا رسول الله -ﷺ - يقول: «جئت أنا والساعة هكذا» وأرانا تميم.. وضم السبابة والوسطى، وزاد يزيد: «وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى وضمها، وقال: «سبقتها كما سبقت هذه هذه فى نفس الساعة».

فمعلوم إذا كان اليوم أوله طلوع الفجر، وآخره غروب الشمس، وكان صحيحا عن نبينا -ﷺ- ما ذكر عنه.

قيل: «إنه قال بعد ما صلى العصر: ما بقى من الدنيا فيما مضى منها إلَّا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه».

وإنه قال لأصحابه: «بعثت أنا والساعة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى، سَبَقْتُها بقدر هذه من هذه - يعنى الوسطى من السبابة، وكان قدر ما بين أوسط أوقات صلاة العصر، وذلك إذا صار ظلّ كل شىء مِثْلَيه على التحرى... إنما يكون قدر نصف سُبْع اليوم يزيد قليلا أو ينقص قليلا. وكذلك فصل ما بين الوسطى والسبَّابة، إنما يكون نحوا من ذلك قريبا منه.

وكان صحيحا مع ذلك عن رسول الله -ﷺ- ما حدّث به أحمدبن عبدالرحمن بن وهب -بإسناده- عن أبى ثعلبة الخشنى، صاحب النبى -ﷺ- يقول: «إن رسول الله -ﷺ- قال: لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم» وكان معنى قول النبى ذلك - أن لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم الذى مقداره ألف سنة»..

كان بيِّنا أن أَوْلى القولين اللذين ذكرت فى مبلغ قدر مدة جميع الزمان، للذين أحدهما عن ابن عباس، والآخر منهما عن كعب بالصواب.. أى سبعة آلاف سنة، مضى منها ستة آلاف سنة ومئو سنة.

وأشبهها بما دلّت عليه الأخبار الواردة عن رسول الله - ﷺ - قول ابن عباس: أنه قال: «الدنيا جُـمْعة من جُمَع الآخرة سبعة آلاف سنة».

---

(١) الآثار الباقية من القرون الخالية ص ٩.

وإذا كان ذلك كذلك، وكان الخبر عن رسول الله - ﷺ - صحيحا، أنه أخبر عن الباقى من ذلك فى حياته، أنه نصف يوم، وذلك خمسمائة عام - إذا كان ذلك نصف يوم من الأيام الذى قدر اليوم منها ألف عام...

كان معلوما أن الماضى من الدنيا إلى قول النبى - ﷺ - ما رويناه عن أبى ثعلبة الخُشُنى عنه. وكان قدر ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة، أو نحوا من ذلك وقريبا منه»[(١)] والله أعلم.

فهذا الذى ورد فى قَدْر مدة أزمان الدنيا، من مبدأ أولها إلى منتهى آخرها، من أثبت ما قيل فى ذلك عندنا من القول للشواهد الدالة التى بيّناها على صحة ذلك[(٢)].

«وقد رُوى عن رسول الله - ﷺ - خبر يدل على صحة قول من قال: «إن الدنيا كلها ستة آلاف سنة» ، وذلك ما حدّث به محمد بن سنان - بسنده - إلى أبى صالح، عن أبى هريرة، أن رسول الله - ﷺ - قال: «الحقب ثمانون عاما، اليوم منها سُدْس الدنيا». فبيّن فى هذا الخبر، أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة، وذلك أن اليوم الذى هو من أيام الآخرة إذ كان مقداره ألف سنة من سنّى الدنيا، وكان اليوم الواحد من ذلك سُدس الدنيا - كان معلوما بذلك أن جميعها ستة أيام من أيام الآخرة، وذلك ستة آلاف سنة.

* ويزعم اليهود، أن جميع ما ثبت عندهم على ما فى التوراة مما بين فيها من لدن خلق الله آدم إلى وقت الهجرة، أربعة آلاف سنة وستمائة واثنتان وأربعون سنة. وقد ذكروا تفصيل ذلك بولادة رجل رجل، ونبىّ نبىّ، وموته من عهد آدم إلى هجرة نبينا محمد - ﷺ.

* وأما النصارى، فإنها تزعم أن الذى ادّعته اليهود من ذلك باطل، وأن الصحيح من القول فى قدر مدة أيام الدنيا، من لدن خلق آدم إلى وقت هجرة نبينا محمد - ﷺ - على سياق ما عندهم فى التوراة (العهد الجديد) التى هى فى أيديهم خمسة آلاف سنة وتسعمائة واثنتان وتسعون سنة وأشهر. وذكروا تفصيل ما ادعوه من ذلك بولادة نبىّ نبىّ، ومَلِك مَلِك، ووفاته، من عهد آدم إلى هجرة رسول الله - ﷺ. وزعموا أن اليهود إنما نقّصوا ما نقصوا من عدد سنى ما بيّن تاريخهم وتاريخ النصارى دفعا منهم لنبوة عيسى بن مريم - عليه السلام. إذ كانت صفته ووقت مبعثه مثبتة فى التوراة، وقالوا: لم يأت الوقت الذى وقّت لنا فى التوراة، أن الذى صفته صفة عيسى يكون فيه. وهم ينظرون بزعمهم خروجه ووقته[(٣)].

ويبدو أن الذى ينتظرونه ويدّعون أن صفته فى التوراة مثبتة هو الدجّال، الذى وصفه الرسول - ﷺ - لأمته، وذكر لهم أن عامة أتباعه اليهود، فإن كان ذلك هو عبدالله بن صياد، فهو من نسل اليهود.

(١) الآثار الباقية ص ١٢.   (٢) المصدر السابق.   (٣) المصدر السابق.

٣ - ما الدلالة على حدوث الأزمان والأوقات؟

الزمان - كما ذكرنا من قبل - إما هو اسم لساعات الليل والنهار، وساعات الليل والنهار إنما هى مقادير من جرى الشمس والقمر فى الفلك، كما قال الله عز وجل:

﴿وآيَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فإِذَا هُمْ مُّظْلِمُونَ، وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ، وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ، لَا ٱلشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس ٣٧].

فإذا كان الزمان ما ذكرنا من ساعات الليل والنهار، وكانت ساعات الليل والنهار إنّما هى قطع الشمس والقمر درجات الفلك، كان بيقين معلوما.. أن الزمان محدَث، والليل والنهار محدثان، وأن محدِثَ ذلك الله، عز وجل، الذى تفرد بإحداث جميع خلقه، كما قال جل جلاله:

﴿وهُوَ الَّذِى خَلَقَ الَّيْلَ والنَّهَارَ والشَّمْسَ والقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء ٣٣].

ومن جهل حدوث ذلك من خَلْق الله، فإنه لن يجهل اختلاف أحوال الليل والنهار بأن أحدهما يرد على الخلق - وهو الليل - بسواد وظُلمة، وأن الآخرة منهما - وهو النهار يَرِدُ عليهم بنور..

* فإذا كان ذلك كذلك، وكان من المحال اجتماعهما مع اختلاف أحوالها فى وقت واحد فى جزء واحد، كان معلوما يقينا أنه لابد أن يكون أحدهما كان قبل الآخر منهما، وأيهما كان منهما قبل صاحبه، فإن الآخر منهما كان لاشك بعده، وذلك إبانة ودليل على حدوثهما، وأنهما خلقان لخالقهما.

* ومن الدلالة أيضا على حدوث الأيام والليالى، أنه لا يوم إلا وهو بعد يوم كان قبله، وقبل يوم كائن بعده، فمعلوم أن ما لم يكن ثـمّ كان، أنه مُحْدَث مَخْلُوق، وأن له مُحْدِثًا وخَالِقًا. أضف إلى ذلك.. أن الأيام والليالى معدودة، وما عُدّ من الأشياء فغير خارج من أحد العددين شفع أو وتر، فإن لم يكن شفعا فإن أولها اثنان، وذلك تصحيح القول بأن لها ابتداء وأول، وإن كان وترا فإن أولها واحد. وذلك دليل على أن لها ابتداء وأول، وما كان له ابتداء فإنه لابد له من مبتدئ وهو خالقه.

٤ - هل خلق الله شيئا قبل خلقه الزمان؟

علمنا مما سبق. أن الزمان هو ساعات الليل والنهار، وأن الساعات إنما هى قطع الشمس والقمر درجات الفلك، فإذا كان ذلك كذلك، وكان صحيحا عن رسول الله -ﷺ- ما حدّث به هناد بن السرى - بإسناده - إلى عكرمة، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - «أن اليهود أتت النبى -ﷺ- فسألته عن خلق السموات والأرض فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع، وخَلَق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، فهذه أربعة، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فى يَوْمَيْن

وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِين، وجَعَلَ فِيها رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وقَدَّرَ فِيها أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِين﴾ [فصلت ٩].

لمن سأل، قال: وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه، فخلق فى أول ساعةمن هذه الثلاث ساعات الآجال، من يحيا ومن يموت، وفى الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفى الثالثة آدم، وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها فى آخر ساعة.

ثم قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش.

قالوا: قد أَصَبْتَ لو أتممت، قالوا: ثم استراح!.

فغضب النبى - ﷺ - غضبا شديدًا، فنزلت:

﴿ولَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما فى سِتَّةِ أَيَّام وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ، فاصْبِرْ عَلَى ما يَقُولُون﴾(١)[ق ٣٨]

* وحدّث القاسم بن بشر - بإسناده - عن عبدالله بن رافع، مولى أم سلمة، عن أبى هريرة قال:

أخذ رسول الله - ﷺ - بيدى، فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة، آخر خَلْق خُلِق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل».

* وروى المثنى - بإسناده - إلى عطاء بن السائب، عن عكرمة:

«أن اليهود قالوا للنبى - ﷺ - ما يوم الأحد؟، فقال رسول الله - ﷺ - خلق الله فيه الأرض وكَبَسَها، قالوا: فالاثنين؟ قال: خلق فيه آدم، قالوا فالثلاثاء؟ قال: خلق فيه الجبال والماء وكذا وكذا وما شاء الله. قالوا: فيوم الأربعاء؟ قال: الأقوات، قالوا: فيوم الخميس؟ قال: خلق السموات، قالوا: فيوم الجمعة؟ قال: خلق الله فى ساعتين الليل والنهار، ثم قالوا: السبت؟ وذكروا الراحة قال - ﷺ -: سبحان الله!، فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿ولَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَواتِ والأرضَ وما بينهما فى ستة أيام وما مسّنا من لغوب﴾(٢).

فقد بين هذان الخبران اللذان رويناهما عن رسول الله - ﷺ - أن الشمس والقمر خُلِقَا بعد خلق الله أشياء كثيرة خلقها.

* وذلك أن حديث ابن عباس - عن رسول الله - ﷺ - ورد بأن الله خلق الشمس والقمر يوم الجمعة، فإذا كان ذلك ما حَدَث، فقد كانت الأرض والسماء وما فيهما سوى الملائكة وآدم،

---

(١) الآثار الباقية ص ١٥.   (٢) المصدر السابق ص ١٦.

مخلوقة قبل خَلْق الله الشمس والقمر.

وكان ذلك كله ولا ليل ولا نهار، إذ كان الليل والنهار إنما هو اسم لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر درج الفلك.

وإذا كان صحيحا أن الأرض والسماءوما فيهما، سوى ما ذكرنا، قد كانت ولا شمس ولا قمر، كان معلوما أن ذلك كله كان ولا ليل ولا نهار.

وكذلك حديث أبي هريرة، عن رسول الله - ﷺ - لأنه أخبر عنه أنه قال: «خلق الله النور يوم الأربعاء، يعنى بالنور الشمس - إن شاء الله.

وهنا سؤال يطرح نفسه، فيقول قائل: إنك ذكرت أن اليوم إنما هو اسم لميقات ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس..

ثم قلت الآن: أن الله خلق الشمس والقمر بعد أيام من أول ابتدائه خلق الأشياء التى خَلَقَها، فأثبتّ مواقيت، وسميتها بالأيام، ولا شمس ولا قمر؟ وهذا إن لم يؤيده برهان على صحته.. فهو كلام فى ظاهره ينقض بعضه بعضا!!

أقول: إن الله - سبحانه وتعالى - سمى ما ذكرته أياما، فسمّيته بالاسم الذى سماه به، وكان وجه تسمية ذلك أياما ولا شمس ولا قمر، نظير قوله عز وجل: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْـرَةً وعَشِـيًّا﴾ [مريم ٦٢] - ولا بكرة ولا عَشِى هنالك. إذ كان لا ليل فى الآخرة ولا شمس ولا قمر، كما قال جل شأنه:

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتى تأْتِيَهُم السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج ٥٥]

فسمّى الحق - تعالى ذكره - يوم القيامة يوما عقيماً، إذ كان يوما لا ليل بعد مجيئه. وإنما سمى أياما قبل خلق الشمس والقمر، قَدْر مدة ألف عام من أعوام الدنيا، التى العام منها اثنا عشر شهرًا من شهور أهل الدنيا، التى تعد ساعاتها وأيامها بقطع الشمس والقمر درج الفلك. كما سمى (بُكْرة وعَشِيًّا) لما يرزقه أهل الجنة فى قدر المدة التى كانوا يعرفون ذلك من الزمان فى الدنيا بالشمس ومجراها فى الفَلَك، ولا شمس عندهم ولا ليل. هذا ما قاله السلف من أهل العلم.

* يؤيد هذا الذى قلناه، ما ذكره القاسم -بإسناده- عن ابن جريج، عن مجاهد، أنه قال: «يقضى الله عز وجل أمر كل شىء ألف سنة إلى الملائكة، ثم كذلك حتى يمضى ألف سنة، ثم يقضى أمر كل شىء ألفا، ثم كذلك أبدًا، قال: ﴿يوم كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْف سَنَةٍ﴾ قال: اليوم.. أن يقول لما يقضى إلى الملائكة ألف سنة كُنْ فيكون، ولكن سماه يوما، سماه كما شاء.

قال: وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّون﴾ [الحج٤٧].

قال: هو هو سواء، وبنحو الذى ورد عن رسول الله - ﷺ - من الخبر بأن الله - عز شأنه - خلق الشمس والقمر، بعد خلقه السموات والأرض، وأشياء غير ذلك، ورد الخبر عن جماعة من السلف أنهم قالوه:

فقد روى أبو هشام الرفاعى - بإسناده إلى مجاهد، عن ابن عباس، فى قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وللأرضِ ائْتِيا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعين﴾ [فصلت ١١].

قال: قال الله - عز وجل - للسموات أطلعى شمسى وقمرى ونجومى، وقال للأرض شَقِّقى أنهارك، وأخرجى ثمارك، فقالتا أَتَيْنا طائعين.

* وحدّث بشر بن معاذ - بإسناده - إلى سعيد، عن قتادة، فى قوله تعالى:

﴿وأَوْحَى فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَها﴾ [فصلت ١٢]، قال: خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها.

وهكذا تبين هذه الأخبار، التى ذكرناها عن رسول الله - ﷺ -، وعمن ذكرها عنه، أن الله - عز شأنه - خلق السموات والأرض قبل خلقه الزمان والأيام والليالى، وقبل الشمس والقمر.

والسؤال الآن: هل الزمان فان؟

- نعم.. والدلالة على صحة ذلك، قول الحق تبارك وتعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ويبقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ والإكْرَام﴾ [الرحمن ٢٦، ٢٧]

وقوله سبحانه: ﴿لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص ٨٨].

فإن كان كل شىء هالك غير وجهه - كما قال عز شأنه - وكان الليل والنهار، ظلمة ونورًا، خلقهما لمصالح خَلْقه، فلا شك أنهما فانيان هالكان، كما أخبر جل ثناؤه، وكما قال جل وعزّ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يعنى بذلك أنها عميت، فذهب ضوءها، وذلك عند قيام الساعة، وهذا ما لا يحتاج إلى الإكثار فيه، إذ كان مما يدين بالإقرار به جميع أهل التوحيد.

٥ - ما أنواع الزمان؟

فى الحديث النبوى الشريف أنواع من الزمان يمكن إجمالها فيما يلى:

النوع الأول : الزمان الكوكبى.
النوع الثانى : ما قبل الزمن الكوكبى.
النوع الثالث : ما بعد الزمن الكوكبى.
النوع الرابع : الزمن النفسى.

وهذه الأنواع هى مضمون الباب الأول من أبواب البحث. وسنتناول كل نوع منها فى فصل خاص.

الفصل الأوّل

الزمان الكوكبى

الزمان الكوكبى .. هو الزمان الذى نقيم عليه حساباتنا وأقسامها ومضاعفاتها.

وقد ورد فى أحاديث رسول الله المصطفى - ﷺ - ذكر ما يتصل بهذا الزمن وأجزائه.

يقول النبى - ﷺ - فيما رواه عنه أبو بكر - رضى الله عنه.

«إن الزّمان قد استدار كهيئته، يوم خَلَق الله السموات والأرض، السَّنَةُ اثنا عَشَر شهرًا، منها أربعة حُرُم، ثَلَاثٌ متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مُضَر الذى بين جُمادى وشعبان»(١).

وفيه يقول - ﷺ - كما جاء فى الصحيح:

«خير يوم طلعت فيه الشمس يوم جمعة، فيه خُلِق آدم، وفيه أدخل الجنّة، وفيه أخرج منها، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله فيها شيئًا إلّا أعطاه»(٢).

* وروى الطبرانى : «أفضل الأيام يوم الجمعة، وأفضل الليالى ليلة القدر ، وأفضل الشهور رمضان»(٣).

* وروى أبو يَعْلى - فى مسنده - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال:

«يوم الأحد يوم غَرْس وبناء، ويوم الاثنين يوم سَفَر، ويوم الثلاثاء يوم دم، ويوم الأربعاء يوم أخذ وعطاء، ويوم الخميس يوم دخول على السلطان، ويوم الجمعة يوم تزويج».

قال السيوطى(٤): ورأيت بخط الحافظ شريف الدين الدمياطى أبياتًا ذكر أنها تُعْزَى إلى علىّ بن أبى طالب، رضى الله عنه، يقول فيها:

لنِعْمَ اليَوْم يومُ السَّبْتِ حَقًّا ... لِصَيْد إنْ أَرَدْتَ بِلا امْتِراءْ
وفى الأحَدِ البِنَاءُ لأنَّ فيهِ ... تَبَدَّا الله فى خَلْقِ السَماءْ
وفى الاثنَيْن إنْ سَافرتَ فيهِ ... فَتَرْجِعُ بالنَّجَاح وبالثَّراءْ
وإنْ تُرِد الحِجَامَةَ فى الثُّلَاثا ... ففِى سَاعَاتِهِ هَرْقُ الدِّمَاءْ

---

(١) صحيح البخارى ج ٦ ص١٢٦، وإنما أضيف رجب إلى مضر قبيلة النبى - ﷺ - لأنهم أكثر العشائر له تعظيمًا.

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه فى الأوسط.

(٤) الشماريخ فى علم التاريخ ص ١٣.

وإنْ شَرِبَ امرؤ يَوْمًا دَوَاء فَنِعْمَ الْيَومُ يومُ الأرْبَعَاءْ
وفى يوم الخميس قضَاءُ حَاجٍ فإنّ الله يَأْذَنُ بالقَضَاءْ
وفى الجُمْعَاتِ تَزْوِيجٌ وعُرْسٌ ولَذَّاتُ الرِّجَالِ مَعَ النِّسَاءْ

* وعن ابن اسحاق الأسود، عن عُبيد بن عُمير، قال:

«المحرّم شهر الله، وهو رأس السنة، فيه يُكْسَى البيت، ويؤرخ التاريخ، ويُضرب فيه الورق»[١].

«إنما يؤرخ – فى الإسلام – بالأشهر الهلالية، التى قد تكون ثلاثين، وقد تكون تسعًا وعشرين، كما ثبت فى الصحيحين، دون الشمسية الحسابية، التى هى ثلاثون أبدًا، فتزيد عليها، قال تعالى فى قصة أهل الكهف:

﴿وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِم ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف ـ ٢٥].

قال العلماء: زيادة التسعة باعتبار الهلالية، وهى ثلاث مائة فقط شمسية. وإنما كان التاريخ بالهلالية، لحديث رسول الله – ﷺ – «إنَّا أمّة أُمِّية لا نَحْسِبُ وَلَا نَكْتُب» وحديثه – ﷺ –: «إذا رأيتموه فصُومُوا وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين»[٢].

● وبهذا الزمن الكوكبى تتحدد أعمار الأفراد ومراحل السن.

فعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه قال:

حدثنا رسول الله – ﷺ – وهو الصادق المصدوق:

«إن أحدَكم يُجْمَعُ خَلْقُه فى بطن أُمّه أربعين يوما نُطْفَة، ثم يكون عَلَقَةً مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه المَلَك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكَتْب رزقه، وأجَلِهِ، وعمله، وشقى أم سعيد.[٣].

وفى رواية أخرى: «ثم يبعثُ الله إليه مَلَكًا بأربع كلمات، فيكْتُب عمَلهُ وأَجَلُه ورزقه وشقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح.».

* وعن حذيفة بن أُسيد – رضى الله عنه– يبلغ به النبى –ﷺ– قال:

«يدخُلُ المَلَكُ على النُّطفة بعدما تستقر فى الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة، فيقول: يارب .. أشقى أو سعيد، فيكتبان، فيقول: يارب أذكر أو أُنثى؟ فيكتبان، ويُكتب عملُه وأثره، وأجَلُه ورزقه، ثم تطوى الصحف فلا يُزاد فيها ولا ينقص»[٤].

---

(١) الشماريخ ص ١٣.
(٢) الشماريخ للسيوطى ص ١٤.
(٣) صحيح البخارى ٤/٢٣٠.
(٤) رواه مسلم.

«فهذا تقدير عُمرى..»

* وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال: «إن الله خَلَق لَوْحًا محفوظًا من درة بيضاء، دفّتاه من ياقوته حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، عرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، ففى كل نظرة منها يَخْلُقُ ويرزق، ويحيى ويُميت، ويعزّ ويُذِلّ، ويفعل ما يشاء، فذلك قوله تعالى: ﴿كلَّ يوم هُوَ فى شأن﴾[١].

«وعن علىّ – رضى الله عنه، قال: قال رسول الله – ﷺ:

«إن الله عزّ وجل ينزل كل ليلة جمعة، من أول الليل إلى آخره إلى السماء الدنيا، وفى سائر الليالى فى الثُلث الآخر من الليل، فيأمر مَلَكًا ينادى: هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟.. يا طالب الخير أقبل، ويا طالب الشر أقصر»[٢]

«فهذا تقدير يومى»

* وعن قتادة – رضى الله عنه – فى قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ المَلائكةُ والرُّوحُ فيها بإذن رَبِّهم مِنْ كُلِّ أمْرٍ﴾ قال: يُقضى فيها ما يكونُ فى السنة إلى مثلها.

«فهذا تقدير حَوْلى»

* ويتصل بهذا الزمن الذى تتحدد به أعمار الأفراد ومراحل السِّن

ماروى عن عثمان – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – قال:

«العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خَفَّف الله تعالى حسابه، وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الإنابة إليه، وإذا بلغ سَبْعِين سنة أحبه أهل السماء، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبّت الله تعالى حسناته، ومَحا سيئاته، وإذا بلغ تسعين سنة، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشفّعه الله تعالى فى أهل بيته، وكتب فى السماء أسير الله فى أرضه»[٣].

* وعن عبدالله بن عمرو بن العاص، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله –ﷺ–.

«إنَّ الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يَخْلُق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»[٤] وهذا من قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ الله قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب ٣٨]

● وبهذا الزمن الكوكبى تتحدد العبادات اليومية ..

قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيل وقُرْآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كان مَشْهُودًا﴾ [الاسراء ٧٨]

---

(١) رواه الطبرانى والحاكم وعبدالرزّاق وابن المنذر. (٢) رواه مسلم فى صحيحه.

(٣) كنز العمال للمتقى الهندى ١٤٤/١٧.

(٤) رواه ابن كثير، قصص الأنبياء ١٥٧/٤، وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه، وهو فى مسند الإمام أحمد.

وقد بيّنت الأحاديث النبوية عن رسول الله - ﷺ - وما تواتر من أفعاله وأقواله تفاصيل هذه الأوقات.

فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ - فى قوله تعالى: ﴿إنْ قرآن الفَجْرِ كان مَشْهُودًا﴾ قال: «تشهدُه ملائكةُ اللّيلِ وملائكةُ النهار».

* وعن أبي هريرة، عن النبى - ﷺ - قال:

«فَضْلُ صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر».

* وعن أبي هريرة، عن النبى - ﷺ - قال:

«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة الصبح وفى صلاة العصر، فيعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم - وهو أعلم بكم - كيف تركتم عبادى؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلُّون، وتركناهم وهم يُصَلّون»(١).

● وبهذا الزمن تتحدد العبادات السنوية كالصيام:

قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى والفُرْقَانِ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة ١٨٥]

* روى الإمام أحمد، عن واثلة بن الأسقع، أن رسول الله - ﷺ - قال:

«أُنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خَلَت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين من رمضان».

وروى عن ابن عباس، رضى الله عنهما - قال: «إنه - أى القرآن - أنزل فى رمضان فى ليلة القدر، وفى ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيلا فى الشهور والأيام»(٢).

* وروى البخارى فى صحيحه، أن رسول الله - ﷺ - قال: «مَنْ صَامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه».

* وروى أبو حاتم - بسنده - عن أبي هريرة، قال: «لا تقولوا رمضان، فإنه من أسماء الله، ولكن قولوا شهر رمضان»(٣).

* وروى على بن أبي طالب - رضى الله عنه، قال: «سأل رجل رسول الله - ﷺ - وأنا

---

(١) نقلا عن تفسير ابن كثير ٥٤/٣.

(٢) ابن كثير: تفسيره ٢١٥/١.

(٣) السيوطى: الشماريخ ص١٤.

قاعد، فقال: يا رسول الله! أى شهر تأمرنى أن أصوم بعد شهر رمضان؟ قال: إن كنت صائما بعد شهر رمضان فصُم المحرم، فإنه شهر الله، وفيه يوم تاب الله فيه على قوم، ويتوب فيه على آخرين(١).

● وبهذا الزمن تتحدد العبادات السنوية.. كالحج.

قال تعالى: ﴿الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى الحَجِّ﴾ [البقرة ١٩٧].

* روى أبو أمامة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ: «الحج أشهر معلومات: شوال وذو القعدة وذو الحجة».

* وعن جابر - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال: «لا ينبغى لأحدٍ أن يُحْرِم بالحجّ إلّا فى أشهر الحج»(٢).

* وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ قال فى فضل عشر ذى الحجة: «ما من عمل أزكى عند الله ولا أعظم منزلة من خير عمل فى العشر من الأضحى. قيل: يا رسول الله! ولا مَنْ جاهد فى سبيل الله بنفسه وماله؟ قال: ولا من جاهد فى سبيل الله بنفسه وماله إلّا من لم يرجع بنفسه ولا بماله»(٣).

* وعن ابن عمرو - رضى الله عنه - قال: كنت عند رسول الله - ﷺ - فذكرت الأعمال، فقال: «ما من أيام أفضل فيهن العمل من هذه العشر! قالوا: يا رسول الله.. ولا الجهاد فأكبره؟ قال: ولا الجهاد إلّا أن يخرج رجل بنفسه وماله فى سبيل الله ثم يكون مهجة نفسه فيه»(٤).

● وبهذا الزمن الكوكبى تتحدد العبادات ذات الطابع الاقتصادى.. كالزكاة:

قال تعالى: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام ١٤١] قال ابن عباس: يعنى الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كَيْله.

* وروى الإمام أحمد، وأبو داود فى سننه، عن جابر بن عبد الله - بإسناده - أن النبى - ﷺ - قال: «أمر من كل جاذ عشرة أو سق من التمر بقنو يعلّق فى المسجد للمساكين»(٥).

---

(١) كنز العمال ١٤٥/١٧.
(٢) تفسير ابن كثير ٢٣٥/١.
(٣) كنز العمال ١٤٥/١٧.
(٤) كنز العمال ١٤٦/١٧.
(٥) تفسير ابن كثير ١٨١/٢.

* هذا وقد ورد فى فضل الأزمنة أحاديث كثيرة، منها: ما رواه أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: كان رسول الله - ﷺ - إذا دخل رجب، قال: «اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان، وبلّغنا رمضان» وكان إذا كانت ليلة الجمعة، قال هذه ليلة غرّاء، ويوم الجمعة يوم أزهر[١].

* وعن ليلة النصف من شعبان، روت السيدة عائشة - رضى الله عنها: «كان رسول الله -ﷺ- يدعو وهو ساجد ليلة النصف من شعبان، يقول: أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك» وقال: «أمرنى جبريل أن أرددهن فى سجودى فتعلمتهن وعَلَّمتهن».

* وعن عطاء بن يسار، قال: قال النبى - ﷺ - «إذا كان ليلة النصف من شعبان نسخ المَلَك من يموت من شعبان إلى شعبان، وإن الرجل ليظلم ويتجر وينكح النساء، وقد نسخ اسمه من الأحياء إلى الأموات، ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل منها، ينزل الله إلى السماء الدنيا فيغفر لكل أحد إلّا لمشرك أو مشاحن، أو قاطع رحم»[٢].

---

(١) كنز العمال ١٤٣/١٧.

(٢) رواه ابن شاهين فى الترغيب.

الفصل الثانى

ما قبل الزمن الكوكبى

وهذا هو النوع الثانى من أنواع الزمان.. ونعنى بالزمن ما قبل الزمن الكوكبى، تلك الفترة الزمنية التى خلق الله فيها السموات والأرض، وما زين به السماء من شمس وقمر وكواكب ونجوم، وما زين به الأرض من الأمكنة والجبال والبحار.

أولا: خلق السموات والأرض..

- ١ -

هل خلق الله الأرض أولاً أم السموات؟

- اختلف السلف من أهل العلم فى ذلك..

١ - فقال بعضهم، ما حدّث به المثنى بن إبراهيم - بإسناده - عن عبدالله بن سَلَام، أنه قال: «إن الله بدأ بالخلق يوم الأحد، فخلق الأرضين فى الأحد والاثنين، وخلق الأقوات والرواسى فى الثلاثاء والأربعاء، وخلق السموات فى الخميس والجمعة، وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم على عجل، فتلك الساعة التى تقوم فيها الساعة».

* فهذا النَّص يدل على أن الأرض خُلقت أولا..

* وروى موسى بن هارون - بإسناده - عن السُّدّى فى خبر ذكره عن أبى مالك.. وعن أبى صالح عن ابن عباس.. وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبى - ﷺ، قالوا: «جعل - يعنون ربّنا تبارك وتعالى - سبع أرضين فى يومين الأحد والاثنين، وجعل فيها رواسى أن تميد بكم، وخلق الجبال فيها، وأقوات أهلها وشجرها، وما ينبغى لها فى يومين فى الثلاثاء والأربعاء، ثم استوى إلى السماء وهى دخان، فجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين الخميس والجمعة.

* وهذا الخبر يدل أيضا على أن الأرض خُلقت أولا.

وروى تميم بن المنتصر - بإسناده - إلى عطاء بن أبى رباح، عن ابن عباس، قال: «خلق الله الأرض فى يومين الأحد والاثنين».

ففى قول هؤلاء: خُلقت الأرض قبل السماء، لأنها خلقت عندهم فى يومى الأحد والاثنين.

٢ - وقال آخرون: خلق الله - عز وجل - الأرض قبل السماء بأقواتها، من غير أن يَدْحُوها، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات، ثم دَحَا الأرض بعد ذلك.

واستندوا فى ذلك إلى ما روى عن عليّ بن داود - بإسناده - عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس، قوله عز وجل: ﴿والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء، ثم ذكر السماء قبل الأرض، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك.

* وروى محمد بن سعد، بإسناده، عن ابن عباس، قوله تعالى: ﴿والأرضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا ومَرْعَاهَا، والجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ يعنى أنه خلق السموات والأرض، فلما فرغ من السماء قبل أن يخلق أقوات الأرض، بث أقوات الأرض فيها بعد خلق السماء، وأرسى الجبال يعنى بذلك دحاها، ولم تكن تصلح أقوات الأرض ونباتها إلّا بالليل والنهار، فذلك قوله عز وجل: ﴿والأرْضَ بعدَ ذلِكَ دَحَاهَا﴾ ألم تسمع أنه قال: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾.

ويرى ابن جرير الطبرى - أن الصواب من القول فى ذلك، ما قاله الذين قالوا: «إن الله خلق الأرض يوم الأحد، وخلق السماء يوم الخميس، وخلق النجوم والشمس والقمر يوم الجمعة. وذلك لصحة الخبر عن ابن عباس، عن رسول الله - ﷺ - بذلك[1]. وإن كان - غير المستحيل - ما روى فى ذلك عن ابن عباس، من القول».

«وهو أن يكون الله تعالى ذِكْره خلق الأرض ولم يَدْحُها، ثم خلق السموات فسواهن، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها».

بل ذلك عنده - كما يقول ابن جرير - هو الصواب من القول فى ذلك..

وذلك أن معنى الدَّحْو غير معنى الخلق، وقال الله عز وجل:

﴿أأنتم أَشَدُّ خَلْقًا أم السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، وأَغْطَشَ لَيْلَهَا وأَخْرَجَ ضُحَاهَا، والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا ومَرْعَاهَا، والجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات ٢٧ - ٣٢].

هذا وقد وردت أخبار كثيرة تفيد أن الله خلق البيت العتيق على الماء على أربعة أركان، قبل أن يخلق الدنيا..

* فقد روى ابن حُميد قال: حدثنا يعقوب القمىّ عن جعفر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «وُضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفى عام، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت».

---

(١) الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٣٢.

* وروى ابن حُميد - بإسناده - عن مجاهد، عن عبدالله بن عمر، قال:

«خَلَق الله البيت قبل الأرض بألفى سنة، ومنه دُحيت الأرض».

فإذا كان الأمر كذلك، كان خلق الأرض قبل السموات، ودَحْو الأرض وهو بسطها بأقواتها ومراعيها ونَبَاتها بعد خلق السموات. كما ذكرنا عن ابن عباس..

يؤيد ذلك ما ذكره ابن اسحاق فى تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُم لَتَكْفُرُون بالَّذِى خَلَق الأَرْضَ فى يومين﴾ [فصلت ٩]، قال:

«شَبَك بيدى إبراهيم بن يحيى، قال: شَبَك بيدى صفوان بن سليم، قال: شَبَك بيدى أيوب بن خالد الأنصارى، قال: شبك بيدى عبدالله بن أبى رافع، قال: شَبَك بيدى أبو هريرة، قال: شبك بيدى أبو القاسم محمد - ﷺ -، فقال:

«خَلَق اللهُ الأرضَ يوم السبت، والجبال يومَ الأحد، والأشجار يوم الاثنين، والظلمات يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء، والدواب يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة»[١].

* هذا وقد روى عن ابن عباس حديثا، مفاده أنه قال:

«أول ما خلق الله تعالى من شيء القلم، فقال له: اكتب، فقال: وما أكتب يارب؟ قال: اكتب القَدَر، قال: فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة، ثم رفع بخار الماء، ففتق منه السموات، ثم خلق النون فدُحيت الأرض على ظهره، فاضطرب النون فمادت الأرض فأُثبتت بالجبال، فإنها لتفخر على الأرض».

* وفى رواية عن ابن المثنى - بإسناده - عن أبى ظبيان، عن ابن عباس، قال:

«أوّل ما خلق الله تعالى القلم، فجرى بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء، فخلقت منه السموات، ثم خُلق النون، فبُسطت الأرض على ظهر النون، فتحرك النون فمَادَت الأرض، فأثبتت بالجبال، فإن الجبال لتفخر على الأرض، قال: وقرأ ﴿ن، والقلم وما يسطرون﴾ [القلم ١].

* وفى رواية ثالثة - عن يحيى - بإسناده - عن أبى ظبيان، عن ابن عباس، قال:

«أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر، قال: فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة، ثم خلق النون ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء، وبسطت الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال، قال: فإنها لتفخر على الأرض».

وكل ذلك صحيح - كما يقول ابن جرير[٢] - غير مخالف شيئا مما روينا عنه فى ذلك.

---

(١) الثعالبى: قصص الأنبياء ص ٨.

(٢) الآثار الباقية ص ٣٤.

والدليل على صحته، ما روى عن موسى بن هارون - بإسناده - عن أبى مالك، وعن أبى صالح، عن ابن عباس، وعن ناس من أصحاب رسول الله - ﷺ - فى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة ٢٩].

قال: إن الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق، أخرج من الماء دخانا، فارتفع فوق الماء فسَمَا عليه فسمّاه سماء، ثم يبس الماء فجعله أرضا واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين فى يومين فى الأحد والاثنين، فخلق الأرض على حوت، والحوت هو النون، الذى ذكره الله عز وجل فى القرآن ﴿ن والقلم﴾ والحوت فى الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر مَلَك، والـمَلَك على صخرة، والصخرة فى الريح، وهى الصخرة التى ذكر لقمان ليست فى السماء ولا فى الأرض، فتحرك الحوت فاضطربت فتزلزلت الأرض، فأرسى عليها الجبال، فقرّت فالجبال تفخر على الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُم﴾..

* فقد أنبأ قول هؤلاء الذين ذكرت، أن الله تعالى أخرج من الماء دخانا حين أراد أن يخلق السموات والأرض (فَسَما عليه) يعنون بقولهم فسَمَا عليه، عَلَا على الماء، وكل شىء كان فوق شىء عاليا، فهو له سماء، ثم أيبس بعد ذلك الماء، فجعله أرضا واحدة، أن الله خلق السماء غير مسواة قبل الأرض، ثم خلق الأرض.

وإن كان الأمر - كما قال هؤلاء - فغير محال أن يكون الله تعالى أثار من الماء دخانا، فَعَلَاه على المـاء، فكان له سـماء، ثم يبس الماء فصار للدخان الذى سما عليه أرضا، ولم يدحها ولم يقدّر فيها أقواتها، ولم يخرج منها ماءها ومرعاها، حتى اسـتوى إلى السماء التى هى الدخان الثائر من الماء العالى عليه، فسوّاهن سبع سموات، ثم دَحَا الأرض التى كانت ماء فيبّسـه ففتقه، فجعلها سبع أرضين، وقدرّ فيها أقواتها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرسـاها - كما قال عز وجل..

فيكون كل الذى روى عن ابن عباس فى ذلك صحيحا معناه.

أما عن عملية الخلق، فقد حددنا توقيتها وزمنها، وإن كان هناك بعض الخلاف فيها.

* فـأما يوم الاثنين، فقد ذكرنا اختـلاف العلماء فيما خُـلق فيه، وما روى فى ذلك عن رسول الله -ﷺ-.

* وأما ما خُلق يوم الثلاثاء والأربعاء، فالذى صح عنهما أنه خُلق فيهما - ما رواه موسى بن هارون - بإسناده - عن أبى صالح، عن ابن عباس، وعن ناس من أصحاب رسول الله -ﷺ- (وخلق الجبال فيها) يعنى الأرض، وأقوات أهلها وشجرها، وما ينبغى لها فى يومين - فى الثلاثاء والأربعاء، وذلك حين يقول الله عز وجل:

﴿أئِنكُم لتَكْفُرُون بالذِى خَلَق الأَرْضَ فى يَوْمَيْنِ وتَجْعَلُون له أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِين، وجَعَل فيها رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وقَدَّرَ فِيهَا أَقْواتَهَا فى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلين﴾ [فصلت ٨-١٠].

يقول من سأل: فهكذا الأمر، ثم استوى إلى السماء وهى دخان، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس، فجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين: الخميس والجمعة.

* قال أبو جعفر الطبرى[1]: والصواب من القول فى ذلك عندنا، ما رويناه عن النبى -ﷺ- قال: «إن الله تعالى خلق يوم الثلاثاء الجبال وما فيهن من المنافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب» حدث بذلك هناد - بإسناده - عن عكرمة عن ابن عباس.

* وقد روى عن النبى - ﷺ - «أن الله خلق الجبال يوم الأحد والشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء». حدّث بذلك القاسم بن بشر - بإسناده - عن عبدالله بن رافع، مولى أم سلمة، عن أبى هريرة، عن النبى - ﷺ.

والخبر الأول - كما يذكر ابن جرير - أصح مخرجا، وأولى بالحق، لأنه قول أكثر السلف.

* وأما يوم الخميس، فإنه خلق فيه السموات، ففُتقت بعد أن كانت رتقا، كما حدّث بذلك موسى بن هارون - بإسناده - فى خبر ذكره عن أبى مالك.

* وعن أبى صالح عن ابن عباس، وعن مُرة الهمذانى عن عبدالله بن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبى - ﷺ -: (ثم استوى إلى السماء وهى دخان).

وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس، وجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين، فى الخميس والجمعة، وإنما سُمّى يوم الجمعة، لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض، وأوحى فى كل سماء أمرها.

قال: خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والخَلْق الذى فيها من البحار وجبال البَرَد، وما لم يعلم، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب، فجعلها زينة وحفظا، تحفظ من الشياطين، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش، فذلك حين يقول:

﴿خَلَق السَّموات والأَرضَ فى سِتّة أيام﴾ ويقول: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُما﴾.

---

(١) الآثار الباقية ص ٣٦.

- ٢ -

ذكر ما زين الله به الأرض

* ولقد ذكر العلماء.. ما زيّن الله به الأرض، وهى سبعة أشياء:

١ - الأزمنة، وزين الأزمنة بأربعة أشهر، قال الله تعالى: ﴿إنّ عِدَّة الشُّهورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنَا عَشَر شَهْرًا فى كِتَابِ الله، يومَ خَلَق السَّموَاتِ والأرْضَ مِنْها أربعةٌ حُرُم﴾ [التوبة ٣٦] فالأربعة الأشهر الحرم منها ثلاثة سَرْد، وواحد فَرْد، فالثلاثة السرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، والفرد: رجب.

٢ - والأمكنة، وزيّنها بأربعة أشياء: مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد العشائر.

٣ - والأنبياء، وزين الأنبياء بأربعة: ابراهيم الخليل، وموسى الكليم، وعيسى الوجيه، ومحمد الحبيب، صلوات الله عليهم أجمعين، وهم أهل الكتب، وأصحاب الشرائع، وأولو العزم.

٤ - آل محمد، وزينهم بأربعة: علىّ، وفاطمة، والحسن، والحسين - رضى الله عنهم.

٥ - الصحابة، وزينهم بأربعة: أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلىّ، وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المرضيون، رضى الله عنهم أجمعين.

* روى عن أنس بن مالك، عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «لا يجتمع حُبُّ هؤلاء الأربعة إلّا فى قلب مؤمن».

٦ - المؤمنون، وزيّنهم بأربعة: العلماء، والقرّاء، والغُزاة، والعُبَّاد.

٧ - أنواع الحيوانات والنباتات والجمادات(١).

- ٣ -

فى عاقبة الأرض ومآلها وآخر حالها

ولنعلم أن الله تعالى وعد الأرض بسبعة أشياء(٢):

أحدها: التبديل: وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرْضُ غَيْرَ الأرْضِ﴾ [ابراهيم ٤٨].

وفى الخبر: «يُؤْتَى بأرض بيضَاءَ من فضة كالخبزِ النَّقِيِّ الحوارى لم يُعْصَ الله عليها قط طرفة عَيْنٍ، ولا وَصْمَ فيها ولا قَصْم، مستويةً كالصُّلب المهند».

---

(١) الثعالبى: عرائس المجالس ص ١٠.

(٢) الثعالبى: عرائس المجالس ص ١٠.

الثانى: الزَّلْزَلة، قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَت الأرض زِلْزَالَها﴾ (الآية).

* وقال رسول الله - ﷺ: «لا تقومُ الساعة حتى يُقْبَضَ العلمُ، وتكْثُرَ الزَّلاَزل، وتظهرَ الفِتَنُ، ويكثر الهَرْجُ. قيل: وما الهرجُ يا رسول الله؟ قال: القتلُ، فإذا أَكَلتْ أُمّتى الرِّبا كانت الزلزلة، وإذا جاروا فى الحكم اجترأ عليهم العدو، وإذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت، وإذا منعوا الزكاة قُحطوا، ولولا البهائم لم يُمْطَرُوا».

* وفى الحديث: إن الأرضَ تزلزت على عهد عمر - رضى الله عنه - فأخذ بعَضَادتَى منبر رسول الله - ﷺ - وقال: يا أهل المدينة، إنكم رجفتم، وإن الرجفة من كثرة الرِّبا والزِّنى، ونقصان الثمر من قِلَّة الصدقة، وإنكم أحدثتم أشياء حتى أعجلتم، فهل أنتم منتهون؟ أو يفرّ عُمر من بين أظهركم.

والثالث: البروز، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَة﴾[الكهف ٤٧] يعنى لفصل القضاء.

والرابع: الرَّج، قال الله سبحانه: ﴿إِذَا رُجَّت الأَرْضُ رَجًّا﴾[الواقعة ٤] قال المفسرون: كما يرتج الصبى فى المهد حتى ينكسر كل شىء عليها فرقا من ربها.

والخامس: الرَّجْف، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ والجِبَالُ﴾[المزمل ١٤].

والسادس: المدّ، حتى تتخلى وتلقى ما فى بطنها، قال تعالى: ﴿وإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ، وأَلْقَتْ مَا فِيها وَتَخَلَّت﴾ [الانشقاق ٤].

والسابع: الدَّك: قال تعالى: ﴿إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا﴾[الفجر ٢١].

ونقل المقدسى[١]، ما زعمه محمد بن اسحاق، قال: «إن أول ما خلق الله النور والظلمة، فجعل الظلمة ليلاً، وجعل النور نهارًا، ثم سَمَك السموات السبع من الدخان، دخان الماء حتى استَقْلَلْن ولم يحبكهن، وقد أغطش فى السماء الدنيا ليلها، وأخرج ضحاها، فجرى منها الليل والنهار، وليس فيها شمس ولا قمر ولا نجوم، ثم دَحَا الأرض وأرساها بالجبال، وقدّر فيها الأوقات، ثم استوى إلى السماء وهى دخان، قال: فحبكهن وجعل فى السماء الدنيا شمسها، وقمرها ونجومها، وأوحى فى كل سماء أمرها.

* وروى عن عبدالله بن سَلاَم، أن خلق البخار الذى خرج من الماء والجبال والأرض من الأمواج، ودَحَا الأرض من تحت موضع الكعبة.

* وروى عن الكلبى والسندىّ، أن الأرض كانت تُكْفَأ كما تُكْفَأُ السفينة فأشمخ الله جبالها وأرساها بالأوتاد حتى استقرت وتوطّدت، لقول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل ١٥].

---

(١) البدء والتاريخ جـ٢ ص٢.

* وقد بدأ الله تعالى بذكر السماء على الأرض فى غير موضع من كتابه، ثم قال: ﴿أَئِنَّكُمْ لتكْفُرُون بالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فى يَوْمَيْنِ وتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ الآية إلى قوله: ﴿ثم اسْتَوَى إلى السماءِ وهى دُخان﴾[فصلت ٩ - ١١] وقال: ﴿أَأَنْتُم أَشَدُّ خَلْقًا أَم السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَها، فَسَواها﴾ الآية إلى قوله: ﴿والأرض بَعْدَ ذَلِكَ دحاها﴾ [النازعات ٢٧ - ٣٠].

فأخبر أن خلق السماء كان قبل خَلْق الأرض، وبسط الأرض كان قبل تسوية السماء وما فيها.

- ٤ -
هيئة السموات وحدودها

وعن هيئة السموات وحدودها وصفتها ومآلها، قال الله تعالى: ﴿ولَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُم سَبْعَ طَرَائِقَ﴾[المؤمنون ١٧].

قال ابن عباس: خلق الله السموات مثل القباب، فسماء الدنيا قد شُدّت أقطارها بالثانية، والثانية بالثالثة، وكذلك إلى السابعة، والسابعة بالعرش، فذلك قوله تعالى: ﴿بغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنها﴾ وعمادها من فوقها.

* عن أبى هريرة - رضى الله عنه، قال: «خرج رسول الله - ﷺ - على أصحابه، وهم يتفكرون فقال: فِيمَ أنتم تتفكَّرون؟ قالوا: نتفكر فى الخالق. فقال لهم: تفكّروا فى الخَلْق ولا تَتَفَكَّرُوا فى الخَالِق، فإنّه لا تُحيط به الفِكْرَة، تفكَّروا فى أن الله خَلَقَ السمواتِ والأرضين سَبْعًا، وتحت كلُ أرض خمسمائة عام، وبين السماء والأرض خمسمائة عام، وتحت كل سماء خمسمائة عام، وما بين كل سماءين خمسمائة عام، وفى السماء السابعة بحرٌ عُمقُه مثلُ ذلك كله، وفيه مَلَكٌ قائم لا يُجَاوِز الماءُ كعبه»[١].

* وروى وهب عن سَلْمان الفارسى، قال: «إن الله خَلَق السماء الدنيا من زمرّدة خضراء، وسَماها (برْقِع)، وخلق السماء الثانية من فضّة بيضاء وسماها كذا، وخلق السماء الثالثة من ياقوتة حتّى عدَّ سبع سماوات بأسمائها وَجَواهِرهَا».

* وروى عن ابن عباس، أنه قال: «إن السماء الدنيا من رخام أبيض، وإنّما خضرتها من خضرة جبل قاف».

وقد شَبّه أمية بن أبى الصّلت، السماء بالزجاج من جهة لونه، فقال[٢]:

فكأنَّ بِرْقِعَ والمَلاَئكَ حوْلَهُ   سُدَد تَوَاكِلُهُ القَوَائِمُ بُجَرَّدُ

(١) عرائس المجالس ص ١٢.

(٢) انظر كتابنا الشعراء الحنفاء. فصل شعر الحنفاء. طبع دار المعارف سنة ١٩٨١.

خضـراء ثانيـةٌ تَـظِلّ رؤوسهَم ... فَوْقَ الذَّوائبِ فاسْتَوَت لا يُحْصَدُ
كزجاجة الغسول أُحْسِنَ صُنْعُها ... لمـا بَنَـاهَـا رَبُّنَـا يَتَجَـرَّدُ

* وأما عن مآل السموات وآخر حالها، فلنعلم أن الله تعالى وَعَدَ السماء بسبعة أشياء[1].

أحدها: المَوْر، قال الله تعالى: ﴿يوم تَمُور السماءُ مَوْرًا﴾[الطور ٩] يعنى تدور كدوران الرَّحى من هول يوم القيامة.

والثانى: أخبر أنها تصير كالمُهْل، فقال تعالى: ﴿يوم تكُونُ السَّمَاء كالمُهْل﴾[المعارج ٨] يعنى درْدِىّ الزيت.

والثالث: أخبر أنها تصير وردة كالدهان قال الله تعالى: ﴿فإذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كالدِّهَانِ﴾[الرحمن ٣٧].

والرابع: الانشقاق، قال الله تعالى: ﴿إذَا السَّمَاءُ انشَقَّت﴾[الانشقاق ١].

والخامس: الانفطار، قال الله سبحانه: ﴿إذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَت﴾[الانفطار ١] والانفطار أكثر من الانشقاق.

والسادس: الانفراج، قال الله عز وجل: ﴿وَإذَا السَّمَاءُ فُرِجَت﴾[المرسلات ٩].

والسابع: الكشط، قال الله جل وعلا: ﴿وإذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾[التكوير ١١] أى نزعت من مكانها وطويت طيا. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كطَىِّ السِّجِلِّ للكُتُب﴾[الأنبياء ١٠١].

وأحسن الشاعر أمية بن أبى الصلت، حيث قال[2]:

إذَا قِيلَ مَنْ ربُّ هَذِه السَّمَا ... فَلَيْسَ سِوَاه له مُضْطَرِبْ
ولَوْ قِيلَ ربٌّ سِوَى رَبِّنَا ... لقَـالَ العِبَادُ جَمِيعًـا كَذِبْ

ثانيا: خلق الأجرام السماوية:

علمنا مما سبق أن الحق تبارك وتعالى خلق السموات والأرض قبل خلقه الأوقات والأزمنة والأوقات والأزمنة - كما بيّنا - إنما هى ساعات الليل والنهار، وإن ذلك إنما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك. والسؤال الآن.

بأى شىء كان الابتداء.. بالليل أم النهار؟

فى الواقع.. هناك اختلاف كبير بين العلماء الراسخين فى العلم، وذوى النظر فيهم..

---

(١) عرائس المجالس ص ١٨.

(٢) الشعراء الحنفاء فصل «شعر العقيدة».

١ - فبعضهم يقول: خلق الله الليل قبل النهار ويستشهد على حقيقة قوله بما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - «بأن الشمس إذا غابت وذهب ضوءها، الذى هو النهار، هجم الليل بظلامه.» وبذلك يكون الضياء هو المتورد على الليل. وأن الليل إن لم يبطله النهار المتورد عليه هو الثابت، فكان بذلك من أمرهما دلالة على أن الليل هو الأول خلقا، وأن الشمس هو الآخر منهما خلقا.

فقد روى ابن بشار: حدثنا عبد الرحمن عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: سئل هل الليل كان قبل النهار: قال: أرأيتم حين كانت السموات والأرض رتقا.. هل كان بينهما إلا ظلمة؟.. ذلك لتعلموا أن الليل كان قبل النهار.

- وفى رواية أخرى لمحمد بن بشار. بإسناده، عن مرثد بن عبد الله البزنى، قال:

«لم يكن عقبة بن عامر إذا رأى الهلال -هلال رمضان- يقوم تلك الليلة حتى يصوم يومها. ثم يقوم بعد ذلك، فذكرت ذلك لابن حجيرة، فقال: الليل قبل النهار، أم النهار قبل الليل؟.

٢ - وقال آخرون[1]: كان النهار قبل الليل: واستشهدوا لصحة قولهم هذا، بأن الله - عز ذكره - كان ولا ليل ولا نهار، ولا شيء غيره، وأن نوره كان يضيء به كل شيء خلقه، بعد ما خلقه حتى خلق الليل. فقد روى على بن سهل، بإسناده - إلى أيوب بن عبدالله الفهرى، أن ابن مسعود قال: «إن ربكم ليس عنده ليل ولانهار، نور السموات من نور وجهه، وإن مقدار كل يوم من أيامكم هذه عنده اثنتا عشرة ساعة».

* ويرجح أبوجعفر - الرأى الأول، قائلا: «وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب. قول من قال: «كان الليل قبل النهار»[2].

ويوضح الأمر قائلا: لأن النهار هو ما ذكرت من ضوء الشمس، وإنما خلق الله الشمس وأجراها فى الفلك، بعد ما دَحَا الأرض فبسطها، كما قال جل وعز:

﴿أَأَنتُم أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، وأَغْطَشَ ليلها وأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾.

فإذا كانت الشمس خُلِقَت بعد ما سُمِكت السماء وأغطش ليلها، فمعلوم أنها كانت قبل أن تُخْلَق الشمس، وقبل أن يُخرِج الله من السماء ضحاها مظلمة لا مضيئة.

* وبعد، فإن من مشاهدتنا من أمر الليل والنهار ما نشاهده دليلاً بيِّنا على أن النهار هو الهاجم على الليل، لأن الشمس متى غابت فذهب ضوءها ليلا أظلم الجوف، فكان معلوما بذلك أن النهار هو الهاجم على الليل بضوئه ونوره.

---

(١) الآثار الباقية ص ٤١.

(٢) المصدر السابق ص ٤٣.

* **بدء خلق الشمس والقمر:**

أما عن بدء خلق الشمس والقمر، فقد ورد فى الخبر عن رسول الله - ﷺ - بوقت خلق الله الشمس والقمر[١]، وإن كان هناك خلاف فى الروايات..

- فقد روى ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبى - ﷺ -، أنه قال: «**خلق الله يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه**».

حدّث بذلك هناد بن السرى - بإسناده - عن عكرمة عن ابن عباس، عن النبى ﷺ.

* وروى أبو هريرة، عن النبى - ﷺ - أنه قال: «**خلق الله النور يوم الأربعاء**» حدّث بذلك القاسم بن بشر، والحسين بن على -بإسنادهما- عن أبى هريرة، عن النبى -ﷺ-.

وأيا ما كان الاختلاف بين الروايتين، فقد كان خلق الله - قبل خلقه إياهما - خلقًا كثيرًا غيرهما، ثم خلقهما عز وجل لما هو أعلم به من مصلحة خَلْقه، فجعلهما دائبى الجرى، ثم فصل بينهما فجعل أحدهما آية الليل، والآخر آية النهار، فمحا آية الليل، وجعل آية النهار مبصرة.

* **أما سبب اختلاف حالتى آية الليل وآية النهار**، فقد روى عن رسول الله - ﷺ - أخبار منها:

١ - ما روى عن محمد بن أبى منصور الآملى - بإسناده - عن أبى ذر الغفارى قال:

«كنت آخذًا بيد رسول الله - ﷺ - ونحن نتماشى جميعا نحو المغرب، وقد طفلت الشمس، فمازلنا ننظر إليها حتى غابت، قال: قلت يا رسول الله.. أين تغرب؟ قال: تغرب فى السماء، ثم ترفع من سماء إلى سماء، حتى ترفع إلى السماء السابعة العليا، حتى تكون تحت العرش، فتخر ساجدة، فتسجد معها الملائكة الموكلون بها، ثم تقول: يارب من أين تأمرنى أن أطلع؟.. أمن مغربى أم من مطلعى؟ فذلك قوله عز وجل: ﴿والشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَها﴾ حيث تحبس تحت العرش ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ يعنى ذلك صنع الرب العزيز فى ملكه العليم بخلقه.

قال: فيأتيها جبرائيل - عليه السلام - بحلّة ضوء من نور العرش، على مقادير ساعات النهار فى طوله فى الصيف، أو قصره فى الشتاء، أو ما بين ذلك فى الخريف والربيع..

* قال: فتلبس تلك الحلّة، كما يلبس أحدكم ثيابه، ثم ينطلق بها فى جو السماء حتى تطلع من مطلعها، قال النبى ﷺ: «**فكأنها قد حبست مقدار ثلاث ليال، ثم لا تكسى ضوءًا، وتؤمر أن تطلع من مغربها. فذلك قوله عز وجل: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾**.

---

(١) الآثار الباقية ص ٤٢ وما بعدها، وعرائس المجالس ص ١٨ وما بعدها.

* قال: والقمر كذلك فى مطلعه ومجراه فى أفق السماء، ومغربه وارتفاعه إلى السماء السابعة العليا، ومحبسه تحت العرش وسجوده واستئذانه، ولكن جبرائيل - عليه السلام - يأتيه بالحلّة من نور الكرسى، قال: فذلك قوله عز وجل: ﴿جَعَلَ الشَّمسَ ضِياءً والقمرَ نُورًا﴾.

قال أبو ذَرّ: ثم عدلت مع رسول الله - ﷺ - فصلّينا المغرب.

فهذا الخبر عن رسول الله - ﷺ - ينبئ أن سبب اختلاف حالة الشمس والقمر. إنما هو أن ضوء الشمس من كسوة كَسيتها من ضوء العرش، وأن نور القمر من كسوة كسيها من نور الكرسى.

٢ - وهناك خبر آخر - مروى عن ابن عباس، يدل على غير هذا المعنى:(١)

ذلك ما حدّث به محمد بن أبى منصور، قال: حدثنا خلف بن واصل، قال: حدثنا أبونعيم، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، قال:

«بينا ابن عباس ذات يوم جالس، إذ جاءه رجل فقال: يا بن عباس.. سمعت العجب من كعب الأحبار، يذكر فى الشمس والقمر، قال: وكان متكئا فاحْتَفَز. ثم قال: وماذاك؟ قال: زعم أنه يُجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران، فيقذفان فى جهنم.

قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شفّة ووقعت أخرى غضبا، ثم قال: كَذِب كعب، كذب كعب، كذب كعب، ثلاث مرات، بل هذه يهودية يريد إدخالها فى الإسلام، الله أجلّ وأكرم من أن يعذّب على طاعته.. ألم تسمع قول الله - تبارك وتعالى:

﴿وسخَّرَ لَكُم الشَّمْسَ والقَمَرَ دَائِبَين﴾. إنما يعنى دؤوبهما فى الطاعة، فكيف يعذّب عبدين يثنى عليهما أنهما دائبان فى طاعته؟.

* ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله - ﷺ - يقول فى الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما؟ فقلنا: بلى رحمك الله..

فقال: إن رسول الله - ﷺ - سُئل عن ذلك، فقال: إن الله تبارك وتعالى. لما أبرم خلقه إحكاما فلم يبق من خلقه غير آدم، خلق شمسين من نور عرشه، فأما ما كان فى سابق علمه، أنه يدعها شمسا، فإنه خلقها مثل الدنيا، ما بين مشارقها ومغاربها، وأما ما كان فى سابق علمه أنه يطمسها ويحولها قمرا، فإنه دون الشمس فى العِظَم، ولكن إنما يرى صغرهما من شدة ارتفاع السماء وبُعدها من الأرض.

---

(١) عرائس المجالس ص ١٨ وما بعدها، والآثار الباقية ص ٤٣ وما بعدها.

قال: فلو ترك الله الشمسين كما كان خلقهما فى بدء الأمر، لم يكن يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل، وكان لا يدرى الأجير إلى متى يعمل ومتى يأخذ أجره، ولا يدرى الصائم إلى متى يصوم، ولا تدرى المرأة كيف تعتدّ، ولا يدرى المسلمون متى وقت الحج، ولا يدرى الديان متى تحل ديونهم، ولا يدرى الناس متى ينصرفون لمعايشهم، ومتى يسكنون لراحة أجسادهم..

وكان الرب عز وجل أنظر لعباده، وأرحم بهم، فأرسل جبرائيل - عليه السلام - فأمَرَّ جناحه على وجه القمر، وهو يومئذ شمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء، وبقى فيه النور، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنا اللَّيْلَ والنَّهارَ آيَتَيْن فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء ١٢].

قال: فالسواد الذى ترونه فى القمر شبه الخطوط فيه، فهو أثر المحو.

* ثم خلق الله للشمس عجلة من ضوء نور العرش لها ثلثمائة وستون عروة، ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكا من الملائكة من أهل السماء الدنيا، قد تعلّق كل ملك منهم بعروة من تلك العرى، ووكل بالقمر وعجلته ثلثمائة وستين ملكا من الملائكة من أهل السماء، قد تعلّق بكل عروة من تلك العرى مَلَك منهم..

ثم قال: وخلق الله لها مشارق ومغارب فى قطرى الأرض وكنفى السماء، ثمانين ومائة عين فى المغرب طينة سوداء، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ إنما هى حمئة سوداء من طين، وثمانين ومائة عين فى المشرق مثل ذلك طينة سوداء، تفور غليا كغلى القدر إذا ما اشتد غليها..

فكل يوم وليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد، ما بين أولها مطلعا، وآخرها مغربا، أطول ما يكون النهار فى الصيف، إلى آخرها وأولها مغربا أقصر ما يكون النهار فى الشتاء، فذلك قوله تعالى: ﴿رَبُّ المَشْرِقَيْنِ ورَبُّ المَغْرِبَيْنِ﴾ يعنى آخرها ههنا، وآخرها ثم. وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب، ثم جمعهما، فقال: ﴿رَبُّ المَشَارِق والمغَارِب﴾ فذكر عدة تلك العيون كلها.

* وخلق الله بحرًا دون السماء مقدار ثلاث فراسخ، وهو موج مكفوف، قائم فى الهواء بأمر الله عز وجل، لا يقطر منه قطرة، والبحار كلها ساكنة، وذلك البحر جار فى سرعة السهم، ثم انطلاقا فى الهواء مستويا كأنه جبل ممدود ما بين المشرق والمغرب، فتجرى الشمس والقمر والخُنّس فى لُجة غمر ذلك البحر، فذلك قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. والفَلَك دوران العجلة فى لُجة غمر ذلك البحر.

والذى نفس محمد بيده، لو بدت الشمس من ذلك البحر لأحرقت كل شىء فى الأرض حتى الصخور والحجارة، ولو بَدَا القمر من ذلك لافتتن أهل الأرض حتى يعبدوه من دون الله إلاّ من شاء الله أن يعصم من أوليائه.

قال ابن عباس: فقال علىّ بن أبى طالب، رضى الله عنه، بأبى أنت وأمى يارسول الله، ذكرت

مجرى الخُنّس مع الشمس والقمر، وقد أقسم الله بالخُنّس فى القرآن إلى ما كان من ذكرك.. فما الخنّس؟

قال ﷺ: يا علىّ.. هن خمسة كواكب: البرجيس، وزُحَل، وعطارد، وبهرام، والزُّهرة، فهذه الكواكب الخمس الطالعات الجاريات مثل الشمس والقمر العاديات معهما..

فأما سائر الكواكب فمعلقات من السماء كتعليق القناديل فى المساجد، وهى تحوم مع السماء دورانا بالتسبيح والتقديس، والصلاة لله.

ثم قال النبى - ﷺ - فإن أحببتم أن تستبينوا ذلك فانظروا إلى دوران الفَلَك مرة ههنا، ومرة ههنا، وإن لم تستبينوا الفلك، فالمجرّة وبياضها مرة من ههنا ومرة من ههنا، فذلك دوران الشمس والقمر، ودوران الكواكب معها كلها سوى هذه الخمسة، ودورانها اليوم كما ترون، فذلك صَلاَتها، ودورانها يوم القيامة فى سرعة دوران الرَّحَى من أهوال القيامة، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ يعنى تدور دورانا ﴿وتسير الجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور ٩، ١٠].

قال: فإذا طلعت الشمس، فإنها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون مَلَكا ناشرى أجنحتهم، يجرونها فى الفَلَك بالتسبيح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات النهار، والقمر كذلك على قدر ساعات الليل، ما بين الطول والقصر، فى الشتاء كان ذلك، أو فى الصيف، أو ما بينهما من الخريف والربيع.

فإذا أحب الله أن يبتلى الشمس والقمر، فيرى العباد آية من الآيات، فيستعتبهم رجوعا عن معصيته وإقبالا على طاعته خرّت الشمس من العجلة، فتقع فى غمر ذلك البحر، وهو الفَلَك.

فإذا أحب الله أن يعظم الآية ويشدد تخويف العباد، وقعت الشمس كلها، فلا يبقى منها على العجلة شىء، فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم، وهو المنتهى من كسوفها، فإذا أراد أن يجعل آية دون آية، وقع منها النصف أو الثلث أو الثلثان فى الماء، ويبقى سائر ذلك على العجلة، فهو كسوف دون كسوف، وبلاء للشمس أو للقمر، وتخويف للعباد، واستعتاب من الرب عز وجل..

فأى ذلك كان - صارت الملائكة الموكلون بعجلتها فرقتين، فرقة منها يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة، والفرق الأخرى يقبلون على العجلة فيجرونها نحو الشمس، وهم فى ذلك يجرونها فى الفلك بالتسبيح والتقديس والصلاة لله..

* والذى ترون من خروج الشمس أو القمر، بعد الكسوف، قليلاً قليلاً من غمر ذلك البحر الذى يعلوهما، فإذا أخرجوها كلها، اجتمعت الملائكة كلهم فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة، فيحمدون الله على ما قواهم لذلك، ويتعلقون بعُرَى العجلة، ويجرونها فى الفلك بالتسبيح والتقديس والصلاة لله، حتى يبلغوا بها المغرب، فإذا بلغوا بهاالمغرب أدخلوها تلك العين فتسقط من

أفق السماء فى العين(١).

فإذا ما غربت الشمس رُفع بها إلى السماء السابعة فى سرعة طيران الملائكة، وتحبس نحو العرش، فتستأذن من أين تؤمر بالطلوع من مغربها، أم من مطلعها وتكسى ضوءا.. وإن كان القمر فنُورًا على قدر ساعات الليل والنهار.

ثم ينطلق بها إلى ما بين السماء السابعة، وما بين أسفل درجات الجنان فى سرعة طيران الملائكة، فتنحدر حيال المشرق من سماء إلى سماء، فإذا وصلت إلى هذه السماء، فذلك حين ينفجر الفجر عن الصبح، فإذا انحدرت من بعض تلك النواحى، فذلك حين يضىء الصبح، فإذا وصلت إلى هذا الوجه من السماء، فذلك حين يضىء النهار. فتلك مطالعها ومغاربها، ما بين أولها عينا إلى آخرها عينا فى الطلوع والغروب، إلى آخرها عينا، فذلك تمام السنة، فعدة أيامها ولياليها ثلثمائة وستون ليلة.

وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة، فوضعه على البحر السابع مقدار عدة الليالى فى الدنيا، منذ خلقها الله تعالى إلى يوم تنصرف، فإذا كان عند غروب أقبل مَلَك من الملائكة الذين قد وكلوا بالليل، فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب، ثم يستقبل المغرب، فلاتزال تلك الظلمة تخرج من خلال أصابعه قليلا قليلاً وهو يراعى الشفق، فإذا غاب الشفق أرسل ظلمة جميعا، ثم ينشر جناحيه فيبلغان أقطار الأرض وكنفى السماء، ويجاوزان ما شاء الله خارجا فى الهواء، فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر ساعات الليل، فإذا بلغ المغرب أسفر الصبح من المشرق، فضم جناحيه، ثم يضم الظلمة كلها بعضها إلى بعض فيقبضها بكفيه، ثم يقبض عليها بكف واحد نحو قبضته التى تناولها من الحجاب بالمشرق، ثم يضعها عند المغرب على البحر السابع، فمن هناك ظلمة الليل إذا ما نقل ذلك الحجاب إلى المشرق وإلى المغرب(٢).

* فإذا نفخ فى الصور انقضت أيام الدنيا، فنور النهار من ضوء الشمس، وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب، فلا تزال الشمس والقمر كذلك، من مطلعها إلى مغربها إلى ارتفاعها إلى السماء السابعة إلى محبسها تحت العرش.. فيبكيان عند ذلك وَجَلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة، بكاء يسمعه أهل السبع سموات ومن دونها، وأهل سرادقات العرش ومن فوقها، فيبكون جميعا لبكائها لما خالطهم من خوف الموت وخوف يوم القيامة، فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربها.. فينادى مناد: ألا إن الشمس والقمر قد طَلَعَا من مغاربها، فينظر الناس إذا هم بها أسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر، مثلها فى كسوفها قبل ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمر﴾ فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين، ينازع كل واحد منها صاحبه استباقا.

---

(١) الآثار الباقية ص ٤٧.

(٢) عرائس المجالس ص ٢٢.

فإذا ما بلغ الشمس والقمر سُرّة السماء، وهي منتصفها –ُ جاءها جبريل – عليه السلام – فيأخذ بقرونها ويردهما إلى المغرب، فلا يغربها من مغاربها من تلك العيون، ولكن يغربها من باب التوبة.

فإذا قامت الساعة، قضى الله تعالى بين أهل الدارين، وميّز بين الفريقين، أهل الجنة والنار، وقبل أن يدخلوهما، يدعو الله تعالى بالشمس والقمر، فيُجَاء بهما أسودين، ولا نور لهما مكلّرين، قد وقعا في الزلازل والبلايا، وفرائصهما ترعد من هول يوم القيامة، ومن مخافة الرحمن تعالى.

فإذا كانا حذاء العرش، خَرَّا ساجدين لله تعالى، ويقولان: ياإلهنا.. قد علمت طاعتنا لك، ودأبنا في طاعتك، وسرعتنا للمضى فى أمرك أيام الدنيا، فلا تعذّبنا بعبادة المشركين إيانا، فقد علمت أنا لن ندعوهم إلى عبادتنا، ولم نذهل عن عبادتك، فيقول الله تعالى: «صدقتما إنى قد قضيت على نفسى أن أبدئ وأعيد، إنى أعيدكما إلى ما بدأتكما منه، فارجعا إلى ما خلقتكما منه، فيقولان ربنا مم خلقتنا؟ فيقول: خلقتكما من نور عرشى فارجعا إليه، فيلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الأبصار نورًا، فيختلطان بنور العرش[1].

---

(١) عرائس المجالس ص ٢٤، الآثار الباقية.

الفصل الثالث

ما بعد الزمن الكوكبى

وهذا هو النوع الثالث من أنواع الزمان.. ونقصد بالزمن (ما بعد الزمن الكوكبى) تلك الفترة الزمنية، التى جاءت بعد عملية خلق الكون، بسماواته وأرضه، وشمسه وقمره، وكواكبه، وتسيير كل هذه المخلوقات فى مساراتها التى حددها الله لها.. إلى أن يأذن بانتهاء كل العوالم الدنيوية، دليلًا وإرهاصًا على قيام الساعة.

وسنقف هنا عند ثلاثة أمور:

١ - الحديث عن أشراط الساعة.

٢ - الحديث عن قيام الساعة.

٣ - الحديث عن الحشر العظيم، والموقف الصعب فى عرصات القيامة.

- ١ -

أشـراط الساعة

هذا الكون الذى خلقه الله وأبدعه، يسبق هلاكه وفَنَاءه علاماتٌ وأشراط تُؤذن بقرب ذلك، وتحدد وقت دماره وخرابه.

وقد جاء الوحى الإلهى بذكر تلك العلامات وبيانها، ونبّه الرسول ﷺ، عليها، ولفت النظر إليها.

ففى القرآن الكريم: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً، فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد ١٨].

*** ومن أشراطها التى جاء الوحى بذكرها، بعثة النبى محمد ﷺ، وانشقاق القمر آية له.**

*** فأما بعثته ﷺ فقد كانت شرطًا من أشراط الساعة،** لأن نبوّته ختم الله بها سائر النبوات، فلا نبىّ بعده، وهذا إيذان بقرب نهاية الحياة، وفناء الدنيا، حيث لم تتطلب الفترة المتبقية من عمر الحياة لقصر زمنها، لم تتطلب تجديد التشريع ببعثة أنبياء آخرين. ولذا قال الرسول ﷺ:

«بُعِثْتُ أَنَا والسَّاعَةُ كهَاتَيْنِ وأَشَارَ إلى إصْبَعيه السَّبَّابة والوُسْطى وقَرَنَ بينهما»(١).

(١) رواه البخارى ٢٠٦/٦، ومسلم ٢٠٨/٨، وانظر اللؤلؤ والمرجان ٣١٤/٣.

* وأما انشقاق القمر، فقد كان شرطًا من أشراط الساعة، لأن الله – تعالى – ذكره مقرونًا بالإخبار باقتراب الساعة، فقال سبحانه:

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر ١، ٢]

وقد انشق القمر فعلاً على عهد النبى ﷺ، حيث طلبت منه قريش آية تدل على نُبوّته، فدَعَا الله، فانشق القمر فَلْقَتَيْنِ على جبل أبى قبيس، على مرأى من أهل مكة وهم ينظرون إليه»[1].

* ومن الظواهر الكونية الخارقة للعادة، التى ستظهر وتكون من علامات الساعة وأشراطها: ماجاء فى الوحى الإلهى، القرآن الكريم، من نزول عيسى بن مريم إلى الأرض، حَكَمًا عدلاً. قال تعالى: ﴿وَإِنَّه لَعِلْم للسَّاعَةِ فلا تَمْتَرُنَّ بها﴾. وذلك بعد الحديث عنه فى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ، وقَالوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَاضَرَبُوهُ لَكَ إلاَّ جَدَلاً، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُون، إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعمنا عَلَيه وجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِى اسْرَائِيلَ، ولَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِى الأَرْضِ يَخْلُفُونَ، وإِنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ. . . الآية﴾ [الزخرف ٥٧-٦١]

* ومن علامات الساعة: ظهور دابة عجيبة الخلق، تخرج إلى الناس، فتكلمهم فيفتنون بها أيما افتتان، قال تعالى:

﴿وإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِم أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بآياتِنا لا يُوقِنُون﴾ [النمل ٨٢]

* ومن علامات الساعة: انكسار سد يأجوج ومأجوج، وخروج تلك الأمة المفسدة المدمرة، لتعيث فى الأرض فسادًا، وتروّع الناس أيّما ترويع. إذ جاء ذلك فى قوله سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ وَهُم مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون، واقْتَرَبَ الوعْدُ الحَقُّ فَإِذَا هى شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كفروا..﴾ [الأنبياء ٩٦، ٩٧].

* هذا فى القرآن الكريم – وأما فى الحديث النبوى الشريف، وهو من وحى الله أيضا، فقد أخرج مسلم، من رواية حذيفة بن أَسَيْد الغفارى – رضى الله عنه، قال: «اطلع النبى– ﷺ– علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجّال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[2].

* وهذه العلامات الكبرى إذا ظهرت منها آية، تتابعت حتى لكأنها خَرَزَات فى خيط، متى

(١) انظر البخارى ٢٠٨/٣ ، ومسلم ١٣٢/٨.

(٢) صحيح مسلم ١٧٩/٨.

سقطت واحدة تتابع باقى الخرزات حتى تسقط عن آخرها، فى زمن وجيز محدد، وبرهة من الزمن قصيرة، كما أن العلامات الكبرى أولها ظهورًا. طلوع الشمس من مغربها، لحديث مسلم:

«إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضُحى، وأيها ماكانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا»(١).

كما أن – هذه العلامات الكبرى – إذا ظهرت منها علامة، أُغلق باب التوبة على الناس، فلم يقبل إيمان عبد بعدها لم يكن قد آمن من قبل، كما لم يُقْبَل منه خير لم يقدمه قبل رؤية الآية وظهورها، وذلك لقول الله تعالى:

﴿هَلْ يَنْظُرُون إلاّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلاَئِكَةُ، أَوْ يأْتِيَ رَبُّك، أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا ينْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أو كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام ١٥٨]

* وفى ذلك يقول النبى المصطفى – ﷺ – فيما رواه مسلم، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله – ﷺ – «ثلاث إذًا خرجن لا ينفع نَفْسًا إيمانُها. لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت فى إيمانها خيرًا، طلوع الشمس من مغربها، والدجّال ودابة الأرض»(٢).

* وروى البخارى «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت فى إيمانها خيرًا»(٣).

* وعلامات الساعة الكبرى ستسبقها علامات صغرى، وهى كثيرة، منها ماظهر حتى الآن، ومنها مالم يظهر بعد، ذكرها رسول الله – ﷺ..

* أما العلامات التى ظهرت، فمنها:

١ – قوله – ﷺ – فى رواية الصحيحين: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، وتكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة.(٤).

وهذه العلامة قد ظهرت – كما أخبر بها رسول الله – ﷺ – إذ المراد بالفئتين: علىّ رضى الله عنه ومن معه، ومعاوية ومن معه، رضى الله عنهم أجمعين، والمقتلة العظيمة كانت بصفّين.

٢ – قوله – ﷺ – فى رواية مسلم: «لا تقوم الساعة حتى يكثر الهَرْج، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «القَتْل.. القتل»(٥).

---

(١) صحيح مسلم ٢٠٢/٨.
(٢) صحيح مسلم ٩٥/١.
(٣) صحيح البخارى ١٣٢/٧.
(٤) صحيح البخارى ٢٤٣/٤، وصحيح مسلم ١٧٠/٨.
(٥) صحيح مسلم ١٧٠/٨.

وقد ظهرت هذه العلامة فعلاً، فإن الحروب التى تقع فى عصرنا، قتلاها لا يعدّون بالعشرات، ولا بالمئات، بل بالألوف.

٣ - قوله - ﷺ - فى رواية مسلم: «مَنَعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مُديها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعُدتم من حيث بدأتم»(١).

وهذه العلامة قد ظهرت كاملة، فقد ذهبت الخلافة الإسلامية منذ زمن، واستقل أهل العراق بعراقهم، وأهل الشام بشامهم، وأهل مصر بمصرهم، وانقطع ما كان يأتى أهل الحجاز من تلك البلاد من خراج وغيره، وعاد الأمر فى الحجاز كما كان قبل فتح تلك البلاد.

* وفى هذا الحديث آية من أعظم الآيات على صدق نبوة محمد - ﷺ - وثبوت رسالته، إذ أخبر بهذا الغيب والإسلام لم يتجاوز أرض الجزيرة العربية. فأخبر بأن العراق والشام ومصر، ستفتح وتكون دار إسلام، ويأتى منها الخير الكثير لأهل الحجاز، ثم بعد ذلك يطرأ عليها ما يجعلها تمنع ما كانت تعطيه لأهل الحجاز، فتم ذلك كله حرفيا، ولم يتخلف منه شىء قط.

٤ - وقوله -ﷺ- فى الصحيحين: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضىء أعناق الإبل ببُصْرَى»(٢).

* وقد ظهرت هذه العلامة كما أخبر - ﷺ - فقد احترقت الحَرَّة الشرقية من المدينة المنورة، واستمرت النار ملتهبة فيها مدة طويلة، ولهبها يرى من بصرى الشام، ومازالت حجارتها سوداء محترقة كالفحم إلى الآن، وكان ظهور هذه النار ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة من عام ٦٥٤ للهجرة.

٥ - وقوله - ﷺ - فى الصحيحين - «لا تقوم الساعة حتى تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ نِسَاء دَوْس على ذِى الخَلْصة، وذو الخَلْصة طاغية دُوس التى كانوا يعبدون فى الجاهلية»(٣).

أى لا تقوم الساعة حتى تتحرك أعجاز نساء دَوْس من الطواف حول ذى الخلصة، أى يكفرن ويرجعن إلى عبادة الأصنام، ومنها ذو الخَلْصة طاغية دوس.

قال ابن بطال: «وهذا الحديث وما أشبهه ليس المراد به أن الدين ينقطع كله فى جميع الأرض حتى لايبقى منه شىء، لأنه ثبت أن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة، إلا أنه يضعف ويعود غريبا كما بدأ».

* وهذه العلامة قد ظهرت وفق إخباره - ﷺ - فقد عادت الجاهلية إلى أرض الجزيرة

(١) صحيح مسلم ١٧٥/٨.
(٢) صحيح البخارى ٧٣/٩، وصحيح مسلم ١٨٠/٨، واللؤلؤ والمرجان ٣٠٥/٣.
(٣) متفق عليه، واللفظ لمسلم ١٨٢/٨، وهو فى صحيح البخارى ٧٣/٩، واللؤلؤ والمرجان ٣٠٦/٣.

العربية، قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فعبدت الأشجار والأحجار، وذبحت الذبائح، وأوقدت الشموع، ونذرت النذور للمزارات والأضرحة.

* وأما العلامات الصغرى، التى بدت بوادرها تلوح فى الأفق، فمنها:

١ - قوله - ﷺ - فى الصحيحين: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم.. يا عبد الله، هذا يهودى خَلْفِى فتعال فاقتله، إلا الغَرْقد فإنه من شجر اليهود»(١).

* وقد بدت بوادر هذه العلامة تلوح فى الأفق، فقد قاتل العربُ المسلمون اليهودَ فى عدة معارك فى أرض فلسطين، وسوف يستمر قتالهم حتى يكتب الله النصر للمسلمين.

٢ - وقوله -ﷺ-: «بادروا بالأعمال الصالحة، فإنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا، ويمسى كافرًا، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا.(٢)

* وقد أخذت هذه العلامة فى الظهور، ووقع لعدد كثير من الناس ما حمله هذا الخبر النبوى الصادق.

* وأما العلامات التى لم تظهر بعد، فمنها:

١ - قوله - ﷺ - فى الصحيحين: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»(٣).

وقوله يسوق الناس بعصاه كناية عن المُلْك، شبّهه بالراعى، وشبّه الناس بالغنم. ونكتة التشبيه التصرف الذى يملكه الراعى فى الغنم.

وهذه العلامة لم تظهر بعد

٢ - وقوله - ﷺ - فى الصحيحين: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفُرَات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه»(٤). وهذه العلامة لم تظهر بعد.

* وهناك آيات قريبة جدا من قيام الساعة، وهى:

١ - قوله - ﷺ - «لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم: تعال صَلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء،

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم ١٨٨/٨. والبخارى ٥١/٤.
(٢) صحيح مسلم ٧٦/١.
(٣) صحيح مسلم ١٨٣/٨، وصحيح البخارى ٧٣/٩، واللؤلؤ والمرجان ٣٠٧/٣.
(٤) صحيح مسلم ١٧٤/٨، وصحيح البخارى ٧٣/٩، واللؤلؤ والمرجان ٣٠٥/٣.

تكرمة الله هذه الأمة»(١).

٢ - وقوله - ﷺ - فى الصحيحين: «تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة، فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب، فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلوط حوضه،فما يصدر حتى تقوم»(٢).

٣ - وقوله - ﷺ - فى الصحيحين: «والله لينزلن ابن مريم حكمًا عادلا فليكسِّرَن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزْية، ولتتركُن القلاص فلا يُسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد»(٣).

٤ - وقوله - ﷺ - فى صحيح مسلم: «إن الله يبعث ريحا من اليمن، ألين من الحرير، فلا تدع أحدًا فى قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته»(٤).

٥ - وعن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله - ﷺ - «يطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوداء من قبل المغرب، مثل التُّرس، فلا تزال ترتفع فى السماء، وتنتشر حتى تملأ السماء، ثم ينادى منادٍ: «أيها الناس أتى أمر الله فلا تستعجلوه، قال رسول الله - ﷺ - فوالذى نفسى بيده إن الرجلين ينشران الثوب فلا يطويانه، وإن الرجل ليمدر حوضه فلا يسقى منه شيئا أبدًا، والرجل يحلب ناقته فلا يشربه أبدًا»(٥).

- ٢ -

الحديث عن قيام الساعة

إذا أَذِن الله تعالى - عظمت قدرته - بانقضاء الدنيا، وانقراض الكون، أمر إسرافيل - عليه السلام - أن ينفخ فى الصور نفخة واحدة للفناء، فيصاب الكون كله بخلخلة عنيفة، فتنحلّ بها كل الروابط، التى كانت تربط بين أجزاء الكون، فترتجّ الأرض رجا عنيفًا، وتتزلزل زلزالا مروّعا، وتندكّ مع جبالها دكًّا، فتصير هباء مُنْبثا.

* وهذه هى نفخة الفزع المشار إليها فى قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فى الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ [النمل ٨٧].

---

(١) صحيح البخارى ٢٠٤/٤، وصحيح مسلم ٩٤/١.

(٢) اللفظ لمسلم ٣١٠/٨، وللبخارى معناه ٧٤/٩.

(٣) متفق عليه، واللفظ لمسلم ٩٤/١، والبخارى ١٠١/٣، واللؤلؤ والمرجان ٣٠١/٣.

(٤) صحيح مسلم ٧٦/١.

(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

فيحصل الفزع للأحياء من أهل السماء والأرض ممن خلق منهم للفَنَاء لشدة ما يقع من هول تلك النفخة.

* ففي حديث الصُّور الطويل المشهور، عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال:(١):

«حدثنا رسول الله - ﷺ - «إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض، خَلَق الصُّور، فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه، شاخصا ببصره إلى العرش. ينتظر متى يؤمر.

قلت: يا رسول الله.. وما الصُّور؟ قال: القَرْن، قلت: أى شيء هو؟ قال: عظيم، والذى بعثنى بالحق، إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض، فينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفَزَع، والثانية: نفخة الصَّعْق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين. فيأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفزع، فينفخ فيفزع أهل السماء والأرض إلا من شاء الله، فيأمره فيمدها ويطيلها ولا يفتر، وهى التى يقول الله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُم وَهُمْ يَخِصِّمُون﴾ [يس ٤٩].

فيسيِّر الله الجبال، فتمر مرّ السحاب، فتكون سرابًا، وترتج الأرض بأهلها رجًّا، كالسفينة المرمية فى البحر، تضربها الأمواج، وكالقنديل المعلق بالعرش ترججه الرياح وهى التى يقول الله:
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ،قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَة﴾ [النازعات ٦-٨]

فيميد الناس على ظهرها، وتذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الأقطار، فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها، فترجع ويولى الناس مذبرين، مالهم من أمر الله من عاصم، ينادى بعضهم بعضا، وهو الذى يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ، يَوْمَ تُوَلُّون مُدْبِرِين مَالَكُم مِنَ الله مِنْ عَاصِم﴾ [غافر ٣٢، ٣٣].

فبينما هم على ذلك إذ تصدَّعت الأرض، فانصدعت من قطر إلى قطر، فرأوا أمرًا عظيما لم يروا مثله، وأخذهم لذلك من الكَرْب والهول ما الله به عليم، ثم نظروا إلى السماء، فإذا هى كالْمُهْل، ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها، وانخسفت شمسها وقمرها.. قال رسول الله - ﷺ - والأموات يومئذ لا يعلمون بشىء من ذلك.

قلت: يا رسول الله.. من استثنى الله تعالى فى قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ الله﴾؟.

قال: «أولئك الشهداء». وإنما يصل الفزع إلى الأحياء، وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم، وآمنهم منه، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه.

(١) الحديث مخرج فى تفسير ابن كثير ١٤٦/٢، والنهاية لابن كثير ١٧٢/١، واللوامع ١٦١/٢، وانظر الطبرانى فى المطولات، وفى مسند أبى يعلى، وفى البعث للبيهقى، وفى المطولات لأبى موسى المدينى، وفى كتاب الطاعة والعصيان لعلىّ بن معبد. وكلهم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

قال: وهو الذى يقول الله عز وجل:

﴿يـٰأَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيم، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَل كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَها، وتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارى ولِكنَّ عَذَابَ الله شَديد﴾ [الحج ١].

فيمكثون فى ذلك ما شاء الله.. (الحديث).

* وعن أُبَىّ بن كعب -رضى الله عنه- قال: «ست أيام قبل يوم القيامة بينما هم كذلك، إذا وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت واضطربت وفزعت الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحش، وماج بعضهم فى بعض، فذلك قوله تعالى:

﴿وإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَت﴾[التكوير ٥] أى اختلطت، ﴿وإِذَا العشَار عُطِّلت﴾ أهملت ﴿وإذا البحار سُجِّرت﴾ أى أوقدت فصارت نارًا تضرم.

قال أُبى: قالت الجن للإنس نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحر، فإذا هو نار تأجج، فبينماهم كذلك.. إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وانشقت السماء انشقاقة واحدة إلى السماء السابعة العليا، فبينماهم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم[١].

* **النفخة الثانية: .نفخة الصَّعْق.**

وفى النفخة الثانية، نفخة الصعق، هلاك كل شىء فى هذا العالم، وهى المشار إليها فى قوله تعالى: ﴿ويَوْمَ يُنْفَخُ فى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فى السَّمَوَاتِ وَمَن فى الأرْضِ إلاّ مَنْ شَاءَ الله﴾ [النمل ٨٧].

وفى حديث أبى هريرة السابق، قال رسول الله - ﷺ: «ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق، فيصعق أهل السموات والأرض ﴿أى يموتون﴾ إلاّ من شاء الله، فيقول الله، وهو أعلم بمن بقى، فمن بقى؟ فيقول: أى رب بقيت أنت الحى القيوم الذى لا يموت، وبقيت حملة العرش، وبقى جبريل وميكائيل، وبقيت أنا، فيقول الله تعالى: فليمت جبريل وميكائيل، فيموتان.

ثم يأتى مَلَك الموت إلى الجبار، فيقول: قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله تعالى: فليمت حملة العرش، فيموتون، فيأمر الله العرش أن يقبض الصُّورَ من إسرافيل، فيموت، ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار، فيقول: رب قد مات حملة العرش، فيقول - وهو أعلم بمن بقى - فمن بقى؟ فيقول: أنت الحى القيوم، الذى لا يموت، وبقيت أنا، فيقول: أنت خلق من خَلْقى، خلقتك لما رأيت، فمُتْ فيموت.

(١) النهاية لابن كثير ١٧٢/١. تفسير البغوى.

فإذا لم يبق إلّا الله الواحد القهار، طوى السماء والأرض كطيّ السجل للكتب، وقال: أنا الجبّار، لمن المُلْك اليوم - ثلاث مرات - فلم يُجِبْه أحد، ثم يقول لنفسه: لله الواحد القهار،

وتبدل الأرض غير الأرض والسموات، فيبسطها ويمدّها مدّ الأديم. لا ترى فيها عَوَجا ولا أمتا، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلّهِ الواحِدِ القَهَّار﴾[ابراهيم ٤٨] أى يوم تبدل الأرض على غير الصفة المألوفة المعروفة، كما جاء فى الصحيحين: قال رسول الله - ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عَفْرَاء كقرصة النقى ليس فيها معلم لأحد».

* وعن وهب - أن هؤلاء الأملاك الأربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. أول من خلقهم الله من الخلق، وآخر من يميتهم، وأول من يحييهم، وهم ﴿المدبرات أمرًا﴾ [النازعات٥] ﴿والمقسمات أمرًا﴾ [الذاريات ٤].

* وعن عكرمة - رضى الله عنه - قال: «كلتا يدى الله يمين فيطوى السموات فيأخذهن بيده، ثم يقول: «أنا الملك.. أين الجبّارون، أين المتكبّرون؟

قال عمر بن حمزة، فحدثت بهذا الحديث سالم بن عبد الله، فقال سالم: أخبرنى عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله - ﷺ: يطوى الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يطوى الأرضين ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون[١]؟

* النفخة الثالثة: نفخة البَعْث والنُّشور.

وإلى هذه النفخة يشير الكتاب العزيز، فى كثير من آياته الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿ونُفِخَ فى الصُّورِ فإذَا هُمْ من الأَجْدَاثِ إلى رَبِّهِم يَنْسِلُون﴾ [يس ٥١].

﴿ونُفِخَ فى الصُّورِ فَصَعِق مَنْ فى السَّمواتِ ومَنْ فى الأَرْضِ إلاّ مَنْ شَاءَ الله.. ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُون﴾ [الزمر ٦٨].

وهذه النفخة الثالثة - هى التى ينفخها إسرافيل فى الصُّور، وينادى: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفَصْل القضاء.

* وفى حديث أبى هريرة - رضى الله عنه، «ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر، فتمطر أربعين يوما، حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعا، فيأمر الله تعالى الأجساد أن تنبت كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم كما كانت، قال الله تعالى: ليحى حملة العرش، ليحى جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل، ثم يأمر الله تعالى اسرافيل فيأخذ الصُّور،

---

(١) رواه ابن عمر فى الصحيح، ورواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

فيضعه على فيه، ثم يدعو الأرواح فيؤتى بها. تتوهج أرواح المؤمنين نورًا، والأخرى ظُلمة، فيقبضها جميعا، ثم يلقيها فى الصُّور، ثم يأمره أن ينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كلها كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، ثم يقول الله تعالى: «وعزّتى وجلالى لترجعن كل روح إلى جسدها» فتدخل الأرواح من الخياشيم ثم تمشى مَشْىَ السُّم فى اللديغ، ثم تنشق الأرض عنهم سراعا، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعا إلى ربكم تنسلون ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ حفاة عُراة غُلفا غُرلا، فتقفون موقفا واحدًا، مقداره سبعون عاما، لا ينظر إليكم، ولا يقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع.. فيقول الكافرون والمنافقون حينئذ: ﴿يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ ويقول المؤمنون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾(١).

* وهذه المعلومات اليقينية، التى وردت فى أحاديث رسول الله - ﷺ - جاءت بها آيات قرآنية تؤيدها، وتتحدث عن كيفية المعاد، وبدء الحياة الثانية، وطريقة نشوئها، من مثل قوله تعالى: ﴿فإذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ، وحُمِلَتِ الأَرْضُ والجِبَالُ فدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَة، فيومَئِذٍ وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ، وانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فهى يَوْمَئِذٍ وَاهِيةٌ، والمَلَكُ على أَرْجَائِهَا ويَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فوْقَهُم يومَئِذٍ ثَمَانِية، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُم خَافِيةٌ﴾[الحاقة ١٣ - ١٨].

وقوله سبحانه: ﴿واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ المُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيب، يوم يَسْمَعُون الصَّيْحَةَ بالحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الخُرُوجِ، إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي ونُمِيتُ وَإِلَيْنَا المَصِيرُ، يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهم سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾[ق ٤١ - ٤٤].

وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ، خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ من الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُم جَرَادٌ مُنْتَشِر، مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ يَقُولُ الكَافِرُون هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[القمر ٦ - ٨].

وقوله عز شأنه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ، خَاشِعَةً أَبْصَارُهُم تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ، ذَلِكَ اليَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُون﴾[المعارج ٤٣، ٤٤].

* وروى أبو هريرة، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله - ﷺ: «ما بين النفختين أربعون، قال: أربعون يوما؟ قال: أَبَيْتُ قال: أربعون شهرًا؟ قال: أَبَيْتُ، قال: أربعون سنة؟ قال: أَبَيْتُ، قال: ثم يُنزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبتُ البقل، ليس من الإنسان شىء إلاّ يُبْلَى، إلا عظمًا واحدًا، وهو عَجَبُ الذَّنَب، ومنه يُرَكَّبُ الخَلْق يوم القيامة(٢)».

---

(١) للحديث روايات كثيرة مخرجة فى الصحيحين وغيرهما، وانظر تفسير ابن كثير ١٤٦/٢.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير ٧٨ باب سورة عم يتساءلون. وقوله: ما بين النفختين.. أى ما بين نفخة الإماتة ونفخة البعث، وأَبَيْتُ: أى امتنعت عن الإخبار بما لا أعلم. وعجب الذنب: عظم لطيف فى رأس العصعص بين الأليتين.

- ٣ -

الحديث عن الحشر والموقف الصعب فى عَرَصَاتِ القيامة

إن الحشر عبارة عن جمع الخلائق بعد بعثهم أحياء، فى ساحة واحدة هى عرصات القيامة، وذلك لفَصْل القضاء، والحكم فيما بينهم من أجل مجازاتهم.

فالناس إذا بُعثوا من قبورهم أحياء، حُفاة عُراة غُرلا، كما بدأ الله تعالى خَلْقهم أولا. يُعيده ثانيا، كما قال الحق سبحانه:

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِين﴾ [الأنبياء ١٠٤].

* وقال الرسول -ﷺ- فى الصحيحين: «يُحْشَر الناسُ يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النَّقى، ليس فيها علم لأحد»[١].

وقال -ﷺ- فى الصحيحين: «يُحْشَرُ الناسُ يوم القيامة حُفَاةً عُرَاة غُرْلاً قالت عائشة: يا رسول الله.. النِساء والرجال جميعًا، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال - ﷺ - «يا عائشة.. الأمر أشد من أن ينظر بعضُهم إلى بعض»[٢].

* وعن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال:

«يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، قياما أربعين سنة، شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء[٣]. وفى رواية: «يمكثون ألف عام فى الظلمة لا يتكلمون»[٤].

هذا وإن الخلائق من أهل السموات والأرض يقفون جميعا ذلك القدر من الزمن، يقفون على قدر أعمالهم، وتدنو الشمس منَ رؤوسهم، ويتصبب العَرَق منهم من شدة الهَوْل، وعظم وهج الشمس، وفظاعة حرِّها، تلك الحرارة التى لو اطلعت يوما من أيام الدنيا على الأرض كهيئتها يوم القيامة، لأحرقت الأرض، وأذابت الجوامد، وانشقت الأنهار.

* عن أبى هريرة - رضى الله عنه - «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعا، ويلجمهم العَرق حتى يبلغ آذانهم»[٥].

---

(١) اللفظ لمسلم ١٢٧/٨ والبخارى ١٣٥/٨، واللؤلؤ والمرجان ٢٧٥/٣.

(٢) اللفظ لمسلم ١٥٦/٨ والبخارى ١٣٦/٨.

(٣) فى الصحيحين، خرجه ابن أبى الدنيا، والطبرانى من عدة وجوه أحدها صحيح، والحاكم وقال: صحيح الاسناد.

(٤) أخرجه البيهقى عن أبى هريرة.

(٥) فى الصحيحين.

* وعن المقداد بن الأسود - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إذا كان يوم القيامة أُدْنِيَت الشمسُ من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين، قال: فتصهرهم الشمس فيكونون من العرق كقدر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عَقِبَيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاما»(١) قال: وأشار رسول الله بيده إلى فيه.

* وعن عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول:

«تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه ومنهم من يبلغ إلى العَجُز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ عنقه، ومنهم من يبلغ وسط فيه. وأشار بيده أَلْجمها فاه، رأيت رسول الله - ﷺ - يشير هكذا، ومنهم من يغطّيه عرقه، وضرب بيده وأشار.»(٢).

* أما عن طول يوم القيامة، الذى تحدث عنه القرآن فى قوله تعالى:

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج ٤].

* فعن أبى سعيد الخدرى، قال: قيل يا رسول الله: ﴿يوم كَان مِقْدَارُهُ خَمْسينَ أَلْفَ سَنَة﴾ ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله - ﷺ -: «والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يُصَلِّيها فى الدنيا»(٣).

* وعن أبى هريرة، عن النبى -ﷺ- قال: «يوم يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة، فيهون ذلك على المؤمن كتدلى الشمس للغروب إلى أن تغرب»(٤).

* وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج ٤٧].

قال ابن كثير -فى تفسيره - إن مقدار ألف سنة عند خلقه، كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه، يعنى يوم الجزاء(٥).

* وعن عبدالله بن عمرو، أنه أتى النبى - ﷺ - فقال: إنى سائلك عن ثلاث، فقال: سَلْ عما شئت، قال: كم مقام الناس بين يدى رب العالمين يوم القيامة؟ وما يشق على المؤمن فى ذلك المقام؟ وهل بين الجنة والنار منزل؟.

فقال ﷺ: أما قولك كم مقام الناس بين يدى رب العالمين. فألف سنة لا يؤذن لهم، وأما قولك: ما يشق على المؤمن فى ذلك المقام، فإن المؤمنين فريقان: فأما السابقون فكالرجلين

(١) رواه مسلم، ومثله عن أبى بكر بن أبى الدنيا، النهاية لابن كثير ٢٢٣/١.
(٢) رواه أحمد والطبرانى واسناد الطبرانى جيد.
(٣) رواه أحمد وأبو يعلى، ومجمع الزوائد ٢٣٧/١٠.
(٤) رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.
(٥) تفسير ابن كثير ٦٣٥/٤.

تناجيا فطالت نجواهما ثم انصرفا، فأدخلا الجنة، فقلت: ما أيسر هذا، أما قولك: هل بين الجنة والنار منزل؟ فإن بينهما حَوْضِي، شرفاته على الجنة، وتضرب شرفاته على النار، طوله شهر، وعرضه شهر، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه أقداح من فضة، وقوارير من شرب منه كأسا لم يجد عطشا ولاحزنا حتى يُقضى بين الناس»(١).

* هذا ويحشر الكافرون على وجوههم، لقوله تعالى:

﴿وَنَحْشُرُهُم يَوْمَ القِيَامَةِ على وُجُوهِهِم عُمْيًا وبُكْمًا وصُمًّا مَأْوَاهُم جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْنَاهُم سَعيرًا، ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُم كَفَرُوا بآياتِنا، وقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لمبْعُوثُون خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء ٩٧، ٩٨]

وقيل لرسول الله - ﷺ -: كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: أليس الذى أمشاه على رجليه فى الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟»(٢)

* ومع تبدل الأرض والسموات تتبدل قوى الإنسان وهيئته، وما حوله من موجودات..

* فأهل الكبر والغطرسة - كما جاء فى الحديث الشريف - أنهم يحشرون أمثال الذّر، يغشاهم الذُل من كل مكان، ويساقون إلى سجن فى جهنم يقال له «بولس» تعلوهم نار الأنيار، ويسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار.

* فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله - ﷺ - قال: «يحشر المتكبّرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى السجن فى جهنم يقال له بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»(٣).

* وعن أبى هريرة، رضى الله عنه مرفوعا، يُجَاء بالجبّارين والمتكبرين يوم القيامة رجال فى صورة الذر يطؤهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضى بين الناس..

قال: ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار، قيل: يا رسول الله.. وما نار الأنيار؟ قال: عصارة أهل النار»(٤).

* وعن جابر - رضى الله عنه - مرفوعا - «يبعث الله يوم القيامة ناسًا فى صور الذرّ، يطؤهم الناس بأقدامهم، فيقال.. ما هؤلاء فى صورة الذّر؟ فيقال: هؤلاء المتكبرّون فى الدنيا(٥).

* هذا وإن خلائق الله من أهل السموات والأرض ليقفون جميعا، يوم الحشر العظيم ذلك

(١) رواه الطبرانى، مجمع الزوائد ٣٣٧/١٠.
(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم ١٣٥/٨، والبخارى ١٣٧/٦، واللؤلؤ والمرجان ٢٨٢/٣.
(٣) رواه النسائى والترمذى، والنهاية لابن كثير ٢٢٧/١.
(٤) رواه الإمام أحمد فى كتاب الزهد، والنهاية ٢٢٧/١.
(٥) رواه البزار.

القدر من الزمن، الذى حدده القرآن والحديث النبوى.. يقفون على قدر أعمالهم، ينتظرون حساب ربهم، وتدنو الشمس من رؤوسهم، ويتصبب العرق منهم من شدة الهول، وعظم وهج الشمس، وفظاعة حَرّها، تلك الحرارة التى ذكر رسول الله - ﷺ - عنها «أنها لو اطلعت يوما من أيام الدنيا على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقتها، وأذابت جوامدها، وجففت مياهها.. عندئذ ﴿تُبدَّل الأرْضُ غَيْرَ الأرْضِ﴾ وذلك بأن تسير على الأرض جبالها، وتفجر بحارها، وتسوى ببسطها ومدها مدّ الأديم، فلا يرى فيها عوج ولا أَمَت، وتبدل السموات بانتثار كواكبها، وكسوف شمسها، وخسوف قمرها، وانشقاقها، وكونها أبوابا».

* ومعنى هذا - أن الأرض تكون فى صفة غير الصفة التى فارقتها الخليقة، فهى قد دُكّت جبالها، وزالت تلالها، وتغيرت أحوالها، وانقطعت أنهارها، وبادت أشجارها، وسجرت بحارها، وتساوت مهادها ورباها، وخربت مدائنها وقراها، وقد زلزلت زلزالها، وأخرجت أثقالها، وقال الإنسان ما لها..

وكذلك السموات قد تبدلت، ونجومها انكدرت، وانتثرت، ونواحيها قد تشققت، وأرجاؤها قد انفطرت، والملائكة على أرجائها قد أحدقت، وشمسها وقمرها مكسوفان بل ومخسوفان.

* عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: يخرجون فينظرون الأرض غير الأرض التى عهدوا وإلى الناس غير الناس الذين عهدوا، ثم قال متمثلا:

* فَمَا النَّاسُ بالنَّاسِ الذينَ عَهِدتُهم ** وَلَا الدَّارُ بالدَّارِ التى كُنْتَ تَعْرِفُ(١)

* فى عرصات يوم القيامة، والناس ينتظرون حسابهم، يبلغ منهم العطش مبلغه، حيث يقومون من قبورهم عطاشا، لا يجدون ما يشفى غليلهم من الظمأ سوى حوض النبى - صلى الله عليه وسلم - المسمى بالكوثر، وبالمورود يرده المؤمنون به، العاملون بسنته، السالكون نهجه وطريقته، ويُذاد عنه المجرمون الذين بدّلوا دينه، وغيروا طريقته، وانحرفوا عن نهجه القويم إلى البِدَع والأضاليل.

* الحساب والميزان:

ثم إن الحساب يدور على محتويات الكتب التى يُعطاها كل فرد من أفراد الناس فى ساحة فصل القضاء، ويقرؤها كل واحد من أهل الموقف، وسواء مَنْ كان يقرأ منهم، ومَنْ لم يكن يقرأ، ويختلف إعطاؤهم تلك الكتب، وتلقيهم لها، إذ منهم من يُعطى كتابه بيمينه، ومن أمامه، ومنهم من يُعطى كتابه بشماله، ومن وراء ظهره، وبمجرد إلقاء نظرة على محتوى الكتاب يعلم صاحبه بمصيره، ويعلن على الفور عن فوزه وفرحه وسروره. أو عن خيبته وحزنه وخسرانه.

---

(١) النهاية لابن كثير ٢٢٨/١.

يقول الحق سبحانه فى بيان هذا وتقريره:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا، وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ [الانشقاق ٧-١٢]

ويقول عز وجل:

﴿فَأَما مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقرءُوا كِتَابِيَه، إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ، فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَاضِيَة، فِي جَنَّةٍ عَالِيَة، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُم فِى الأَيَامِ الخَالِيَة ..﴾.

﴿وأَمَّا مَنْ أُوتِى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ، يَالَيْتَها كَانَتِ القَاضِيَة، ما أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ، هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة ١٩ - ٢٩].

* ومنهم من يحاسب حسابًا عسيرًا، يستنطق الفرد، ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة، فإن أجاب بالصدق والحق فبها ونعمت، وإن حاول الكذب أو الكتمان فإنه يغتم على فمه، وتستنطق جوارحه، فتنطق بالذى عمل فى دنياه، ولا تخفى شيئًا، فيلومها على نطقها وشهادتها عليه، فيكون ردها عليه بقولها- الذى حكاه القرآن ﴿أَنْطَقَنَا الله الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شىء﴾ [فصلت ٢١]

ويقول الله عز وجل فى بيان هذه الحقيقة:

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيهِمْ أَلْسِنَتُهُم وأَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور ٢٤]

* ويجرى هذا الاستجواب والاستنطاق فى جو رهيب للغاية، إذ تقوم فيه الأشهاد، ولا يؤذن للمرء فى الاعتذار فيعتذر، ولاتُقبل من ظالم معذرة، وتُعرض الأعمال- فى ذلك اليوم- عرضا حيا ناطقًا، فسيرى المرء عمله وهو يباشره.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُم، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾ [الزلزلة ٦-٨].

* وبينما الخلائق فى هذا الموقف العظيم، والمحشر الرهيب، خاشعين خاضعين باكين، يتقدم الناس واحدًا واحدًا للحساب، فمنهم من يحاسب حسابًا يسيرًا، وهو العَرْض، الذى قال الرسول - ﷺ - فيه لعائشة - رضى الله عنها:

«مَنْ حُوسب يوم القيامة عُذِّب» فقالت: أليس الله عز وجل يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فقال لها: «ليس ذاك الحساب، إنما قال العَرْض، ومن نُوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب»(١).

* وفى معنى محاسبة الله تعالى عباده، أقوال أصحّها.. أن الله تعالى يكلّم عباده فى شأن أعمالهم، ومالها من الثواب، وما عليها من العقاب، لما فيه من صحيح الأخبار، وصريح الآثار:

(١)متفق عليه واللفظ لمسلم ١٦٤/٨، والبخارى ٣٦/١، واللؤلؤ والمرجان ٢٩٩/٣.

* فعن أبي هريرة - رضى الله عنه- أن رسول الله - ﷺ - قال:

«لا تزول قدما عَبْدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال، عن عمره فيم أفناه، وعن علمه وما عَمِل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»(١).

* وفي حديث عبدالله بن أنيس، رضى الله عنه، أنه سمع النبى - ﷺ - يقول:

«يحشر الله العباد يوم القيامة أو قال- الناس، عُراة غُرلا بُهما، قال: قلنا: وما بُهْما؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب، أنا الملك.. أنا الديَّان، لا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حَقٌّ حتى أقضيه منه ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه منه حتى اللطمة.

قال: وكيف وأنا نأتى عُراة غرلا بُهما؟ قال: الحسنات والسيئات»(٢).

* وعن الحسن قال: سمعت أبا موسى الأشعرى - رضى الله عنه، يقول:

قال رسول الله - ﷺ - «يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فَعرضَتَان جدال ومعاذير، وعرضة تطاير الصحف، فمن أوتى كتابه بيمينه، وحُوسب حسابًا يسيرًا دخل الجنة. ومن أوتى كتابه بشماله دخل النار»(٣).

وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك أنه أنشد ذلك شعرًا:

وطَارَت الصُّحُفُ فى الأَيْدِى مُنَشَّرة ... فِيهـا السَّرائـرُ والأَخْبَـارُ تَـطَّلِعُ
فكَيْفَ سَهْـوكَ والأَنْبـاء وَاقِعَـةٌ ... عمَّا قَليل ولا تَـدْرِى بما تَقَـعُ
أفى الجِنَانِ وَفوزٌ لَا انْقَـطاعَ لَهُ ... أَمْ الجَحِيم فـلا تُبْقِى ولا تـدَعُ
تَهْـوِى بِسَاكِنِهـا طَوْرًا وتَـرْفَعهُم ... إذَا رَجَوْا مَخْرَجًا من غَمِّها قَمَعُوا
طالَ البكاءُ فَلَمْ يَرْحَم تَضَرُّعُهم ... فِيهَـا وَلَا رقية تُغْنِى ولا جَـزَعُ
لينفع العلم قَبْلَ المـوْتِ عالمـه ... قَدْ سَأل قومٌ بها الرُّجْعَى فما رَجَعُوا

* الميزان:

وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فلهذا كان بعد المحاسبة، إذ المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها(٤) فينصب الميزان، وهو

---

(١) رواه الإمام أحمد.
(٢) رواه الإمام أحمد والترمذى وأبو بكر بن أبي الدنيا.
(٣) العقيدة الطحاوية ص٤٠٧.
(٤) المصدر السابق ص٤٠٨.

حِسّى حقيقى، له لسان وكفّتان، توزن به أعمال العباد، كما جاء به القرآن الكريم، ووضحته السنة المطهرة. قال تعالى:

﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفسٌ شَيْئًا وَإِنْ كانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء ٤٧]

* وقال عز وجل: ﴿والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ، ومَنْ خَفّتْ مَوَازِينُهُ فأُولَئِكَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم بِمَا كَانُوا بآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف ٨، ٩].

* وجاء فى السنة المطهرة – فى حديث البطاقة: فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شىء بسم الله الرحمن الرحيم.

* وفى خاتمة صحيح البخارى، قوله -ﷺ-: «كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان فى الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

* وقد اختلف العلماء هل الذى يوزن العمل أو صاحبه؟

فقيل: الأعمال، وإن كانت أعراضًا إلاّ أن الله يقلبها يوم القيامة أجسامًا.

قال البغوى: يروى هذا عن ابن عباس، كما جاء فى الصحيح – من أن «سورتى البقرة وآل عمران تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان، أو فرقان من طير صواف».

* ومن ذلك – ماقى الصحيح، قصة القرآن، وأنه «يأتى صاحبه فى صورة شاب شاحب اللون، فيقول: من أنت؟ فيقول: «أنا القرآن الذى أسهرت ليلك وأظمأت نهارك».

* وفى حديث البراء، فى قصة سؤال القبر: «فيأتى المؤمن شاب حسن اللون، طيب الريح، فيقول: من أنت؟ فيقول: «أنا عملك الصالح» ، وذكرَ عكسه فى شأن الكافر والمنافق.

* وقيل: يوزن كتاب الأعمال، كما جاء فى حديث البطاقة ما يدل على ذلك.

* وقيل: يوزن صاحب العمل مع عمله، ويشهد له ماروى البخارى، عن أبى هريرة، رضى الله عنه، عن النبى -ﷺ- قال: «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يَزِن عند الله جناح بعوضة» قال: اقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا نُقِيم لَهُم يَوْمَ القيامةِ وَزْنًا﴾ [الكهف ١٠٥]

* وروى الإمام أحمد، عن ابن مسعود، أنه كان يجنى سواكًا، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفيه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله – ﷺ – «ممَّ تضحكون؟» قالوا: يانبى الله من دقة ساقيه، فقال: «والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أحد».

* وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار، بأن يكون ذلك صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها.

* الصراط:

وبعد أن توزن الأعمال، ويعرف السعيد من الشقى، إذ الصراط منصوب على متن جهنم. وهو جسر دقيق بين الجنة والنار. قال رسول الله - ﷺ فى وصفه: «إنه أدقّ من الشّعر وأَحَدّ من السَّيْف»(١).

وقد ثبت فى الصحيح، أن الخلائق بعد الحشر والحساب، يكونون على الصراط، وفى الظلمة دونه.

* سألت عائشة رضى الله عنها - النبى - ﷺ: «أين يكون الناس يوم تبدل الأَرض غير الأرض والسموات؟ قال: على الصراط»(٢).

* وعن ثوبان - رضى الله عنه - أن حَبْرا من اليهود سأل النبى - ﷺ أين يكون الناس (يوم تبدلُ الأرضِ غير الأَرْضِ والسَّموات؟) قال: هم فى الظلمة دون الجسر(٣).

ويمكن الجمع بين الحديثين، بأن الظلمة دون الجسر، حكمها حكم الجسر، وفيها تقسيم الأنوار للجواز على الجسر، فقد يقع تبديل الأرض والسموات وطىّ السماء من حين وقوع الناس فى الظلمة، ويمتد ذلك إلى حال المرور على الصراط(٤).

* والصراط عقبة كبيرة فى طريق الذاهبين إلى دار السلام، وممرّ خطير للغاية، يشهد لخطورته أن رسول الله ﷺ يقف على جنباته والناس يمرّون وهو يدعو: «ربِّ سَلِّم سَلِّم». ويكون مرور الناس بحسب أعمالهم فى الدنيا، فمنهم مَنْ يمر بسرعة مدهشة حتى لكأنه البرق الخاطف، ومنهم من يمرّ دون ذلك إلى أن ينجو من ينجو ولَوْ حَبْوا على يديه وركبتيه، ويهلك من يهلك بسقوطه فى جهنم، دار الشقاء والهوان، والبوار والخسران.

وقد تحدث الرسول - ﷺ - عن الصراط، فى معرض حديثه عن الشفاعة العظمى، والمقام المحمود، الذى وعده به ربه - تبارك وتعالى - فى قوله عز وجل: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء ٧٩].

فقال: «فيأتون محمدًا - ﷺ - فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت: بأبى وأمى أى شىء كمرّ البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفة عين، ثم كمرّ الريح، ثم كمر الطير، وأشد الرجال تجرى بهم

(١) رواه مسلم فى صحيحه من رواية أبى سعيد الخدرى.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) التخويف لابن رجب ص ١٣٦.

أعمالهم، ونبيّكم قائم على الصراط.

يقول: «ربِ سَلِّم سَلِّم»، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلَّا زحفا، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب مُعَلَّقة، مأمورة بأخذ من أُمِرَت به، فمخدوش ناجٍ، ومكدوس في النار[1]».

ثم بعد أن يجتاز المؤمنون الصراط بسلام وأمان من الوقوع في النار، يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، لتهذيبهم وتطهيرهم من كل ما كان بينهم من عداوات أو شحناء، أو حقوقهم لبعضهم على بعضٍ، ثم بعد ذلك يؤذن لهم بدخول الجنة .فيدخلون.

* روى البخاري في صحيحه، حديث القنطرة، فقال: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا، أُذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أَهْدَى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا[2]».

---

(١) أخرجه مسلم ١٢٩/١.

(٢) صحيح البخاري ١٣٨/٨، ١٥٨/٣.

الفصل الرابع

الزمن النّفسى

النوع الرابع من أنواع الزمان التى سنقف عندها هو الزمان النفسى والمقصود بالزمان النفسى.. الزمان الذى يبدو فيه إحساس الإنسان بطول الزمن أو قصره.

ونستطيع أن نجد له مثلا فى ما جاء فى القرآن الكريم من حوار يدور يوم القيامة ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُم فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنين، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أو بَعْضَ يَوْمٍ فاسْأَلِ العَادِّين، قَالَ إن لَبِثْتُم إلاّ قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كنتم تَعْلَمُون، أَفَحَسِبْتُم أَنَّماَ خَلَقْنَاكُم عَبَثًا وأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُون﴾ [المؤمنون ١١٢-١١٥].

يقول الله تعالى للكفار على سبيل التبكيت والتوبيخ: كم مكثتم فى الدنيا وعمرّتم من السِّنين؟ ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أى مكثنا يوما أو أقل من يوم.. ﴿فاسأَلِ العَادِّين﴾، أى الحاسبين المتمكنين من العَدّ.

* قال ابن عباس: أنساهم ما كانوا فيه من العذاب المدة التى لبثوها ﴿قَالَ إنْ لَبِثْتُم إلاّ قَلِيلاً﴾ أى ما أقمتم حقا فى الدنيا إلاّ قليلا.

قال الرازى: كأنه قيل لهم: صدقتم ما لبثتم فيها إلاّ قليلاً، فقد انقضت ومضت.

والغرض: تعريفهم قلة أيام الدنيا فى مقابلة أيام الآخرة ﴿لَوْ أَنكُمْ كُنتُم تَعْلَمُون﴾.

* روى ابن أبى حاتم – بإسناده – قال: قال رسول الله – ﷺ: إن الله إذا أدخل أهلَ الجنةِ الجنة، وأهلَ النارِ النار، قال: يا أهل الجنة، كم لبثتم فى الأرض عدد سنين؟ قالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم، قال: لنعم ما اتّجرتم فى يوم أو بعض يوم رحمتى ورضوانى وجنتى، امكثوا فيها خالدين مخلدين، ثم قال: يا أهل النار.. كم لبثتم فى الأرض عدد سنين؟ قالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم، فيقول: بئس ما اتجرتم فى يوم أو بعض يوم، نارى وسَخَطى امكثوا فيها خالدين[1]».

إن الزمان فى الحديث النبوى مقاييس معلومة، ومقاييس مجهولة، سابقة ولاحقة وإحساس به قصرًا أو امتدادًا، يطغى على القياس المعلوم.

وليس الزمان وحده هو المتغير، فهذا التبدّل فى المقياس والإحساس لا يقتصر على الزمان، فللإنسان – فى القرآن وكما وضّحه الحديث – وجود لا حق لوجود الزمان الفلكى المعروف، ومع

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ تفسير الآية.

تبدل الأرض والسماوات، تتبدّل قوى الإنسان، وما حوله من موجودات. ففي قوله تعالى - في وصف البصر يوم القيامة:

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[ق ٢٢] أى لقد كنت أيها الانسان فى غفلة من هذا اليوم العصيب ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ أى فأزلنا عنك الحجاب، الذى كان على قلبك وسمعك وبصرك فى الدنيا، ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أى فبصرك اليوم قوى نافذ ترى به ما كان محجوبا عنك لزوال الموانع بالكلية.

* حكى ابن جرير ثلاثة أقوال فى المراد بهذا الخطاب[٢]:

أحدها: أن المراد بذلك الكافر، رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس - رضى الله عنهما.

والثانى: أن المراد بذلك كل أحد من برّوفاجر، لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة، والدنيا كالمنام، وهذا اختيار ابن جرير، ونقله عن حسين بن عبد الله عن ابن عباس.

والثالث: أن المخاطب بذلك النبى - ﷺ، وبه يقول زيد بن أسلم.

والظاهر من السياق خلاف هذا، بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو، والمراد بقوله: ﴿لَقَدْ كُنتَ فى غَفْلَةٍ من هذا﴾ يعنى من هذا اليوم ﴿فكَشَفْنَا عنكَ غِطَاءَكَ فبَصَرُك اليومَ حَدِيد﴾ أى قوى، لأن كل أحد يوم القيامة يكون مستبصرا حتى الكفار فى الدنيا، يكونون يوم القيامة على الاستقامة، لكن لا ينفعهم ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وأَبْصِرْ يَوْمَ يأْتُونَنَا﴾[مريم ٣٨].

وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِم عِنْدَ رَبِّهِم، رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وسَمِعْنَا فارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إنَّا مُوقِنُون﴾ [السجدة ١٢].

* وفى قوله تعالى عن جزاء المؤمنين، وما ينعمون به فى الجنة.. ﴿وبَشِّر الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهاَ الأنْهَارُ، كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرةٌ وهُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ [البقرة ٢٥].

قال المفسرون: إن أهل الجنة يرزقون من ثمارها، تأتيهم به الملائكة، فإذا قُدم لهم مرة ثانية قالوا: هذا الذى أتيتمونا به من قبل، فتقول الملائكة: كُلْ يا عبدالله، فاللون واحد، والطعم مختلف ﴿وأُتُوا به مُتَشَابِهًا﴾ أى متشابها فى الشكل والمنظر، لا فى الطعم والمخبر.

قال ابن جرير: يعنى فى اللون والمرأى وليس يشبهه فى الطعم.

وقال ابن عباس: لا يشبه شىء مما فى الجنة ما فى الدنيا إلّا فى الأسماء.

قال ابن كثير[٢]: ﴿وبشر الذين آمنوا...﴾ الآية فوصفها بأنها تجرى من تحتها الأنهار، أى

(١) تفسير ابن كثير ٢٢٥/٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٦٢/١.

من تحت أشجارها وغرفها.

* وقد جاء فى الحديث: «إن أنهارها تجرى من غير أخدود، وجاء فى الكوثر: أن حافتيه قباب اللؤلؤ المجوّف، ولا مُنَافَاة بينهما، فطينها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر.

وقال ابن أبى حاتم، بإسناده إلى أبى هريرة، قال: قال رسول الله -ﷺ- «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبال المسك».

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرةٍ....﴾ الآية روى أبو صالح عن ابن عباس، وعن مُرّة عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة، قالوا: ﴿هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قال: إنهم أتوا بالثمرة فى الجنة، فلما نظروا إليها قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا.

* وروى ابن أبى حاتم - بإسناده - قال: عُشْب الجنة الزعفران، وكُثْبَانها المِسْك، ويطوف عليهم الولدان بالفواكه، فيأكلونها ثم يؤتون بمثلها فيقول لهم أهل الجنة: هذا الذى أتيتمونا آنفا به، فتقول لهم الولدان: كُلُوا فاللون واحد والطعم مختلف، وهو قوله تعالى: ﴿وَأُتُوا به مُتَشَابِهًا﴾.

* وقد ورد فى صفة الجنة ونعيمها وأهلها أحاديث كثيرة:

* روى أبو هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «قال الله: أَعْدَدتُ لعبادى الصالحين ما لَا عَيْن رأت، ولا أُذُن سَمِعت، ولا خَطَر على قلب بَشَر، فاقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْس ما أُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُن﴾(١).

* وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - قال: «إن فى الجنّة لشجرة يسيرُ الرَّاكبُ فى ظِلِّها مائة عام لا يقطعها(٢)».

* وفى وصف الجنة، جاء فى القرآن أن عرضها عرض السموات والأرض، يقول عز وجل: ﴿وسَارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَواتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ للمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران ١٣٣] وقد نبّه جل شأنه على أن سعة طولها لا تقف عند حد.

- روى أنه قيل للنبى المصطفى - ﷺ - إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟

فقال: سُبْحَان الله.. فأين الليلُ إذا جاء النهار؟، وهو يشير إلى قدرة الله التى لا نهاية لها، وأنه - سبحانه وتعالى - لا نهاية لسعة مملكته فى الدنيا والآخرة.

قال ابن عباس: «تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض، كما تبسط الثياب، ويوصل

---

(١) أخرجه البخارى فى باب ما جاء فى صفة الجنة - كتاب بدء الخلق ٥٩.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير، سورة الواقعة باب (وظل ممدود).

بعضها ببعض، فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلّا الله».

* ويصف رسول الله - ﷺ - غُرَف الجنة، بقوله: «إن فى الجنة لغرفًا يُرى ظُهُورها من بُطُونها، وبطونها من ظهورها»، فقام إليه أعرابى فقال: لمن هى يا رسول الله؟ فقال: هى لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى لله بالليل والناس نيام».

* وروى أبو سعيد الخُدْرى، عن النبى - ﷺ - قال:

«إنَّ أهل الجنة يَتَراءَيُون أهْلَ الغُرف من فوقهم، كما يتراءَيُون الكوكب الدُّرّى الغابر فى الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله؟ تلك منازل الأنبياء لا يَبْلُغُها غيرُهم، قال: «بَلَى، والذى نفسى بيده رجالٌ آمنوابالله وصدّقوا المرسلين»[١].

* وعن أبواب الجنة يقول النبى المصطفى - ﷺ -:

«وإن لدار النعيم ثمانية أبواب.. ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أوفيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، إلّا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها يشاء»[٢].

* وأحَدُ هذه الأبواب يسمى «الرَّيّان» وهو خاص بالصائمين.[٣].

* وهناك باب خاص بالذين لا يُحاسبون من أمة محمد - ﷺ - كما جاء فى حديث الشفاعة[٤].

* وأبواب الجنة فى منتهى الاتساع والضخامة، حتى أن ما بين مصراع الباب مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليهن يوم وهو كظيظ من الزحام[٥].

وقد أخبر الرسول - ﷺ - أن حَلْق تلك الأبواب مكونة من ياقوت أحمر. قائمة على صفائح من ذهب، يقول - ﷺ - فيما رواه مسلم عن أهل الجنة: «وينتهون إلى باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح من الذهب»[٦].

* وفى الجنة أشجار كثيفة، وارفة الظلال، أعظمها شجرة عظيمة عند باب الجنة، ينبع من أصلها عينان، يقول النبى - ﷺ -:

«فإذا شربوا من إحداهما جَرَت فى وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضأوا من الأخرى، لم تشعث أشْعَارُهم أبدًا»[٧].

---

(١) أخرجه البخارى فى ٥٩ كتاب بدء الخلق، وباب ما جاء فى صفة الجنة وأنها مخلوقة.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه مسلم ١٥/٨.
(٦) وانظر الترغيب والترهيب للنذرى ٤٩٤/٤.
(٧) الترغيب والترهيب ٤٩٤/٤.

* ويقول - ﷺ - عن النخيل المنتشر فى الجنة..

«ونخل الجنة، جذعها من زمرد أخضر، وكَرْبها ذهب أحمر، وسَعَفُها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدِّلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألْيَن من الزبد، ليس مِنها عجم (أى نوى)(١)».

* وفى الجنة أنهار أربعة، هى مصدر ومنبع كل أنهار الجنة، إنها نهر الماء، ونهر اللبن ونهر الخمر، ونهر العسل، وقد ورد ذكر هذه الأنهار فى قول رب العزة:

﴿مَثَلُ الجَنَّةِ التى وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيرِ آسِنٍ، وأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لم يَتَغَيَّرْ طَعْمُه، وأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ للشَّارِبينَ، وأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد ١٥].

ومن بين أنهار الجنة العظيمة «نهر الكوثر» وهو النهر الذى خُصَّ به النبى المصطفى -ﷺ- وأُمته، وهو من أعظم أنهار الجنة وأحسنها، نزل الوعد به فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَر﴾: يقول النبى -ﷺ- فى وصفه - وقد شاهده فى رحلة الإسراء والمعراج:

«بينما أنا أسير فى الجنة، إذ أنا بنهر حافّتاه قباب الدُّرّ المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هو نهر الكوثر الذى أعطاك ربك، قال: فضرب المَلَك بيده، فإذا طينه مِسْك أذفر»(٢).

ويقول عنه - ﷺ -: «الكوثر نهر فى الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تُربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج»(٣).

* وعن طعام وشراب أهل الجنة، يقول الرسول الكريم -ﷺ-:

«إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة، لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم، مع كل خادم صحفتان، واحدة من ذهب، والأخرى من فضة، فى كل واحدة لون ليس فى الأخرى مثله، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، يجد لآخرها من الطيب واللذة مثل ما يجد لأولها، ثم يكون ذلك ريح المسك الأذفر، لا يبولون، ولا يَتَغَوَّطُون، ولا يمتخطون»(٤).

* وعن نساء الجنة يحدثنا الرسول -ﷺ- فيقول:

«لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينها ريحا، ولأضاءت ما بينها، ولَنَصِيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»(٥).

ويقول أيضا: «لو امرأة من نساء الجنة أشرفت لملأت الأرض ريح مِسْك، ولذَهَب ضوء الشمس والقمر.»(٦).

(١) الترغيب والترهيب ٥٢٣/٤
(٢) رواه البخارى ١٤٩/٨.
(٣) الترغيب والترهيب ٥١٧/٤.
(٤) الترغيب والترهيب ٥٠٨/٤.
(٥) رواه البخارى ٢٠/٤.
(٦) الترغيب والترهيب ٥٣٣/٤ ورواه الطبرانى فى الأوسط.

* وهنا سؤال يطرح نفسه.. هل الحور العين هن نساء الدنيا أو غيرهن؟

نقول: جاء فى القرآن العظيم، فى وصفهن:

﴿إنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً، فجَعَلنَاهُنَّ أَبْكَارًا، عُرُبًا أترابًا﴾ [الواقعة ٣٥-٣٧] أى جعلناهن عَذَارى أبكارًا، لم تُفَضَضْ بكاراتهن، وعُرُبًا أى متحببات إلى أزواجهن بحسن الكلام، ورقة الطبع، وبشاشة الوجه، وأترابًا أى فى سن واحدة، وهى سِنّ الشباب.

* روى البيهقى - بسنده، «أن عجوزًا أتت النبى - ﷺ - فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يُدخلنى الجنة، فقال: يا أم فلان: إن الجنة لا يدخلها عجوز، فولّت تبكى، قال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إنَّا أَنْشَأْنَاهُن إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾.

وبناء على الآية، يكون المقصود.. أن النساء العجائز فى هذه الدنيا ينشأن نشأة أخرى يوم القيامة، ويصِرْن شابات.

* ومن وظائف الحور العين إدخال البهجة على أهل الجنة وإطرابهم..

* يقول النبى - ﷺ -: «إن فى الجنة لمجتمعا للحوز العين، يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، يقُلْن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طُوبَى لمن كان لنا وكنّا له»(١).

* ويقول - ﷺ -: «إن فى الجنة نهرًا طول الجنة، حافتاه العذارى قيام متقابلات، يُغنّين بأحسن الأصوات، يسمعها الخلائق حتى ما يرون فى الجنة مثلها.

قيل لأبى هريرة - راوى الحديث - ما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس، والثناء على الرب عز وجل(٢)».

* وفى الجنة خيول لهواة الركوب والمتعة.

فقد جاء فى الحديث الصحيح، أن عبدالرحمن بن ساعدة - رضى الله عنه، قال: «كنت رجلا أحب الخيل، فقلت يا رسول الله.. هل فى الجنة خيل؟، فقال: إن أدخلك الله الجنة يا عبدالرحمن، كان لك فيها فَرَس من الياقوت، له جناحان يطير بك حيث شئت»(٣)

* ويقول الرسول الكريم - ﷺ - «إن فى الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيل من ذهب، مسرّجة ملجّمة، من درّ وياقوت، لا تروث ولا تبول، لها أجنحة، خَطْوها مدّ البصر، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا»(٤).

---

(١) الترغيب والترهيب ٥٣٣/٤.
(٢) الترغيب والترهيب ٥٣٩/٤.
(٣) رواه الطبرانى، وانظر المنذرى ٥٤٥/٤.
(٤)، رواه ابن أبى الدنيا ٥٤٤/٥.

* والباحث المتأمل.. يستطيع أن يدرك أن كل هذه النِّعم التى سوف تغمر المؤمنين حسّية فهل معنى هذا أن متع الجنة سوف تقتصر على هذه الأمور الحسية، من مأكل ومشرب ومنكح ومركب؟.. وهل خَلَت نِعَم الجنة من كل نعيم نفسى وروحى؟.

الحقيقة.. إن المتاع الحسّى، المذكور فى القرآن والحديث - مقصود به إرضاء البشر، وهو موصول إلى النعيم الروحى، وذلك لأنه من الصعب أن ينقل إلى غالبية البشر، متعة روحية نفسية، دون أن يُلبسها تعابير حسية، لعجز أفكارهم وضعف استعداداتهم عن فهم تلك النعم الأخروية، وإدراكها بالكُنْه والحقيقة.

إن من أعظم الدلائل على أن نعيم الجنة ليس ماديا فحسب، هو ما بيَّنه الحق سبحانه، من أن الغرض الأسمى من حياة الإنسان، هو لقاء وجه الله الكريم:

﴿يـٰأَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيه﴾ [الانشقاق ٦].

أى.. يـٰأيها الإنسان إنك عامل فى هذه الحياة بجدّ وتَعب، من أجل أن تنتهى حياتك الدنيوية، وهناك فى الآخرة يكون لقاء الله ربك، ورب العالمين.

ولقد استنكر الله سبحانه على بعض الناس الركون إلى هذه الحياة الدنيوية الفانية، والاطمئنان إليها، وعدم توقع حياة أهنأ وأرغد وأعظم منها، فقال عز وجل:

﴿إنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنا وَرَضُوا بالحَيَاةِ الدُّنْيَا واطمأنُّوا بها، والَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُون، أولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بما كَانُوا يكْسِبُونَ﴾ [يونس ٧، ٨].

* ويبين الله - عز شأنه - للمؤمنين، أن الطريق إلى لقائه والقربى منه هو العمل الصالح، وإخلاص العبودية لله، فيقول جل جلاله:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّه فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ولَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف ١١٠].

هذه النصوص القرآنية تدل على أن لقاء الله هو الغاية العظمى، التى يسعى إليها الإنسان، ولقاء الله نعيم نفسى وروحى لا يسمو إليه أى نعيم.

إن أعظم ألوان النعيم الروحى فى الجنة هو ما تحدث به القرآن، ووضحه الحديث الشريف وهو النظر إلى وجه الله الكريم، يقول رب العزّة:

﴿والله يَدْعُو إلى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِى مَنْ يَشاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُم قَتَرٌ ولَاذِلَّةٌ أُولئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فيها خَالدون﴾ [يونس ٢٥، ٢٦].

فالحسنى - كما يقول ابن كثير - الجنة، والزيادة، النظر إلى وجه الله الكريم.

* فعن صهيب - رضى الله عنه، أنه قال: «قرأ رسول الله - ﷺ - قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسنَى وَزِيَادة﴾ ثم قال:

«إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ يا أهل الجنة.. إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم تُثَقِّل موازيننا، وتُبَيِّض وجوهنا، وتدخلنا الجنة، وتزحزحنا عن النار؟ قال: فَيُكْشَفُ لهم الحِجَابُ فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم»[(١)].

* ويقول النبى - ﷺ - فى حديث آخر:

«إذا سكن أهل الجنَّةِ الجنَّةَ، أتاهم مَلَك، فيقول لهم: إن الله تعالى يأمركم أن تزوروه، فيجتمعون، فيأمر الله تعالى داود - عليه السلام - فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم توضع مائدة الخلد، قيل: يا رسول الله.. وما مائدة الخلد؟ قال: زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب، فيُطعَمُون ثم يكسَوْن، فيقولون: لم يبق إلاّ النَّظر إلى وجه ربّنا - عز وجل - فيتجلَّى لهم فيخرُّون سُجَّدًا، فيقال لهم: لستم فى دار عمل، إنما أنتم فى دار جزاء»[(٢)].

* ويقول - ﷺ -: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير فى يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خَلْقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يارب وأى شىء أفضل من ذلك، فيقول: أحلّ عليكم رضوانى. فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[(٣)].

وهذا هو النعيم الروحى والنفسى، الذى يخص به المؤمنين، يقول عز شأنه:

﴿وَعَدَ الله المُؤْمنينَ والمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيها ومَسَاكِنَ طَيِّبَةً فى جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ الله أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة ٧٢].

فقد جمع الحق - سبحانه - بين النعيم الحسِّى، وهى الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار وبين النعيم النفسى، وهو رضوان الله، الذى هو أكبر من كل نعيم حسِّى، وقد وصفه الله بأنه (الفوز العظيم). وهذه العبارة الكريمة تشعرنا بأن الغاية من النعيم، وأسمى شىء فيه هو نعيم الروح.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الترغيب والترهيب ٥٤٦/٤.

(٣) رواه البخارى ١٤٤/٨.

أضف إلى ذلك ما ذكره الله سبحانه بقوله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم ٩٦].

ففى هذه الآية الكريمة، تصوير رائع للنعيم الروحى، الذى قوامه الوُدّ السامى بين الرحمن سبحانه، وعباده المخلصين، وهو فى ذاته نعيم نفسى وروحى لا يماثله أى نعيم مادى.

بقى أن نذكر عنصرا هاما وهو: تنزّل الزمان وتغيرّه لبَعد العهد منه - ﷺ -.

فعن أنس بن مالك - رضى الله عنه، قال: قال رسول الله - ﷺ -:

«ما من عام إلا والذى بعده شرّ منه حتى تلقوا ربكم»(١).

وفى رواية أخرى: «لا يأتى عليكم عام ولا يوم إلا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم»

* وعن أبى هريرة - رضى الله عنه، قال: قال رسول الله -ﷺ-:

«إنكم فى زمان من تَرَك عُشر ما أمر به هلك، ثم يأتى زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا».

* وعن أبى ذرّ - رضى الله عنه، قال: قال رسول الله -ﷺ-:

«إنكم فى زمان علماؤه كثير، خطباؤه قليل من ترك فيه عُشر ما يعلم هوى، وسيأتى على الناس زمان يقل علماؤه، ويكثر خطباؤه، من تمسك فيه بعُشر ما يعلم نجا»(٢).

* وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه، قال رسول الله - ﷺ -.

«يكون فى آخر الزمان ديدان القراء، فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وهم الأنتنون، ثم يظهره قلانس البرود، فلا يستحيى يومئذ من الربا، والمتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمرة، والمتمسك يومئذ بدينه أجره كأجر خمسين. قالوا: منّا أو منهم؟ قال: بل منكم»(٣).

---

(١) كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ٢٠٣/١٧.

(٢) كنز العمال ٢٠٤/١٧.

(٣) كنز العمال ٢٠٤/١٧.

البــابُ الثــانى

المكان.. فى الحديث النبوى

تمهيد :

الفصل الأول : المسجد الحرام وما يتصل به (منطقة القَلْب).
الفصل الثانى : الأماكن التى نزل فيها رسول الله فى عُمرته وحجته.
الفصل الثالث : الأماكن التى حول منطقة القلب.
الفصل الرابع : الأماكن التى تقع على محيط دائرة منطقة القلب.
الفصل الخامس : أماكن القصص القرآنى.

المـكان

تمهيـد:

العنصر الثانى من عناصر التاريخ، الذى احتفل به الحديث النبوى الشريف: المكان لاشك أن القرآن العظيم مصدر تاريخى هام، بل أقدم المصادر العربية المدوّنة لتاريخ العرب فى عصر الجاهلية، وعصر النبوة، وأصدقها على الإطلاق لأنه تنزيل من رب العالمين لا سبيل إلى الطعن أو الشك فى صحة نَصِّه..

ففيه ذكر لبعض مظاهر حياة العرب السياسية والأقتصادية والاجتماعية والدينية، وفيه ذكر لبعض أخبار الأمم البائدة (عاد وثمود)، وفيه أخبار عن أصحاب الفيل (أبرهة الحبشى وجيشه) وسيل العرم – وهو السيل الذى أصاب سد مأرب، وأصحاب الأخدود – أهل نجران الذين أحرقهم ذو نُواس الحميرى فى أخاديد.

هذه الأخبار وغيرها أوردها الله سبحانه فى كتابه العزيز تذكرة وعبرة وموعظة للعرب بما أصاب الله الشعوب البائدة فى مواطنها من قصَاص، لكفرهم وعنادهم، وتكذيبهم الرسل والأنبياء.

* ولقد أثبتت الدراسات التاريخية، والكشوف الأثرية – فى الأماكن المختلفة، صحة ما ورد فى القرآن الكريم من أخبار العرب البائدة ودقتها.

ومن المعروف – الثابت علميا، أن الشعوب العربية البائدة قد انقرضت لعاملين:

١ – الرمل الزاحف، الذى طغى على العمران القديم فى أواسط شبه الجزيرة العربية، وفى الأحقاف.

٢ – وهياج البراكين ونزول الصواعق، وما ترتب عليه من تدمير شامل، لمدن كانت مزدهرة، وأماكن كانت عامرة.

فلقد ورد فى القرآن الكريم – أن قبائل عاد وثمود، قد بادت بصاعقة دمرت كل شىء. وأن الله أرسل عليهم – فى مواطنهم – ريحا صَرْصرًا عاتية، أتت على كل شىء. وفى ذلك يقول الحق سبحانه: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فاسْتَكْبَرُوا فى الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقّ وقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وكَانُوا بأَيَاتِنَا يَجْحَدُون. فأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصرًا فى أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُم عَذَابَ الخِزْى فى الحَيَاةِ الدُّنْيَا ولَعذَابُ الآخِرةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنْصَرُون* وأَمَّا

ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُم فاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى فأخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ العَذَابِ الهُونِ بِمَا كَانُوا يكْسِبُون﴾ [فصلت ١٥-١٧].

وقال تعالى: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم الرِّيحَ العَقِيمَ، مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أتت عليه إلاّ جَعَلَتْهُ كالرَّميم، وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمتَّعُوا حَتَّى حِين، فَعَتَوْا عَنْ أمرِ رَبِّهِمْ فأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وهُمْ يَنْظُرون، فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيامٍ ومَا كانُوا مُنْتَصِرين﴾ [الذاريات ٤١-٤٥].

وقال تعالى: ﴿وأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَة فأَصْبَحُوا فِى دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ، كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ [هود ٦٧-٦٨].

فهذه الآيات القرآنية تشير إلى أن قوم ثمود وعاد هلكوا - فى أماكنهم - على أثر ريح عاتية، أو على أثر تفجر بركان صحبته رجفة عنيفة وزلزلة شديدة.

ويذكر المؤرخون العرب - القدماء والمحدثون، أن مساكن عاد ومواطنهم كانت قائمة فى الأحقاف من اليمن، بين اليمن وعُمان إلى حضر موت والشحر، استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿واذكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأَحْقَافِ﴾[الأحقاف ٢١].

بيد أن القرآن الكريم، لم يحدد موضع الأحقاف من بلاد العرب، وإنما حدده المفسرون، ولما كانت لفظة «الأحقاف» تعنى الرمال، فقد اندفع الأخباريون والنسّابون يلتمسون مواضع عاد فى الصحراء.

ومعروف أن القرآن المجيد قَرَن عاد بثمود، فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بالوَادِ﴾[الفجر ٩]. والمقصود بالواد وادى القرى، وهو أحد الأودية التى تتخلل سلسلة جبال حَسْمَى، ومن بينها جبل إرم(١)، الذى يعرف اليوم باسم جبل رم(٢)بالأردن.

كما أن منطقة حَسْمَى الجبلية تعتبر أقرب إلى مواضع مساكن ثمود من مناطق الأحقاف الرملية. التى حدد المفسرون مواقعها بين اليمن وساحل عمان، ونضيف إلى هذه القرائن ما رواه البكرى - فى معجمه - إذ يذكر أن الأحقاف التى كانت منازل عاد جبل بالشام، أو هى خشاف من حَسْمى، والخشاف: الحجارة فى الموضع السهل، واسم الأحقاف «حقاف» نجده اليوم فى المنطقة الجنوبية الغربية من مَدْيَن(٣).

كذلك لم يحدد القرآن الكريم منازل ثمود تحديدا دقيقا، ولكن ورد فيه ما يشير إلى أنهم نحتوا

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، المجلد الأول ص ١٤٤ طبع سنة ١٩٥٥.

(٢) موسل: شمال الحجاز، ترجمة د. عبد المحسن الحسيني، ص ١٣٠ طبع الاسكندرية سنة ١٩٥٢ وجبل رم يقع على بعد ٢٥ ميلا شرقى العقبة قريبا من عين ماء، وقد عثر فى هذا الموضع على آثار من العصر الجاهلى [جواد على ٢٣٥/١].

(٣) موسل: شمال الحجاز ص ١٣٧.

بيوتهم فى الصخر بالوادى. ﴿وثَمُودَ الذين جَابُوا الصَّخْرَ بالوادِ﴾. وقد ذكر المفسرون، أن قوم ثمود نقروا بيوتهم فى صخور الجبال فى وادى القرى.

* ويذكر المسعودى[١].. أن منازلهم كانت تقع بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشى، وأن ديارهم بفجٍّ الناقة، وبيوتهم كانت ما تزال فى عصره منحوتة فى الجبال، ورسومهم باقية، وآثارهم بادية فى طريق الحاج لمن قَدِم من الشام بالقرب من وادى القرى.

* ويؤكد ابن خلدون[٢].. أن ديارهم بالحِجْر ووادى القرى فيما بين الحجاز والشام، وأن الرسول - ﷺ - مرَّ على خرائب ديارهم فى غزوة تبوك، ونهى عن دخولها. كما سنذكر فيما بعد.

* ومن المعروف أن الحِجْر كانت من المحطات التجارية الهامة فى الطريق التجارى بين اليمن والشام ومصر والعراق[٣]، وقد تمكن علماء الآثار - فى العصر الحديث - من الكشف عن عدد من النقوش الثمودية فى أرض تبوك، ومدائن صالح وتيماء، وفى جبل رم وفى الطائف[٤].

وسيل العرم الذى ورد ذكره فى القرآن، يقصد به السيل الذى أدى إلى إنهيار سد مأرب الشهير، أهم سدود اليمن فى عصر الدولتين السبئية والحميرية الأولى، وإلى هذا السد يرجع الفضل الأعظم فى تحويل مأرب - حاضرة السبئيين إلى جنة يانعة، وإلى تعريف بلاد اليمن ببلاد العرب السعيدة، وبالبقعة الخضراء، والأرض الخضراء، والخضراء لكثرة مزارعها وأشجارها وثمارها[٥]. بل إننا نعتقد أن بلاد اليمن التى ورد ذكرها فى النصوص الجنوبية باسم يمنات ويمنت، ومعناها الخير واليُمن[٦]. وما زالت آثار السد، وآثار الجنتين الواقعتين على يمينه، وعلى يساره ظاهرة حتى اليوم، تؤكد صحة ما جاء فى القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبأٍ فى مَسْكَنِهِم آيَةٌ جَنَّتَانِ عن يَمِينٍ وشِمَالٍ﴾ [سبأ ١٥].

* وفى عصر النبوة، تتجلى الأهمية التاريخية للقرآن الكريم، إذ أن النبى -ﷺ-، تولى بنفسه توضيح ما جاء فى القرآن الكريم، من ذكر أماكن، وتحديد مساكن، وتفسير لكل ما جاء فى القرآن الكريم من أمور تتصل بالجوانب التاريخية، هذا بالإضافة إلى توضيح تطور الدعوة الإسلامية، وما اتصل بها من غزوات وفتوحات، واتصال بالأمصار المختلفة.

وما ذلك إلا لأن الحديث النبوى الشريف كان مواكبا للقرآن، مسايرًا لأحداثه، موضحا لمعانيه، مفصلا لمجمله، مبينا لغامضه..

(١) مروج الذهب ٤٢/٢ طبعة محيى الدين عبدالحميد.
(٢) العبر: مجلد ٢ ص ٤١ طبعة بيروت سنة ١٩٦٥.
(٣) موسل: شمال الحجاز ص ١٣١، وجواد على ج١ ص٢٤٨.
(٤) د/ جواد على ٢٥٠/١.
(٥) الهمذانى: صفة جزيرة العرب ص ٥١.
(٦) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ العرب فى الجاهلية ص ١٢٧.

بيد أن ما جاء فى الحديث النبوى من ذكر الأماكن، لم يكن مقصودًا لِذَاتِه، لكون التاريخ ليس من مهمات الدين، من حيث هو دين، وإنما ينظر الدين من التاريخ إلى وجه العبرة دون غيره، وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى القول.. أن الأخبار التاريخية سواء كانت فى القرآن أو السنة غير واضحة وينقصها التحديد الزمانى والمكانى(١).

ومع ذلك فإن الباحث المدقق فى الحديث النبوى يجد تحديدًا دقيقا لكثير من الأماكن، وتفسيرًا جيدًا لأماكن الأحداث الطارئة على تاريخ الدعوة الإسلامية، كما يجد ذكرًا وتحليلا للعديد من الأمور التاريخية، التى وردت فى القرآن، أو التى لم ترد فى القرآن وإنما كان الرسول - ﷺ - يذكرها للعلم، والتوضيح، تماما كما كان يذكر الكثير من الأحكام والقوانين الخاصة بالمجتمع الاسلامى المتطور.

= من هنا يمكن القول أن الحديث النبوى يعد مصدرًا هاما، بل من أصدق المصادر التاريخية، التى كانت تتعرض لكل ما كان قائما فى حياة الأمة الإسلامية، من نظم الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحربية والجغرافية.

وعلى الحديث النبوى الشريف اعتمد المؤرخون على اختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم فى إيراد شروح تفصيلية لما ورد فى القرآن الكريم، من أخبار مختصرة عن بعض الأحداث وأماكنها، فى الجاهلية، وفى عصر النبوة، وقد نشأ التفسير - بعناصره المختلفة - فى عصر النبى - ﷺ - أول مفسّر للقرآن الكريم، ثم تولى صحابته من بعده هذه المهمة، باعتبارهم الواقفين على أسراره، المهتدين بهدى النبى - ﷺ(٢).

ومن أشهر المفسرين للجوانب التاريخية، من الصحابة، عبد الله بن عباس، وعن الصحابة أخذ التابعون هذه الاشارات التاريخية، وعن التابعين أخذ تابعو التابعين، فجمعوا أقوال الرسول - ﷺ - وتفسيراته بالإضافة إلى تفسيرات من تقدمهم، وصنفوا التفاسير، ومن أشهر كتب التفسير التاريخى تفسير الطبرى، الذى تضمن الكثير من الأمور التاريخية، وتحدث عن أحداثها وأماكنها وأزمانها، مما يعد مصدرًا هاما من المصادر النقلية عن الصحابة والتابعين.

ويهمنا الآن أن نقف فى هذا الباب عند الأماكن التى وردت فى الحديث النبوى، وتقع فى خمسة فصول:

الفصل الأول :الأماكن التى وردت فى الحديث النبوى فى منطقة القلب.

الفصل الثانى :الأماكن التى تتصل بالشعائر المقدسة التى أداها الرسول فى عمرته وحجته.

---

(١) د/سيدة كاشف: مصادر التاريخ الاسلامى ص ١٦.

(٢) صبحى الصالح: مباحث فى علوم القرآن ص ٣٣١.

الفصل الثالث :الأماكن التى حول منطقة القلب:

- المدينة المنورة وما فيها
- المسجد النبوى وما فيه

الفصل الرابع :الأماكن التى تقع على محيط دائرة منطقة القلب.

(أ) فى جزيرة العرب.

(بـ) فى خارج جزيرة العرب.

(ج) الأماكن التى وقعت فيها غزوات الرسول.

الفصل الخامس:الأماكن التى وردت فى القصص القرآنى.

الفصل الأول

الأماكن التى وردت فى الحديث النبوى

ورد فى الحديث النبوى الشريف ذكر لأماكن عدة، ترتبط بأحداث التاريخ الاسلامى، وسير الدعوة، وتعاقب الأحداث، وظروف النبى - ﷺ.

وسنذكر فى هذا الباب عدداً من الأماكن الهامة، التى ذكرها رسول الله ﷺ، وتحدث عنها، وارتبطت بالبيئة المكانية التى عاش فيها.

المسجد الحرام: البيت العتيق

أهم مكان يُعنى به الحديث النبوى هو المسجد الحرام، أول بيت وضع للناس، فيه آيات بينات مقام إبراهيم، من دخله كان آمنًا، وهو قِبْلة المسلمين فى الصلاة، وإليه يحجّون، ويشدون الرحال.

هذا البيت هو مركز منطقة القلب فى التاريخ الإنسانى، وقد ذكر الله عز وجل، ورسوله - ﷺ فى هذه المنطقة أكبر عدد من الأماكن مجتمعة:

(البيت، مكة، مقام إبراهيم، الصفا، المروة، زمزم، منى، عرفات، المشعر الحرام)

- ١ -

البيت

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلعَالَمِينَ﴾ [آل عمران ٩٦]

* روى أبو على: الحسين بن محمد الرُّوذَبَارى - بإسناده - عن أبى ذَرّ، قال: قلت: يارسول الله، أى مسجد وضع فى الأرض أوَّل؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: ثم المسجد الأقصى، قال: قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، فأينما أدركت الصلاة فصَلِّ، فهو مسجد[(١)].

* وروى أبو عبد الله الحافظ باسناده- عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، قال «كان البيت قبل الأرض بألفى سنة (وإذَا الأرضُ مُدَّت) قال: من تحته مدًّا.[(٢)]

(١) رواه مسلم فى الصحيح عن أبى كُرَيْب، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٣٧٠/١. وأخرجه البخارى من وجه آخر عن الأعمش، كتاب الأنبياء ٢٩٠/٦، ونقله ابن كثير فى البداية والنهاية ٢٩٨/٢.

(٢) المستدرك ٥١٨/٢، وقال: حديث صحيح الاسناد، وهو فى الدر المنثور ٣٢٩/٦.

وتروى الآثار أن الله سبحانه وتعالى أمر آدم- عليه السلام- أن يضع أساسه ويحدد مكانه.

فقد روى أبو عبد الله الحافظ - باسناده - عن أبى هيعة، عن أبى الخير، عن عبدالله بن عمروبن العاص، قال: قال النبى - ﷺ:

«بعث الله جبريل - عليه السلام - إلى آدم وحواء، فقال لهما: ابْنيا لى بناء، فخَطَّ لهما جبريل - عليه السلام، فجعل آدم يحفر وحواء تنقل حتى أجابه الماء، نُودى من تحته: حسبك يا آدم، فلما بنياه أوحى الله - تعالى - إليه، أن يطوف به، وقيل له: أنت أول الناس، وهذا أول بيت. ثم تناسخت القرون حتى حجّه نوح، ثم تناسخت القرون حتى رفع ابراهيم القواعد منه[١].

* وروى أبو زكريا ابن اسحق، باسناده، عن ابن أبى لبيد، عن محمد بن كعب القرظى، قال: «حجَّ آدم - عليه السلام - فلقيته الملائكة، فقالوا: برَّ نُسُكُكَ يا آدم، لقد حججنا قبلك بألفى عام»[٢]. والمقصود الحج إلى مكان البيت وإن لم يكن ثمَّ بناء.

ولقد أمر الله سبحانه - أنبياءه ورسله بالحج إلى مكان البيت الحرام.

فقد روى أبو عبد الله الحافظ - بإسناده - عن ابن اسحاق، قال: حدثنى ثقة من أهل المدينة، عن عروة بن الزبير، أنه قال:

«ما من نبى إلاّ وقد حَجَّ البيت، إلاّ ماكان من هود وصالح، ولقد حجّه نوح، فلما كان فى الأرض ما كان من الغرق، أصاب البيت ما أصاب الأرض، وكان البيت ربوة حمراء، فبعث الله تعالى هودًا، فتشاغل بأمر قومه حتى قبضه الله تعالى، إليه، فلم يحجّه حتى مات، ثم بعث الله صالحًا، فتشاغل بأمر قومه حتى قبضه الله تعالى، اليه، فلم يحجه حتى مات، فلما بَوَّأ الله تعالى لإبراهيم حجه، لم يبق نبى بعده إلاّ حجه.[٣]

وعن بناء البيت العتيق، ووضع الحجر الأسود:

* روى أبو عبد الله الحافظ، بإسناده - عن خالد بن عرْعُرَة، قال: «سأل رجل عليا - رضى الله عنه، عن أول بيت وُضع للناس للّذى ببكة مباركًا، هو أول بيت وُضع فى الأرض: قال: لا، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة والهدى، ومقام ابراهيم، من دخله كان آمنًا. وإن شئت أنبأتك كيف بناؤه:

«إن الله تبارك وتعالى، أوحى إلى إبراهيم - عليه السلام، أنْ ابن لى بيتًا فى الأرض، فضاق به ذَرْعًا، فأرسل الله عز وجل إليه «السَّكِينَة»، وهى ريح خَجُوج (أى شديدة فى هبوبها) لها رأس،

---

(١) تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعًا، ونقله ابن كثير فى البداية ٢٩٩/٢ عن البيهقى، والدر المنثور ١٢٩/١.
(٢) أخرجه ابن كثير فى البداية ٢٩٩/٢، والدر المنثور ١٣٣/١.
(٣) السيوطى: الدر المنثور ٢٩/١ ، وقد نقله عن الدلائل للبيهقى، وابن اسحاق والأزرقى.

فأتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت إلى موضع البيت، تطوق حيّة، فبنى ابراهيم، فكان يبنى هو ساقًا كل يوم، حتى إذا بلغ مكان الحجر، قال لابنه: أبغنى حجرًا، فالتمس ثمَّ حجرًا حتى أتاه به، فوجد الحجر الأسود قد ركب، فقال له ابنه: من أين لك هذا؟.

قال: جاء به من لم يتكل على بنائك، جاء به جبريل، عليه السلام من السماء فأتمه[١].

* وعن خالد بن عُرْعُرة، عن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، بمعناه - زاد:

قال: فمر عليه الدهر فانهدم، فبنته العمالقة، قال: فمر عليه الدهر، فانهدم، فبنته جُرْهُم، فمر عليه الدهر، فبنته قريش، ورسول الله - ﷺ - يومئذ رجل شاب فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود، اختصموا فيه، فقالوا: يحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة، فكان رسول الله - ﷺ - أول من خرج عليهم، فقضى بينهم، أن يجعلوه فى مِرْط (ثوب) ثم ترفعه جميع القبائل كلهم[٢].

وكان رسول الله -ﷺ - هو الذى رفع الحجر، فوضعه بيده موضعه، وذلك قبل مبعثه بخمس عشرة سنة.

وقد احتفل محمد بن اسحاق فى السيرة النبوية، بذكر تاريخ بناء الكعبة منذ بناء قريش لها، قبيل مبعث رسول الله - ﷺ - قال:[٣]

«ولما بلغ رسول الله - ﷺ - خمسا وثلاثين سنة ، اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها، وإنما كانت رَضْما فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وذلك أن نفرا سرقوا كنز الكعبة، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة، وكان الذى وجد عنده الكنز دُوَيك مولى بنى مُليح بن عمرو من خزاعة، فقطعت قريش يده، ويزعم الناس أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيك.

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جِدَّة لرجل من تجار الروم، فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطى نجار، فهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها.

وكانت حيّة تخرج من بئر الكعبة التى كانت تطرح فيها ما يهدى لها كل يوم، فتشرف على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزَأت وكشّت، وفتحت فاها، فكانوا يهابونها.

فبينا هى يوما تشرف على جدار الكعبة، كما كانت تصنع، بعث الله إليها طائرًا فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا، عندنا عامل رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحيّة.

---

(١) أخرجه ابن جرير فى التفسير ٦٩/٣، وأورده ابن كثير فى البداية والنهاية ٢٩٩/٢ عن البيهقى.

(٢) أخرجه أبو الوليد الأزرقى فى أخبار مكة تاما ٢٤/١، والحاكم فى المستدرك تاما ٤٥٨/١ وصححه.

(٣) نقلاً عن ابن كثير فى تفسيره العظيم ١٨٠/١ ومابعدها.

* فلما أجمعوا أمرهم فى هدمها وبنيانها، قام ابن وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجرًا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال يا معشر قريش، لا تدخلوا فى بنيانها من كسبكم إلّا طيبًا، لا يدخل فيها مهْرُ بَغِيّ، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس.

* قال: ثم إن قريشًا تجزأت الكعبة، فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزُهْرة، وكان مابين الركن الأسود، والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبنى جُمح وسهم، وكان شق الحجر لبنى عبد الدار بن قصى، ولبنى أسد بن عبد العُزّى بن قصى، ولبنى عدى بن كعب بن لُؤَىّ، وهو الحطيم.

* ثم إن الناس هابوا هدمها وفَرَقُوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم فى هدمها، فأخذ المِعْوَل، ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم تُرَعْ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة، وقالوا ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئًا، ورددناها كما كانت، وإن لم يُصبه شئ فقد رضى الله ما صنعنا، فأصبح الوليد من ليلته غاديًا على عمله، فهدم وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس إبراهيم، أفضوا إلى حجارة كالأسنة آخذ بعضها بعضًا.

قال: فحدثنى بعض من يروى الحديث، بأن رجلا من قريش، من كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها، ليقلع بها أيضا أحدهما، فلما تحرك الحجر انتفضت مكة بأسرها، فانتهوا عن ذلك الأساس.

قال ابن إسحاق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن، يعنى الحجر الأسود، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتحالفوا، وأعدُّوا للقتال، فقرّبت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم – فى تلك الجفنة، فسمّوا «لعقة الدم» فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد، فتشاوروا وتناصفوا، فزعم بعض أهل الرواية، أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان عامئذ أمن قريش كلها، قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد، يقضى بينكم فيه ففعلوا، فكان أول داخل رسول الله – ﷺ – فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال –ﷺ– هلم إلىّ ثوبا، فأتى به، فأخذ الركن – يعنى الحجر الأسود، فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعا ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده –ﷺ– ثم بنى عليه.

وكانت قريش تسمى رسول الله -ﷺ- قبل أن ينزل عليه الوحى «الأمين».

* فلما فرغوا من البنيان، وبنوها على ما أرادوا، قال الزبير بن عبد المطلب، فيما كان من أمر الحيّة التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها:

عجبتُ لما تصوّبت العقابُ ... إلى الثعبان وهى لها اضطرَابُ
وقد كانت يكون لها كشيشٌ ... وأحيانا يكون لها وثابُ
إذا قمنا إلى التأسيس شدت ... تهيبنا البناءَ وقد تهابُ
فلما أن خشينا الرجز جَاءتْ ... عقاب تتلئب لها نصابُ
فضمتها إليها ثم خلت ... لنا البنيان ليس لها حجابُ
فقمنا حاشدين إلى بناء ... لنا منه القواعد والترابُ
غداه نرفع التأسيس منه ... وليس على مساوينا ثياب
أعزَّبه المليك بنى لؤى ... فليس لأصله منهم ذهابُ
وقد حشدت هناك بنو عدى ... ومُرّة قد تقدمها كلابُ
فبوأنا المليك بذاك عزًا ... وعند الله يلتمس الثوابُ

* قال ابن اسحاق: وكانت الكعبة على عهد النبى - ﷺ - ثمانى عشر ذراعا، وكانت تكسى القباطى، ثم كُسيت بعد البرود، وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف.

* بناء ابن الزبير للكعبة:

ولم تزل الكعبة على بناء قريش حتى احترقت فى أول إمارة عبد الله بن الزبير - بعد سنة ستين (للهجرة)(١)، وفى آخر ولاية يزيد بن معاوية، لما حاصروا ابن الزبير فحينئذ نقضها ابن الزبير إلى الأرض، وبناها على قواعد إبراهيم - عليه السلام -، وأدخل فيها الحجر، وجعل لها بابا شرقيا، وبابا غربيا ملصقين بالأرض، كما سمع ذلك من خالته عائشة، أم المؤمنين، عن رسول الله - ﷺ - ولم تزل كذلك مدة إمارته حتى قتله الحّجاج، فردّها إلى ما كانت عليه، بأمر عبد الملك بن مروان له بذلك، كما قال الإمام مسلم فى صحيحه..

* روى مسلم -بإسناده- عن عطاء، قال: لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية، حين غزاها أهل الشام، فكان من أمره ما كان تركه ابن الزبير، حتى قدم الناس الموسم، يريد أن يجزيهم أو يجبرهم على أهل الشام، فلما صدر الناس، قال:

«يـأيها الناس.. أشيروا علىّ فى الكعبة أنقضها ثم أبنى بناءها أو أصلح ما وَهَى منها؟ قال ابن عباس: إنه قد خرق لى رأى فيها، أرى أن تصلح ما وَهَى منها، وتدع بيتا أسلم الناس عليه،

---

(١) تفسير ابن كثير ١٨٢/١.

وأحجارًا أسلم الناس عليها، وبُعث عليها النبى - ﷺ -.

فقال ابن الزبير: لو كان أحدهم احترق بيته ما رضى حتى يجدّده، فكيف بيت ربكم عز وجل؟ إنى أستخير ربى ثلاثا، ثم عازم على أمرى، فلما مضت ثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها، فتحاماها الناس أن ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء، حتى صعده رجل، فألقى منه حجارة، فلما لم يره الناس أصابه شيء تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الأرض، فجعل ابن الزبير أعمدة يستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه. وقال ابن الزبير:

«إنى سمعت عائشة رضى الله عنها - تقول: إن النبى - ﷺ - قال: لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر، وليس عندى من النفقة ما يقوينى على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع، ولجعلت له بابا يدخل الناس منه، وبابا يخرجون منه».

قال: فأنا أجد ما أنفق، ولست أخاف الناس، فزاد فيه خمسة أذرع من الحجر حتى أبدى له أسًّا نظر الناس إليه، فبنى عليه البناء، وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعا، فلما زاد فيه، استقصره فزاد فى طوله عشرة أذرع، وجعل له بابين، أحدهما يدخل منه، والآخر يخرج منه.

* فى عهد عبد الملك بن مروان:

فلما قُتل ابن الزبير، كتب الحجّاج إلى عبد الملك يستجيزه بذلك،، ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العُدول من أهل مكة، فكتب إليه عبدالملك إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير فى شيء، أمّا مازاده فى طوله فأقره، وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه، وسدّ الباب الذى فتحه، فنقضه وأعاده إلى بنائه.

* وقد كانت السُّنّة إقرار ما فعله عبدالله بن الزبير - رضى الله عنهما، لأنه هو الذى ودّه رسول الله -ﷺ- ولكن خشى أن تنكره قلوب بعض الناس، لحداثة عهدهم بالإسلام، وقرب عهدهم من الكفر، ولكن خَفِيت هذه السنة على عبد الملك بن مروان. ولهذا لما تحقق ذلك عن عائشة أنها روت ذلك عن رسول الله - ﷺ - قال: وددنا أنا تركناه وما تولى.

* روى مسلم - بإسناده - عن الحارث بن عبدالله بن أبى ربيعة، قال عبدالله بن عبيد: وفد الحارث بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان - فى خلافته - فقال عبد الملك: ما أظن أبا حبيب - يعنى ابن الزبير - سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها.

قال الحارث: بلى أنا سمعته منها، قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: «قالت: قال رسول الله -ﷺ- إن قومك استقصروا من بنيان البيت، ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعَدت ما تركوا منه، فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنوه، فهلمّى لأريك ما تركوا منه» فأراها قريبا من سبعة أذرع. هذا حديث عبدالله بن عبيد.

* وزاد عليه الوليد بن عطاء: قال النبى - ﷺ -: «ولجعلت لها بابين موضوعين فى الأرض، شرقيا وغربيا، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟ قالت: قلت: لا، قال: تعززا أن لا يدخلها إلا من أرادوا، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه حتى يرتقى، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط.

* قال عبد الملك: فقلت للحارث: أنت سمعتها تقول هذا؟ قال: نعم، قال: فنَكَتَ ساعة بعصاه، ثم قال: وددت أنى تركت وما تحمل.

وفى رواية: قال: لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير.

* فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير، فلو تُرك لكان جيدًا.

ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال، فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله - كما ذكر عن أمير المؤمنين - هارون الرشيد أو أبيه المهدى، أنه سأل الإمام مالكا، عن هدم الكعبة وردّها إلى ما فعله ابن الزبير، فقال له، يا أمير المؤمنين، لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك، لا يشاء أحد أن يهدمها إلّا هدمها، فترك ذلك الرشيد.

* هكذا إلى آخر الزمان، إلى أن يخرّبها ذُو السُّوَيْقَتين من الحبشة، كما ثبت ذلك فى الصحيحين عن أبى هريرة - رضى الله عنه، قال:

«قال رسول الله - ﷺ - «يُخَرِّب الكعبة ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ من الحبشة».

* وعن ابن عباس، عن النبى - ﷺ - قال:

«كأنى به أسود أفحج يقلعها حجرًا حجرًا»(١).

* وروى الإمام أحمد - بإسناده - عن عمرو بن العاص، رضى الله عنه، قال:

«سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: يخرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حليتها، ويجردها من كسوتها، ولكأنى أنظر إليه أُصَيْلِعَ أُفَيْدع(٢). يضرب عليها بمسحاته ومعوله».

وهذا والله أعلم - إنما يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج، لما جاء فى صحيح البخارى، عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ:

«ليحجّن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج».

* البيت المعمور:

ويقابل الكعبة فى أعلى السماء «البيت المعمور»، ورد ذكره فى حديث خالد بن عُرْعرة، قال:

---

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه البخارى. والفدع: زيغ بين القدم وعظم الساق.

قال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - سلونى عما شئتم.. فسأله رجل عن البيت المعمور، فقال:

«بيت فى السماء، يقال له الضِّراح، وهو بحيال الكعبة من فوقها، حُرْمته فى السماء كحُرمة البيت فى الأرض، يصلى فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة، فلا يعودون فيه أبدًا. قال: يا أمير المؤمنين: أخبرنى عن هذا البيت؟.

قال: هو أول بيت وضع للناس، كانت البيوت قبله، وقد كان نوح يسكن البيوت، ولكن أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين.(١).

ومن فضائل البيت الحرام، أن الصلاة فيه تغنى عن الصلاة فى المسجد الأقصى..

فعن عمرو بن عبد الرحمن بن عوف عن رجال من الأنصار من أصحاب النبى -ﷺ- أن رجلا جاء إلى النبى - ﷺ - يوم الفتح، والنبى - ﷺ - فى مجلس من المقام، فسلّم على النبى -ﷺ- فقال: يا نبىّ الله، إنى نذرت إن فتح الله للنبى -ﷺ- وللمؤمنين مكة لأصلين فى بيت المقدس، وإنى وجدت رجلا من أهل الشام ههنا فى قريش خفيرًا (الرفيق الحامى) مقبلا معى ومدبرًا..

- **فقال النبى -ﷺ-: هَهُنَا فَصَلِّ**، فعاد الرجل بقوله ثلاث مرات، كل ذلك يقول النبى -ﷺ- ههنا فصَلِّ، ثم قال الرابعة مقالته..

فقال النبى -ﷺ-: فاذهب فصلِّ فيه، فوالذى بعث محمدًا بالحق لو صليت ههنا لقضى ذلك عنك صلاة فى بيت المقدس.

* **وعن عثمان بن الأرقم، عن الأرقم، أنه تجهّز يريد بيت المقدس، فلما فرغ من جهازه، جاء** النبى - ﷺ - يودعه، فقال: **ما يخرجك حاجة أو تجارة؟**

قال: لا والله يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، ولكنى أردت الصلاة فى بيت المقدس. **فقال النبى** -ﷺ-: صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه - إلا المسجد الحرام، فجلس ولم يخرج»(٢).

والحجر الأسود جزء لايتجزأ من الكعبة، تحدّث رسول الله - ﷺ - عن مكانته فى العديد من أحاديثه..

---

(١) كنز العمال ٩٢/١٧.

(٢) كنز العمال ٩٦/١٧ باب فضل مكة.

منها ما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: الحجر الأسود يد الله فى الأرض، فمن مسَّه فإنما يبايع الله.[(١)]

* وسُمع عبدالله بن عمرو، يقول: قال رسول الله - ﷺ - إن الركن والمقام من ياقوت الجنة، ولولا ما مسَّهما من خطايا بنى آدم لأضاء ما بين المشرق والمغرب، وما مسهما من ذى عاهة ولا سقيم إلّا شُفِى[(٢)].

- ٢ -
مكة (زادها الله تشريفًا وتعظيمًا)

ومكة المكرمة من اختياره - سبحانه وتعالى - من الأماكن والبلاد، وهى خيرها وأشرفها، وهى البلد الحرام، فإنه سبحانه اختاره لنبيّه، وجعله مناسك لعباده، وأوجب عليهم الإتيان إليه من القرب والبعد، من كل فج عميق، فلا يدخلونه إلّا متواضعين متخاشعين، متذللين، كاشفى رءوسهم متجردين عن لباس أهل الدنيا، وجعله حرامًا آمنا، لا يسفك فيه دم، ولا تعضد به شجرة، ولا ينفّر له صيد، ولا يختلى خلاه، ولا يلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس إلّا، وجعل قصده مكفرا لما سلف من الذنوب، ماحيا للأوزار، حاطا للخطايا، كما فى الصحيحين.. عن أبى هريرة - رضى الله عنه، قال:

قال رسول الله - ﷺ - من أتى هذا البيت فلم يَرْفث ولم يَفْسُق رجع كيوم ولدته أمه» ولم يرض لقاصده من الثواب إلا الجنة.

فلو لم يكن البلد الأمين - مكة - خير بلاده وأحبها إليه، ومختاره من البلاد، لما جعل عرصاتها مناسك لعباده.

* أقسم الله تعالى به فى كتابه العزيز فى موضعين، فقال تعالى: ﴿وهَذَا البَلَدِ الأمين﴾ [التين٢] وقال سبحانه: ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ [البلد ١]

* وقد ثبت فى المسند والترمذى والنسائى، عن عبد الله بن عدى أنه سمع رسول الله - ﷺ يقول - وهو واقف على راحلته بالحزورة من مكة:

«والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أُخرجت منك لما خرجت»

* وعن ابن عباس رضى الله عنها - قال: قال رسول الله - ﷺ:

«هذه حرام - يعنى مكة - حرّمها الله يوم خلق السموات والأرض. ووضع هذه الأخشبين لم

---

(١) كنز العمال ٩٢/١٧.

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه، باب فضل الحجر الأسود والركن والمقام ١٦٦/١.

تحل لأحد قبلى، ولا تحل لأحد بعدى، ولم تحل لى إلّا ساعة من النهار، لا يعضد شوكها، ولا ينفر صيدها، ولا يختلى خلاها، ولا ترفع لقطتها إلّا لمنشد.

فقال العباس: يارسول الله، إن أهل مكة لاصبر لهم عن الإذخر، لقينهم وأبياتهم. فقال رسول الله - ﷺ - إلّا الإذخر(١).

* ومن خصائصها: كونها قبلة لأهل الأرض كلهم، فليس على وجه الأرض قبلة غيرها.

ومن خواصها: أنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض.

ومن خواصها أيضًا: أن المسجد الحرام أول مسجد وضع فى الأرض - كما فى الصحيحين، عن أبى ذرّ قال: سألت رسول الله - ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض. قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أى قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما قال: أربعون عامًا.

* وقد أُشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد به، فقال: معلوم أن «سليمان بن داود» الذى بنى المسجد الأقصى، وبينه وبين ابراهيم أكثر من ألف عام، وهذا من جهل هذا القائل.. فإن سليمان إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه، والذى أسسه هو يعقوب بن اسحق ﷺ - بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا المقدار.

* ومما يدل على تفضيلها، أن الله تعالى أخبر أنها أم القرى، فالقرى كلها تبع لها، وفرع عليها، وهى أصل القرى، فيجب أن لا يكون لها فى القرى عديل.

- ٣ -

مقام إبراهيم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وهُدى لِلعَالَمِين، فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دخلَهُ كانَ آمِنًا﴾ [آل عمران ٩٦، ٩٧]

فى هذه الآية الكريمة نبه على مقام ابراهيم من الأمر بالصلاة عنده.. فقال: ﴿واتَّخِذُوا مِنْ مَقَام إِبْراهيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة ١٢٥].

وقد اختلف العلماء فى المراد بالمقام:

* فروى ابن أبى حاتم - بإسناده - عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: مقام ابراهيم الحرم كله. وعن ابن جريج قال: سألت عطاء عن (مقام ابراهيم) فقال: سمعت ابن عباس قال:

«أما مقام ابراهيم الذى ذكر هٰهنا، فمقام ابراهيم هذا الذى فى المسجد ثم قال: ومقام ابراهيم يعد كثير، مقام ابراهيم الحج كله.

(١) كنز العمال ٨٢/١٧.

* وروى عن سعيد بن جبير، قال: الحَجَر مقام ابراهيم نبى الله، قد جعله الله رحمة، فكان يقوم عليه ويناوله اسماعيل الحجارة، ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه.

وقال السُّدى: المقام: الحجر الذى وضعته زوجة اسماعيل تحت قدم ابراهيم حتى غسلت رأسه سُمع جابر يحدث عن حجة النبى - ﷺ قال: لما طاف النبى - ﷺ - قال له عمر: هذا مقام أبينا؟ قال: نعم. قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿واتَّخذُوا منْ مَقَام إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾(١).

* روى أبو الحسين بن الفضل القطان - بإسناده - عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن المقام كان فى زمان رسول الله - ﷺ - وزمان أبى بكر ملتصقًا بالبيت، ثم أخره عمر بن الخطاب، رضى الله عنهما(٢).

* وعن ابن أبى مليكة، قال: موضع المقام هو هذا الذى به اليوم، هو موضعه فى الجاهلية، وفى عهد النبى - ﷺ، وأبى بكر وعمر - إلاّ أن السيل ذهب به فى خلافة عمر، فجعل فى وجه الكعبة. حتى قدرّ عُمر فرده بمحضر الناس.(٣).

- ٤ -

زمـزم

قال ابن عباس(٤) : أول ما اتخذ النساء المناطق من قِبَل أمّ اسماعيل، اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارَة، ثم جاء بها ابراهيم -ﷺ- وبابنها اسماعيل - عليه السلام، وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعها هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قَفَّى ابراهيم - أى ولى راجعًا إلى الشام - منطلقًا، فتبعته أمّ اسماعيل، فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى، الذى ليس فيه أنيس ولا شىء؟

قالت ذلك ثلاث مرار. وجعل لا يلتفت.

فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم ، قالت: إذًا لا يُضَيّعنا، ثم رجعت.

وانطلق ابراهيم حتى إذا كان عند الثَّنِيّة حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهذه الدعوات، ورفع يده، وقال: .

﴿رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وارْزُقْهُم مِنَ الثَّمرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم ٣٧]

فجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نَفِدَ مافى السقاء، عطشت

(١) تفسير ابن كثير ١٦٨/١.

(٢) تفسير ابن كثير ٣١٢/١، والبداية والنهاية ١٦٤/١.

(٣) كنز العمال ٩٩/١٧.

(٤) فتح البارى ٢٨٤/٦.

وعطش ابنها وجاع، وجعلت تنظر إليه يتلوّى- أو قال: يتلبَّط.. قال: فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصّفا أقرب جبل من الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدًا؟.. فلم تر أحدًا، فهبطت الصفا، حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف دِرْعها، وسعت سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادى، ثم أتت المَرْوَة، فقامت عليها، فنظرت هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات.

* قال النبى - ﷺ - «فلذلك سُعى بينهما».

فلما أشرفت على المروة، سمعت صوتًا، فقالت: صَهْ - تريد نفسها- ثم تسمّعت أيضًا فسمعت، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غَوّاث، فإذا هى بالمَلَك عند موضع زمزم، يبحث بعَقبه، أو قال: بجناحه، حتى ظهر الماء، فجعلت تُحَوِّطه، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها، وهى تفور بقدر ما تغرف.

* وفى رواية الطبرى: «فناداها جبريل، فقال لها: من أنت؟ فقالت: أنا هاجر أم ولد ابراهيم، قال: إلى من وكلكما؟ قالت: وكَلَنا إلى الله، قال: وكَلكُما إلى كافٍ».

قال ابن عباس: فقال النبى - ﷺ: يرحم الله أم اسماعيل، لو تركت زمزم، أو قال: لو لم تغرف من الماء، لكانت زمزم عينا معينًا- أى جاريًا على وجه الأرض. فشربت وأرضعت ولدها، وقال لها الملك: لا تخافى من الضيعة، فإن ههنا بيت الله، يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يُضيّع أهلَه.

هذا فى عهد ابراهيم واسماعيل، عليهما السلام..

* أما عن تاريخ حفر زمزم فى أيام عبد المطلب بن هاشم - جد رسول الله - ﷺ. فقد روى على بن أبى طالب، حديث زمزم - قال: (١).

«بينا عبد المطلب نائم فى الحجر، أتى آت، فقيل له: احفر برّة، فقال: وما برّة» ثم ذهب عنه، حتى إذا كان الغد نام فى مضجعه ذلك، فأتى فقيل له: احفر المصونة، قال: وما المصونة؟ ثم ذهب عنه، حتى إذا كان الغد عاد فنام فى مضجعه ذلك، فأتى فقيل له: احفر طيبة، فقال: وما طيبة؟ ثم ذهب عنه. فلما كان الغد، عاد لمضجعه فنام فيه، فأتى فقيل له: احفر زمزم، فقال: وما زمزم؟ فقال: لا تنزف ولا تذم، ثم نعت له موضعها، فقام يحفر حيث نعت له.

فقالت له قريش: ما هذا ياعبدالمطلب؟ فقال: أمرت بحفر زمزم.

فلما كشف عنه، وبصروا بالطى، قالوا: يا عبد المطلب! إن لنا حقا فيها معك، إنها لسرّ أبينا اسماعيل، فقال: ما هى لكم، لقد خصصت بها دونكم، قالوا: تحاكمنا؟ قال: نعم، قالوا: بيننا

(١) كنز العمال ١٠١/١٧، وذكرها ابن اسحاق فى المبتدأ، والأزرقى والبيهقى فى الدلائل.

وبينك كاهنة بنى سعد بن هذيم، وكانت بأشراف الشام، فركب عبدالمطلب فى نفر من بنى أمية، وركب من كل بطن من أفناء قريش نفر، وكانت الأرض إذ ذاك مفاوز فيها بين الحجاز والشام، حتى إذا كانوا بمفازة من تلك البلاد فنى ماء عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا بالهلكة، ثم استقوا القوم، فقالوا: ما نستطيع أن نسقيكم، وإنا نخاف مثل الذى أصابكم، فقال عبدالمطلب لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: مارأينا إلا تبع لرأيك، قال: فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته، فكلما مات رجل منكم دفعه أصحابه فى حفرته، حتى يكون آخركم يدفعه صاحبه، فضيعة رجل أهون من ضيعة جميعكم، ففعلوا.. ثم قال: والله إن ألقانا بأيدينا للموت، ولا نضرب فى الأرض، ونبتغى لعل الله عز وجل أن يسقينا لعجز، فقال لأصحابه: ارتحلوا فارتحلوا وارتحل، فلما جلس على ناقته فانبعث به، انفجرت عين تحت خُفّها بماء عذب، فأناخ وأناخ أصحابه، فشربوا واستقوا وأسقوا، ثم دعوا أصحابه، هلموا إلى الماء قد سقانا الله، فجاءوا واستقوا وسقوا..

ثم قالوا: يا عبد المطلب.. قد والله قضى لك، إن الذى سقاك الماء بهذه الفلاة لَهُوَ الذى سقاك زمزم، انطلق فهى لك، فما نحن بمخاصميك.

* وقد رويت فى ماء زمزم أحاديث كثيرة.

منها مارواه عبد المعزى، قال: كنا عند ابن عيينة، فجاء رجل، فقال: يا أبا محمد! ألستم تزعمون أن النبى - ﷺ - قال: ماء زمزم لما شرب له؟ قال: بلى.

* قال: فإنى قد شربته لتحدثنى بمائتى حديث، قال: اقعد، فحدّثه بها.

* قال: وسمعت ابن عيينة، يقول: قال عمر بن الخطاب: اللهم إنى أشربه لظمأ يوم القيامة.

* وعن عكرمة مولى ابن عباس، أن النبى - ﷺ - يوم طاف بالبيت أتى عباسًا، فقال: اسقونا، فقال العباس: ألا نسقيك يا رسول الله من شراب صنعناه فى البيت؟ فإن هذا الشراب قد لوثته الأيدى..

فقال النبى -ﷺ-: اسقونا مما تسقون الناس، فسَقُوه فَرَشٌ بين عينيه، فَدعا بماء فصَبَّه عليه، ثم شرب، ثم دعا بماء أيضا، فصبّه عليه ثم شرب، وكان ذلك الشراب فى الأسقية[1].

* وعن ابن عباس - رضى الله عنهما، أن النبى - ﷺ -، شرب من زمزم من دلو منها وهو قائم وقال: ضع دلوك من قبل العين التى تلى البيت أو الركن، فإنها من عيون الجنة.

(١) كنز العمال ١٠١/١٧.

الفصل الثانى

الأماكن التى تتصل بالشعائر المقدسة التى أدّاها الرسول ﷺ

ويرتبط بالمسجد الحرام، أو البيت العتيق، أماكن عدة، تتصل بالشعائر المقدسة، التى أداها رسول الله - ﷺ - فى حجته الوحيدة، حجة الوداع أو حجة البلاغ.

- ١ -

الأماكن التى صلى فيها الرسول ﷺ وهو ذاهب من مكة إلى المدينة

روى البخارى فى صحيحه[(١)]، عن موسى بن عقبة، قال: رأيت سالم بن عبدالله يتحرى أماكن فيصلى فيها ويحدّث أن أباه كان يصلى فيها، وأنه رأى النبى -ﷺ- يصلّى فى تلك الأمكنة.

مسجد ذى الحليفة.

روى موسى بن عقبة، عن نافع، أن عبد الله بن عمر أخبره أن رسول الله - ﷺ - كان ينزل بذى الحليفة حين يعتمر، وفى حجته حين حج تحت سَمُرة فى موضع المسجد الذى بذى الحليفة، وكان إذا رجع من غزو كان فى تلك الطريق، أو فى حج أو عمرة، هبط من بطن وادٍ. فإذا ظهر من بطن واد أناخ بالبطحاء التى على شفير الوادى الشرقية، فعرّس (أى نزل للراحة) ثَمَّ حتى يصبح ليس عند المسجد الذى بحجارة، ولا على الأكمة التى عليها المسجد، كان ثَمَّ خليج يصلى عبد الله عنده، فى بطنه كُثُب كان رسول الله - ﷺ - ثَمَّ يصلى، فدَحَا السيلُ فيه بالبطحاء حتى دفن المكان، الذى كان عبد الله يصلى فيه.

وإن عبدالله بن عمر حدّثه أن النبى - ﷺ - صلّى حيث المسجد الصغير، الذى دون المسجد الذى بشرف الرّوحاء، وقد كان عبد الله يُعلّم المكان الذى كان صلى فيه النبى - ﷺ - يقول: ثم عن يمينك حين تقوم فى المسجد تصلى، وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة.

وإن ابن عمر كان يُصَلِّى إلى العِرْق الذى عند مُنْصَرف الروحاء، وذلك العِرق انتهاء طرفه على حافة الطريق دون المسجد، الذى بينه وبين المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة، وقد ابتنى ثَمَّ مسجد،

(١) باب المساجد التى على طريق المدينة، والأماكن التى صلّى فيها النبى - ﷺ -.

فلم يكن عبدالله يصلى فى ذلك المسجد، كان يتركه عن يساره ووارئه ويُصَلِّى أمامه إلى العرْق نفسه.

* وإن عبد الله حدثه أن النبى - ﷺ - كان ينزل تحت سَرْحَة (شجرة لا شوك فيها) ضخمة، دون الرُّويثة عن يمين الطريق، ووجاه الطريق فى مكان بَطح سهل (مسيل واسع) حتى يُفضى من أكمة دُوَيْن بريد الرويثة بميلين، وقد انكسر أعلاها فانثنى فى جوفها، وهى قائمة على ساق، وفى ساقها كُثُب كثيرة.

* وإن عبد الله بن عمر حدّثه أن النبى - ﷺ - صلَّى فى طَرَف تَلْعة (مرتفع من الأرض) من وراء العَرْج وأنت ذاهب إلى هضبة، عند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة، على القبور رَضْم من حجارة عن يمين الطريق عند سلمات الطريق، بين أولئك السَّلِمات كان عبد الله يروح من العَرْج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة، فيصلى الظُّهر فى ذلك المسجد.

* وإن عبد الله بن عمر حدَّثه أن رسول الله - ﷺ - نزل عند سرحات عن يسار الطريق فى مسيل دون هَرْشَى (فى طريق مكة)، ذلك المسيل لاصق بكرَاع هَرْشَى، بينه وبين الطريق قريب من غَلْوة (قدر مرماة السهم). وكان عبد الله يصلى إلى سرحة هى أقرب السَّرحات إلى الطريق وهى أطولهن.

* وإن عبد الله بن عمر حدّثه أن رسول الله - ﷺ - كان ينزل بذِى طُوًى، ويبيت حتى يصبح، يُصَلِّى الصبح حتى يقْدم مكة، ومصلى رسول الله - ﷺ - ذلك، على أكمة غليظة، ليس فى المسجد الذى بُنى ثَمّ، ولكن أسفل من ذلك على أكمة غليظة.

* وإن عبدالله حدثه أن رسول الله - ﷺ -، استقبل فُرْضتى الجبل الذى بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة، فجعل المسجد الذى بُنى ثَمّ يسار المسجد بطرف الأكمة. مُصلى النبى -ﷺ- أسفل منه على الأكمة السوداء، تدَع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها، ثم تُصلى مستقبل الفرضتين من الجبل، الذى بينك وبين الكعبة[1].

* وهذه الأماكن لا يُعرف اليوم كثير منها أو أكثرها، لأنه قد غُير أسماء أكثر هذه البقاع اليوم عند هؤلاء الأعراب الذين هناك، فإن الجهل قد غَلَب على أكثرهم، وإنما أوردها البخارى - رحمه الله - فى كتابه لعل أحدًا يهتدى إليها بالتأمل والتفرس والتوسم، أو لعل أكثرها أو كثيرا منها كان معلوما فى زمان البخارى.

(١) تفرد البخارى بهذا الحديث بطوله وسياقه، وقد رواه الإمام أحمد بطوله.

- ٢ -

دخول النبي ﷺ
إلى البلد الحرام: مكة المكرمة

* روى البخاري - بإسناده - عن ابن عمر رضى الله عنهما. قال.

«بات النبى - ﷺ - بذى طُوًى حتى أصبح، ثم دخل مكة»، وكان ابن عمر يفعله.

* وروى مسلم - بإسناده - عن نافع، عن ابن عمر، كان لا يقدم مكة إلاّ بات بذى طُوًى، حتى يصبح ويغتسل، ثم يدخل مكة نهارًا، ويذكر عن النبى - ﷺ - أنه فعله.

* عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله - ﷺ - كان يبيت بذِى طُوًى حتى يصبح، فيصلى الصبح حتى يقدم مكة، ومُصَلَّى رسول الله - ﷺ - عند أكمة غليظة، وأن رسول الله - ﷺ - استقبل فُرْضَتَىِ الجبل، الذى بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة، فجعل المسجد الذى بُنِى ثَمّ يسار المسجد بطرف الأكمة، ومصلى رسول الله - ﷺ - أسفل منه، على الأكمة السوداء، يدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها، ثم يصلى مستقبل الفرضتين من الجبل. الذى بينك وبين الكعبة(١).

* وحاصل هذا كله. أنه صلى الله عليه وسلم لما انتهى فى مسيره إلى ذى طوى - وهو قريب من مكة، متاخم للحرم، أمسك عن التلبية، لأنه قد وصل إلى المقصود، وبات بذلك المكان حتى أصبح، فصلى هنالك الصبح فى المكان الذى وصفوه بين فُرْضَتَى الجبل الطويل هنالك.

- ومن تأمل هذه الأماكن، المشار إليها بعين البصيرة، عرفها معرفة جيدة، وتعيّن له المكان، الذى صلى فيه رسول الله - ﷺ -.

* ثم اغتسل - صلوات الله وسلامه عليه - لأجل دخول مكة، ثم ركب ودخلها نهارًا جهرة علانية من الثنية العليا، التى بالبطحاء، ويقال كَدَاء ليراه الناس، ويشرف عليهم، وكذلك دخل منها يوم الفتح، قال مالك عن نافع عن ابن عمر:

«إنّ رسول الله - ﷺ - دخل مكة من الثَّنِيَّة العليا وخرج من الثنية السفلى»(٢).

ولمّا وقع بصره - ﷺ - على البيت، قال - ما رواه الشافعى فى مسنده - عن ابن جُرَيج، إن النبى -ﷺ- كان إذا رأى البيت رفع يده، وقال:

(١) أخرجاه فى الصحيحين.

(٢) أخرجاه فى الصحيحين.

«اللهم زِدْ هذا البيت تشريفًا وتعظيمًا، وتكريمًا ومهابة. وزِدْ من شرفه وكرمه، ومَنْ حجّه واعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبرًّا».

* وعن مكحول، قال: كان النبى - ﷺ - إذا دخل مكة فرأى البيت رفع يده وكبّر، وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، فحَيِّنا ربنا بالسلام، اللهم زِدْ هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرًّا وزِدْ من حجّه أو اعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرًّا».

* ثم إنه - ﷺ - دخل المسجد الحرام من باب بنى شيبة.

فقد روى الحافظ البيهقى - بإسناده - عن عطاء بن أبى رباح قال:

«ودخل النبى - ﷺ - من باب بنى شيبة وخرج من باب بنى مخزوم إلى الصفا».

وقد استدل البيهقى على استحباب دخول المسجد من باب بنى شيبة، بما رواه بإسناده، عن خالد بن عُرْعُرة، عن علىّ رضى الله عنه، قال:

«لما انهدم البيتُ بعد جُرهم بنته قريش، فلما أرادوا وضع الحجر، تشاجروا مَنْ يضعه، فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب، فدخل رسول الله - ﷺ - من باب بنى شيبة، فأمر رسول الله - ﷺ - بثوب، فوضع الحجر فى وسطه، وأمر كل فَخْذٍ أن يأخذوا بطائفة من الثوب، فرفعوه، وأخذه رسول الله - ﷺ - فوضعه»[1].

- ٣ -

الطواف بالكعبة المشرفة

* روى البخارى - بإسناده - عن عروة، قال: أخبرتنى عائشة - رضى الله عنها، قالت: «إن أول شىء بدأ به حين قدم النبى - ﷺ - أنه توضأ ثم طاف..

* وكان أول ما ابتدأ به - ﷺ - استلام الحجر الأسود، قبل الطواف..

روى البخارى، بإسناده. عن عابس بن ربيعة عن عمر رضى الله عنه، أنه جاء إلى الحجر فقبّله، وقال: إنى لأعلم أنك حجر، لا تضرُّ ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله - ﷺ - يقبّلك ما قَبّلتُك».

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير جـ ١ باب بناء الكعبة قبل البعثة، وفى الاستدلال على استحباب الدخول من باب بنى شيبة.

* ثم استلام الركن اليمانى:

* روى الإمام أحمد - بإسناده - عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب أكبّ على الركن (اليمانى) وقال: إنى لأعلم أنك حجر، ولو لم أر حبيبى - ﷺ - قبّلك، واستلمك ما استلمتك ولا قبلتك.. ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فى رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنة﴾.

* روى البخارى - بإسناده - عن نافع، عن ابن عمر، قال:

«ما تركت استلام هذين الركنين فى شدة ولا رَخَاء منذ رأيت رسول الله - ﷺ - يستلمهما، فقلت لنافع: أكان ابن عمر يمشى بين الركنين؟ قال: إنما كان يمشى ليكون أيسر لاستلامه.

* وروى أبو داود والنسائى - بإسنادهما - عن نافع، عن ابن عمر، قال:

«إن النبى -ﷺ- كان لا يدع أن يستلم الركن اليمانى والحجَر فى كل طوفة».

* وقال البخارى - بإسناده - عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، قال:

«لم أر النبى - ﷺ - يستلم من البيت إلّا الركنين اليمانيين».

- وفى رواية عنه، أنه قال:

«ما أرى النبى - ﷺ - ترك استلام الركنين الشاميين إلا أنهما لم يُتَما على قواعد إبراهيم».

* روى مسلم - فى صحيحه بإسناده - أن أبا الطفيل البكري حدثه، أنه سمع ابن عباس، يقول: «لم أر رسول الله - ﷺ - يستلم غير الركنين اليمانيين».

فالذى رواه ابن عمر موافق لما قاله ابن عباس، أن الرسول - ﷺ - لم يستلم الركنين الشاميين. لأنهما لم يُتما على قواعد إبراهيم. لأن قريشا قَصُرت بهم النفقة. فأخرجوا الحجر من البيت حين بنوه.

وود النبى - ﷺ - أن لو بناه فتمّمه على قواعد إبراهيم، ولكن خشى من حَدَاثَة عهد الناس بالجاهلية فتنكره قلوبهم.. فلما كانت إمرة عبد الله بن الزبير، هدم الكعبة وبناها على ما أشار إليه - ﷺ - كما أخبرته خالتُه أم المؤمنين عائشة بنت الصّديق. فإن كان ابن الزبير استلم الأركانَ كلها بعد بنائه إياها على قواعد إبراهيم، فحسن جداً. وهو والله المظنون به»[1].

* ثم إتيان المقام..

روى الترمذى - بإسناده - عن جابر، قال:

«لما قدم النبي - ﷺ - مكة، دخل المسجد، فاستلم الحجر، ثم مضى على يمينه فرمل ثلاثا،

(١) ابن كثير: السيرة النبوية ٤/٣١٠.

ومشى أربعا ثم أتى المقام (مقام إبراهيم) فقال: ﴿واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبراهيم مُصلًّى﴾ [البقرة ١٢٥] فصلى ركعتين، والمقام بينه وبين البيت، ثم أتى الحجر بعد الركعتين فاستلمه، ثم خرج إلى الصفا، قال: ﴿إنّ الصّفا والمرْوَةَ مِنْ شَعَائر الله﴾.

وروى مسلم -بإسناده - عن جابر بن عبد الله، قال:

«أن رسول الله - ﷺ - رَمَل ثلاثة أطواف من الحجر إلى الحجر.

وهذا ردّ على ابن عباس ومن تابعه من أن الرَّمَلَ فى الطواف ليس بسُنّة.

لأن رسول الله - ﷺ - إنما فعله لما قدم هو وأصحابه صبيحة رابعة - يعنى فى عُمرة القضاء، وقال المشركون: إنه يَقْدم عليكم وفدٌ وهَّنَتْهم حُمّى يثرب. فأمرهم رسول الله - ﷺ - أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم، وهذا ثابت فى الصحيحين.

* وروى الإمام أحمد - باسناده - عن ابن يعلى. عن أبيه، قال:

«إن النبى - ﷺ - لما قدم طاف بالبيت، وهو مُضْطبع ببُرْد له حَضْرمى».

* وقال جابر - فى حديثه المتقدم - حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن، فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ: ﴿واتَّخِذُوا من مقام إبراهِيمَ مُصَلّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت، فذكر أنه صلى ركعتين قرأ فيهما: ﴿قُلْ يَـاأيُّهَا الكافِرُون﴾ و﴿قُلْ هُوَ الله أحد﴾.

* فإن قيل.. فهل كان الرسول - ﷺ - فى طوافه حول الكعبة راكبا أو ماشيا؟

فالجواب.. أنه قد ورد نَقْلان، قد يُظن أنهما متعارضان، ونحن نذكرهما ونشير إلى التوفيق بينهما، ورفع اللَّبْس عند من يتوهم فيهما تعارضا.

فقد روى البخارى - بإسناده - عن ابن عباس، قال:

«طاف النبى - ﷺ - على بعيره فى حجة الوداع يتسلم الركن بمِحْجَن - أى عصا وفى رواية أخرى: «طاف النبى - ﷺ - بالبيت علىْ بعير، كلما أتى الرّكن أشار إليه.

* وروى مسلم - بإسناده عن عائشة، قالت:

«إن رسول الله - ﷺ - طاف فى حجة الوداع حول الكعبة على بعير، يستلم الركن كراهيةَ أن يَضْرب عنه الناسُ».

فهذا إثبات أنه - ﷺ - طاف فى حجة الوداع على بعير.

ولكن حجة الوداع كان فيها ثلاثة أطواف، الأول: طواف القدوم، والثانى: طواف الإفاضة وهو طواف الفَرْض، وكان يوم النحر، والثالث: طواف الوداع.

فلعل ركوبه - ﷺ - كان فى أحد الآخرين أو فى كليهما.

فأما الأول، وهو طواف القدوم فكان ماشيا فيه، وقد نص الشافعى على هذا كله.

والدليل على ذلك، ما قال الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتابه السنن الكبير، بإسناده - عن جابر بن عبدالله، قال:

«دخلنا مكة عند ارتفاع الضُّحى فأتى النبى - ﷺ - باب المسجد فأناخ راحلته، ثم دخل المسجد، فبدأ بالحجر فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء، ثم رَمَل ثلاثا ومشى أربعا، حتى فرغ، فلما فرغ قَبَّلَ الحجَر، ووضع يده عليه ومسح بهما وجهه».

- ٤ -

السعى بين الصفا والمروة

روى مسلم - فى صحيحه - عن جابر، فى حديثه المتقدم، بعد ذكره طواف النبى - ﷺ - بالبيت سبعا، وصلاته عند المقام ركعتين، قال: ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا والمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ أبدأ بما بَدَأَ الله به. فبدأ بالصفا فَرَقِىَ عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القِبْلة فوحَّد الله وكبره وقال:

«لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له المُلْك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، لا إله إلاّ الله أَنْجَزَ وعدَه ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، ثم دعا بين ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات.

* ثم نزل، حتى إذا انصبت قدماه فى الوادى رَمَل، حتى إذا صعد مَشَى حتى أتى المروة، فَرَقِىَ عليها، حتى نظر إلى البيت، فقال عليها كما قال على الصفا.

قال الإمام أحمد - بإسناده - عن حبيبة بنت أبى تَجراة، قالت:

«دخلت دار حصين فى نسوة من قريش والنبى - ﷺ - يطوف بين الصفا والمروة، قالت: وهو يسعى يدور به إزاره من شدة السعى، وهو يقول لأصحابه:

«اسعوا إن الله كتب عليكم السعى».

* وعن أم ولد شيبة بن عثمان، أنها أبصرت النبى - ﷺ - وهو يسعى بين الصفا والمروة، وهو يقول: .«لا يُقْطع الأَبْطَحُ إلاّ شدًّا»(١).

والمراد بالسعى ها هنا هو الذهاب من الصفا إلى المروة، ومنها إليها، وليس المراد بالسعى هاهنا

---

(١) رواه النسائى.

الهرولة والإسراع، فإن الله لم يكتبه علينا حتما، بل لو مشى الإنسان على هيئته فى السَّبْع الطوافات بينهما ولم يَرْمل فى المسيل، أجزأه ذلك عند جماعة العلماء، لا نعرف بينهم اختلافا فى ذلك وقد نقله الترمذى عن أهل العلم، ثم قال: حدثنا يوسف بن عيسى - بإسناده - عن كُثَيِّر بن جَهْمان، قال: رأيت ابن عمر، يمشى فى المسعى، فقلت: أتمشى فى المسعى بين الصفا والمروة؟ فقال: لئن سعيت، فقد رأيت رسول الله - ﷺ - يسعى، ولئن مشيت، لقد رأيت رسول الله - ﷺ - يمشى وأنا شيخ كبير» ثم قال: هذا حديث حسن صحيح.

- ٥ -

الوقوف بمنى وعرفات

ثم سار - ﷺ - بعد فراغه من السعى بين الصفا والمروة، وأَمْره بالفسخ لمن لم يَسُق الهدى، والناسُ معه، حتى نزل بالأبطح شرقى مكة، فأقام هنالك بقية يوم الأحد ويوم الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، حتى صلى الصبح من يوم الخميس، كل ذلك يصلى بأصحابه هنالك، ولم يَعُد إلى الكعبة من تلك الأيام كلها.

* روى البخارى - بإسناده - عن عبدالله بن عباس، قال:

«قدم النبى - ﷺ - مكة، فطاف سبعا، وسَعَى بين الصفا والمروة، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة»(١).

* فلما أصبح - ﷺ - يوم الخميس، صلَّى بالأبطح الصبح من يومئذ، وهو يوم التروية، ويقال له يوم منى، لأنه يُسَار فيه إليها.

* وقد روى أن النبى - ﷺ - خَطَب هذا اليوم.

قال البيهقى، بإسناده - عن نافع، عن ابن عمر، قال:

* كان رسول الله - ﷺ - إذا خَطَب يَوْمَ التروية خطب الناس فأخبرهم بمناسكهم.

ثم ركب رسول الله - ﷺ - قاصدًا إلى منى قبل الزوال، وقيل: بعده، وأحرم الذين كانوا قد حلوا من الأبطح، حين توجهوا إلى منى.

* قال جابر بن عبد الله: قدمنا مع رسول الله - ﷺ - فأحللنا، حتى كان يوم التروية، وجعلنا مكة منا بظَهْر، لبَّينا بالحج.

---

(١) صحيح البخارى: باب من لم يقرب الكعبة ولم يطف حتى يخرج إلى عرفة.

- ٦ -

الصـــلاة بمـــنى

- روى الترمذى - بإسناده - عن ابن عباس، قال: «صلى بنا رسول الله - ﷺ - بمنى الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر، ثم غَدَا إلى عرفات».

أى إن النبى - ﷺ - توجّه إلى منىً يوم التروية،فصَلّى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة له من شَعْر، فضربت له بنَمِرَة فسار رسول الله - ﷺ - ولا تشُكّ قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام فأجاز رسول الله - ﷺ - حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضُربت له بنَمِرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس، أمر بالقصواء فرحِّلت له، فأتى بطن الوادى، فخطب الناس، وقال:

«إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحُرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا.. ألا كل شىء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمى، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أَضَع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، وكان مسترضعا فى بنى سعد، فقتلته هُذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبدالمطلب، فإنه موضوع كله..

واتقوا الله فى النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرِّح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدى إن اعتصمتم به، كتاب الله وأنتم تَسألون عنى فما أنتم قائلون؟

قالوا: «نشهد أنك قد بلَّغت وأدّيت ونصحت، فقال: بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء. وينكتها على الناس، اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد. ثلاث مرات».

* وفى الصحيحين، عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يخطب بعرفات: «من لم يجد نعلين فليلبس الخفين، ومن لم يجد إزارًا فليلبس السراويل للمُحْرِم».

* وقال محمد بن اسحاق - بإسناده - عن عمرو بن خارجة، قال:

«بعثنى عتّاب بن أسيد إلى رسول الله - ﷺ - وهو واقف بعرفة فى حاجة، فبلّغته، ثم وقفت تحت ناقته، وإن لعابها ليقع على رأسى، فسمعته يقول:

«أيها الناس، إن الله أدّى إلى كل ذى حق حقّه، وإنه لا تجوز وصية لوارث، والولد للفراش.

وللعاهر الحَجَر، ومن ادَّعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يَقْبل الله له صَرْفا ولا عَدْلا»(١).

- ٧ -

الوقـوف بعـرفـات

* روى البخارى - فى صحيحه(٢) عن محمد بن أبى بكر الثقفى، أنه سأل أنس بن مالك - وهما غاديان من منى إلى عرفة: كيف كنتم تصنعون فى هذا اليوم مع رسول الله - ﷺ -؟ فقال: كان يُهلّ منا المُهِل فلا يُنكر عليه، ويكبِّر المكبِّر منا فلا ينكر عليه.

* وقال البخارى - بإسناده - عن سالم بن عبد الله، أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج بن يوسف أن يأتم بعبد الله بن عمر فى الحج، فلما كان يوم عرفة، جاء ابن عمر وأنا معه حين زاغت الشمس، أو زالت الشمس، فصاح عند فسطاطه: أين هذا؟ فخرج إليه، فقال ابن عمر: الرواح، فقال: الآن؟ قال: نعم. فقال: أنظرنى حين أُفيض علىَّ ماء، فنزل ابن عمر حتى خرج، فسار بينى وبين أبى فقلت؛ (أى سالم بن عبد الله للحجاج): إن كُنت تريد أن تُصيب السُّنّة اليوم فأقصر الخطبة، وعجل الوقوف، فقال ابن عمر صدق.

* وروى أن الحجاج سأل عبد الله: كيف تصنع فى هذا الموقف؟ فقال:

«إن كنت تريد السُّنة فهجِّر بالصلاة يوم عرفة، فقال ابن عمر: صَدَق، إنهم كانوا يجمعون بين الظهر والعصر فى السُّنة، فقال: أفَعَل ذلك رسول الله - ﷺ -؟، فقال: هل يبتغون بذلك إلاّ سُنّة؟.

* وروى أبو داود - بإسناده - عن ابن عمر، أن رسول الله - ﷺ - غدا من منى حتى صلى الصبح صبيحة يوم عرفة، فنزل بنمرَة وهى منزل الإمام الذى ينزل به بعرفة حتى إذا كان عند صلاة الظهر، راح رسول الله - ﷺ - مهجِّرا، فجمع بين الظهر والعصر.

وهكذا ذكر جابر - فى حديثه - بعد ما أورد الخطبة المتقدمة، قال: ثم أذَّن بلال، ثم أقام فصَلَّى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصلّ بينهما شيئا.

وهذا يقتضى أن الرسول - ﷺ - خطب أولا، ثم أقيمت الصلاة، ولم يتعرض للخطبة الثانية.

---

(١) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه، قال الترمذى: حديث صحيح.

(٢) باب التلبية والتكبير إذا غدا من منى إلى عرفة.

* قال الشافعى - بإسناده - عن جابر، فى حجة الوداع، قال:

«فراح النبى - ﷺ - إلى الموقف بعرفة، فخطب الناس الخطبة الأولى ثم أذّن بِلاَل ثم أخذ النبى - ﷺ - فى الخطبة الثانية، ففرغ من الخطبة وبلال من الأذان، ثم أقام بلال فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر.

* أما عن صيام يوم عرفة - بعرفة، فقد روى أبو هريرة - رضى الله عنه، أن رسول الله - ﷺ - نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة».

وقد روى أنه - ﷺ - أفطر يوم عرفة، وهذا يدل على أن الإفطار هناك أفضل من الصيام، لما فيه من التقوِّى على الدعاء، لأنه المقصود الأهم هناك.

* وقد روى عن الإمام أحمد والترمذى - بإسنادهما - أن رسول الله - ﷺ - قال: «أفضل الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلتُ أنا والنبيون من قبلى، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير».

* وعن الزبير بن العوام - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ -. وهو بعرفة يقرأ هذه الآية: ﴿شَهِدَ الله أَنَّهُ لا إِلَهَ إلاّ هُوَ والمَلاَئِكَةُ وأُولُو العِلْم قَائِمًا بالقِسْطِ لا إله إلاّ هُوَ العَزِيزُ الحكيم﴾ وأنا على ذلك من الشاهدين يارب.

* وعن على رضى الله عنه، قال: كان أكثر ما دعا به رسول الله - ﷺ - يوم عرفة، فى هذا الموقف: «اللّهم لَكَ الحمدُ كالذى نَقُولُ وخيرًا مما نقول، اللهم لك صلاتى ونُسكى ومحياى ومماتى، ولك رب تراثى، أعوذ بك من عذاب القبر، ووسوسة الصدر وشتات الأمر، اللهم إنى أعوذ بك من شر ما تهبّ به الريح».

* وروى البيهقى - بإسناده - عن علىّ بن أبى طالب - رضى الله عنه، قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - «إن أكثر دعاء مَنْ كان قبلى ودعائى يوم عرفة أن أقول: لا إله إلاّ الله وحده، لا شريك له، له المُلك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير.. اللهم اجعل فى بصرى نورًا، وفى سمعى نورًا، وفى قلبى نورًا، اللهم اشرح لى صدرى ويسّر لى أمرى، اللهم إنى أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر، وشر فتنة القبر، وشر ما يلج فى الليل، وشر ما يلج فى النهار، وشر ما تهبُّ به الرياح، وشر بوائق الدهر».

- ٨ -

المشعر الحرام

ثم أفاض الرسول - ﷺ - من عرفات إلى المشعر الحرام.

قال جابر - فى حديثه الطويل: «فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس، وذهبت الصُّفرة قليلا حين غاب القُرْص، فأردف أُسامة (بن زيد) خلفه، ودفع رسول الله - ﷺ - وقد شَنَق لناقته القَصْواء الزمام، حتى إن رأسها ليصيب مَوْرِك رجله، ويقول بيده اليمنى: «أيها الناس السَّكِينة السَّكِينة، كلما أتى جبلا من الجبال أرْخى لها قليلا حتى تَصْعَد، حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئا[1].

وروى الإمام أحمد، بإسناده، عن أسامة بن زيد، قال:

«كنت رديف رسول الله - ﷺ - عشية عرفة، فلما وقعت الشمس دَفَع رسولُ الله - ﷺ - فلما سمع حطمة الناس - أى دفع بعضهم لبعض - خلفه، قال: رُويدًا أيها الناس، عليكم السكينة، إن البر ليس بالإيضاع - أى الإسراع.

قال: فكان رسول الله - ﷺ - إذا التحم عليه الناسُ أعْنق، وإذا وجد فُرْجة نَصَّ حتى أتى المزدلفة، فجمع فيها بين الصلاتين: المغرب والعشاء الآخرة.

وروى البخارى - بإسناده - عن أسامة بن زيد، قال: دَفَع رسول الله - ﷺ - من عرفة، فنزل الشِّعْب فبَالَ، ثم توضأ فلم يسبغ الوضوء، فقلت: الصلاة؟ فقال: الصلاة أمامك، فجاء المزدلفة فتوضأ فأسبغ، ثم أقيمت الصلاة، فصلى المغرب، ثم أناخ كل إنسان بعيره فى منزله، ثم أقيمت الصلاة فصلى العشاء، ولم يُصلِّ بينهما.

---

(١) رواه مسلم.

الفصل الثالث

الأماكن التى حول منطقة القلب
نطـاق الغـزوات

وحول **منطقة القلب** – المسجد الحرام ومكة المكرمة، نطاق واسع، يمكن أن نسميه «**نطاق الغزوات**» جاء فيه أحاديث نبوية كثيرة، تذكر **المدينة المنورة بما احتوت من أماكن دينية عظيمة**، منها:

«الحرم النبوى، وجبل أُحد، والبقيع، ومسجد قباء، ومسجد ذى القبلتين، كما ورد ذكر أودية المدينة وآبارها وحدودها...

– ١ –
المدينة المنوّرة

المدينة المنورة **مأرز الإيمان**، ومنبع النور، وموطن الطهر والوفاء، والصفاء والنقاء.

روى البخارى – بإسناده – **عن أبى هريرة** – رضى الله عنه، أن رسول الله – ﷺ – قال: «إنّ الإيمانَ ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحيّةُ إلى جحرها».

لقد نوّرت بمقدم النبى – ﷺ – بعد أن أيدته وآزرته، واستجابت لدعوته، **وصارت مركز دولة الإسلام** فى العهد الزاهر، عهد النبى وخلفائه الراشدين، وانطلقت منها **دعوة التوحيد**، التى انتشرت فى أرجاء العالم، فانفتح أمامها كل مغلق من الأمصار والأقطار.

إن الذكريات الإسلامية التليدة، **وأمجاد الإسلام العظيمة ترتبط دائما باسمها وتاريخها**، كما ترتبط بسجل تاريخى حافل لرسول الله – ﷺ – سجل يزخر بالأحداث الكبيرة، والذكريات التى تبعث فى النفوس الأمل، إذا استبد بها اليأس، وتوحى إليها بمنهج الخلاص إذا اشتد بها الخوف فى دياجير الظلام، وترشد بأنوارها الحائر فى جنح الليل البهيم، وتداعب جفن الوسنان، فتبعد عنه الكرى، وتوقظ فيه الحسّ والشعور، **وتحمله على الاعتراف بعظمة هذا الرسول الكريم** – ﷺ.

*** اسمها..**

كان اسمها «**يثرب**». ولو لم يهاجر إليها رسول الله، ولو لم يدخلها الإسلام لبقى اسمها كما كان

عبر التاريخ، فلما أضاءت أرجاؤها بمقدمه وطلعته وموكبه، سُميت «المدينة المنورة»، وترك الاسم السابق[١].

* وسماها الله «طابة». قال جابر بن سمرة - فيما رواه مسلم:

«سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: إن الله سمى المدينة طابة».

وروى الإمام أحمد - فى مسنده - عن البراء بن عازب - رضى الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ: «من سمَّى المدينة يثرب فليستغفر الله، هى طابة، وتسميتها فى القرآن يثرب[٢] حكاية عن قول من قالها من المنافقين ، والذين فى قلوبهم مرض.

* وهى أيضا: طَيْبَة.. الطَّيِّبة.. الجابرة.. الحبيبة.. دار الهجرة.. ودار الإيمان...

* عن زيد بن أسلم، قال، قال النبى - ﷺ:

«للمدينة عشرة أسماء هى: المدينة، وطَيْبة، وطابة، ومسكينة، وجبار، ومجبورة، ويَنْدد ويثرب».

* وعن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب، قال: سمّى الله المدينة: الدَّارَ والإيمان.

قال: فجاء فى الحديث الأول ثمانية أسماء، وجاء فى هذا اسمان، فالله أعلم أهما تمام العشرة الأسماء التى فى الحديث الأول، أم لا؟.

* وقال ابن يحيى: لم أزل أسمع أن للمدينة عشرة أسماء فى التوراة، كما يقال.. والله أعلم، قال: هى المدينة، وطَيْبة، وطَابَة، والطَّيِّبة، والـمِسْكينة، والعذراء، والجابرة، والمجبورة، والمحَبَّة، والمحبوبة».

* وعن أبى قتادة، قال، لما أقبلنا من غزوة تبوك، قال رسول الله - ﷺ: هذه طَيْبة، أَسْكَنَنِيها ربِّى، تَنْفِى خبث أهلها كما ينفى الكير خبث الحديد، فمن لقى منكم من النفّاخين فلا يكَلِّمنّه ولا يجالِسَنَّه»[٣].

وكان الرسول - ﷺ - يحب الاسم الحسن، فلذلك سماها طَيْبة وطَابَة، لما فى اسم طيبة من الطِّيب، وهو موجود فى المدينة، ذكروا أنه يوجد أبدًا فى رائحة هوائها أو تربتها، أو سائر أمورها.

وقيل: لموافقتها من قوله تعالى: (ريح طيبة).

وقيل: لطهارتها من الكفر، من قوله تعالى: ﴿الطيبات للطيبين﴾ والطيب والطاب لغتان بمعنى.

---

(١) ابن شبة: تاريخ المدينة المنورة ١٦٢/١. ويثرب مأخوذ من الثرب وهو الفساد، أو التثريب وهو المؤاخذة بالذنب، لذلك كره لها هذا الاسم بعد الهجرة.

(٢) وهو قوله تعالى فى بنى حارثة يوم الأحزاب ﴿وإذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا﴾.

(٣) صحيح مسلم ١٠٠٥/٢، ومجمع الزوائد ٣٠٧/٣.

أحب رسول الله المدينة، وقدّر أهلها الذين أحبوه وأيدوه ونصروه، فكانوا الأنصار ونعم الأنصار ودَعَا لهم ولمدينتهم بالخير والبركة والصحة...

* عن أبي شهاب، عن أنس بن مالك، عن النبى - ﷺ - قال: «اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَى ما جعلت بمكة من البركة».

* وعن أبي هريرة - رضى الله عنه، أن رسول الله - ﷺ - كان يُؤْتَى بأول الثمر، فيقول: «اللهم بارك لنا فى مدينتنا وفى ثمارنا وفى مُدّنا وفى صَاعِنا، بركة على بركة، ثم يعطيه أصغر مَنْ يحضره من الولدان».

* وروى البخارى - بإسناده - عن أبي بكر، رضى الله عنه، عن النبى - ﷺ، قال: «لا يدخل المدينة رُعب المسيح الدَّجال، لها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب مَلَكان».

* وعن أنس بن مالك، رضى الله عنه، عن النبى - ﷺ - قال: «ليس بلد إلا سيطؤه الدجال إلاّ مكة والمدينة، ليس نقب من أنقابها إلاّ عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق».

* وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: لما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة، وَعَك أبو بكر وبلال، رضى الله عنها، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كـلُّ امْـرِئٍ مُصْبِـح فِى أَهْلِهِ   والمَـوْتُ أَدْنَى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال إذا اقلع عنه يرفع عقيرته، فيقول:

أَلَا ليت شِعْرِى هل أَبِيتَنّ لَيْلةً   بِـوَادٍ وحَـوْلِى أَذْخَـرٌ وجَلِيـلُ
وهَـلْ أَرِدْن يومًـا مِيَـاه مِجَنّـةٍ   وهَلْ يَبْدُون لى شَـامَة وطفيـلُ

اللهم الْعَن شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوبا، ثم قال رسول الله - ﷺ - اللهم حَبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا فى صاعنا، وفى مُدّنا، وصححها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة.

قالت: وقدمنا المدينة وهى أَوْبأ أرض الله، فكان بطحان يجرى نجلا يعنى ماء».

* وروى الإمام مسلم - فى صحيحه، أن رسول الله - ﷺ قال فى دعائه للمدينة: «اللهم إن ابراهيم عبدك وخليلك ونبيّك، وإنِّى عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وإنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكّة ومثله معه».

* وروى الإمام مسلم - فى صحيحه - بإسناده - عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إنّى أُحَرِّمُ ما بين لَابَتَىّ المدينة، أن يقطع عضاهها، أويقتل صيدها وقال:

«المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لايدعها أحد رغبة عنها إلّا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولايثبت أحد على لأوائها وجهدها، إلا كنت له شفيعًا أوشهيدًا».

وفي رواية – وزاد في الحديث: «ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص، أو ذوب الملح في الماء».

* وروى الإمام مسلم – بإسناده – عن معقل بن يسار، رضى الله عنه، قال:

قال رسول الله – ﷺ – «المدينة مهاجرى، فيها مضجعى، وفيها مبعثى، حقيق على أمتى حفظ جيرانى ما اجتنبوا الكبائر، من حفظهم كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة، ومن لم يحفظهم سُقِى من طينة الخَبَال، قيل: ما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار.

* عن سالم عبدالله بن عمر، قال: سمعت أبي يقول: سمعت عمر بن الخطاب – رضى الله عنه يقول:

«اشتد الجهد بالمدينة، وغلا السعر، فقال النبى – ﷺ – اصبروا يا أهل المدينة، وأبشروا فإنى قد باركت على صاعكم ومدّكم، كلوا جميعا ولا تفرقوا، فإن طعام الرجل يكفى الاثنين، وطعام الاثنين يكفى الأربعة، وطعام الأربعة يكفى الخمسة والستة، والبركة في الجماعة – فمن صبر على لأوائها وشدتها كنت له شفيعا، وكنت له شهيدًا يوم القيامة، ومن خرج عنها رغبة عما فيها أبدل الله عز وجل فيها من هو خير منه، ومن بغاها أو كادها بسوء أذابه الله، كما يذوب الملح في الماء.

* ولقد حث الرسول الكريم الناس على الإقامة في المدينة، فقال – ﷺ – فيما رواه عنه أبو هريرة:

«يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه، هَلُمّ إلى الرخاء، هلم إلى الرخاء (فى بلاد أخرى) والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذى نفس محمد بيده، لا يخرج منهم أحدٌ رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرًا منه، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها، كما ينفى الكير خَبَثَ الحديد[1].

وقال ﷺ: «مَنْ صَبَرَ على لأوَاء المدينة وشدتها، كنت له شهيدًا، أو شفيعا، يوم القيامة»[2].

* الرسول الكريم لم يَدْعُ الناس للحياة في المدينة فقط، بل دعاهم إلى الموت فيها أيضا.

روى الترمذى، عن ابن عمر – رضى الله عنهما، أن رسول الله – ﷺ، قال:

«من استطاع أن يموتَ فى المدينة فليمُت، فإنه لن يموت بها أحد إلّا كنت له شفيعا يوم القيامة».

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الشيخان.

وروى الإمام مالك بن أنس، عن يحيى بن سعيد، قال:

كان رسول الله - ﷺ - جالسا وقبر يحفر بالمدينة، فاطلع رجل فى القبر فقال: بئس مضجع المؤمن.. فقال النبى - ﷺ: بئس ما قلت، قال: إنى لم أرد هذا يارسول الله، إنما أردت القتل فى سبيل الله، فقال رسول الله - ﷺ: لا مثل أو - لا شَبَه للقتل فى سبيل الله، ما على الأرض بقعة هى أحب إلى أن يكون قبرى بها منها - ثلاث مرات.

* حدود حرم المدينة المنورة:

* وقد حدّد الرسول - ﷺ - فى حديثه الشريف، حدود حَرَمِها وحِمَاها، ووضع بعض الأصول التى تتصل بالحياة فيها، ومعاملة أهلها:

* روى الإمام مسلم فى صحيحه - عن على بن أبى طالب، قال: قال النبى - ﷺ:

«المدينة حَرَمٌ ما بين عَيْر إلى ثَوْر، فمن أحدث فيها حَدَثًا، أو آوى مُحْدِثًا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا، وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، ومن ادّعى إلى غير أبيه، وانتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين: لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلا».

* وفى السنن لأبى داود، من حديث عدى بن زيد، قال:

«حمى رسول الله - ﷺ - كل ناحية من المدينة بريدًا فى بريد، ألا يخبط شجرها، ولا يعضد إلّا ما يساق به الجمل».

* وعن عبدالله بن سَلَام - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - حرّم ما بين أُحُد وعير».

* وعن كعب بن مالك، عن أبيه، عن جده رضى الله عنه - عن رسول الله - ﷺ.

«أنه حَمَى الشجر مابين المدينة إلى وعيرة، وإلى ثنيّة المحدث» وإلى أشراف مخيض، وإلى ثنيّة الحفيا، وإلى مضرب القبة، وإلى ذات الجيش[1] من الشجر أن يقطع، وأذن لهم فى متاع الناضح أن يقطع من حمى المدينة.

* وعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه- قال:

«بعثتنى عمتى إلى رسول الله - ﷺ - تستأذنه فى مَسَدّ، فقال رسول الله - ﷺ: أقرئ عمتك السلام، وقل لو أذنت لكم فى مسد طلبتم ميزابا، ولو أذنت لكم فى ميزاب طلبتم خشبة، ثم قال ﷺ: حِمَاى من حيث انتسقت بنو فزارة لقاحى.

---

(١) التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، للشيخ جمال الدين محمد أحمد المطرى، نشر أسعد درابزونى ص ٦٩ وذات الجيش هى فى وسط البيداء، والبيداء هى التى إذا رحل الحجاج بعد الإحرام من ذى الحليفة استقبلوها مصعدين إلى جهة الغرب، وهى التى ورد فيها حديث عائشة رضى الله عنها- حتى إذ كنا بالبيداء أو بذات الجيش وفيها نزلت آية التيمم.

قلت: وكانت لقاحه – ﷺ ترعى بالغابة وماحولها، فأغار عليها **عُيينة بن حصن الفزارى**، يوم ذى قرد، كما ورد فى الصحاح. واتفق **لسلمة بن الأكوع** ما اتفق من استنقاذ اللقاح، ووصول الفرسان إليه، وهو يقاتلهم ويرميهم بالنَّبل **أبو قتادة، وعكاشة بن محصن، وسعيد بن زيد**، وهو أميرهم، والمقداد بن عمرو، وغيرهم.

* وفى ذلك اليوم قال رسول الله ﷺ – **كان خير فرساننا اليوم أبوقتادة، وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع**، رضوان الله عليهم جميعًا.. ولحقهم رسول الله – ﷺ بالناس بعد أن استنقذوا اللقاح، وقتلوا من قتلوا، وسميت غزوة ذى قرد، بالموضع الذى كان فيه القتال.

* وقد اتفق **الشافعى ومالك وأحمد**.. على تحريم صيد المدينة واصطياده، وقطع الأشجار. وقال **أبو حنيفة**: لا يحرم شىء من ذلك.

* واختلفت الرواية عن أحمد، هل يضمن صيدها وشجرها بالجزاء بالحرم أم لا ، فروى عنه: أنه لا جزاء فيه، وبه قال **مالك**.

وللشافعى قولان كالروايتين، قال فى الجديد لاشىء عليه، وقال فى القديم يسلب القاطع والصائد، وهل يكون السلب للسالب، أو يتصدق به على فقراء المدينة قولان.

وقال **مالك**: لا شىء عليه.

* وقال **ابن نافع المالكى**: فيه الجزاء كحرم مكة.

وعن **أحمد** روايتان فى سلب القاتل، ومن أدخل الحرم المحرم صَيْدًا لم يجب عليه رفع يده. ويجوز له ذبحه وأكله، وبه قال **مالك**.

* **وقال أبو حنيفة وأحمد**، إذا أدخله حيًّا وجب رفع يده عنه.

ويجوز أن يؤخذ من شجرها ما تدعو الحاجة إليه للرحيل والوسائد، ومن حشيشها ما يحتاج إليه للعلف بخلاف مكة. والله أعلم.

– ٢ –

المسجد النبوى

والذى لاشك فيه أن من أبرز **فضائل المدينة المنورة**، أنها تحوى **المسجد النبوى الشريف**، الذى يضم قبر النبى – ﷺ، وقبر خليفتيه **أبى بكر الصدِّيق**، وعمر بن الخطاب – رضى الله عنهما.

فأما عن المسجد النبوى. فقد قال – ﷺ – فى فضله:

«لا تُشَدّ الرِّحَالُ إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدى والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»[١]

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ:

«صلاة فى مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام»[٢].

* وعن عائشة - رضى الله عنها. قالت: قال رسول الله - ﷺ-:

«أنا خاتم الأنبياء ومسجدى خاتم مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يُزَار وأن تركب إليه الرواحل، صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام».

* وعن أبى أمامة بن سهل بن حنيف، أن رسول الله -ﷺ- قال:

«من خرج على طُهر لا يريد إلاّ الصلاة فى مسجدى حتى يصلى فيه كان بمنزلة حِجّة»[٣].

وقال - ﷺ- «مَنْ صَلَّى فى مسجدى أربعين صلاة لا تفوته صلاة كُتِبت له براءة من النار ونجاة يوم القيامة»[٤].

* وأما عن قبره الشريف .. فلا ريب أن زيارته من أعظم القُرب وأجلّها شأنًا، فإن بقعة ضَمّت خير الرسل، وأكرمهم عند الله، لها شأن خاص، ومزية يعجز المرء عن وصفها..

إن الذى يزور قبر النبى المصطفى -ﷺ- لابد أن يتذكر عظمة هذا الرسول، وسجلّه الحافل الزاخر بالأحداث الجليلة.. ما أعظم هذه الذكريات التى تطوف بخاطر المسلم وهو فى الأرض المقدسة. فيدفعه الشوق إلى زيارة نبى الله ورسوله فى مدينته المنورة، هذه الزيارة التى تحرك مشاعر المسلمين، وتذكّرهم بعظمة هذا الرسول الكريم، الذى اصطفاه الله وطهّره وأدّبه وفضّله على سائر الأنبياء والمرسلين، وحمّله أعظم رسالة فى تاريخ الإنسانية، رسالة الإسلام.

إن من نِعَم الله العلى القدير على الأمة الإسلامية، أن خَصَّهم بأن مثوى نبيّهم -ﷺ- معلوم لديهم باليقين، وفى ذلك راحة للنفوس، وطبٌ للقلوب من الحيرة، إذ ترسخ فيها السكينة من لواعج الشوق، لأنها من أسمى المطالب الروحية، والقربات النافعة المقبولة عند الله سبحانه وتعالى تحقيقًا وامتثالاً لقول الله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم جَاءُوك فاسْتَغفَرُوا الله، واسْتَغفَر لَهُم الرَّسُول لوَجَدُوا الله تَوَّابًا رَحِيماً﴾ [النساء ٦٤]

قال ابن كثير فى تفسيرها: يرشد الله تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعِصْيَان، أن يأتوا إلى الرسول - ﷺ - فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفرَ لهم، فإنهم إذا فعلوا

(١) رواه الشيخان.
(٢) رواه الشيخان.
(٣) ذكره فى التعريف ص ٢٢.
(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط.

ذلك تاب الله عليهم، ورحمهم، وغفر لهم، ولهذا قال: ﴿لوَجَدُوا الله تَوّابًا رَحِيما﴾.

* وفى فضل زيارة قبر النبى المصطفى - ﷺ يذكر العلماء حكايات كثيرة.. منها حكاية مشهورة عن العُتْبِى، قال: كنت جالسًا عند قبر الرسول - ﷺ - فجاء أعرابى فقال: السلام عليك يا رسول الله.. سمعت الله يقول: ﴿ولَوْ أَنَّهُم إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم جَاءُوك فاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُم الرَّسُولُ لوَجَدُوا الله تَوّابًا رَحِيمًا﴾ وقد جئتك يا رسول الله مستغفرًا لذنبى، مستشفعًا بك إلى ربى، ثم أنشأ يقول:

يا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقَاعِ أَعْظُمُه ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ القَاعُ والأكَمُ
نَفْسى الفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ العَفَافُ وفيه الجُودُ والكَرَمُ

قال العتبى: ثم انصرف الأعرابى، فغلبتنى عينى، فرأيت النبى - ﷺ - فى النوم، فقال: يا عتبى.. الْحَق الأعرابى فَبَشِّرْه أنّ الله غفر له[(١)].

* هذا وقد أجمع العلماء - فى كافة الأزمان والعصور على وجوب زيارة قبره الشريف.

فقال ابن حجر: إنها من أفضل الأعمال وأجل القُرُبات الموصولة إلى ذى الجلال، وإن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع»[(٢)].

* وقال القاضى عياض: «وزيارة قبره - ﷺ - سُنة من سنن المسلمين ، مجمع عليها، وفضيلة مرغب فيها»[(٣)]

* وقال القسطلانى: «اعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات، وأرجى الطاعات، والسبيل إلى أعلى الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من رِبْقة الإسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام»[(٤)].

* على أننا نحترز فنقول: إن الغرض الصحيح من زيارة القبور هو تذكرة الآخرة، كما ورد فى حديثه الصحيح - ﷺ، الذى نَصّ على الإذن فى زيارة القبور للموعظة الحسنة، وتذكرة الآخرة، فمتى كانت الزيارة لغرض صحيح يقرّه صاحب الشريعة، كانت ممدوحة من جميع الجهات.

ومما لاشك فيه، أن زيارة قبر الرسول فى مسجده، تفعل فى نفوس أولى الألباب أكثر مما تفعله أى عبارة أخرى، فالذى يقف على قبر الرسول المصطفى - ﷺ - ذاكرًا جهاده، وما لاقاه فى سبيل الدعوة إلى الله، وإخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور الهداية، وما بثّه من مكارم

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥١٩.
(٢) فتح البارى ٤٣/٣.
(٣) شرح على قارى على كتاب الشفا ١٤٨/٢.
(٤) المواهب اللدنية ٥٠٤/٢.

الأخلاق فى العالم أجمع، وما محاه من فساد عام شامل، وما جاء به من شريعة مبنيّة على جلب المصالح للمجتمع الإنسانى، ودَرْء المفاسد عنه، لابد أن يمتلئ قلبه حُبًّا لذلك الرسول، الذى أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد فى الله حق جهاده، وعَبَد الله حتى أتاه اليقين.

فإذا لم يكن فى زيارة قبر المصطفى - ﷺ - سوى هذه الموعظة الحسنة، وهذا الأثر الجليل، لكفى فى كونها من أجلّ الأعمال الصالحة، التى يحثّ عليها الدين الحنيف، وكيف ينتشى قلب المؤمن المسلم، الذى يستطيع أن يحجّ البيت، ويستطيع أن يزور المصطفى ولا يبادر إلى هذا العمل؟

* وهنا يتجلى سؤال هام.. هل هذه الزيارة واجبة؟

* نقول: اتفق جمهور الفقهاء على أنها سُنّة مستحبة، وهو اختيار الفتوى فى المذاهب الأربعة[١].

وقال بعض الحنفية: بل سُنّة مؤكدة، تقرب من درجات الواجبات[٢].

وقال بعض المالكية: إنها واجبة[٣].

وقد قدموا أدلة من القرآن والسُّنّة على وجوب هذه الزيارة.

* منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُم إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم جاءوك ... الآية﴾ [النساء ٦٤]

* ومنها قوله ﷺ: (الأنبياء أحياء فى قُبُورهم)[٤].

ومعنى ذلك - أنه ﷺ - حىّ فى قبره، كما أن الشهداء أحياء بنَصّ القرآن ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بل أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرْزَقُون﴾ [آل عمران ١٦٩]

* ويؤيد ويدعم هذا الحديث، مارواه مسلم - فى حديث الإسراء، قال رسول الله - ﷺ: «مَرَرْت على مُوسى ليلة أُسْرِىَ بى عِنْد الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلى فى قبره».

وقد أمرنا رسول الله - ﷺ - بزيارة القبور عامة، فقال: (فَزُورُوا القبور فإنها تذكّر بالموت).

* فإذا كانت زيارة القبور مسموحا بها شرعًا، فمن باب أولى أن تكون زيارة قبره الشريف أول ما يمتثل به هذا الأمر.

وقد وردت أحاديث كثيرة تنص على زيارة قبر النبى - ﷺ منها:

«مَنْ زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى»[٥].

---

(١) وانظر فتح القدير للشوكانى ٣٣٦/٢.

(٢) الاختيار شرح المختار ١٧٣/١٠، وفتح القدير ٣٣٦/٢.

(٣) الشفا للتعريف بحقوق المصطفى ١٥٠/٢.

(٤) أخرجه أبو يعلى فى مسنده وألف البيهقى جزءًا فى صحته. وانظر نيل الأوطار ٩٤/٥.

(٥) المصدر السابق.

و «مَنْ زار قَبْرِى وجبت له شفاعتى»(١).

و «مَنْ حَجَّ ولم يَزُرْنِى فقد جَفَانى»(٢).

وهذه الأحاديث وإن طُعن فى أسانيدها إلا أنها بتعدُّدها وكثرتها تتقوى وتعتضد - كما يقول رجال الحديث وتشهد لها الأحاديث الأخرى، خاصة وأنها لا تخالف نصوص الدين أو شرائعه. أو تتعارض مع القرآن، لذلك فإن الطعن فى أسانيدها لا يقلل من شأنها، بعد أن تحدثنا عن فوائد زيارته - ﷺ. ومحاسنها التى يقرّها الدين، وتحث عليها قواعده العامة.

ومهما يكن من أمر، فلقد استنبط الأئمة من الآية الكريمة، ومن أحاديث رسول الله ﷺ وجوب زيارته - لما فى الآية من حضّ صريح على زيارته فى قوله تعالى ﴿ولَوْ أَنَّهم..﴾ والترغيب العظيم بالمغفرة، وقبول التوبة فى قوله تعالى ﴿لَوَجَدُوا الله تَوَّابًا رَحيما﴾. ولا يخفى بالطبع على كل ذى عقل وقلب، أن الأمة قد توارثت ذلك، واتفقت عليه، حتى أنهم ليرون فيمن قصّر فى زيارته - ﷺ - معانى الجفاء والجحود والنكران، والاستخفاف بمقامه الشريف.

● الروضة الشريفة:

ويشتمل المسجد النبوى الشريف على أماكن كثيرة.. الروضة الشريفة، المقصورة الشريفة، والاسطوانات المشهورة فى الروضة الشريفة، والجذع الذى كان النبى - ﷺ - يخطب إليه..

والروضة الشريفة هى الحوض المربع، الذى بين المنبر وبين حجرة عائشة - وهى المقصورة الشريفة التى تضم قبر الرسول - ﷺ. وفيها يجدر الدعاء، ويكثر التسبيح والثناء على الله سبحانه، والاستغفار..

وقد تحدث الرسول ﷺ عن الروضة الشريفة، أحاديث كثيرة..

* فقد روى البخارى - بإسناده - عن عبدالله بن زيد المازنى، أن رسول الله - ﷺ قال: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة»(٣) وفى رواية.. «ومنبرى على حوضى».

* وعن جابر بن عبدالله - رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله - ﷺ:

«ما بين حجرتى إلى منبرى روضة من رياض الجنة، وإن منبرى على ترعة من ترع الجنة»

وفى بعض طرق الصحيحين: «ومنبرى على حوضى».

قلت: وقبره - ﷺ - كما أشرنا سابقا - فى بيته، وهى حجرة عائشة - رضى الله عنها، فقد اتفقت الروايات. ولله الحمد والمنة.

---

(١)، (٢) أخرجها أبو يعلى فى مسنده وألف البيهقى جزءا فى صحتها.

(٣) متفق عليه.

* وعن أبى سلمة، عن أم سلمة - رضى الله عنها - أن النبى - ﷺ - قال: «قوائم المنبر رواتب فى الجنة».

وقد استحب العلماء للقادم إلى زيارة الرسول - ﷺ أن يقصد أول دخوله الحرم النبوى إلى ما بين القبر والمنبر فيصلى فيه ركعتين، ثم ينهض إلى زيارة رسول الله - ﷺ.

● المقصورة الشريفة:

كان الناس إذا وقفوا للسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - فى الروضة الشريفة، قبل أن تدخل الحجرات فى المسجد، يستقبلون السارية التى فيها الصندوق الخشبى، وثَمّ قائم من خشب مجدد، وهى لاصقة بحائط الحجرة الغربى، الذى بناه الخليفة عمر بن عبد العزيز، حول بيت النبى - ﷺ، ويستدبرون الروضة وأسطوان التوبة(١).

وروى ذلك عن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب، رضوان الله عليهم، أنه كان إذا جاء يسلّم على رسول الله - ﷺ - وقف عند الاسطوانة، التى تلى الروضة، ويستقبل السارية، التى تلى الصندوق اليوم، فيسلّم على رسول الله - ﷺ، وعلى أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما، ويقول: هاهنا رأس رسول الله - ﷺ، فلما أدخل بيت رسول الله - ﷺ - فى المسجد، وأدخلت حجرات أزواجه - رضوان الله عليهن، وقف الناس مما يلى وجه رسول الله - ﷺ، واستدبروا القبلة للسلام عليه، وللدعاء عنده.

واْستدبار القبلة للسلام على رسول الله - ﷺ - مُسْتحبّ - كما هو فى خطبة الجمعة والعيدين، وسائر الخطب المشروعة.

* ومن ذلك ما ورد أن أبا جعفر عبدالله بن محمد بن على العباس - الثانى من خلفاء بنى العباس، المعروف بالمنصور، عند وقوفه للسلام على رسول الله - ﷺ - ومعه الإمام مالك بن أنس، فقال له أبو جعفر: ياأبا عبدالله.. أستقبلُ القِبْلة وأدعو - أَمْ أستقبل رسول الله - ﷺ - وأدعو؟

فقال له مالك: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه الصلاة والسلام - إلى الله عز وجل يوم القيامة.

* روى عمر بن حفص، أن أبا مليكة كان يقول: مَنْ أحب أن يقوم تجاه النبى - ﷺ - فليجعل القنديل الذى فى القِبْلة عند القبر الشريف على رأسه.

وذكر العلماء.. أن الزائر المسلِّم يأتى القبر الشريف من ناحية قِبْلته، فيقف عند محاذاة تمام أربع

---

(١) التعريف ص ٢٠.

أذرع من رأس القبر بعيدا، ويجعل القنديل على رأسه، ناظرًا إلى أسفل ما يستقبل من جار القبر الشريف، غاضّ الطرف فى مقام الهيبة والإجلال، ثم يسلّم ولا يرفع صوته، بل يقتصد.

* وبالإستناد إلى ابن أبي فُديك، قال: سمعت بعض من أدرك يقول:

* بلغنا أن من وقف عند المقصورة الشريفة، التى بها قبر النبى - ﷺ، فتلا قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما﴾ [الأحزاب ٥٦] وقال: صلى الله عليك يامحمد، حتى يقولها سبعين مرة، ناداه مَلَك: صلى الله عليك يا فلان، ولم تسقط له حاجة.

وما ذُكر من القيام تحت القنديل تجاه الحجرة الشريفة، كان قبل احتراق المسجد النبوى، فإنه لم يكن يقابل وجه رسول الله - ﷺ - إلاّ قنديل واحد، ولما جدّد جعل هناك عدة قناديل.. وإنما علامة الوقوف تجاه الوجه الكريم اليوم، مسمار فضة مضروب فى رخامة حمراء، إذا قابلها الإنسان ناظرًا إلى أسفل ما ينظر من الحائط، كان مواجها لسيدنا رسول الله - ﷺ، ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع، فيسلم على أبي بكر - رضى الله عنه - ثم ينتقل أيضا عن يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر رضى الله عنه.

* وموقف الناس اليوم للسلام على رسول الله - ﷺ - هو عرصة بيت أم المؤمنين حفصة بنت عمر، رضى الله عنها، لأن حجرات أزواج النبى - ﷺ - كانت مطيفة بالمسجد إلاّ من جهة الغرب، فلم يكن فيها شىء من حجراته - ﷺ - فموقف الناس من داخل الدرابزين، ومن خارجه من جهة القبلة هو بيت حفصة رضى الله عنها.

● الأسطوانات المشهورة فى الروضة الشريفة

تضم الروضة الشريفة مجموعة أسطوانات، أشهرها أربعة:(١)

١ - الأسطوانة المخلقة: وهى التى صلى إليها رسول الله - ﷺ - الصلاة بعد تحويل القِبْلة بضع عشرة يوما، ثم تقدم إلى مُصَلاه، وهى الثالثة من المنبر، والثالثة من القبر الشريف، وكانت أيضا الثالثة من رحبة المسجد قبل أن يزاد فى القبلة رواقان، وتعرف بأسطوانة «المهاجرين»، وكان أكابر الصحابة - رضى الله عنهم - يصلّون إليها، ويجلسون حولها، وتسمى أيضا بأسطوانة عائشة - رضى الله عنها - للحديث الذى روته فيها:

«إنها لو عرفها الناس لأضربوا على الصلاة عندها بالسهمان»

---

(١) التعريف ص ٣٤.

وهى التى أسرت بها إلى ابن اختها «عبد الله بن الزبير» - رضى الله عنها - فكان أكثر نوافله إليها، ويُقال: إن الدعاء عندها مستجاب.

٢ - أسطوانة التوبة: وهى التى ارتبط فيها أبو لبابة بشير بن عبد المنذر الأنصارى الأوسى. نقل أهل السِّيَر، أن رسول الله - ﷺ - كان إذا اعتكف فى رمضان، طرح له فراشه، ووضع له سريره وراء أسطوانة التوبة.

أما عن مكانها، فهى الثانية من القبر الشريف، والثالثة من القبلة، والرابعة من المنبر، والخامسة من رحبة المسجد اليوم، وهى التى تلى أسطوانة المهاجرين، التى تقدم ذكرها، من جهة الشرق، فى الصف الأول، الذى خلف الإمام المصلى فى مقام النبى - ﷺ.

٣ - أسطوانة على بن أبى طالب: وتقع خلف أسطوانة التوبة من جهة الشمال، وتعرف بالـمَحْرَس، لأن عليا رضى الله عنه، كان يجلس إليها لحراسة النبى - ﷺ.

وهى مقابلة الخوخة، التى كان رسول الله - ﷺ - يخرج منها، من بيت عائشة - رضى الله عنها - إلى الروضة الشريفة للصلاة.

٤ - أسطوانة الوفود: وهى تقع خلف الأسطوانة السابقة من جهة الشمال، وكان رسول الله - ﷺ - يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءته. وكانت مما يلى رحبة المسجد، قبل أن يزاد فى السقف القبلى الرواقان. وكانت تعرف أيضا بمجلس القلادة، يجلس إليها كبار الصحابة وأفاضلهم - رضوان الله عليهم.

● الجِذْع الذى كان النبى يخطب إليه

* عن جابر بن عبدالله، قال: كان المسجد (النبوى) مسقوفا على جذوع نخل، فكان النبى - ﷺ - إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع له المنبر، سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار(١).

* وفى رواية أنس: حتى ارتجّ المسجد بخواره.

* وفى رواية سهل: وكثر بكاء الناس لما رأوه به.

* وفى رواية المطلب وأُبىّ: حتى تصدّع وانشق، حتى جاء النبى - ﷺ - فوضع يده عليه فسكت.

فكان الحسن - رحمه الله - إذا حدّث بهذا الحديث بكى، وقال: ياعباد الله، الخشبة تحنّ إلى رسول الله - ﷺ - شوقا إليه لمكانته إلى الله، عز وجل، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه..

---

(١) أخرجاه فى الصحيحين، وانظر التعريف ص ٣٥.

وكان هذا الجذع عن يمين مصلى رسول الله - ﷺ - لاصقا بجدار المسجد القبلى، فى موضع كرسى الشمعة اليمنى، التى توضع عن يمين الإمام المصلى فى مقام النبى - ﷺ - والأسطوانة قبلى المسجد، وهى متقدمة عن موضع الجذع، فلا يعتمد على قول من جعلها موضع الجذع، وفيها خشبة ظاهرة سدادة مثبتة بالرصاص لموضع كان فى حجر من حجارة الأسطوانة مفتوح، وقد حوط عليه بالبياض، والخشبة ظاهرة.

يقول بعض العامة، هذا الجذع الذى حَنّ إلى رسول الله - ﷺ، وليس كذلك، بل هذا من جملة البدع، التى تجب إزالتها لِئَلا يفتتن بها الجهال.

وذلك لحديث بريدة - المذكور فى الصحيح - «فقال النبى - ﷺ (للجذع):

«إن شئت أُردّك إلى الحائط الذى كنت فيه، تنبت لك عروقك، ويكمل خلقك، ويجدد لك خوص وثمرة، وإن شئت أغرسك فى الجنة، فيأكل أولياء الله من ثمرك، ثم أصغى له النبى - ﷺ - يستمع ما يقول، فقال: بل تغرسنى فى الجنة، فيأكل منى أولياء الله، وأكون فى مكان لا أَبْلَى فيه، فسمعه من يليه، فقال النبى - ﷺ - قد فعلتُ، ثم قال: اختار دار البقاء على دار الفناء.[1]

* أما عن تاريخ بناء المسجد النبوى، والتوسعات التى حدثت فيه قديما، فيقول ابن النجار:[2]

١ - بنى رسول الله - ﷺ - مسجده مربعا، وجعل قبلته إلى بيت المقدس، وطوله سبعون ذراعا فى ستين ذراعا أو يزيد، وجعل له ثلاثة أبواب، باب فى مؤخرة، وباب عاتكة وهو باب الرحمة، والباب الذى كان يدخل منه النبى - ﷺ - وهو باب عثمان.

ولما صُرفت القِبْلة إلى الكعبة، سدَّ النبى - ﷺ - الباب الذى كان خلفه، وفتح بابا حذاه، فكان المسجد له ثلاثة أبواب: باب خلفه، وباب عن يمين المصلى، وباب عن يساره.

* وقال الحافظ أبو الحسين رزين بن معاوية بن عمران العبدرى - فى كتابه - فى ذكر دار الهجرة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال:

* كان بناء مسجد رسول الله - ﷺ - بالسميط لبنة على لبنة، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخرى، ثم كَثُروا فقالوا: يارسول الله.. لَوْ زِيدَ فيه، ففعل، فبنى بالذكر والأنثى - وهما لبنتان مختلفتان.. وكانوا رفعوا أساسه قريبا من ثلاثة أذرع بالحجارة، وجعلوا طوله مما يلى القِبْلة إلى مؤخرة مائة ذراع، وكذا فى العرض، فكان مربعا.

---

(١) انظر القصة كاملة فى معجزات الرسول فى الشفا للتعريف بحقوق المصطفى ج١/٣٠٥.

(٢) تتمة كتاب التعريف لأبى عبدالله محمد بن احمد المطرى ص ٨٤ وما بعدها.

وفى رواية جعفر: ولم يسطح فشكوا الحَرّ، فجعلوا خشبه وسواريه جذوعا، وظللوا بالجريد، ثم بالخصف، فلما وكف عليهم طيّنوه بالطين، وجعلوا وسطه رحبة، وكان جداره قبل أن يظلل قامة وشِبْرًا.

وحوّلت القِبْلة بعد الهجرة بستة عشر شهرًا، قبل بدر، فى مسجد بنى سلمة، الذى يقال له مسجد القِبْلَتين، فى صلاة الظهر.

وقيل: كان ذلك فى مسجد رسول الله - ﷺ - فى صلاة العصر يوم الاثنين فى النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرًا من الهجرة، وحوّلت إلى الكعبة فطأطأ له جبريل حتى أبصر ميزاب الكعبة، فعدّل قبلته إلى موضع الميزاب.

٢ - قال رزين، عن أنس: لم يزد أبوبكر -رضى الله عنه- فى المسجد شيئًا لأنه اشتغل بالفتح.

٣ - فلما ولى عمر بن الخطاب، قال: إنى أريد أن أزيد فى المسجد، ولولا أنى سمعت رسول الله - ﷺ «ينبغى أن يُزاد فى المسجد» مازِدْت فيه شيئًا.

وعن ابن عمر، قال: كثر الناس فى عهد عمر، فقالوا له: يا أمير المؤمنين.. لو وسَّعت فى المسجد، فزاد فيه عمر، وأدخل فيه دار العباس، فجعل طوله أربعين ومائة ذراع، وعرضه عشرين ومائة، وبَدَّل أساطينه بأخر من جذوع النخل- كما كانت على عهد رسول الله - ﷺ، وسقّفه بجريد، وجعل سترة المسجد فوقه ذراعين أو ثلاثة، وكان بنى أساسه بالحجارة، إلى أن بلغ قامة، وجعل له ستة أبواب، بابين عن يمين القبلة، وبابين عن يسارها، وبابين خلفها، فلما فرغ من زيادته قال: لو انتهى بناؤه إلى الجبانة (البقيع) لكان الكل مسجد رسول الله- ﷺ[1].

* وقال أبو هريرة- رضى الله عنه «سمعت رسول الله - ﷺ يقول: «لو زِيدَ فى هذا المسجد مازيد، كان الكل مسجدى، فلو مُدّ إلى باب دارى ماعددت الصلاة فيه».

* وروى عن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه - قال: لو مُدّ مسجد رسول الله -ﷺ- إلى ذى الحليفة لكان منه».

وقال عمر بن أبى بكر الموصلى: بلغنى عن ثقات. أن رسول الله - ﷺ قال: «مازيد فى مسجدى فهو منه ولو بلغ مابلغ».

٤ - قال رُزَين[2]: ولما كان سنة أربع من خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان- رضى الله عنه - كلمه الناس أن يزيد فى مسجد رسول الله - ﷺ - وشكوا إليه ضيقه، فشاور عثمان أهل الرأى،

---

(١) التعريف ٨٥.

(٢) التعريف ص ٨٤.

فأشاروا عليه بذلك، فصعد المنبر فخطب ثم أعلمهم بذلك كالمستشير والمُعلِم لهم بما يريد، قال: «وقد تقدمنى إلى مثل ذلك عمر بن الخطاب، فحَسَّنوا له ذلك، فدعا العمال، وجدّ فيه، فأمر بالقُصّة، فأتى من بطن نخل، فبناه بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل العُمد منقوشة، وسقفه ساجا، وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع، وجعل الأبواب ستة كما كانت.

قال ابن النجار: وكان عمل عثمان فى أول شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين (للهجرة) وفرغ منه لهلال المحرم سنة ثلاثين، وزاد من القِبْلة موضع الجدار اليوم، وزاد فيه من المغرب أسطوانة بعد المربعة، وبنى المقصورة بِلَبِن، وجعل فيها كوة ينظر الناس بها إلى الامام، وكان يُصَلِّ فيها خوفًا من الذى أصاب عمر، وكانت صغيرة. وجعل فى عمد المسجد أعمدة الحديد فيها الرصاص، وباشر- رضى الله عنه- العمل بنفسه. وكان يصوم النهار ويقوم الليل، وكان لا يخرج من المسجد.

٥ - قال رزين[1]: ثم لم يُزَد فى المسجد شيء حتى كان الوليد بن عبدالملك، وكان عمر بن عبد العزيز عامله على مكة والمدينة، فبعث إلى عمر بمال، وقال له: زِدْ فى المسجد، ومن باعك فأعطه ثمنه، ومن أبى فاهدم عليه وأعطه المال، فإن أَبَى أن يأخذه فاصرفه إلى الفقراء.

* وأرسل الوليد إلى ملك الروم، فقال: إنا نريد أن نعمرّ مسجد نبينا الأعظم، فأعنّا بعمال وفُسَيْفِسَاء، فبعث إليه أربعين عاملًا من الروم، وأربعين من القِبَط، وبثمانين ألف مثقال، وبأحمال من الفسيفساء، وبأحمال من سلاسل القناديل.

* واشترى عمر بن عبد العزيز الدور وأدخلها مع حجرات رسول الله - ﷺ - فى المسجد، وأدخل القبر الشريف فيه.

وكان عُمر خمرّ النورة التى تعمل بها الفسيفساء سنة، وجعل العُمُد حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص، وكان أولئك العمال يصفون بالفسيفساء فى الحيطان قصورًا وأشجارًا، فصوّر أحدهم خنزيرا، فأمر عمر فضُربت عنقه.

ووضع عمر القِبْلة بعد أن دعا مشيخة أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالى، وقال: احضروا قبلتكم، فوضعوها على ما كانت عليه، وجعل للمسجد أربع منارات، فى كل ركن واحدة، فرغ عمر من بنائه فى ثلاث سنين، وجعل عمر بنيان الحجرة الشريفة على خمس زوايا، لِئَلا يستقيم لأحد استقبالها بالصلاة، لتحذيره - ﷺ - من ذلك.

٦ - قال ابن النجار: ولما حجّ المهدى سنة ستين ومائة (للهجرة)، فقدم المدينة منصرفًا من الحج، استعمل عليها جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس، سنة إحدى وستين، وأمره

---

(١) التعريف ص ٨٥.

بالزيادة فى مسجد رسول الله – ﷺ فزاد فى المسجد من جهة الشام إلى منتهاه اليوم، فكانت زيادته مائة ذراع، ولم يزد فيه من غيرها من جهاته الأخرى شيئًا.

– ٣ –
البَقِيـع

البقيع: هو الذى حمى رسول الله – ﷺ، وهو على عشرين فرسخا من المدينة.

وبقيع الغرقد: مقبرة المدينة.

وأصل البقيع فى اللغة: الموضع الذى فيه أروم الشجر من ضروب شتى، والغرقد: كبار العوسج قال الأصمعى: قُطعت غرقدات فى هذا الموضع حين دُفن فيه عثمان بن مظعون، فسمى بقيع الغرقد ومعلوم أن أكثر الصحابة ممن توفى فى حياة رسول الله – ﷺ – وبعد وفاته، مدفونون بالبقيع. وكذلك سادات أهل البيت، والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

وكذلك أزواج رسول الله – ﷺ – أمهات المؤمنين، غير خديجة – فإنها بمكة، وميمونة بِسرف، غير أن قبورهم لا يعرف منها اليوم إلا قبر أبى الفضل العباس – عم رسول الله، وأبى محمد الحسن بن على بن أبى طالب، رضى الله عنهم.

* وقد ورد فى الصحيح، أن رسول الله – ﷺ – حين مات (ابنه) ابراهيم عليه السلام أنهم قالوا: أين نحفر له؟ قال: عند فرطنا عثمان بن مظعون– رضى الله عنه.

* وورد فى الصحيح أيضًا، عن عبد الرحمن بن عوف، حين نزل به الموت، أرسلت إليه عائشة رضى الله عنها أن هلم إلى أصحابك: يعنى النبى – ﷺ، وأبا بكر وعمر– رضى الله عنهما، فقال: لست بمضيق عليك بيتك، إنى كنت قد عاهدت ابن مظعون أينا مات دفن إلى جنب صاحبه، ادفنونى إلى جنب عثمان، فدفن إلى جانبه، فعلى هذا يُزار مع ابراهيم عليه السلام(١).

وفى مدارك القاضى عياض: عن مالك، أن هناك بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف، وقال: ولا شك أن مقبرة البقيع محشوة بالجماء الغفير من سادات الأمة، غير أن اجتناب السلف الصالح من المبالغة تعظيم القبور وتجصيصها أفضى إلى انطماس آثار أكثرهم، فلذلك لا يعرف قبر معين منهم إلا أفراد معدودين وقد ابتنى عليها مشاهد(٢).

● وقد تحدّث الرسول – ﷺ – عن البقيع وأهله فى مناسبات عديدة..

* فعن عطاء بن يسار عن عائشة – رضى الله عنها، أنها قالت:

---

(١) التعريف ٤٦.

(٢) معجم ما استعجم للبكرى ص ١٧٠، مراصد الاطلاع ٢١٣/١، وفاء الوفا ١٠١/٢، تاريخ المدينة ٨٦/١.

«كان رسول الله - ﷺ - كلما كانت ليلتها من رسول الله، يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، واتاكم ما توعدون غدا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»(١).

* روى الإمام مسلم - فى صحيحه - حديثًا طويلاً، وفى آخره، قول النبى - ﷺ - لعائشة: «إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع، فتستغفري لهم، قالت: قلت: فكيف أقول لهم يارسول الله؟ قال: قولى «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»(٢).

* وجاء فى حديث أم قيس بنت محصن، قالت: لو رأيتنى ورسول الله - ﷺ - آخذ بيدى فى سكة المدينة، حتى انتهى إلى البقيع، بقيع الغرقد، فقال: يا أم قيس .. فقلت: لبيك يارسول الله وسعديك، قال: ترين هذه المقبرة؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال:
«يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفًا. على صورة القمر ليلة البدر، يدخلون الجنة بغير حساب»

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله - ﷺ قال: «إنى أول من تنشق عنه الأرض، فأكون أول من يبعث فأخرج أنا وأبوبكر وعمر إلى أهل البقيع، فيبعثون، ثم يبعث أهل مكة، فأحشر بين الحرمين».

* وعن ابن أبى مُوَيْهبة، مولى رسول الله -ﷺ- قال: أَهَبَّنى رسول الله - ﷺ، من جوف الليل فقال: إنى قد أُمِرْت أن استغفر لأهل البقيع، فانْطلق معى، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم، قال: السلام عليكم يا أهل المقابر، ليَهْن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرهُا أوّلها، الآخرة شرّ من الأولى، ثم استغفر لهم طويًلا»(٣).

قال على بن أبى طالب: أول من دُفن بالبقيع عثمان بن مظعون، ثم اتبعه ابراهيم ابن رسول الله - ﷺ(٤).

- ٤ -
جبل أُحُـد

جبل أُحد أحد الجبال المقدسة الذى انفرد بحب رسول الله - ﷺ - وتقديره، وقد ورد ذكره كثيرًا فى حديث رسول الله.

(١) تاريخ المدينة المنورة ٨٧/١.
(٢) كنز العمال ١١٣/١٧.
(٣) التعريف ٤٤.
(٤) تاريخ المدينة المنورة لابن شبه ٨٩/١.

* روى البخارى عن أنس - رضى الله عنه، قال: قال رسول الله - ﷺ: أُحُد جبل يحبنا ونحبّه(١).

* وروى أبو حازم، عن سهل بن سعد، رضى الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ: «أُحُد ركن من أركان الجنة».

وتحدث رسول الله ﷺ - عن أصل خلقه وتكوينه - فقال - فيما رواه أنس - رضى الله عنه: «لما تَجَلَّى الله - عز وجل - لجبل طور سيناء تشظَّى منه شظايا، فنزلت بمكة ثلاث: حراء، وثَبِير وثَوْر، وبالمدينة: أُحُد، وعير وورقان»(٢).

ويقع جبل أُحُد فى مقابل جبل عير من قبلة المدينة، والمدينة المنورة بينهما، وورقان شُعَب علىّ ما بين الشعب والروحا إلى القِبْلة.

وفى قبلة جبل أُحُد قبور الشهداء الذين قُتلُوا يوم أُحُد بين يدى رسول الله ﷺ ليس منها قبر معلوم إلّا قبر حمزة - رضى الله عنه، ومعه فى القبر ابن أخته عبد الله بن جحش. وعليه قبة عالية، ومشهد محكم البناء، بَنَتْه أم الخليفة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء. فى سنة تسعين وخمسمائة (٥٩٠ هـ).

* وشمالى مشهد حمزة - رضى الله عنه - أرام من حجارة، يقال إنها من قبور الشهداء.

* وتحت جبل أحد من جهة القِبْلة، لاصقا بالجبل مسجد صغير، قد تهدم بناؤه، يقال إن النبى ﷺ - صلى فيه الظهر والعصر يوم أُحُد بعد انقضاء القتال.

* وقبلى مشهد حمزة رضى الله عنه - جبل صغير يسمى عَيْنَيْن، والوادى بينهما، كان عليه الرُّماة يوم أُحُد وعنده مسجدان، أحدهما، مع ركنه الشرقى، يقال: إنه الموضع الذى طعن فيه حمزة، وقد تجددت هناك عين ماء، جدّدها الأمير بدر الدين ودّى بن جماز، صاحب المدينة، مفيضها بالقرب من هذا المسجد والمسجد الآخر: شمالى هذا المسجد على شفير الوادى، يقال إنه مصرع حمزة - رضى الله عنه، وأنه مشى بطعنته إلى هناك فَصُرِع.

وبين جبل أُحُد وبين المدينة أربعة أميال. وبين مشهد حمزة وبين المدينة ثلاثة أميال ونصف.

* عن كثير بن عبد الله، حدثنى أبى، عن أبيه، قال: قال رسول الله - ﷺ:

«أربعة أجبل من جبال الجنة، أُحُد: جبل يحبنا ونحبّه، وجبل من جبال الجنة، و «وَرْقَان»: جبل من جبال الجنة، و «لبنان» جبل من جبال الجنة، و «طور» جبل من جبال الجنة»(٣).

---

(١) التعريف ٤٨.

(٢) تاريخ المدينة المنورة ٧٩/١، وفاء الوفا ١٠٩/٢.

(٣) وفاء الوفا: السمهودى ١٠٨/٢. والطبرانى الكبير، ومجمع الزوائد ٨٤/٤.

- ٥ -
مسـجد قُبَـاء

مسجد قُبَاء.. يحتل مكانة مرموقة، ومنزلة عالية فى الإسلام، إذْ أنه أول مسجد بنى فى الإسلام وأول مسجد صلى فيه رسول الله - ﷺ - بعد وصوله لمشارف المدينة المنورة.

* وكان مكانه فى بنى عمرو بن عوف، وكان مربدًا لكلثوم بن الهدم، فأعطاه رسول الله- ﷺ - فبناه مسجدًا وأسسه، وصلى فيه قبل أن يأتى المدينة.

* روى زرعة بن عمرو مولى الخباب، قال: لما قدم النبى -ﷺ- المدينة قال لأصحابه: «انطلقوا بنا إلى أهل قباء نسلّم عليهم، فلما أتاهم سلّم عليهم، ثم قال: يا أهل قباء: ائتونى بحجارة من هذه الحَرَّة، فجمعت عنده، فخط بها قبلتهم، ثم أخذ حجرًا فوضعه على الخط، ثم قال: يا أبا بكر، خُذْ حجرًا فضعه إلى جنب حَجَرى، ففعل، ثم قال: ياعمر، خذ حجرًا فضعه إلى جنب حجر أبى بكر، ففعل، ثم قال: يا عثمان، خذ حجرًا فضعه إلى جنب حجر عمر، ففعل، ثم التفت إلى الناس بآخره، فقال: من أحب أن يضع فليضع حيث شاء على هذا الخط»(١).

* وعن عويم بن ساعدة، أن النبى - ﷺ - قال لأهل قُبَاء: إن الله قد أحسن الثناء عليكم فى كتابه العزيز، فقال:

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ.. فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا، والله يُحِبُّ المطَّهِّرِين﴾ [التوبة ١٠٨].

ما هذا الطهور؟ فقالوا: ما نعلم شيئا إلّا أنه كان لنا جيران من اليهود كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غَسَلُوا(٢).

* وروى أبو أمامة عن سهل بن حنيف، عن أبيه، عن النبى -ﷺ- أنه قال: «مَنْ توضأ فأسبغ الوضوء وجاء مسجد قباء وصلى فيه ركعتين كان له أجر عُمْرة».

* عن يعقوب بن مجمع بن جارية، عن أبيه، قال:

«دخل عمر بن الخطاب مسجد قباء، فقال: والله لأن أُصلى فى هذا المسجد صلاة واحدة، أحبّ إلىّ من أن أُصلى فى بيت المقدس أربعا، بعد أن أصلى فى بيت المقدس صلاة واحدة، ولو كان هذا المسجد بأفق من الآفاق لضربنا إليه آباط الإبل.

---

(١) رواه الديلمى، وكنز العمال ١١٤/١٧.

(٢) التعريف ٤٩.

* عن ابن عمر، رضى الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - - كان يزور قباء راكبا وماشيا.

* وعن عبدالله بن دينار، أن ابن عمر - كان يأتى مسجد قباء كل سبت ويقول: رأيت رسول الله - ﷺ - يأتيه كل سبت[١].

* وروى البخارى فى الصحيح، قال: كان سالم مولى أبى حذيفة، رضى الله عنهما - يؤم المهاجرين الأولين من أصحاب رسول الله -ﷺ- ورضى عنهم أجمعين - فى مسجد قباء، فيهم أبو بكر وعمر.

ولم يزل مسجد قباء على ما بناه رسول الله -ﷺ- إلى أن بناه عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- عند بناء مسجد المدينة، على هذه الحالة التى هو عليها اليوم، فتشعث على طول الزمان وتهدم، فجدده الوزير جمال الدين محمدبن على بن أبى منصور الأصفهانى، وزير بنى زنكى، وذلك فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

* ثم جدد حديثًا فى عهد الملك فهد بن عبد العزيز، وتم توسيعه ليشغل حيزًا كبيرًا يليقُ بأول مسجد بنى فى الإسلام.

وبين مسجد قباء وبين المدينة المنورة ثلاثة أميال، هكذا ذكره القاضى عياض ومحيى الدين النووى وغيرهما[٢].

- ٦ -
آبَار النَّبى

وفى المدينة المنورة آبار كثيرة تُنسب إلى النبى -ﷺ- لأنه وردها، وشرب من مائها، أو توضأ منها، وذكرها فى أحاديثه، وأثنى على مائها.. من هذه الآبار:

١ - بئر أريس:

بقباء، غربى المسجد الشريف، فى حديقة الأشراف الكبرى من بنى الحسين بن على رضى الله عنهما[٣].

* روى الإمام مسلم - بإسناده - عن شريك بن أبى نمير، عن سعيد بن المسَيِّب، قال: أخبرنى أبوموسى الأشعرى - رضى الله عنه - أنه توضأ فى بيته، ثم خرج فقال: لألزمن رسول

(١) رواها البخارى.
(٢) التعريف ٥١.
(٣) التعريف ٥٦.

الله -ﷺ- ولأكونن معه يومى هذا، فجاء إلى المسجد فسأل عن النبى -ﷺ- فقالوا: خرج وجهة ههنا، قال: فخرجت على أثره، أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، قال: فجلست عند الباب، وبابها من جريد، حتى قضى رسول الله - ﷺ - حاجته وتوضأ فقمت إليه، فإذا هو قد جلس على بئر أريس، وتوسط قفها، وكشف عن ساقيه، ودلاهما فى البئر، قال: فسلّمت إليه ثم انصرفت، فجلست عند الباب، فقلت: لأكون بواب رسول الله - ﷺ - اليوم.

فجاء أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلت: على رِسْلك، قال: ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله.. هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له وبشّره بالجنة. قال: فأقبلت حتى قلت لأبى بكر - رضى الله عنه - ادخل ورسول الله - ﷺ - يبشرك بالجنة. قال: فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله - ﷺ - معه فى القف، ودلّى رجليه فى البئر كما صنع النبى - ﷺ - وكشف عن ساقيه.

* ثم رجعت فجلست وقد تركت أخى يتوضأ ويلحقنى، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رِسْلك، ثم جئت النبى - ﷺ - فسلّمت عليه، وقلت: هذا عمر يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة. فجئت عمر - رضى الله عنه - وقلت: ادخل ويبشرك رسول الله - ﷺ - بالجنة، قال: فدخل وجلس مع رسول الله - ﷺ - فى القف عن يساره، ودلّى رجليه فى البئر.

* ثم رجعت فجلست، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا - يعنى أخاه - يأت به، فجاء إنسان فحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك، وجئت النبى -ﷺ- فأخبرته، فقال: ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تُصيبه، فجئت فقلت: أدخل ويبشرك رسول الله - ﷺ - بالجنة مع بلوى تصيبك، قال: فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاههم من الشق الآخر.

قال شريك: قال سعيد المسيّب فأولتها قبورهم.

* وروى البخارى فى الصحيح، من حديث أنس، قال:

«كان خاتم رسول الله فى يده، وفى يد أبى بكر بعده، وفى يد عُمر بعد أبى بكر، قال: فلما كان عثمان جلس على بئر أريس، فأخرج الخاتم يعبث به فسقط، قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان، فنزح البئر فلم يجده..».

وكان ذلك لتمام ست سنين من خلافته، فمن ذلك اليوم حصل فى خلافته من اختلاف الأمر، لفوات بركته فى خاتمه -ﷺ-.

قال ابن النجار: ذرعت طولها (أى بئر أريس) فكان أربع عشر ذراعا وشبرا، منها ذراعان

ونصف ماء، وعرضها خمسة أذرع. وطول قفها الذى جلس فيه رسول الله - ﷺ - وصاحباه ثلاثة أذرع تنقص كفًّا»[١].

٢ - بئر غرس:

«عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش، قال: جاءنا أنس بن مالك - رضى الله عنه - بقباء فقال: «أين بئركم هذه، يعنى بئر غرس، فدللناه عليها، قال: رأيت النبى -ﷺ- جاءها، فدعا بدلو من مائها،فتوضأ منه ثم سكبه فيها فما نزفت بعد.

* وروى الشيخ محب الدين بسنده - إلى محمد بن الحسن، حدثنا القاسم بن محمد، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، قال: قال رسول الله - ﷺ - «رأيت الليلة أنى أصبحت على بئر من الجنة فأصبح على بئر غرس، فتوضأ منها، وبصق فيها، وغُسِّل منها حين تُوفى -ﷺ-.

قال الشيخ محب الدين: بينها وبين مسجد قباء نحو نصف ميل، وهى تقع شرقى مسجد قباء إلى جهة الشمال، وهى بين النخيل، ويعرف مكانها اليوم وما حولها بالمغرس، وهى اليوم ملك لبعض أهل المدينة، وهى كثيرة الماء وعرضها عشرة أذرع، وطولها يزيد على ذلك، وأكثر مائها تغلب عليه الخضرة، وهو طيب عذب[٢].

٣ - بئر البصَّة:

* عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخُدْرِىّ - رضى الله عنه - قال: «كان رسول الله - ﷺ - يأتى الشهداء وأبناءهم، ويتعاهد عيالاتهم، قال: فجاء يوما أبا سعيد الخُدرى، فقال: هل عندك من سِدْر أغسل به رأسى، فإن اليوم الجمعة، قال: نعم، فأخرج له سِدْرًا، وخرج معه إلى بئر البصَّة، فغسل رسول الله - ﷺ - رأسه، وصب غسالة رأسه ومراقة شعره فى البصة.

٤ - بئر حاء:

روى البخارى - فى صحيحه - عن أنس - رضى الله عنه، قال:

«كان أبو طلحة أكثر أنصارى المدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله بئرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله - ﷺ - يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبون﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله: إن الله عز وجل يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبون﴾، وإن أحب أموالى لى بئر حاء. وإنها صدقة لله، أرجو برَّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله.

---

(١) التعريف ص ٥٧.

(٢) التعريف ص ٥٧.

فقال رسول الله - ﷺ -: «بَخٍ بَخٍ.. ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين، قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسّمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه.

وهذه البئر وسط حديقة صغيرة، فيها نخيل جيد، وهى شمالى سور المدينة المنورة، بينها وبين السور الطريق وتعرف الآن بالنويرية.

قال الشيخ محب الدين: «ذرعتها فكان طولها عشرين ذراعا، منها أحد عشر ذراعا ماء، والباقى بناء، وعرضها ثلاثة أذرع وشىءيسير.[1].

٥ - بئر بضاعة:

* روى أبو داود - فى السنن، فى حديث أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: «سمعت رسول الله -ﷺ- وهو يقال له: إنه يُسْتَقَى لك من بئر بضاعة، وهى بئر تلقى فيها لحوم الكلاب والمحايض وعذر الناس. فقال رسول الله -ﷺ-:

«إن الماء طهور لا يُنَجِّسُه شىء».

* وعن مالك بن حمزة بن أبى أسيد، عن أبيه، عن جده، أن النبى - ﷺ - دَعَا لبئر بضاعة».

وهذه البئر اليوم فى جانب حديقة شمالى سور المدينة، وغربى بئر حاء إلى جهة الشمال، يستقى منها أهل الحديقة، وهى بئر مليحة طيبة الماء.

قال الشيخ محب الدين: ذرعتها فكان طولها أحد عشر ذراعا وشبرا، منها ذراعان راجحان ماء، والباقى بناء، وعرضها ستة أذرع كما ذكر أبو داود السجستانى فى السنن[2].

٦ - بئر رُومة:

* عن أبى عبد الرحمن السُّلَمى، أن عثمان - رضى الله عنه - حين حُوصر أشرف على الناس، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبى - ﷺ - ألستم تعلمون أن رسول الله - ﷺ - قال: «من يحفر بئر رومة فله الجنة»، فحفرتها، ألستم تعلمون أنه قال: من جهز جيش العُسْرة فله الجنة، فجهزته. قال: فصدقوه بما قال.

* وعن موسى بن طلحة، أن رسول الله - ﷺ - قال: «نعم الحفيرة حفيرة المُزْنى - يعنى رومة، فلما سمع بذلك عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ابتاع نصفها بمائة بكرة، وتصدّق بها، فجعل الناس يستقون منها، فلما رأى صاحبها أن قد امتنع منه ما كان يصيب عليها، باع من عثمان النصف الباقى بشىء يسير، فتصدّق بها كلها.

(١) التعريف ص ٥٩.

(٢) التعريف ص ٥٩.

* وذكر أبو عمر بن عبد البر، أن بئر رومة، كانت ركيّة ليهودى يبيع المسلمين من مائها، فقال رسول الله - ﷺ - من يشترى رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه فى دلائهم، وله بها مشرب فى الجنة؟ فأتى عثمانُ اليهوديَّ فساومه بها، فأبَى أن يبيعها كلها، فاشترى عثمان نصفها باثنى عشر ألف درهم، فجعله للمسلمين، فقال له عثمان: إن شئت جعلت لنصيبى قرنين، وإن شئت فلى يوم ولك يوم، فقال: بل لك يوم ولى يوم، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين.

فلما رأى اليهودى ذلك، قال: أفسدت على رَكِيَّتِى، فاشتر النصف الآخر، فاشتراه بثمانية آلاف درهم».

وتقع هذه البئر وسط وادى العقيق من أسفله، فى مراح واسع من الأرض، وعندها بناء عال بالحجارة والجصّ منهدم، يقال إنه كان دير لليهود شمالى مسجد القبلتين، بعيدًا منه، وحولها آبار كثيرة ومزارع، وهى قبلى الجرف المعروف بالمدينة، وقد خرجت ونقضت حجارتها، وأخذت وانطمت، ولم يبق اليوم منها إلّا أثرها.

قال الشيخ محب الدين: وقفت على بئر رومة وقد انقضت خرزتها وأعلامها، إلّا أنها بئر مليحة جدًا، مبنية بالحجارة الموجهة، وذرعتها فكان طولها ثمانية عشر ذراعا، منها ذراعان ماء، وباقيها مطموم بالرمل الذى تسفيه الريح، وعرضها ثمانية أذرع، وماؤها طيب حلو(١).

- ٧ -
أوديّة المدينة

والمدينة المنورة تضم أودية كثيرة، تجرى فيها المياه، وتزخر بالبساتين المثمرة، وأشجار الفاكهة على اختلاف أنواعها، وكان الرسول ﷺ يؤمها ويزورها، ويقضى بعض الوقت فيها.. ولقد ذكرها فى أحاديث كثيرة، تعرّف بها وتحدد معالمها.. من هذه الأودية:

١ - وادى العقيق:

العقيق.. على وزن فعيل، عقيقان، عقيق بنى عقيل، ومن أوديته قوّ، وفيه قُتل صخر بن عمرو أخو الخنساء، فقالت ترثيه:

وقَالُوا إنَّ خَيْرَ بنى سُلَيم ... وفَـارِسَهُم بِصَحْرَاءِ العَقِيق

وهو على مقربة من عقيق المدينة، وعقيق المدينة على ليلتين منها، وفيه عيون ونخل، سُمّى عقيق

(١) التعريف ص ٦٠.

المدينة لأنه عقّ في الحرَّة، وهما عقيقان الأكبر والأصغر، فالأصغر فيه بئر رومة التي اشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو ما شغل عن قصر المراجل إلى منتهى العرصة، والأكبر فيه بئر عروة وهو ما يلي الحَرَّة إلى قصر المراجل.

وكان النبي ﷺ قد أقطع بلالا بن الحارث العقيق، فلما كان عمر قال له: إن رسول الله ﷺ لم يقطعك العقيق لتحجره، فأقطع عُمر الناس العقيق.(١)

* روى البخاري في الصحيح، من حديث عمر بن الخطاب، رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول: «أتاني الليلة آت من ربي - عز وجل - فقال: صَلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجة»(٢).

* وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: ركب رسول الله ﷺ إلى العقيق، ثم رجع فقال: يا عائشة.. جئنا من هذا العقيق، فما ألين موطأه، وأعذب ماءه، قالت: أفلا ننتقل إليه؟ قال: وكيف وقد ابتنى الناس.»(٣)

والجماوات أربعة أجبل غربي وادي العقيق، وابتنى الناس بالعقيق من خلافة عثمان رضي الله عنه، ونزلوه، وحفروا به الآبار وغرسوا فيه النخل والأشجار من جميع نواحيه على جنبتي وادي العقيق إلى هذه الجماوات، وسميت كل (جَمّا) منها باسم مَنْ بنى فيها. ونزل في وادي العقيق جماعة من الصحابة، منهم سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو هريرة، وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الجواد المشهور.

٢ - وادي مهزور:

وهو وادٍ شرقي العوالي، شمالي مذينب، ويشق في الحرة الشرقية إلى العريض، ثم يصب في وادي الشظاة.

٣ - وادي الشظاة:

ويأتي من شرقي المدينة، من أماكن بعيدة عنها إلى أن يصل إلى السدّ، الذي أحدثته نار الحرَّة التي ظهرت في المدينة المنورة، في جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة (٦٥٤ هـ).

ظهرت من واد يقال له وادي أُحَيْلِيّين في الحرة الشرقية. وسارت من مخرجها إلى جهة الشمال مدة ثلاثة أشهر، تدب دبيب النمل، تأكل كل ما مرّتِ عليه من جبل وحجر، ولا تأكل الشجر،

---

(١) معجم ما استعجم للبكري ص ٦٧٧، مراصد الاطلاع ٩٥٢/٢، معجم البلدان لياقوت ٧٠٠/٢ طبع طهران وتاريخ المدينة المنورة ١٤٦/١، وفاء الوفا ١٨٦/٢.

(٢) معجم ما استعجم ص ٦٧٧ وتاريخ المدينة المنورة ١٤٦/١.

(٣) معجم ما استعجم ص ٦٧٧.

فتثير كل ما مرت عليه فيصير سدًا، لا مسلك فيه لإنسان ولا دابة إلى منتهى الحرّة، من جهة الشمال، فقطعت فى وسط وادى الشظاة المذكور إلى جبل وعيرة، فسدّت الوادى المذكور بسدّ عظيم بالحجر المسبوك بالنار، لاكسَدّ ذى القرنين، لايصفه إلا من يراه طولا وعرضا وارتفاعا، وانقطع وادى الشظاة بسببه، وصار السيل إذا سال ينحبس خلف السد المذكور، وهو واد عظيم فتجتمع خلفه المياه حتى يصير بحرًا مدّ البصر عرضًا وطولًا، كأنه نيل مصر عند زيادته، شوهد كذلك فى شهر رجب من سنة سبع وعشرين وسبعمائة.(١).

قال الشيخ صالح علم الدين سنجر العزّى – من عتقاء الأمير عزالدين منيف بن شيحه – صاحب المدينة، قال: أرسلنى مولاى الأمير بعد ظهور النار بأيام، ومعى شخص من العرب، يسمى حطيب بن سنان، وقال لنا، ونحن فارسان: «اقربا من هذه النار فانظرا هل يقدر أحد على القرب منها، فإن الناس هابوها لعظمها، فخرجت أنا وصاحبى إلى أن قربنا منها، فلم نجد لها حرًّا، فنزلت عن فرسى وسرت إلى أن وصلت إليها وهى تأكل الصخر والحجر، فأخذت سهما من كنانتى ومددت بيدى إلى أن وصل النصل إليها فلم أجد لذلك ألمًا ولاحرًّا، فحرق النصل، ولم يحترق العود، فأدرت السهم فأدخلت فيها الريش فاحترق ولم يؤثر فى العود.

* وقد ظهرت بظهور هذه النار فى المدينة المنورة معجزة من معجزات النبى ﷺ وهو ما ورد فى الصحيح عنه ﷺ أنه قال ﷺ:

«لاتقوم الساعة حتى تظهر نار بالحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببُصْرى»

فكانت هى هذه النار، إذ لم يظهر قبلها من أيامه –ﷺ– ولابعدها نار مثلها.

* ويلوح لى، فى معنى أنها كانت تأكل الحجر ولاتأكل الشجر، أن ذلك لتحريم سيدنا رسول الله ﷺ شجر المدينة، فمنعت من أكل شجرها إكرامًا له لوجوب طاعته ﷺ على كل مخلوق، وهذه أيضا من واضح معجزاته – ﷺ.

– ٨ –
الخنــدق

حفر رسول الله – ﷺ – الخندق يوم الأحزاب(٢)، حين بلغه قدوم بنى النضير من اليهود على قريش، ومظاهرتهم لهم، ومحالفتهم على رسول الله – ﷺ – وأصحابه، وذلك بعد أن أجلاهم رسول الله –ﷺ– من المدينة. وقدموا معهم لحرب رسول الله– ﷺ.

---

(١) التعريف ص ٦٣.

(٢) التعريف ص ٦٥

ثم سعى حييّ بن أخطب حتى قطع الحلف، الذى كان بين بنى قريظة وبين رسول الله – ﷺ – واشتد الحصار على المسلمين، ونجم النفاق.

* وكان فى ذلك ما قصَّ الله، فى كتابه العزيز فى قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِنْ فَوْقِكُم﴾ يعنى بنى قريظة، ﴿ومِنْ أَسْفَل مِنْكُم﴾ يعنى بنى أسد وغطفان، وكانوا نازلين ما بين طرف وادى النقمى إلى أُحُد، وقريش وكنانة ومن معهم من الأحابيش برومة من وادى العقيق.

فحفر رسول الله – ﷺ – الخندق، طولا فى أعلى وادى بطحان، غربى الوادى مع الحرّة، إلى غربى المصلَّ – مصلَّى رسول الله – ﷺ، يوم العيد، ثم إلى مسجد الفتح، ثم إلى الجبلين الصغيرين اللذين فى غربى الوادى، يقال لأحدهما رابح، وللآخر جبل بنى عبيد، وجعل المسلمون ظهورهم إلى جبل سلع، وضرب رسول الله – ﷺ – قبته على القرن، الذى فى غربى جبل سلع موضع مسجده – الذى ذكرناه قبل – والخندق بينهم وبين المشركين.

وقد عفا أثر الخندق اليوم، ولم يبق منه شىء يعرف إلا ناحيته، لأن الوادى، وادى بطحان، استولى على موضع الخندق، وصار مسيله فى موضع الخندق.

– ٩ –
المساجد التى ذُكر أن النبىّ -ﷺ- صَلَّى فيها

ذكرت كتب الصحيح، والمصادر التاريخية، أن هناك مساجد كثيرة صلى فيها رسول الله – ﷺ – وتقع خارج المدينة. ومنها:[١]

١ – مسجد ذى الحليفة:

وهو محرم الحاج، وميقات أهل المدينة ومن مرّ بها – كما ورد فى الصحيح، ويسمى الآن آبار علىّ.

* ذكر الإمام مسلم – فى صحيحه، عن عبدالله بن عمر، رضى الله عنهما، أنه قال: «بات رسول الله – ﷺ – بذى الحليفة، وصلَّى فى مسجدها».

* وروى مسلم، عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال:
«كان رسول الله – ﷺ – إذا وضع رجله فى الغَرْز، وانبعثت به راحلته قائمة أَهَلَّ مَن ذى الحليفة»

---

(١) صحيح البخارى: باب المساجد التى على طريق المدينة والمواضع التى صلى فيها رسول الله – ﷺ. وانظر تاريخ المدينة المنورة، لابن شبه: المساجد والمواضع التى صلى فيها رسول الله – ﷺ – ص ٥٧ وما بعدها. وانظر التعريف ص ٧٠.

وهذا المسجد.. هو المسجد الكبير الذى هنالك، وكان فيه عقود فى قبلته ومنارة فى ركنه الغربى الشمالى، فتهدم على طول الزمان، والبئر من جهة شمالية، وهو مبنى فى موضع الشجرة التى كانت هنالك، وبها سمى مسجد الشجرة.

* روى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: صلى رسول الله - ﷺ - فى مسجد الشجرة إلى جهة الأسطوانة الوسطى، استقبلها وكان موضع الشجرة التى كان النبى صلى إليها.

* وروى مسلم - عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله - ﷺ - كان إذا استوت به راحلته قائمة، عند مسجد ذى الحليفة، أَهَلّ فقال: لَبَّيْكَ اللهم لَبَّيك، لبّيك لا شريك لك لَبَّيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك والمُلْك، لا شريك لك»

وكان عبد الله بن عمر، يقول: هذه تلبية رسول الله - ﷺ.

* قال نافع: كان عبد الله بن عمر يزيد مع هذا: «لبّيك لبّيك، لبيك وسعديك، والخير بيديك لبيك، والرغباء إليك والعمل»

- وفى بقية الحديث: أن عبدالله بن عمر كان يقول: كان رسول الله - ﷺ - يركع بذى الحليفة ركعتين، ثم استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذى الحليفة، أَهَلَّ بهؤلاء الكلمات.

وقال ابن عمر: «وكان رسول الله - ﷺ - إذا قدم من حجٍّ أو عُمْرة، وكان بذى الحليفة، هبط من الوادى - وادى العقيق، وإذا ظهر من بطن الوادى أناخ بالبطحاء التى على شفير الوادى الشرقية، (عرّس) ثم حتى يصبح فيصلى الصبح ليس عند المسجد الذى هنالك، ولا على الأكمة التى عليها المسجد، كان ثَمّ خليج يصلّى عنده.

٢ - مسجد شرف الروحاء:

* عن القاسم بن عبدالله، عن أبى بكر بن عمر، عن سالم بن عبدالله، عن أبيه رضى الله عنه، قال:

«صلَّى رسول الله - ﷺ - بشرف الروحاء، عن يمين الطريق وأنت ذاهب إلى مكة، وعن يسارها وأنت مقبل من مكة».

وشرف الروحاء هو آخر السيّالة وأنت متوجه إلى مكة، وكان قد تجدّد فيها بعد النبى - ﷺ - عيون وسكان، وكان لها والٍ من جهة والى المدينة، ولأهلها أخبار وأشعار، وبها آثار البناء والأسواق.

---

(١) التعريف ص ٧٢.

٣ - مسجد عرق الظُّبية:

وهو مسجد بوادى الروحاء، ويعرف اليوم بوادى بنى سالم، بطن من حرب عرب الحجاز، كان فيه قبور كثيرة، فتهدم على طول الزمان، صلّى فيه رسول الله - ﷺ، ويعرف ذلك المكان **بعرق الظبية**.

* **قال الزبير**: بإسناده - إلى **عبد الله بن عمرو بن عوف**، عن أبيه عن جده، قال: أول غزوة غزاها رسول الله - ﷺ - وأنا معه - **غزوة الأبواء**، حتى إذا كان بالروحاء عن عرق الظبية، قال: **أتدرون ما اسم هذا الجبل؟** - يعنى **وَرْقَان** - هذا حمت اللهم بارك فيه وبارك لأهله فيه»

أتدرون ما اسم هذا الوادى؟ - يعنى **وادى الروحاء**، هذا سَجَاسِج، لقد صلى فى هذا المسجد قبلى سبعون نبيا، ولقد مرَّ بها **موسى بن عمران** - ﷺ - فى سبعين ألفا من بنى إسرائيل، وعليه عباءتان **قطوانيتان**، على ناقة له ورقاء، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها **عيسى بن مريم** حاجًا أو معتمرًا، أو يجمع الله له ذلك.

* جاء فى صحيح مسلم.. أن ما بين الروحاء والمدينة ستة وثلاثون ميلا.

٤ - مسجد الغزالة:

وهو مسجد فى آخر وادى الروحاء من طرف الجبل على يسار الذاهب إلى مكة، لم يبق منه اليوم إلّا عقد الباب.

وهو من المساجد التى صلى فيها رسول الله - ﷺ - وعن يمين الطريق إذا كنت بهذا المسجد، موضع كان **عبدالله بن عمر** - رضى الله عنهما - ينزل فيه ويقول: **هذا منزل رسول الله** - ﷺ - وكان ثَمّ شجرة، **كان ابن عمر إذا نزل هذا المنزل وتوضأ صبّ فضل وضوئه فى أصل الشجرة**.

ويقول: هكذا رأيت رسول الله - ﷺ - يفعل.

وورد: أنه كان يدور بالشجرة أيضا، ثم يصب الماء فى أصلها اتباعا للسُّنة.

وإذا كان الإنسان عند هذا المسجد المعروف بمسجد الغزالة، كانت طريق النبى - ﷺ - إلى مكة على يساره مستقبل القبلة، وهى الطريق المعهودة من قديم الزمان، تمر على بئر يقال لها السقيا، ثم ثنية هرشا، وهى طريق الأنبياء عليهم السلام.

والمساجد التى من الروحاء إلى مكة مذكورة فى كتب الصحاح وغيرها، ليس منها اليوم شيء يعرف والله أعلم(١).

---

(١) التعريف ص ٧٢.

٥ - مسجد ذى طوى:

وهو مسجد كان رسول الله - ﷺ - ينزل بذى طوى، ويبيت فيه حتى يصلِّى الصبح، ووادى طوى هو المعروف بمكة بين الثَّنيَّتين. ومصلى رسول الله - ﷺ - على أكمة سوداء، تدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها يمينا، ثم تصلى مستقبل الفرضتين من الجبل الطويل، الذى بينك وبين الكعبة.

وذكر أيضا أن رسول الله - ﷺ - نزل بالدُّبّة - دُبَّة المستعجلة، من المضيق، واستقى له من بئر الشعبة الصابة أسفل من دُبّة، فهو لا يفارقها ماء أبدًا.

والمستعجلة هى المضيق الذى يصعد إليه الحاج إذا قطع النَّازِيَة وهو متوجه إلى الصفراء.

* وذكر ابن اسحاق، أن رسول الله - ﷺ - نزل بشعب سير، وهو الشّعَب الذى بين المستعجلة والصفراء، وقسم به غنائم أهل بدر، ولايزال فيه الماء غالبا.

* وذكر ابن زبالة، أن النبى - ﷺ - صلى فى مسجد الصفراء، وفى مسجد آخر بموضع يسمى ذات أجدال من مضيق الصفراء، وفى مسجد آخر بذفران - واد معروف يصب فى الصفراء من جهة الغرب، وأنهم حفروا بِئرًا فى موضع سجود النبى - ﷺ - وجدوا الماء بها فضلا من العذوبة مما حولها.

ومات عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، من جراحته التى أصابته يوم بدر - فى المبارزة، فدفنه رسول الله - ﷺ - بها، وكان أسن بنى عبد مناف يومئذ، رضى الله عنه.

فهذه أهم المساجد التى ذكر أن النبى - ﷺ - صلى فيها بين المدينة ومكة، وذكرها محمد بن اسحاق فى سيرته، وكذلك محمد بن الحسن بن زبالة، والحافظ عبد الغنى رحمهم الله.

* هذا وقد ذكر ابن زبالة عدة مساجد بالمدينة لا تعرف اليوم، ويعرف بعض أماكنها، يُذكر أن النبى - ﷺ - صَلَّى فيها، وهى فى قرى الأنصار. وإنما أخرنا ذكرها لكونها مجهولة العين، فمنها:

١ - مسجد بنى زريق، من الخزرج، ذُكر أنه أول مسجد قرئ فيه القرآن بالمدينة. قبل هجرة الرسول - ﷺ - وأن نافع بن مالك الزرقى - رضى الله عنه - لما لقى رسول الله - ﷺ - فى العقبة، أعطاه ما نزل عليه من القرآن بمكة إلى ليلة العقبة.

وذُكر أن رسول الله - ﷺ - توضأ فيه، ولم يصلِّ، وعجب من اعتدال قبلته.

قالَ صاحب التعريف:[١] وقرية بنى زريق قبلى سور مدينة رسول الله - ﷺ - اليوم، وقبلى المصلىّ، وبعضها كان من داخل السور اليوم، بالموضع المعروف بذروان أو ذى أروان، التى وضع لبيد بن الأعصم - وهو من يهود بنى زريق - السِّحر فى راعوفة بئرها، والحديث مشهور.

٢ - مسجد بنى ساعدة:

ذكر أن النبى -ﷺ- صلَّى فيه، وجلس فى السقيفة.

روى عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد، عن أبيه، عن جده، قال:

«جلس رسول الله - ﷺ - فى سقيفتنا التى عند المسجد، واستقى فخضت له رطبة فشرب، ثم قال: زدنى، فخضت له أخرى فشرب، ثم قال: كانت الأولى أطيب.

وفى هذه السقيفة كانت بيعة أبى بكر الصديق الأولى.

٣ - بقيع الزبير:

وروى أن النبى - ﷺ - صلَّى فى بقيع الزبير ركعات صلاة الضُّحى، فقال له أصحابه: إن هذه لصلاة ما كنت تُصَلِّيها، فقال: «إنها لصلاة رغب ورهب فلا تدَعُوها».

٤ - مسجد بنى جُهَيْنة:

وروى أن النبى - ﷺ - خط المسجد الذى لجهينة، ولمن هاجر من بلى.

* روى الحارث بن رافع بن مكيث الجهنى، عن أبيه عن جده، قال:[٢]

* جاء رسول الله -ﷺ- يعود رجلا من أصحابه من الربعة من جهينة، يقال له أبو مريم فعاده بين منزل بنى قيس العطار الذى فيه الأراكة، وبين منزلهم الآخر الذى يلى دار الأنصار، فصلَّى فى المنزل، فقال نفر من جهينة لأبى مريم، لو لحقت رسول الله -ﷺ- فسألته أن يخط لنا مسجدًا، فقال: احملونى فحملوه، فلحق النبى - ﷺ - فقال: مالك ياأبا مريم؟ فقال: يارسول الله.. لو خططت لنا مسجدًا، قال: فجاء إلى مسجد بنى جهينة، وفيه خيام لبلى، فأخذ ضلعا محجنا لهم به، فالمنزل لبلَى والخطة لجهينة.

وهذه الناحية اليوم معروفة غربى حصن صاحب المدينة، والسور القديم بينها وبين جبل سلع، المعروف المشهور، وعندها أثر باب من أبواب المدينة خراب، ويعرف إلى تاريخ هذا الكتاب (وهو آخر سنة ٧٤٠) بدرب جهينة.

* ونقل ابن خلكان، أن هذا السور القديم بناه عضد الدولة بن بويه، بعد الستين وثلاثمائة

(١) التعريف ص ٧٥.

(٢) التعريف ص ٧٦.

للهجرة، فى خلافة الطائع لله بن المطيع، ثم تهدم على طول الزمان، وخرب بخراب المدينة، ولم يبق إلاّ آثاره ورسمه، حتى جدد لها جمال الدين محمد بن على بن أبى منصور الأصفهانى سورًا محكما حول مسجد رسول الله - ﷺ - على رأس الأربعين وخمسمائة من الهجرة.

* ثم كثر الناس من خارج السور، ووصل السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى، فى سنة ٥٥٧هـ إلى المدينة المنورة بسبب رؤيا رآها - حكاها الفقيه علم الدين يعقوب بن أبى بكر، المحترق أبوه ليلة حريق المسجد عمن حدثه من أكابر من أدرك السلطان، قال:

«إن السلطان محمود رأى النبى -ﷺ- ثلاث مرات فى ليلة واحدة، وهو يقول له فى كل مرة منها: يا محمود انقذنى من هذين الشخصين أشقرين تجاهه، فاستحضر وزيره قبل الصبح، فذكر له ذلك، فقال له: هذا أمر حدث فى مدينة النبى -ﷺ- ليس له غيرك، فتجهز وخرج على عَجَل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك، حتى دخل المدينة على غفلة من أهلها، والوزير معه، وزار وجلس فى المسجد، لا يدرى ما يصنع، فقال له الوزير: أتعرف الشخصين إذا رأيتهما؟ قال: نعم، فطلب الناس عامة للصدقة، وفرق عليهم ذهبا كثيرا وفضة.

وقال: لا يبقين أحدٌ بالمدينة إلا جاء، فلم يبق إلاّ رجلين مجاورين من أهل الأندلس، نازلين من الناحية التى تلى قبلة حجرة النبى - ﷺ - من خارج المسجد، عند دار آل عمر بن الخطاب، التى تعرف اليوم بدار العشرة.

فطلبهما للصدقة، فامتنعا، وقالا: نحن على كفاية، ما نقبل شيئًا، فجدّ فى طلبهما فجىء بهما، فلما رآهما قال للوزير: هما هذان، فسألهما عن حالهما وما جاء بهما؟ فقالا: لمجاورة النبى - ﷺ، فقال: أصدقانى.. وتكرر السؤال حتى أفضى إلى معاقبتهما، فأقرَّا أنهما من النصارى، وأنهما وصلا لكى ينقلا من فى هذه الحجرة المقدسة باتفاق ملوكهم. ووجدهما قد حفرا نقبا من تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلى، وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة. ويجعلان التراب فى بئر عندهما فى البيت الذى هما فيه، فضرب أعناقهما عند الشباك الذى فى شرقى حجرة رسول الله - ﷺ - خارج المسجد، ثم أُحْرقا بالنار آخر النهار، وركب متوجهًا إلى الشام، فصاح به من كان نازلاً خارج السور، واستغاثوا وطلبوا أن يبنى عليهم سورًا لحفظ أبنائهم وماشيتهم، فأمر ببناء هذا السور الموجود اليوم، فبنى فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وكتب اسمه على باب البقيع، فهو باق إلى تاريخ هذا الكتاب[1].

٥ - مسجد بنى مازن:

وروى عن ابراهيم بن محمد، عن عمر وابن يحيى عن عمارة، عن أبيه، أن رسول الله - ﷺ.

---

(١) التعريف ص ٧٧.

وضع مسجد بنى مازن بن النجار بيده، وهيأ قبلته ولم يصلِّ فيه.

وروى عن يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة، أن رسول الله - ﷺ - صلى فى بيت أم بردة فى بنى مازن.

ودار بنى مازن بن النجار قبلى بئر البصة، ودار بنى خُدْرة، تسمى الناحية اليوم أبو مازن، وأما العقود القديمة فمكتوب فيها بنو مازن، وكان ابراهيم بن رسول الله - ﷺ مسترضعا فيها. كما ورد - عند امرأة أبي سيف القين.

٦ - مسجد بنى حديلة:

روى عن القاسم بن عبدالله بإسناده - أن النبى - ﷺ - صلَّى فى مسجد بنى حديلة، وهو مسجد أُبَيّ بن كعب - رضى الله عنه. ودار بنى حديلة عند بئر حاء، شمالى سور المدينة من جهة المشرق، وقد صارت بئر حاء لأُبيّ بن كعب وحسان بن ثابت، حين دفعها إليهما أبو طلحة، كما ورد فى الصحيحين، وغيرهما من الكتب الصحاح.

٧ - مسجد بنى دينار:

وذكر أن رسول الله - ﷺ - صلّى فى مسجد بنى دينار عند الغسالين، وأن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - تزوج امرأة من بنى دينار بن النجار، فاشتكى فكان رسول الله - ﷺ - يعوده فكلّموه أن يصلى لهم فى مكان يصلّون فيه، فصلى فى المسجد الذى فى بنى دينار.

وفى بنى دينار بن النجار - قال فيهم رسول الله - ﷺ: «خير دور الأنصار دور بنى النجار[١]».

٨ - مسجد بنى واقف:

وهو موضع بالعوالى، كانت فيه منازل بنى واقف من الأوس، رهط هلال بن أمية الواقفى، رضى الله عنه أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فى تخلفهم عن غزوة تبوك.

وذكر أيضًا أنه - ﷺ - صلّى فى المسجد الذى فى دار سعد بن خيثمة - بقباء وجلس فيه. وبيت سعد بن خيثمة أحد الدور التى قبلى مسجد قباء، يدخلها الناس إذا زاروا مسجد قباء، ويصلّون فيها، ويتبركون بها، وهناك أيضًا دار كلثوم بن الهدم، وفى تلك العرصة كان رسول الله - ﷺ نازلاً قبل خروجه إلى المدينة، وكذلك أهله، وأهل أبى بكر، حين قدم بهم علىّ بن أبى طالب - رضى الله عنه بعد خروج رسول الله - ﷺ من مكة، وهن سودة بنت زمعة، وعائشة، وأمها أم رومان، وأختها أسماء، وهي حامل بعبد الله بن الزبير، فولدته بقباء، قبل نزولهم إلى المدينة، فكان أول مولود من المهاجرين بالمدينة.

---

(١) التعريف ٧٨.

٩ - مسجد الشيخين:

وذُكر أن النبى - ﷺ - صلى فى المسجد الذى عند الشيخين، وهو موضع بين المدينة وجبل أُحُد، على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أُحُد، وذكر أن من هناك غدا إلى أُحُد يوم أُحُد، لأن نزول قريش يوم أُحُد بالمدينة كان يوم الجمعة، وقال ابن اسحاق يوم الأربعاء، فنزلوا برومة من وادى العقيق، وصلى رسول الله - ﷺ - الجمعة بالمدينة، ثم لبس لامته، وخرج هو وأصحابه على الحرة الشرقية، حرة واقم، وبات بالشيخين، الموضع المذكور، وغدا صُبح يوم السبت إلى أُحُد، ففيه كانت وقعة أُحُد، فى النصف الأول من شوال سنة ثلاث من الهجرة(١).

١٠ - مسجد فيفياء:

ومن المساجد التى صلى فيها رسول الله - ﷺ - مسجد بفيفياء الخَبّار، ذكر محمد بن اسحاق. فى سيرته - فى غزوة العشيرة، أن رسول الله - ﷺ - سلك على نقب بنى دينار، ثم فيفياء الخبار، ونزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر، يقال لها ذات الساق، فصلى عندها، فثَمّ مسجده وصُنع له طعام عندها. فأكل منه وأكل الناس معه، فموضع آثاره فى البرمة معلوم هناك، واستقى له من ماء يقال له المُشَيْرِب.

وفيفياء الخَبّار غربى الجماوات المذكور سابقًا، وهى الجبال التى فى غربى وادى العقيق، وهى أرض فيها سهولة، والخبار هو الموضع الذى كانت ترعى فيه إبل الصدقة ولقاح رسول الله - ﷺ لأنه ورد فى رواية أنها إبل الصدقة، وفى أخرى أنها لقاح رسول الله، وأنها كانت ترعى ندى الجدر، غربى جبل عير، على ستة أميال من المدينة، والروايتان صحيحتان.

* ووجه الجمع بينها، أن النبى - ﷺ - كانت له إبل من نصيبه من المغنم، وكان يشرب ألبانها، وكانت ترعى مع إبل الصدقة، فأخبر مرة عن إبله، ومرة عن إبل الصدقة، وأن النفر من عُكَل أو من عُرَيْنة اجتووا المدينة، فأمرهم رسول الله - ﷺ أن يلحقوا بإبل الصدقة، فيشربوا من أبوالها وألبانها، فلحقوا بها، فلما سمنوا وصَحُّوا قتلوا الراعى، وكان اسمه «يسار» من موالى - رسول الله - ﷺ - واستاقوا الإبل، فبلغ رسول الله - ﷺ الخبر، فبعث فى أثرهم عشرين فارسًا، واستعمل عليهم كُرْز بن جابر الفهرى.

ونقل ابن سعد، عن ابن عقبة، أن أمير الخيل يومئذ سعيد بن زيد، أحد العشرة - رضى الله عنهم - فأدركوهم وأحاطوا بهم، فربطوهم وأردفوهم على خيلهم، وردُّوا الإبل، ولم يفقدوا منها إلّا لقحة واحدة من لقاح رسول الله، تدعى الحَنَا، فسأل عنها، فقيل نحروها..

(١) التعريف ص ٨٠.

فلما دخلوا بهم المدينة كان رسول الله - ﷺ بالغابة أسفل المدينة، فخرجوا بهم نحوه، فلقوه بالزغابة، وهو راجع إلى المدينة- وهو موضع معروف يجتمع فيه سيل قناة، وسيل بطحان. فأمر بهم الرسول- ﷺ فقطعت أيديهم وأرجلهم وسُمِلَت أعينهم وصُلِبُوا هناك[١].

(١) التعريف ص ٨٢.

الفصل الرابع

الأماكن التى تقع على محيط دائرة منطقة القلب

وإذا اعتبرنا البيت الحرام، أو مكة مركز دائرة نصف قطرها نحو ١٢٠٠ كيلومتر.. وجدنا فى حديث رسول الله - ﷺ - ذِكْرًا وتحديدًا لأماكن كثيرة، تقع على محيط هذه الدائرة أو قريبا منها. **وفى نطاق هذه الدائرة وقعت معظم أحداث التاريخ الإسلامى، ومعظم أحداث القصص القرآنى.**

من هذه الأماكن التى ورد ذكرها فى حديث رسول الله.

أولا: أماكن فى جزيرة العرب.

ثانيا: أماكن خارج جزيرة العرب.

ثالثا: أماكن ورد ذكرها فى القصص القرآنى.

- ١ -

الأماكن التى فى جزيرة العرب

احتلت جزيرة العرب -بأماكنها المتعددة- فى حديث رسول الله - ﷺ - مكانا بارزًا ومرموقًا. حيث إنها المنطقة العربية التى احتوت أحداث الدعوة الإسلامية، وكانت مسرحا كبيرا لها.

* **فجزيرة العرب - كما قال رسول الله - ﷺ - أرض خالصة للإسلام، وللدعوة الإسلامية، ولن يجتمع فيها دينان..**

* فقد روت عائشة - رضى الله عنها - عن رسول الله - ﷺ - قالت: قال رسول الله - ﷺ - قبل وفاته: **«لا يبقى فى جزيرة العرب دِينَان».**

* **وعن على بن أبى طالب** - رضى الله عنه، أن النبى ﷺ - قال:

«لا يُتْرك بأرض العرب دينان، دين مع الإسلام».

* وجاء فى مسند أبى عبيدة: آخر ما تكلم به النبى - ﷺ - قال:

«أخرجوا يهود أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب واعلموا أن شرار الناس الذين

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(١).

* ويتحدث رسول الله - ﷺ - عن براءة جزيرة العرب من الشيطان - فيما روى عنه أبوالدرداء، وعبادة بن الصامت - أن رسول الله - ﷺ - قال:

«إن الشيطان قد يئس أن يُعبد فى جزيرة العرب»(٢).

* وروى العباس بن عبد المطلب، أن رسول الله - ﷺ - قال:

«لقد برأ الله هذه الجزيرة من الشرْك مالم تُضِلّهم النجوم»(٣).

* وجزيرة العرب تضم أماكن عديدة: الحجاز، واليمن، وحضرموت، ونجران، وعَدَن، وعُمان، وتبوك، والحِجْر..

١ - الحجاز:

فى فضل الحجاز، روى معاوية - رضى الله عنه - قال، قال رسول الله - ﷺ -. «عشرة أبيات بالحجاز أبقى من عشرين بيتا بالشام»(٤).

* وعن أهل الحجاز، يقول ﷺ - فيما رواه جابر - رضى الله عنه، قال: قال رسول الله -ﷺ- «غلظ القلوب والجفاء فى أهل المشرق، والإيمان يمان، والسكينة فى أهل الحجاز»(٥).

* وعن عبدالملك بن عباد بن جعفر، أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول: «أوّل مَنْ أشفع له من أمتى يوم القيامة أهل المدينة وأهل مكة، وأهل الطائف»(٦).

٢ - اليمن:

ورد ذكر اليمن وأهل اليمن فى أحاديث كثيرة لرسول الله - ﷺ -.

ففى بداية دعوته - ﷺ - كان يدعو بإقبال أهل اليمن ودخولهم فى الإسلام.

* جاء فى مسند خزرج: نظر رسول الله - ﷺ - قِبَل اليمن، فقال: «اللهم أقبل بقلوبهم، ونظر قِبَل العراق فقال: اللهم أقبل بقلوبهم، ونظر قِبَل الشام، فقال: اللهم أقبل بقلوبهم، وبارك لنا فى صَاعِنا ومُدّنا». رواه زيد بن ثابت(٧).

---

(١) كنز العمال ١٣٩/١٧ ورواه الطبرانى وإسناده حسن.

(٢) كنز العمال ١٣٩/١٧ ورواه الطبرانى.

(٣) رواه البزار وأبو يعلى والطبرانى فى الأوسط.

(٤) رواه الطبرانى.

(٥) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٦) رواه البزار والطبرانى.

(٧) كنز العمال ١٣٦/١٧.

قال فى اللمعات: قوله - ﷺ - «اللهم أقبل بقلوبهم» أى اجعل قلوبهم مقبلة إلينا، ووجه مناسبة الدعاء بالبركة فى الصاع والمدّ، أن أهل المدينة كانوا فى ضيق عيش لا يقوم، فلما دعا بإقبال قلوب أهل اليمن، وهم جمّ غفير فقراء، دعا بالبركة فى طعام أهلها ليتسع على المقيمين والقادمين.

* ولما دخل الإسلام فى اليمن، كان هذا مبعث رضاء النبى - ﷺ - وشكره لله.

فقد روى ابن عباس، رضى الله عنه، قال: بينا رسول الله - ﷺ - بالمدينة، إذْ قال: «الله أكبر إذا جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن، قوم نقية قلوبهم، حسنة طاعتهم - أو كلمة نحوها - الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية»(١)

* وعن ابن عمر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - «الإيمان يَمان، وهم منى وإلىّ وإن بَعُد منهم المَرْبَع، ويوشك أن يأتوكم أنصارًا وأعْوانا فآمركم بهم خيرًا»(٢).

* وعن جبير بن مطعم، أن رسول الله - ﷺ - رفع رأسه إلى السماء، فقال: أتاكم أهل اليمن، كقطع السحاب خير أهل الأرض، فقال رجل ممن كان عنده: ومنّا يا رسول الله؟ فقال كلمة خفيفة - إلّا أنتم»(٣).

٣ - حضرموت:

كما ذكر رسول الله - ﷺ - حَضْرَمَوْت فى أحاديث عديدة، منها:

ما رواه عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله - ﷺ - «سيخرج نار قبل يوم القيامة، من بحر عَدَن، من حضرموت يحشر الناس، قالوا: يا رسول الله.. فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام.

٤ - عَدَن:

وعن ابن عباس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -:

«يخرج من عَدَن اثنا عشر ألفا ينصرون الله ورسوله، هم خير من بينى وبينهم»(٤) وفى رواية: «يخرج من عَدَن آتين..

٥ - نجران:

وعن علىّ - رضى الله عنه، قال: قال رسول الله - ﷺ -:

---

(١) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الطبرانى وإسناده حسن.

(٣) رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى.

(٤) رواه أبو يعلى والطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

«إن وُلِّيت هذا الأمر من بعدى فأخرج أهل نجران من جزيرة العرب»(١).

٦ - عُمان:

وعُمان - كما جاء فى الحديث النبوى - حى من العرب المخلصين لله ولرسوله..

فقد جاء فى مسند الصديق، عن الزبير بن الخريت، عن أبى لبيد، قال:

«خرج رجل من طاجية مهاجرًا يقال له «بَيْرح بن أسد» فقدم المدينة - بعد وفاة رسول الله - ﷺ - بأيام، فرآه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه، فعَلِم أنه غريب، فقال له: من أين أنت؟ قال: من أهل عُمان، قال: من أهل عُمان؟ قال: نعم، فأخذه بيده فأدخله على أبى بكر رضى الله عنه - فقال: هذا من الأرض التى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: إنى لأعلم أرضا يقال لها عُمان، ينضح بناحيتها البحر، بها حىّ من العرب لو أتاهم رسولى مارموه بسهم ولا حجر»(٢).

٧ - تبوك:

وترتبط تبوك - فى الحديث النبوى - بذكرى غزوة تبوك الشهيرة، وبأحداث جسام، تحدث عنها رسول الله - ﷺ -.

● روى رجل من خثعم: قال: كنا مع رسول الله - ﷺ - فى غزوة تبوك، فوقف ذات ليلة واجتمع إليه أصحابه، فقال: «إن الله أعطانى الليلة الكنزين: كنز فارس والروم، وأمدّنى بالملوك: ملوك حِمْيَر، ولا مَلِك إلا الله، يأتون يأخذون من مال الله، ويقاتلون فى سبيل الله، قالها ثلاثا»(٣).

- ٢ -

الأماكن التى تقع خارج جزيرة العرب

ولقد ورد - فى الحديث النبوى الشريف ، ذِكرٌ للعديد من الأماكن التى تقع خارج جزيرة العرب من هذه الأماكن: الشام، ومصر، والعراق، وفارس، وخراسان ومرو، وقزوين..

١ - الشام:

ذكر رسول الله - ﷺ - الشام، وبعض مدنه، وتحدّث عن فضل أهله، وأثنى على العيش بين أرجائه.

* فعن عروة بن رويم، عن أبيه، قال: سمعت على بن أبى طالب، ومعاوية يقولان:

---

(١) كنز العمال ١٣٥/١٧.

(٢) مسند الإمام أحمد - تحقيق أحمد شاكر ٣٠٨/١، كنز العمال ١٣٦/١٧.

(٣) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

«سمعنا رسول الله - ﷺ - وسأله رجل من الإثارات بدمشق، فقال:

«بها جبل يقال له «قاسيون»، فيه قتل ابن آدم أخاه، وفى أسفله فى الضرب ولد إبراهيم، وفيه آوى الله تعالى عيسى بن مريم وأمه من اليهود، وما من عبدٍ أتى معقل روح الله فاغتسل وصلّى ودَعا، لم يردّه الله خائبا.

فقال رجل: يا رسول الله.. صِفْه لنا، قال: هو بالغُوطة فى مدينة يقال لها دمشق، وأزيدكم أنه جبل كلمه الله فيه، وفيه ولد أبى إبراهيم، فمن أتى هذا الموضع فلا يعجز فى الدعاء.

* فقال رجل: يا رسول الله.. أكان ليحيى معقل؟ قال: نعم، احترس فيه يحيى من هذا، ورجل من قوم عاد فى الغار، الذى تحت دم ابن آدم المقتول. وفيه احترس إلياس من ملك قومه، وفيه صلى إبراهيم ولوط وموسى وعيسى وأيوب، فلا تعجزوا عن الدعاء فيه، فإن الله أنزل علىّ ﴿ادعونى أستجب لكم﴾[١].

* وعن معاوية بن أبى سفيان، قال: بينا أنا عند رسول الله - ﷺ - إذ قال:

«إن الله فاتح لكم، وممكنٌ لكم، فقال رجل: خِرْ لى، قال: عليك بالشام، فإنها خيرة الله فى بلاده، يجتبى إليها خيرته من عباده»[٢].

وعن زيد بن ثابت، قال: بينما نحن عند رسول الله - ﷺ - نؤلف القرآن من الرقاع، إذ قال: طُوبَى للشام! قيل: يا رسول الله: ولِمَ ذَاكَ؟ قال: إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها[٣].

* وعن أبى أمامة، قال: كنا جلوسا عند رسول الله - ﷺ - فذكروا الشام ومَنْ بها من الروم، فقال رسول الله - ﷺ: «إنكم ستظهرون بالشام وتغلبون عليها، وتصيبون على سيف بحرها حصنًا يقال له «أنفة» يبعث الله منه يوم القيامة اثنى عشر ألف شهيد»[٤].

* وفى فضل الشام وردت أحاديث نبوية كثيرة..

* فقد قال عبدالله بن حوالة الأزدى، أنه قال: يا رسول الله، اكتب لى - وفى لفظ «خِرْلِى» بلدا أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم أختر على قربك شيئا، قال: عليك بالشام - ثلاثا. فلما رأى النبى - ﷺ - كراهيتى للشام، قال:

«هل تدرون ما يقول الله عز وجل فى الشام؟ يقول: يا شام.. يا شام، يدى عليك يا شام، أنت صفوتى من بلادى، أدخل فيك خيرتى من عبادى، أنت سيف نقمتى وسوط عذابى، أنت الإنذار

(١) كنز العمال ١٢١/١٧.
(٢) كنز العمال ١٢١/١٧.
(٣) كنز العمال ١٢٣/١٧.
(٤) نقل عن الأوزاعى أنه قال: حديث جيد، كنز العمال ١٢٤/١٧.

وإليك المحشر، ورأيت ليلة أسرى بي عمودًا أبيض كأنه لؤلؤ تحمله الملائكة، قلت: ما تحملون؟ قالوا: عمود الإسلام، أمرنا أن نضعه بالشام، وبينا أنا نائم رأيت كتابا - وفى لفظ - عمود الكتاب، اختلس من تحت وسادتى، فظننت أن الله قد تخلى عن أهل الأرض، فأتبعته بصرى، فإذا هو نور ساطع بين يدى حتى وضع بالشام.

فقال ابن حوالة: خَرْ لى، قال: عليك بالشام، فمن أَبَى أن يلحق بالشام فليلحق بيمنه، وليسق من غدره، فإن الله قد تكفل لى بالشام وأهله(١).

* وروى عبدالله بن حوالة أيضا، قال: كنا عند رسول الله - ﷺ - فشكونا إليه الفقر والعُرْى وقلة الشىء، فقال رسول الله - ﷺ - أبشروا، فوالله لأنا من كثرة الشىء أخوف عليكم من قلّته، والله لايزال هذا الأمر فيكم حتى تفتح لكم أرض فارس، وأرض الروم، وأرض حِمْير، وحتى تكونوا أجنادًا ثلاثة: جندًا بالشام، وجندا بالعراق، وجندا باليمن، وحتى يعطى الرجل مائة دينار فيتسخّطها.

* قال ابن حوالة: فقلت يا رسول الله! ومن يستطيع الشام وبها الروم ذات القرون؟.

فقال رسول الله - ﷺ - والله ليفتحنّها الله عليكم، وليستخلفنكم الله فيها، حتى تظل العصابة من البيض قمصهم، المحلّقة أقفاؤهم قياما على الرجل الأسود منكم، ما أمرهم فعلوا، وإن بها اليوم رجالا لأنتم اليوم أحقر فى أعينهم من القردان من أعجاز الإبل.

قال ابن حوالة: فقلت: اختر لى يا رسول الله إن أدركنى ذلك..

قال: اختار لك الشام، فإنها صفوة الله من بلاده ، وإليها يجتبى صفوته من عباده.

يا أهل اليمن، عليكم بالشام، فإن صفوة الله من الأرض الشام، فمن أَبَى فليلحق بيَمَنِهِ، وليسق بغدره، وإن الله قد تكفل لى بالشام وأهله.

قال ابن عساكر: فسمعت عبد الرحمن بن جبير بن نفير، يقول: فعرف أصحاب النبى - ﷺ - هذا الحديث فى حرّ بن سهل، وكان قد ولى الأعاجم، وكان أُوَيْدما قصيرا، فكانوا يرون وتلك الأعاجم حوله قيام، لا يأمرهم بشىء إلا فعلوه، فيتعجبون من هذا الحديث.

قال أبو علقمة: أقسم رسول الله - ﷺ - فى هذا الحديث ثلاث مرات، ولا نعلم أنه أقسم فى حديث مثله، قال: عليك بالشام(٢).

* وعن جُبَير بن نفير، قال: حدثنا أصحاب رسول الله - ﷺ - عن النبى - ﷺ - قال: سيفتح عليكم الشام، فإذا خيرتم المنازل فيها، فعليكم بمدينة يقال لها دمشق، فإنها معقل المسلمين

---

(١) كنز العمال ١٢٦/١٧.

(٢) كنز العمال ١٢٧/١٧.

فى الملاحم، وفسطاطها منها بأرض يقال لها الغوطة(١).

* وعن عَسْقَلَان - وهى إحدى مدن الشام - يروى أصحاب رسول الله - ﷺ - العديد من الأحاديث النبوية، التى تتحدث عن مكانتها وفضلها..

* فعن ابن عباس - رضى الله عنه - أن رجلا أتى النبى - ﷺ - فقال: إنى أريد أن أغزو، فقال: عليك بالشام وأهله، ثم الْزم من الشام عَسْقَلَان، فإنها إذا دارت الرَّحَى فى أمتى، كان أهلها فى راحة وعافية.

* وعن أنس - رضى الله عنه، قال: قال رسول الله - ﷺ:

«من كان فى عسقلان مرابطا، فكان نائما دهره، وَكَل الله به فى محرابه ملائكة يصلون بدله، ويحشر مع المصلين إلى الجنة»(٢).

* وعن أنس بن مالك أيضا، قال: قال رسول الله - ﷺ:

«عسقلان أحد العروسين، يُبعث منها يوم القيامة سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب، ويبعث منها خمسون ألفا شهداء وفودًا إلى الله عز وجل، وبها صفوف الشهداء رؤوسهم مقطعة فى أيديهم تثج (تسيل) أوداجهم دمًا، يقولون: ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك إنك لا تخلف الميعاد، فيقول: صدق عبيدى.. اغسلوهم بنهر البيضة، فيخرجون منه نقاء بيضا فيسرحون فى الجنة حيث شاءوا»(٣).

* وبيت المقدس - أشهر مدن الشام - وبها المسجد الأقصى الذى أسرى برسول الله - ﷺ - إليه، روى ذو الإصبع ما ذكره رسول الله - ﷺ - فى فضله ومكانته.. قال:

«قلنا يا رسول الله.. أرأيت إن ابتلينا بالبقاء بعدك، أين تأمرنا؟ قال: عليك ببيت المقدس، لعل الله يرزقك ذرية يغدون ويروحون إليه».

* وفى لفظ: فإنه لعلك أن يتفق لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون.

* وعن أبى ذر، قال: قلت يا رسول الله، الصلاة فى مسجدك هذا أفضل أم صلاة فى بيت المقدس؟ فقال: صلاة فى مسجدى هذا أفضل من أربع صلوات فيه. ولنعم المصلى هو أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمان، ولبسطة قوس من حيث يرى منه بيت المقدس، أفضل وخير من الدنيا جميعا.

* وعن ميمونة - مولاة النبى - ﷺ - أنها قالت: أنبئنا يارسول الله عن بيت المقدس،

---

(١) رواه أحمد.

(٢) أورده الحافظ ابن حجر فى تلخيصه لمسند الفردوس، وكنز العمال ١٣٣/١٧.

(٣) رواه أحمد.

قال: أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة.

قالت: أرأيت إن لم نطق نأته؟ قال: فمن لم يطق ذلك فليَهْدِ إليه زيتا يسرج فيه، فمن أهدى إليه كمن صَلّى فيه(١).

٢ - مصر:

واحتفل الحديث النبوي الشريف بذكر مصر وأهلها، كما سجل وصية رسول الله - ﷺ - بأهلها، ووصفه لهم بأنهم خير أجناد الأرض.. وأن لهم ذمة..

* فعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إذا فتح الله عليكم مصر، فاتخذوا فيها جندا كثيرا، فذلك الجند خير أجناد الأرض» فقال له أبو بكر: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة(٢).

* وعن أم سلمة - رضى الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - أوصى عند وفاته فقال: «الله.. الله فى قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعوانا فى سبيل الله»(٣).

* وعن كعب بن مالك - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم دما ورحما».

* وفى رواية: «إن لهم ذمة» يعنى أم اسماعيل كانت منهم»(٤).

* وعن أبى هانئ، وعمرو بن حريث، أنهما قالا: إن رسول الله - ﷺ - قال: «إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم فاستوصوا بهم خيرا، فإنهم قوة لكم، وإبلاغ إلى عدوكم، بإذن الله، يعنى قبط مصر(٥).

٣ - العراق:

* وقد ذكر رسول الله - ﷺ - العراق وأهله فى أحاديث كثيرة.. منها:

* ما ذكره معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال: قال النبى - ﷺ:

«اللهم بارك لنا فى صاعنا ومُدِّنا، وفى شامنا، وفى يمننا، وفى حجازنا، فقام إليه رجل فقال:

---

(١) رواه أحمد فى مسنده ٣٨/١، وكنز العمال ١١٥/١٧.

(٢) ذكره ابن عبد الحكم فى فتوح مصر وكنز العمال ١٣١/١٧.

(٣) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

(٥) رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، وكنز العمال ١٣٦/١٧.

يارسول الله: وفى عِرَاقنا، فأمسك النبى - ﷺ - عنه.

فلما كان فى اليوم الثانى، قال مثل ذلك، فقام إليه الرجل، فقال: يارسول الله.. وفى عراقنا، فأمسك النبى - ﷺ - عنه.

فلما كان فى اليوم الثالث، قام إليه الرجل، فقال: يارسول الله! وفى عِرَاقنا، فأمسك النبى - ﷺ - عنه، فولَّى الرجل وهو يبكى، فدعاه النبى - ﷺ - فقال:

أَمِنَ العراق أنت؟ قال: نعم. قال: وإن أبى إبراهيم - عليه السلام - هَمَّ أن يدعو عليهم، فأوحى الله إليه، لا تفعل، فإنى جعلت خزائن علمى فيهم، وأسكنت الرحمة قلوبهم[١].

* وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول‌الله - ﷺ: «اللهم بارك فى شامنا، ويمننا - مرتين، فقال رجل: وفى مشرقنا يارسول الله، فقال رسول الله - ﷺ:

من هناك يطلع قرن الشيطان، وبها تسعة أعشار الشر[٢].

* وفى رواية: «وبه تسعة أعشار الكفر وبه الداء العضال».

وروى ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: صلى رسول الله - ﷺ - صلاة الفجر، ثم انفتل فأقبل على القوم، فقال: اللهم بارك لنا فى حرمنا، وبارك لنا فى شامنا ويمننا، فقال رجل: والعراق يارسول الله، فسكت، ثم أعاد فقال: اللهم بارك فى مدينتنا، وبارك لنا فى مُدِّنا وصاعنا، اللهم بارك لنا فى شامنا ويمننا، فقال رجل: والعراق يارسول الله! قال:

«من ثَمَّ يطلع قرن الشيطان وتهيج الفتن»[٣]

٤ - فارس وخراسان ومرو وقزوين..

وقد ورد فى الحديث النبوى الشريف ذكر لفارس وخراسان ومرو وقزوين.

* فعن أبى هريرة، قال، قال رسول الله - ﷺ - لو كان العلم بالثريا، لتناوله ناس من أبناء فارس»[٤].

* وفى رواية ابن مسعود: «لو كان الدين معلقا بالثريا لتناوله رجال من أبناء فارس»[٥].

* وعن أبى هريرة، قال: بينا نحن عند رسول الله - ﷺ - إذْ أقبل معاذ ابن جبل، أو سعد بن معاذ، فقال رسول الله - ﷺ - حين رآه: إنى لأرى فى وجهه خير طالع، فجاء حتى سلَّم على

(١) كنز العمال ٨٣/١٧.
(٢) مسند الإمام أحمد ٩٠/٢ وكنز العمال ١٣٠/١٧.
(٣) كنز العمال ١٣٠/١٧.
(٤) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
(٥) رواه أبو يعلى والبزار والطبرانى.

رسول الله – ﷺ – فقال: أبشر يارسول الله.. قد قتل الله كِسْرى، فقال رسول الله – ﷺ: لعن الله كسرى – ثلاثا، ثم قال:

«إن أول الناس فناء – أو هلاكا – فارس، ثم العرب من ورائها، ثم أشار بيده قِبَل الشام، إلا بقية هُهنا[١].

* وعن بُرَيْدة – رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: سيكون بعدى بعوث كثيرة، فكونوا فى بعث خراسان، ثم انزلوا مدينة مرو، فإنه بناها ذو القرنين، ودعا لأهلها بالبركة، ولا يضرّ أهلها سوء[٢].

* وجاء فى مسند ابن عمر، عن ابن مسعود – رضى الله عنه:

«إن الله وملائكته يصلّون فى كل يوم على موتى قزوين والتجار وشهدائهم مائة صلاة»[٣].

٥ – البربر:

وفى حديث رسول الله – ﷺ – نجد ذمًّا وغضبا من رسول الله على البَرْبر، ووصفه لهم بالعصيان والتنكيل بنبيهم..

فقد جاء فى مسند أنس، «لقيت رسول الله – ﷺ – ومعى وصيفى بربرى فقال رسول الله – ﷺ – إن قوم هذا أتاهم نبى قبلى فذبحوه وطبخوه، وأكلوا لحمه، وشربوا مرقة»[٤].

وقال عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما: قُسِّم الشر سبعين جزءًا ، فجعل تسعة وستون جزءاً فى البربر، وجزء واحد فى سائر الناس[٥].

٦ – الجبال والأنهار:

ومادمنا نتحدث عن الأماكن التى وردت فى الحديث النبوى الشريف، فلا يمكن أن نغفل ما جاء من حديث رسول الله – ﷺ – من ذكر للجبال والأنهار.

فعن أبي هريرة – رضى الله عنه، أن النبى – ﷺ – قال: أربعة جبال من أجبال الجنة، وأربعة أنهار من أنهار الجنة.. فأما الجبال: فالطور ولبنان وطورسينا وطورزيتا. والأنهار من الجنة.. النيل والفرات وسيحان وجيحان[٦].

---

(١) كنز العمال ١٢٩/١٧.

(٢) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير.

(٣) كنز العمال ١٤١/١٧.

(٤) كنز العمال ١٤١/١٧.

(٥) كنز العمال ١٤١/١٧.

(٦) رواه الطبرانى فى الأوسط، (انظر أحاديث فى فضل الجبال والأنهار فى فضل الجنة).

الفصل الخامس

الأماكن التى ورد ذكرها فى القصص القرآنى

تولى الحديث النبوى الشريف تحديد **الأماكن** الوارد ذكرها فى **القصص القرآنى**، كما تولى توضيح ما ارتبط بها فى القصص، مع ذكر بعض **مناسبات النزول**، والأمور التى حدثت للأنبياء والمرسلين فيها.

من هذه الأماكن الوارد ذكرها: **أماكن عاد، وسبأ، ولوط، ومَدْين، وثمود، وديار الروم، وبابل، ومصر**... وكلها ترتبط بالمركز - مركز دائرة منطقة القلب.

١ - أماكن عاد:

فمن المركز يمتد محور جنوبى إلى اليمن، وبه قصص عاد ونبيِّهم هود - عليه السلام. وقد ورد ذكرها فى قوله تعالى:

﴿واذكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأَحْقَاف﴾ [الأحقاف \٢١]

أى واذكر أخا عاد، وهو **هود** - عليه الصلاة والسلام- بعثه الله عز وجل إلى **عاد الأولى**، وكانوا يسكنون **الأحقاف**- وهى **جبال الرمل باليمن**.

قال على بن أبى طالب- رضى الله عنه- الأحقاف واد **بحضرموت** يدعى **برهوت**، تلقى فيه أرواح الكفار. **وقال قتادة**: ذكر لنا عادًا كانوا **حيًا باليمن** أهل رمل، مشرفين على البحر، بأرض يقال لها **الشِّحْر**.

روى ابن ماجه - بإسناده - **عن ابن عباس** - رضى الله عنه - قال: **قال رسول الله - ﷺ**. «يرحمنا الله وأخا عاد».

* وروى **الإمام أحمد** - بإسناده - **عن عائشة** - رضى الله عنها - أنها قالت: «ما رأيت رسول الله - ﷺ مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم، وقالت: كان رسول الله ﷺ - إذا رأى غيمًا أو ريحًا عرف ذلك فى وجهه، قالت: يارسول الله: إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت فى وجهك الكراهية. فقال رسول الله - ﷺ: يا عائشة مايؤمننى أن يكون فيه عذاب، **قد عُذِّب قوم بالريح**، وقد رأى قوم العذاب، وقالوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا»(١).

(١) انظر هلاك قوم عاد فى سورة الأعراف وهود - تفسير ابن كثير ٤/١٦٠.

* وفى رواية أخرى: عن عائشة - رضى الله عنها قالت: إن رسول الله - ﷺ - كان إذا رأى ناشئًا فى أفق من آفاق السماء، ترك عمله وإن كان فى صلاته، ثم يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من شرّ عاقبته، فإن كشفه الله تعالى، حَمَدَ الله عز وجل، وإن أمطرنا قال. اللهم صَيّبًا نافعا».

* وروى مسلم فى صحيحه - بإسناده - عن عائشة رضى الله عنها، قالت:

«كان رسول الله - ﷺ - إذا عصفت الريح قال: «اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرّها وشر مافيها، وشر ما أرسلت به»

قالت: وإذا تخيلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سُرِّىَ عنه، فعرفت ذلك عائشة - رضى الله عنها - فسألته، فقال رسول الله - ﷺ:

لعله يا عائشة كما قال قوم عاد ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِم قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف ٢٤]

* وروى الطبرانى - بإسناده - عن ابن عباس - رضى الله عنهما- قال:

قال رسول الله - ﷺ - «ما فُتح على عاد من الريح إلاّ مثل موضع الخاتم، ثم أرسلت عليهم فى البدو إلى الحضر، فلما رآها أهل الحضر قالوا هذا عارضٌ ممطرنا مستقبل أوديتنا، وكان أهل البوادى فيها. فألقى أهل البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا، قال عتت على خزانها حتى خرجت من خلال الأبواب[(١)].

٢ - سـبأ:

وجاء فى ذكر هذا المحور الجنوبى ذكر سبأ. فى قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِى مَسْكَنِهِم آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وشِمَالٍ﴾ [سبأ ١٥]

كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها، وكانت التبابعة منهم، وبلقيس - صاحبة سليمان - عليه الصلاة والسلام من جملتهم، وكانوا فى نعمة وغبطة فى بلادهم وعيشهم، واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم، وبعث الله - تبارك وتعالى- إليهم الرسل، تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى- ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السّيل، والتفرق فى البلاد.. هذا ولازالت آثار السدّ والجنتين باقية..

* روى ابن جرير - بإسناده- عن فروة بن مُسَيْك الغطيفى - رضى الله عنه- قال:

قال رجل يارسول الله.. أخبرنى عن سبأ ماهو، أرض أم امرأة؟ قال ﷺ، ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد له عشرة من الولد، فتيَامَنَ ستة، وتَشَاوَمَ أربعة، فأما الذين تشاوموا: فلخم وجذام وعامله وغسان، وأما الذين تيامنوا: فكِنْدة والأشعريون والأزد ومذحج وحِمْيَر

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ١٦٠/٤.

وأنمار، فقال رجل: ما أنمار؟ قال ﷺ: الذين منهم خثعم وبجيلة.

* وعن يزيد بن حصين عن تميم الدارى - رضى الله عنه، قال إن رجلاً أتى رسول الله - ﷺ فسأله عن سبأ، فذكر مثله.

* قال علماء الأنساب، منهم محمد بن اسحق: «اسم سبأ عبد شمس بن يشجُب بن يَعْرُب بن قحطان، وإنما سمى سبأ لأنه أول من سبأ فى العرب، وكان يقال له الرائش، لأنه أول من غنم فى الغزو فأعطى قومه. فسمى الرائش.

وذكروا أنه بشّر برسول الله- ﷺ- فى زمانه المتقدم، وقال فى ذلك شعرًا[1].

سيملِكُ بعدَنَا مَلِكٌ عَظِيمُ   نَبِىٌّ لا يرخّص فى الحرام
ويملك بعده منهم مُلوك   يدينوه القياد بكل دامى
ويملك بعده منا مُلوكٌ   يصير الملك فينا باقتسام
ويملك بعد قحطان نبى   تقى مخبت خير الأنام
يسمّى أحمدًا ياليت أنى   أعمرّ بعد مبعثِهِ بعام
فأعضّده وأحْبُوه بِنَصْرِى   بكلِّ مدجّج وبكل رام
متى يظهر فكونوا ناصِريه   ومَنْ يلقاه يُبلّغه سَلامى

* جاء فى صحيح البخارى، أن رسول الله - ﷺ - مر بنفر مِنْ أَسْلَم ينتضلون فقال: «ارموا بنى اسماعيل، فإن أباكم كان راميًا» (فأَسْلَم) قبيلة من الأنصار، والأنصار أوسها وخزرجها من غسان، من عرب اليمن من سبأ، نزلوا بيثرب لما تفرقت سبأ فى البلاد، حين بعث الله عز وجل عليهم سيل العرم ونزلت طائفة منهم بالشام، وإنما قيل لهم غسّان بماء نزلوا عليه، قيل باليمن، وقيل إنه قريب من المشلل- كما قال حسان بن ثابت:

أما سَأَلْتَ فإنّا مَعْشَرٌ نُجُبٌ   الأَزْدُ نِسْبَتُنَا والماءُ غَسَّانُ

* ومعنى قوله- ﷺ «ولد له عشرة من العرب» أى كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع إليهم أصول القبائل من عرب اليمن.

ومعنى قوله - ﷺ: «فتيامن منهم ستة وتشاوم منهم أربعة» أى بعد ما أرسل الله عليهم سيل العرم منهم من أقام ببلادهم، ومنهم من نزح عنها إلى غيرها.

وكان من أمر السدّ أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين، وتجتمع إليه أيضًا سيول أمطارهم وأوديتهم، فعمد ملوكهم الأقادم، فبنوا بينهما سدًّا عظيمًا محكمًا حتى ارتفع الماء، وحكم على حافات ذينك الجبلين. ففرشوا الأشجار، واستغلوا الثمار فى غاية ما يكون من الكثرة والحسن.

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٣١/٣.

* **قال قتادة**: إن المرأة كانت تمشى تحت الأشجار، وعلى رأسها **مكتل أو زنبيل**، وهو الذى تخترف فيه الثمار، فيتساقط من الأشجار فى ذلك مايملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف لكثرته ونضجه واستوائه، وكان هذا السد بمأرب، بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل، ويعرف **بسدّ مأرب**.

٣ - قرى لوط:

ومن المركز - **مركز منطقة القلب** - يمتد محور شمالى. يذكر القرآن فيه عدة أماكن متتابعة على طريق التجارة، منها قرى لوط.

جاء ذكرها فى سورة الحجر ﴿وَجَاءَ أَهْلُ المَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الآية ٦٧].

يخبر الله تعالى عن مجىء قوم لوط، لما علموا بأضيافه وصباحة وجوههم، وأنهم جاءوا مستبشرين بهم، فرحين، إلى قوله تعالى: ﴿فأَخذَتْهُم الصَّيْحةُ مُشْرِقين﴾ آلا ٧٣] - وهى ما جاءهم به من **الصوت القاصف** عند شروق الشمس وهو مطلعها، وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء، ثم قلبها وجعل عاليها سافلها، وإرسال حجارة السجّيل عليهم.

وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِين﴾ [الآية ٧٥] أى إن آثار هذه **النقم الظاهرة** على تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته.

* ثم وصفها القرآن بقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيم﴾ [الحجر ٧٦]

أى وإن قرية سدوم التى أصابها من **القلب الصورى والمعنوى**، والقذف بالحجارة حتى صارت بحيرة منتنة بطريق مهيع مسالكه مستمرة إلى اليوم. كقوله: ﴿وإنكم لتمرّون عَلَيْهم مُصْبِحِين، وبالليل أَفَلَا تعقلون، وإن يُونُسَ لَمِنَ المُرْسَلِين﴾.

قال مجاهد والضحاك: (وإنها لبسبيل مقيم) قال: مُعْلَم، بطريق واضح، أو بصقع من الأرض واحد. وقوله: (إن فى ذلك لآية للمؤمنين) أى إن الذى صنعنا **بقوم لوط من الهلاك والدمار وانجاءنا لوطا وأهله لدلالة واضحة جلية للمؤمنين بالله ورسله**(١).

٤ - ديار أصحاب الأيكة - وهى مَدْيَن:

وقد ورد ذكرها فى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِين، فانْتَقَمْنَا مِنْهُم وإنَّهُمَا لَبِإِمَام مُبِين﴾ [الحجر ٧٨، ٧٩].

أصحاب الأيكة هم قوم شعيب. قال قتادة: الأيكة الشجر الملتف، وكان ظلمهم بشركهم بالله، وقطعهم الطريق، **ونقصهم المكيال والميزان**، فانتقم الله منهم **بالصيحة والرجفة وعذاب يوم**

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٥٥٥.

الظلة، وقد كانوا قريبا من قوم لوط بعدهم فى الزمان، ومسامتين لهم فى المكان. ولهذا قال الله تعالى: ﴿وإنَّهما لبِإمَامٍ مُبِين﴾ أى طريق مبين.

ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال فى نذارته إياهم ﴿وما قَوْمُ لُوطٍ منْكُمْ بِبَعِيد﴾ كما ورد ذكر مدين – فى قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُم شُعَيْبًا﴾ [الأعراف ٨٥].

قال محمد بن اسحاق: هم من سلالة مدين بن ابراهيم..

قال ابن كثير: مدين تطلق على القبيلة، وعلى المدينة، وهى التى بقرب معان من طريق الحجاز. وهم أصحاب الأيكة(١).

٥ – ديار ثمود – وهم أصحاب الحِجْر:

وقد ورد ذكرها فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ المُرْسَلِينَ، وآتَيْنَاهم آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهـا مُعْرِضِين، وَكَـانُوا يَنْحِتُـونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُـوتًـا آمِنينَ. فَـأَخَـذَتْهُمُ الصَّيْحَـةُ مُصْبِحِين﴾ [الحجر ٨٠، ٨٣].

أصحاب الحِجر هم ثمود، الذين كذبوا صالحا نبيهم – عليه السلام، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين، ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين، وذكر تعالى أنه أتاهم من الآيات ما يدلهم على صدق ما جاءهم به صالح، كالناقة التى أخرجها الله لهم بدعاء صالح، من صخرة صماء، وكانت تسرح فى بلادهم لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، فلما عتوا وعقروها، قال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا فِى دَارِكُم ثَلَاثَةَ أيام ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مكْذُوب﴾ وقال تعالى: ﴿وأما ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُم فاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى﴾ وذكر الله تعالى أنهم ﴿كَانُوا يَنْحَتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا آمِنين﴾ أى من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أَشَرًا وبَطَرًا وعَبَثًا. كما هو المشاهد من صنيعهم فى بيوتهم بوادى الحِجْر – الذى مرّ به رسول الله – ﷺ – وهو ذاهب إلى تبوك، فقنع رأسه وأسرع دابته، وقال لأصحابه: «لا تدخلوا بيوت القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تبكوا فتباكوا خشية أن يُصيبكم ما أصابهم».

وكان هذا النهى لما مروا مع النبى – ﷺ – بالحِجْر ديار ثمود. ووجه الخشية فى قوله – ﷺ – أن البكاء يبعث على التفكر والاعتبار، فكأنه أمرهم بالتفكر فى أحوال توجب البكاء، مع تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر، مع تمكينه لهم فى الأرض وإمهالهم مدة طويلة، ثم إيقاع نقمته بهم وشدة عذابه، وهو سبحانه مقلب القلوب، فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك، والتفكر أيضا فى مقابلة أولئك نعمة الله بالكفر، وإهمالهم إعمال عقولهم فيما يوجب الإيمان به، والطاعة له، فمن مرّ عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتبارًا بأحوالهم، فقد شابههم فى الإهمال، ودل على قساوة قلبه

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٥٦/٢.

وعدم خشوعه، فلا يأمن أن يجره ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم، فيصيبه ما أصابهم.

وقوله تعالى: ﴿فأَخَذَتْهُم الصَّيْحَةُ مُصْبِحِين﴾ أى وقت الصباح من اليوم الرابع ﴿فَما أَغْنَى عَنْهُم مَا كَانُوا يَكْسِبُون﴾ أى ما كانوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم، التى ضنوا بمائها على الناقة حتى عقروها لِئَلا تضيق عليهم فى المياه، فما دفعت عنهم تلك الأموال، ولا نفعتهم لما جاء أمر ربك[1].

* ويتفرع هذا المحور الشمالى إلى ثلاث شعب:

١ - الأولى: شمالية تصل إلى المسجد الأقصى:

وقد ورد ذكرها فى قوله تعالى: ﴿سُبْحَان الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِه لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَام إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير﴾ [الإسراء ١].

يمجد الله تعالى نفسه، ويعظِم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره ولا ربّ سواه ﴿الَّذِى أَسْرَى بعَبْدِه﴾ محمدًا ﷺ - ﴿ليلا﴾ أى فى جنح الليل، ﴿من المَسْجِدِ الحرام﴾ وهو مسجد مكة ﴿إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ وهو بيت المقدس، الذى بإيلياء معدن الأنبياء، من لدن ابراهيم الخليل - عليه السلام.

ولهذا جمعوا له هناك كلهم، فأمَّهُم فى محلّتهم، ودارهم.. فدلّ على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم - ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِى بَارَكْنَا حَوْله﴾ أى فى الزروع والثمار، ﴿لِنُرِيَه﴾ أى محمد ﴿مِنْ آيَاتنا﴾ أى العظام - كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأى مِنْ آيَاتِ رَبّه الكُبْرى﴾.. ﴿إنّه هُو السَّمِيعُ البَصِير﴾ أى السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم، مصّدقهم ومكذبهم، البصير بهم فيعطى كلا منهم ما يستحقه فى الدنيا والآخرة.

* وذكر الله ديار الروم فى قوله تعالى: ﴿الم، غُلِبَت الرُّومُ، فى أَدْنَى الأَرْض وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُون، فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّه الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ..﴾ [الروم ١ - ٤].

نزلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصى بلاد الروم، فاضطر هِرَقْل ملك الروم حتى ألجأه إلى القسطنطينية وحاصره فيها مدة طويلة، ثم عادت الدولة لهرقل.

* روى الإمام أحمد - بإسناده - عن ابن عباس - رضى الله عنهما، قال: غُلِبَت وغَلَبَت، قال: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان. وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل الكتاب، فذكر ذلك لأبى بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله

(١) تفسير ابن كثير، وأنظر البخارى - كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا﴾.

- ﷺ - فقال رسول الله - ﷺ: «أما إنهم سيغلبون» فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلا، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا. فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله - ﷺ - فقال: «ألا جعلتها إلى دون أراه - قال - لعشر».

قال سعيد بن جبير: البضع ما دون العَشْر. ثم ظهر الروم بعد(١).

* ويتصل بالشام قصص ابراهيم وذريته...

٢ - الشعبة الثانية: شمالية شرقية، ويمكن أن نعتبرها امتدادًا لقوس بلاد الشام الموصل إلى العراق. وإليها جاءت الإشارة فى القرآن: ﴿وما أُنزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ ببَابِل﴾ [البقرة ١٠٢].

* روى ابن جرير - بإسناده - عن عمير بن سعيد، قال: سمعت عليا رضى الله عنه، يقول: كان الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس، وإنها خاصمت إلى الملكين هارون وماروت فراوداها عن نفسها فأبت عليهما إلّا أن يعلماها الكلام الذى إذا تكلم به أحد يعرج به إلى السماء، فعلّماها فتكلمت به فعرجت إلى السماء فمسخت كوكبا(٢).

* وروى الامام أحمد بإسناده - عن عبد الله بن عمر، رضى الله عنهما، قال: إنه سمع نبى الله - ﷺ - يقول: إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض، قالت الملائكة: أى رب ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لَكَ، قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَالَا تَعْلَمُون﴾[البقرة ٣٠] قالوا ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم. قال الله تعالى للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان، قالوا: ربنا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض، ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر، فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك، فقالا: والله لا نشرك بالله شيئًا، فذهبت عنهما ثم رجعت بصبى تحمله، فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبى، فقالا: لا والله لا نقتله أبدًا، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبى، فلما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئًا أبَيْتُماه علىّ إلا قد فعلتماه حين سكرتما، فخيّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا.

وتتصل بالعراق أيضا قصص نوح وابراهيم.

٣ - الشعبة الثالثة: شمالية غربية.. إلى مصر.

وقد وردت باسمها الصريح فى قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وهَذِهِ الأنهارُ تَجْرِى مِنْ

(١) رواه الترمذى والنسائى.

(٢) تفسير ابن كثير ١٣٨/١.

تَحْتِي﴾ [الزخرف ٥١] يقول الله تعالى مخبرا عن فرعون، وتمرّده وعتوه وكفره وعناده، إنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحا مفتخرًا بملك مصر، وتصرفه فيها ﴿أليس لى ملك مصر...﴾ الآية.

قال قتادة: قد كانت لهم جنات وأنهار ماء، أى أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك، وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء.

كما وردت سيناء فى قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بالدُّهْنِ وَصِبْغٍ للآكِلِين﴾[المؤمنون ٢٠].

* وهناك أماكن أخرى لم يذكر القرآن مكانها، وإن كان الحديث قد ذكر شيئا عن ذلك، منها: مجموعة سورة الكهف، ذو القرنين - ذكره القرآن فقال: ﴿حَتّى إِذَا بلَغَ مغرِبَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف ٩٦].

روى ابن جرير - بإسناده - عن ابن عمر قال: نظر رسول الله - ﷺ - إلى الشمس حين غابت فقال: «فى نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض[١]».

وقوله تعالى: ﴿حتى إذَا بلَغَ بين السَّدين وجَدَ مِنْ دُونهما قوما لاَيَكَادُون يَفْقَهُون قَوْلا﴾ [الكهف ٩٣] يقول تعالى مخبرًا عن ذى القرنين: ﴿ثُـم أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أى أتبع سببا أى سلك طريقا من مشارق الأرض، حتى إذا بلغ بين السدّين، وهما جبلان متناوحان بينهما ثغرة، يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك، فيعيثون فيها فسادًا، ويهلكون الحرث والنسل. ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام - كما ثبت فى الصحيحين.

* وصفوة القول فى المكان..

إن مركز التاريخ الإنسانى كما يصوره الحديث النبوى الشريف - هو البيت الحرام، أول بيت وضع للناس، وحوله منطقة القلب التى ترتبط بها شعائر العبادة الأساسية، من الصلاة والحج، الوحدة والتوحيد. وحولها دائرة الغزوات حيث يتمثل الدفاع عن العقيدة وحمايتها.

ولم يكن هدف الحديث النبوى أن يستغرق الأماكن حصرا وتسجيلا، وإنما اكتفى بأن أورد لنا نمطا واضحا من الدراسة، يتمثل فى مركز ودوائر متتابعة فى الاتساع، ومحاور تربط القلب بالأطراف ودعوة إلى مزيد من الدراسة، وهى بدورها ممهدة لتطوير فى المجتمعات، وبناء أفضل للتاريخ الإنسانى.

وأود هنا أن أذكر ما اتجهت إليه الدراسة التاريخية المعاصرة، نظرة علمية، وامتداد فى المكان، أثمرته سهولة المواصلات، وزيادة الاحتكاك بين الشعوب، وتيسر المزيد من البحوث التاريخية

---

(١) تفسير ابن كثير ١٠٢/٣.

والأثرية، وما يرتبط بها من وثائق كان النسيان قد طواها، أو عدا عليها الخراب أو طمرتها الرمال، وما يرتبط بها من دراسات ناقدة، وعناية بالتطور العام، ومقوماته الاجتماعية والاقتصادية، ودور الشعوب والحضارات النائية أو المنسيّة فيه.. **كل أولئك مما يتسع له أفق الحديث النبوى، بلَ ما يدعو إليه القرآن من البحث عن مزيد من المعرفة عبر الزمان والمكان والتنوع الموضوعى.**

الباب الثالث

الأحداث فى الحديث النبوى

الفصل الأول : الأحداث التى حدثت قبل البعثة المحمدية.

الفصل الثانى : الأحداث التى وقعت فى عهد النبى ﷺ.

الفصل الثالث : الأحداث التى تنبأ بها الرسول ﷺ.

الأحداث فى الحديث النبوى

وهذا هو العنصر الثالث من عناصر التأريخ الخمسة التى حددناها فى صدر البحث. والأحداث التى سجلها الحديث النبوى كثيرة كثيرة، منها: أحداث حدثت قبل البعثة النبوية: كالأحداث التى حدثت لأنبياء الله ورسله السابقين، والأحداث التى ترتبط بالإرهاصات الأولى لبعثته - ﷺ - ومنها: الأحداث التى حدثت فى عهده -ﷺ-، مثل أحداث جهاده.. غزواته، وبعوثه، وسراياه.. وأحداث تتصل بالنبوة، وتأييد الله لرسوله - ﷺ - بالمعجزات والبراهين، والمؤيدات الحسية التى تثبت صدق نبوته، وصحة رسالته.

ومنها أحداث تنبأ بها رسول الله - ﷺ - وكأن الله سبحانه وتعالى أطلعه على الغيوب المستقبلية، فكان ذكر الرسول لها إعلام وتوقّع ما سوف يكون من بعده- ﷺ - كأحداث الفتوحات الإسلامية والفتن والصراعات، وأحداث رجوع المسيح، وأحداث تتصل بفتنة الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج.. وغير ذلك.

وهذا هو موضوع دراستنا فى هذا الباب.

الفصل الأول

الأحداث التى حدثت قبل البعثة النبوية

أولاً: الأحداث التى حدثت لأنبياء الله ورسله

- ١ -

خَلْق آدم - عليه السلام

حدثنا القرآن الكريم عن خَلْق آدم - عليه السلام، وأخبرنا أنه أول مخلوق من البشر ظهر على سطح الأرض، فى هذا الوجود، فهو إذًا أبو الخلائق، وأصل هذا العالم، وإليه ينتمى جميع سكان الأرض، وليس قبله مخلوق من النوع الإنسانى على الإطلاق. أما من غير البشر، فقد كان هناك ملائكة قبله، وكذلك من الجن مخلوقات قبله

وقد تولى الحديث النبوى الشريف ذكر حادثة الخلق هذه، ووضحها توضيحًا جليًّا، وألقى كثيرًا من الضوء على ما كان مجملاً فى القرآن الكريم.

* روى الإمام أحمد - بإسناده - عن أبى موسى، عن النبى - ﷺ - قال: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض، والأحمر والأسود، وبَيْن ذلك، والخبيث والطيب، والسَّهْل والحزن وبين ذلك.

* وقد ذكر السُّدى عن أبى مالك وأبى صالح، عن ابن عباس، وعن مرّة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله - ﷺ - قالوا:

«فبعث الله عز وجل جبريل، فى الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تُنقص منى أو تَشِيننى، فرجع ولم يأخذ، وقال: ربِّ إنها عاذت بك فأَعَذْتُها.

فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها، فرجع فقال كما قال جبريل، فبعث ملك الموت فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلط، ولم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء. فلذلك خرج بنو آدم مختلفين.

فصعد به فَبَلّ التراب حتى عاد طينًا لازبًا (يلزق بعضه ببعض) ثم قال للملائكة: ﴿إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طين، فَإِذَا سَوَّيْته ونَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدين﴾ [الحجر ٢٨]

فخلقه الله بيده لئلا يتكبّر إبليس عنه، فخلقه بشرًا، فكان جسدًا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمّرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم منه فزعًا إبليس، فكان يمرّ به فيضربه، فيصوّت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة، فذلك حين يقول: ﴿مِنْ صَلْصَال كالفَخار﴾، ويقول: لأمرٍ ما خُلقت، ودخل من فِيهِ، وخرج من دُبُره، وقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا، فإن ربكم صَمَد وهذا أجوف، لئن سُلّطت عليه لأهلكنّه.

فلما بلغ الحينَ الذى يريد الله عز وجل: أن ينفخ فيه الروح، قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحى فاسجدوا له، فلما نفخ فيه الروح، فدخل الروح فى رأسه عَطَس، فقالت الملائكة قُل: الحمد لله. فقال: الحمد لله، فقال له الله: رحمك ربك، فلما دخلت الروح فى عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخلت الروح فى جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عَجْلَان إلى ثمار الجنة، وذلك حين يقول الله تعالى: ﴿خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَل﴾.. ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُم أَجْمَعُونَ إلاّ إبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِين﴾ [الحجر ٣٠].. وذكر تمام القصة.

ولبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث النبوية:

* فقال الإمام أحمد - بإسناده - عن أنس، أن النبى ﷺ قال: «لما خلق الله آدم تركه ما شاء أن يدعه، فجعل إبليس يُطيف به، فلما رآه أجوف عرف أنه خَلْق لا يتمالك.

* وقال ابن حِبّان فى صحيحه - بإسناده - عن أنس بن مالك، أن رسول الله - ﷺ - قال:

«لما نُفخ فى آدم فبلغ الروحُ رأسه عَطَس، فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال تبارك وتعالى: يَرْحَمُك الله».

* وروى أبو هريرة، أن رسول الله - ﷺ - قال:

«إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طينًا ثم تركه، حتى إذا كان حمأً مسنونًا خلقه الله وصَوَّره ثم تركه، حتى إذا كان صلصالاً كالفخار، قال: فكان إبليس يمرّ به فيقول: لقد خُلقت لأمر عظيم. ثم نفخ الله فيه من روحه، فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه، فعَطَس فلقّنه الله رحمة به، فقال الله: يرحمك ربك، ثم قال الله: يا آدم اذهب إلى هؤلاء النفر فقُل لهم، فانظر ماذا يقولون؟ فجاء فسلَّم عليهم، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فقال: يا آدم.. هذه تحيتك وتحية ذريتك، قال: يارب.. وما ذرّيتى؟ قال: اخْتَر يدى يا آدم، قال: اختار يمين ربى، وكلتا يَدى ربى يمين، فبسط كفه فإذا من هو كائن من ذريته فى كَفّ الرحمن، فإذا رجال منهم أفواههم النور، وإذا رجل يعجب آدم نوره، قال يارب من هذا؟ قال: ابنك داود، قال: يارب.. فكم جعلت له من العمر؟ قال: جعلت له ستين، قال: يارب فأتمّ له من عمرى حتى يكون عمره مائة سنة، ففعل الله ذلك، وأشهد على ذلك.

فلما نفد عمر آدم بعث الله مَلَك الموت، فقال آدم: أو لم يبق من عمرى أربعون سنة؟ قال له المَلَك: أو لم تعطها ابنك داود؟ فجَحَدَ ذلك، فجحدت ذريته، ونَسِيَ فنسيت ذريته»[١].

وفى رواية الترمذى - بإسناده - عن أبى صالح، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله - ﷺ -: لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عينى كل إنسان منهم وَبيصًا (أى بريقا) من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أى رب.. من هؤلاء: قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا فأعجبه وبيصُ ما بين عينيه، فقال: أى رب من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك، يقال له داود، قال: رب وكم جعلت عمره... (الحديث).

* وروى ابن أبى حاتم - بإسناده - عن أبى هريرة - مرفوعا، فذكره، وفيه: «.. ثم عرضهم على آدم فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، وإذا فيهم الأجذم، والأبرص، والأعمى، وأنواع الأسقام، فقال آدم: يا رب لم فعلت هذا بذريتى؟ قال: كى تشكر نعمتى» ثم ذكر قصة داود.

* وقال الإمام أحمد فى مسنده - بإسناده - عن أبى الدرداء، عن النبى -ﷺ-. قال: «خلق الله آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذُّر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم (الفحم) فقال للذى فى يمينه: إلى الجنة ولا أُبَالى، وقال للذى فى كتفه اليسرى إلى النار ولا أبالى».

* وقال ابن أبى الدنيا، بإسناده - عن الحسن، قال: خلق الله آدم حين خلقه، فأخرج أهل الجنة من صفحته اليمنى، وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى، فألقوا على وجه الأرض، منهم الأعمى والأصم والمبتلى، فقال آدم: يارب ألا سويت بين ولدى؟ قال: يا آدم إنى أردت أن أُشْكَر».

* وعن وصف آدم عليه السلام:

روى البخارى - بإسناده - عن أبى هريرة، عن النبى - ﷺ - قال: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا، ثم قال: اذهب فسلِّم على أولئك النفر من الملائكة، فاستمع ما يجيبونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوا (ورحمة الله)، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن[٢].

وقال الإمام أحمد - بإسناده - عن أبى هريرة، إن رسول الله - ﷺ - قال: «كان طُول آدم ستين ذراعا فى سبع أذرع عرضا».

(١) رواه البزار والترمذى والنسائى.

(٢) رواه البخارى فى كتاب الاستئذان ١٥٨/٣.

وقال الإمام مالك بن أنس - فى موطئه، بإسناده، إن عمر بن الخطاب، سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالُوا بَلَى شَهِدْنَا.. الآية﴾ [الأعراف ١٧٢].

فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله - ﷺ - يُسأل عنها، فقال:

«إن الله خلق آدم عليه السلام، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذريةً، قال: خلقتُ هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون».

فقال رجل: يا رسول الله.. ففيم العمل؟ قال رسول الله - ﷺ - : «إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخل به الجنة، وإذا خلق الله العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار»(١).

* وهذه الأحاديث كلها دالة على استخراج الله - سبحانه - ذرية آدم من ظهره كالذَّر، وقِسْمَتِهم قسمين: أهل اليمين، وأهل الشمال، وقال: هؤلاء للجنة ولا أُبالى، وهؤلاء للنار ولا أُبالى.

* وقال أبو جعفر الرازى - بإسناده - عن أُبَىّ بن كعب، فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذُرِّيَتَهم..﴾ الآية والتى بعدها.

قال: فجمعهم له يومئذ جميعا، ما هو كائن منه إلى يوم القيامة، فخَلَقهم ثم صَوَّرهم ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهد عليهم أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بربِّكُم؟ قالوا: بَلَى﴾ قال: فإنى أُشْهِد عليكم السموات السبع، والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم، أن لا تقولوا يوم القيامة: لم نَعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيرى، ولا رب غيرى، ولا تشركوا بى شيئا، وإنى سأرسل إليكم رُسُلاً ينذرونكم عهدى وميثاقى، وأنزل عليكم كتابى.

قالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك، فأقروا له يومئذ بالطاعة. ورفع أباهم آدم فنظر إليهم، فرأى فيهم الغنىّ والفقير، وحَسن الصورة ودون ذلك، فقال: يارب.. لو سوَّيت بين عبادك؟ فقال: إنى أحببت أن أُشكر.

ورأى فيهم الأنبياء مثل السُّرُج عليهم النور، وخُصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة»(٢).

* وعن زمن خلق آدم.. روى مسلم - بإسناده - عن أبى هريرة - مرفوعا..

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن جرير.

(٢) رواه ابن أبى حاتم وابن جرير.

«وخُلق آدم فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة..».

ثم أُسْكن آدم الجنة، أقام بها هو وزوجته حواء، يأكلان منها رغدًا حيث شاءا، فلما أكلا من الشجرة التى نُهيا عنها سُلبا ما كانا فيه من اللّباس وأُهبطا إلى الأرض[١].

– ٢ –
حادثة هلاك قوم عاد

لما طَغت عاد وتمرّدت على نبى الله هُود – عليه السلام، ولم ينفعها التذكير والإنذار، وتمادت فى طريق العصيان، حبس الله عنهم المطر ثلاث سنين، حتى اشتد عليهم الجهد والبلاء، فاستغاثوا واستنجدوا، فأرسل الله عليهم سحابا كثيفا من السماء، فلما رأوا السحاب فرحوا واستبشروا، وظنوا أنه مطر غزير، وأن الله قد تداركهم برحمته، واستجاب دعاءهم حين استغاثوا، فلما أظَلتهم السحابة، رأوها سوداء قاتمة ففزعوا، ثم هبطت عليهم الريح، – وكانت ريحا عقيما – وسلّطها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حُسُوما، فأهلكهم الله وأبادهم، وصارت أجسامهم كأنها أعجاز نخل خاوية، ونَجّى الله هُودًا والذين آمنوا معه برحمته من ذلك العذاب الغليظ، وكان الذين هلكوا من قوم عاد قد هلكوا عن آخرهم، فلم يبق من أنفسهم ولا من ديارهم شبح ولا رسم، لأن الريح دمّرت كل شىء.

* روى ابن أبى حاتم – بإسناده – عن ابن عمر، قال: قال رسول الله – ﷺ:

«ما فتح الله على عاد من الريح التى أهلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم، فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم بين السماء والأرض، فلما رأى ذلك أهلُ الحاضرة من عاد وما فيها ﴿قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ فألقت أهلَ البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة».

* وقد رواه الطبرانى – بإسناده – عن ابن عباس، قال: قال رسول الله – ﷺ:

«ما فتح الله على عاد من الريح إلّا مثل موضع الخاتم، ثم أرسلت عليهم البدوَ إلى الحضر، فلما رآها أهل الحاضرة ﴿قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ ممطرنا﴾ مستقبل أوديتنا، وكان أهلُ البوادى فيها، فألقى أهلَ البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا». وظاهر الآية: أنهم رأوا (عارضا) والمفهوم منه لغة (السحاب) كما دل عليه الحديث.

* وأصرح منه فى ذلك – ما رواه مسلم – فى صحيحه، بإسناده – عن عائشة رضى الله عنها:

---

(١) انظر بحثنا «دراسات فى التفسير الموضوعى للقصص القرآنى» آدم وقضية الاستخلاف فى الأرض ص ١٠٩ نشر الخانجى سنة ١٩٨٦ م.

قالت: «كان رسول الله – ﷺ – إذا عصفت الريح، قال: «اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها، وشر ما أرسلت به»

قالت: وإذا غُيّبت السماء تغيّر لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدْبر، فإذا أمطرت سرّى عنه، فعرفت ذلك عائشة، فسألته فقال: لعله يا عائشة كما قال قوم عاد:

﴿فَلَمَّا رَأَوْه عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِم قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف ٢٤](١)

* وطريق آخر – رواه الإمام أحمد بإسناده – عن سليمان بن يسار، عن عائشة، أنها قالت: «ما رأيت رسول الله – ﷺ – مستجمعا ضاحكا قطّ حتى أرى منه لَهَوَاتِهِ (لحمة فى أُفق الحلق) إنما كان يتبسم، وقالت: كان إذا رأى غَيْمًا أو ريحا عُرف ذلك فى وجهه..

قالت: يا رسول الله: إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف فى وجهك الكراهية؟ فقال: «يا عائشة ما يُؤَمّنى أن يكون فيه عذاب! قد عذّب قوم نوح بالريح، وقد رأى قومٌ العذاب (فقَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُـمْطِرُنا)(٢)

– ٣ –
ثمود وحادثة عقر الناقة

كانت قبيلة ثمود تدين بعبادة الأوثان، وتكفر بالله الواحد الديّان، فبعث الله إليهم سيدنا صالحا – عليه السلام، يذكرهم بنعم الله، ويهديهم طريق الفوز والسعادة، وأنهم خلفاء فى الأرض من بعد قوم عاد، وأمرهم بالتقوى، ونهاهم عن عبادة الأصنام فظلوا متمادين فى غوايتهم، عاكفين على عبادتهم الباطلة، وكانوا أهل خصب ونعيم، لما لهم من الخيرات الوافرة، والجنات الزاهرة، والعيون الجارية، وقد ذكّرهم الله تعالى بهذه النعم، بقوله:

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا آمِنِين، فِي جَنَّاتٍ وعُيُونٍ، وزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ، وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِين﴾ [الشعراء ١٤٦–١٤٩]

فآمن به نفر قليل، وأكثرهم كذبوه، وكفروا برسالته، وعتوا فى طغيانهم عتوا كبيرًا، وطلبوا معجزة تشهد بصدقه، فجاءهم بمعجزة الناقة، وقد كانت آية عظيمة دالة على صدق صالح، عليه السلام – حيث خرجت الناقة من صخر أصم، ورأوا بأعينهم كيف انفلقت الصخرة، وخرجت منها ناقة عشراء.

(١) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن جريج.
(٢) هكذا رواه مسلم عن هارون بن معروف، وأخرجه البخارى وأبو داود من حديث ابن وهب.

وقد حذرهم صالح - عليه السلام - من التعرض للناقة بسوء، وأنذرهم عذاب الله إن هم أقدموا على قتلها، ولكن النفوس العاتية التى لا تسمع موعظة، ولا تقبل نصيحة، والتى قد أعماها حب التمرد والطغيان، قد أبت إلا الإجرام، فأقدموا على عقر الناقة بغيا وعتوا..

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف ٧٧]

وكان أول من سطا على الناقة الشقىّ اللعين «قُدار بن سالف»(١)، فعقروها، فسقطت على الأرض فابتدرها الرجال بأسيافهم، يقطعونها وكانوا تسعة - كما أخبر بذلك القرآن.

وقد ذكر النبى - ﷺ - هذه الحادثة..

* فقد روى الإمام أحمد - بإسناده - عن عبدالله بن زمعة، قال: «خطب رسول الله - ﷺ - فذكر الناقة، وذكر الذى عَقرها، فقال: ﴿إذ انْبَعَثَ أَشْقَاها﴾.. انبعث لها رجل عارم عزيز منيع فى رهطه، مثل «أبى زَمْعَة»

* وقال محمد بن اسحاق - بإسناده - عن عمار بن ياسر، قال: قال رسول الله - ﷺ - لعَلِىّ كرّم الله وجهه - «ألا أُحَدِّثُك بأشْقَى الناس؟ قال: بلى، قال: رجلان، أحدهما: أُحَيْمر ثمود الذى عقر الناقة، والذى يضربك يا علىّ على هذا، يعنى قَرْنه - حتى تبتل منه هذه، يعنى لحيته(٢)

* وروى الإمام أحمد - بإسناده - عن جابر، قال: «لما مرّ رسول الله - ﷺ - بالحِجْر، قال: لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح، فكانت - يعنى الناقة - ترد من هذا الفجّ، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يوما، ويشربون لبنها يوما، فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله بها من تحت أديم السماء منهم، إلاّ رجلاً واحدًا كان فى حرم الله، فقالوا: من هو يارسول الله؟ قال: هو أبو رِغَال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه».

* وقال عبدالرزاق أيضا، قال معمر، أخبرنى اسماعيل بن أمية، أن النبى - ﷺ - مرّ بقَبْر أبى رِغَال، فقال: أتدرون مَنْ هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا قبر أبى رِغَال، رجل من ثمود، كان فى حرم الله فمنعه حَرَم الله عذابَ الله، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه، فدفن هاهنا، ودفن معه غُصن من ذهب، فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم، فبحثوا عنه فاستخرجوا الغصن».

وقد ورد هذا الحديث، من وجه آخر، ذكره محمد بن اسحاق فى السيرة النبوية، بإسناده عن ابن عمر، قال: «سمعت رسول الله - ﷺ - حين خرجنا معه إلى الطائف، فمررنا بقبر، فقال: إن هذا قبر أبى رغال، وهو أبو ثقيف، وكان من ثمود، وكان بهذا الحرم يدفع عنه، فلما خرج منه أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان، فدفن فيه، وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب، إن

---

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء ص ١٦٥.

(٢) رواه ابن أبى حاتم.

أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه، فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن»(١).

* وعن مروره- ﷺ - بوادى الحجر من أرض ثمود، روى الإمام أحمد بإسناده - عن ابن عمر، قال: لما نزل رسول الله - ﷺ - بالناس على تبوك، نزل بهم الحِجْر عند بيوت ثمود، فاستقى الناسُ من الآبار التى كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا منها ونصبوا القدور، فأمرهم رسول الله، فأهرقوا القدور، وعلفوا العجين الإبل، ثم ارتحل بهم، حتى نزل بهم على البئر التى كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذّبوا، فقال: إنى أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم».

* وذكر الإمام أحمد، أن رجلا يقال له عامر بنْ سعد، قال:

«لما كان فى غزة تبوك، تسارع الناس إلى أهل الحِجْر، يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله - ﷺ - فنادى فى الناس «الصلاة جامعة». فأتيت النبى - ﷺ - وهو ممسك بعيره، وهو يقول: «ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم» فناداه رجل: نعجب منهم يارسول الله؟ قال: «أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسددوا، فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئا، وسيأتى قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئا»(٢).

- ٤ -
حادث ابتلاء أيوب - عليه السلام

أبتُلى أيوب - عليه السلام - بلاء شديدًا، فى أهله وبدنه وماله، ولكنه كان مثالاً للعبودية الحقة لله، فصبر على ذلك حتى أصبح يضرب فيه المثل على الأذى، فيقولون «صبرًا كصبر أيوب»(٣). وقد أثنى الله تبارك وتعالى عليه بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص ٤٤]

* روى ابن أبى حاتم، وابن جرير - بإسنادهما - عن أنس بن مالك- رضى الله عنه، أن النبى ﷺ.

قال: «إن نبى الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلّا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه له، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه: وماذاك؟ قال: منذ ثمانى عشرة سنة

---

(١) رواه أبو داود من طريق محمد بن اسحاق.

(٢) رواه أحمد فى مسنده .

(٣) الشيخ محمد على الصابونى: النبوة والأنبياء ص ٢٦٥ طبع مكتبة الغزالى. الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠ م.

لم يرحمه ربه فيكشف مابه، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدرى ما تقول؟ غير أن الله عز وجل يعلم أنى كنت أَمُرّ على الرجلين يتنازعان، فيذكران الله فأرجع إلى بيتى، فأكفّر عنهما، كراهية أن يُذكر الله إلاّ فى حق.

قال: وكان يخرج فى حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه، فأوحى الله إلى أيوب فى مكانه: أن «اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب» فاستبطأته فتلقته تنظر، وأقبل عليها قد أذهب ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أى بارك الله فيك! هل رأيت نبىّ الله هذا المبتلى؟ فوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحًا، قال: فإنى أنا هو.

قال: وكان له أندران: أندر للقمح، وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى فى أندر الشعير الورق حتى فاض(١)»

* وروى ابن أبى حاتم، بإسناده - عن ابن عباس، قال:
«وألبسه الله حُلّة من الجنة فتنحى أيوب، وجلس فى ناحية، فجاءت امرأته فلم تعرفه. فقالت: يا عبدالله، أين ذهب هذا المبتلى الذى كان هاهنا؟ لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب؟ وجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك أنا أيوب! قالت: أتسخر منى يا عبد الله؟ فقال:
«ويحك أنا أيوب، قَدْ رَدّ الله علىّ جسدى».

قال ابن عباس: ورَدّ الله عليه ماله وولده بأعيانهم، ومثلهم معهم.
وقال وهب بن منبه: أوحى الله إليه: «قد رَدَدْت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، فاغتسلْ بهذا الماء فإن فيه شفاءك، وقرِّب عن صحابتك قربانا، واستغفر لهم، فإنهم قد عصونى فيك»(٢).

«وقال ابن أبى حاتم، بإسناده عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ، قال:
«لمّا عافى الله أيوب - عليه السلام، أمطر عليه جرادًا من ذهب، فجعل يأخذ منه بيده، ويجعل فى ثوبه، قال: فقيل له يا أيوب.. أما تشبع؟ قال: يارب ومن يشبع من رحمتك؟»(٣).

* وقال الإمام أحمد - بإسناده - عن أبى هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ:
«بينما أيوب يغتسل عُرْيَانَ خَرّ عليه رِجْل جراد من ذهب، فجعل أيوب يحثى فى ثوبه (أى

(١) هذا لفظ ابن جرير، وهكذا رواه بتمامه ابن حبان فى صحيحه.
(٢) رواه ابن أبى حاتم.
(٣) هكذا رواه الامام أحمد عن أبى داود الطيالسى، ورواه ابن حبان فى صحيحه.

يجمع) فناداه ربه- عز وجل- يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يارب، ولكن لا غنى لى عن بركتك»[١].

«وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بأرض الروم على دين الحنيفية، ثم غيروا بعده دين إبراهيم.

وقد ثبت فى الصحيح، أن رسول الله - ﷺ - قال فى بلاء أيوب:

«أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل»

وقال - ﷺ - «يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان فى دينه صلابة زِيدَ فى بلائه» ولم يزد هذا كله أيوب- عليه السلام- إلاّ صبرًا واحتسابًا وحمدًا وشكرًا حتى إن المثل ليضرب بصبره، ويضرب المثل أيضًا بما حصل له من أنواع البلايا».

- ٥ -
حادث يونس وابتلاع الحوت له

أرسل الله تعالى يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل بالعراق، وكان أهل نينوى قد دخلت إليهم الوثنية، وانتشرت فيهم عبادة الأصنام، ولهم صنم يسمونه عشتار، فذهب يونس - عليه السلام من بلاد الشام إلى نينوى، فدعاهم إلى الله عز وجل، فكذبوه ولم يستجيبوا لدعوته، فبقى معهم زمنا يذكرهم ويعظهم، ويدعوهم إلى الله، ولكنه لم يلق منهم إلاّ آذانا صُمّا، وقلوبًا غلفا، فضاق بهم ذرعا، فلما طال ذلك عليه من أمرهم، خرج من بين أظهرهم غاضبًا عليهم، وسار حتى وصل إلى شاطئ البحر، فوجد سفينة على سفر، فطلب من أهلها أن يُركبوه معهم، فتوسموا فيه خيرًا فأركبوه، ولما توسطوا البحر هاج بهم واضطرب، فقالوا: إن فينا صاحب ذَنْب، فاستهموا فيما بينهم على أن من وقع عليه السهم ألقوه فى البحر، فوقع السهم على يونس، فسألوه عن شأنه، وعجبوا من أمره، وهو التّقىّ الصالح، فحدثهم بقصته، فأشفقوا أن يلقوه فى البحر، وأرادوا الرجوع به إلى الساحل، فأشار عليهم بأن يلقوه فى اليّم ليسكن عنهم غضب الله، فألقوه فالتقمه حوت عظيم بأمر الله، وسار به فى الظلمات فى حفظ الله ورعايته، وتمت المعجزة، فقد أوحى الله إلى الحوت أن لا يصيب من يونس لحمًا، ولا يهشم له عظمًا، فحمله الحوت وسار به فى عباب البحر حيا، يسبّح الله ويستغفره.

* روى ابن جرير فى تفسيره، والبزار فى مسنده، من حديث محمد بن اسحق، عمن حدثه عن

---

(١) رواه البخارى من حديث عبد الرزاق به.

عبدالله بن نافع، مولى أم سلمة، قال: سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ:

«لما أراد الله حَبْس يونس فى بطن الحوت، أوحى الله إلى الحوت، أن خُذه ولا تخدش له لحما، ولا تكسر له عظما، فلما انتهى به إلى أسفل البحر، سمع يونس حسًّا، فقال فى نفسه: ما هذا؟

فأوحى الله إليه وهو فى بطن الحوت: إن هذا تسبيح دواب البحر، قال: فسبح وهو فى بطن الحوت، فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: يا ربنا إنا نسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة! قال: ذلك عبدى يونس، عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر، قالوا: العبد الصالح، الذى كان يصعد إليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح، قال: نعم، قال: فشفعوا له عند ذلك، فأمر الحوت فقذفه فى الساحل، كما قال الله ﴿وهو سقيم﴾ [الصافات ١٤٥](١)

وقال ابن أبى حاتم، بإسناده، أن يزيد الرقاشى، قال: سمعت أنس بن مالك - ولا أعلم إلاّ أن أنسًا يرفع الحديث إلى رسول الله - ﷺ - يقول:

«إن يونس النبىَ - عليه السلام - حين بَدَا له أن يدعو بهذه الكلمات - وهو فى بطن الحوت، قال:

«اللهم لا إله إلاّ أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» فأقبلت هذه الدعوة تحت العرش، فقالت الملائكة: يارب صوتٌ ضعيف معروف من بلاد غريبة، فقال: أما تعرفون ذاك؟ قالوا: لا يارب ومن هو؟ قال: عبدى يونس، قالوا: عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبّل ودعوة مجابة؟ قالوا: ياربنا أَوَ لاَ تَرْحم ما كان يصنعه فى الرخاء فتنجيه من البلاء؟

قال: بلى، فأمر الحوت فطرحه فى العراء».

* زاد ابن أبى حاتم: قال أبو صخر حميد بن زياد، فأخبرنى ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث، أنه سمع أبا هريرة، يقولْ:

«طرح بالعراء، وأنبت الله عليه اليَقْطِينَة، قلنا: يا أبا هريرة وما اليقطينة؟ قال: شجرة الدُّباء، وهيأ الله له أروية وحشية (أنثى الوعل) تأكل من خشاش الأرض، فتفسخ عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت.

* وروى ابن جرير، بإسناده، عن سعد بن أبى وقاص، قال: سمعت رسول الله - ﷺ: يقول: «اسم الله الذى إذا دُعى به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، دعوة يونس بن متى».

قال: فقلت: يارسول الله هى ليونس خاصة، أم لجماعة المسلمين؟ قال: هى ليونس خاصة، وللمؤمنين عامة، إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله تعالى:

﴿فَنَادَى فِى الظُّلُمَاتِ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِين، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وكَذَلِكَ نُنْجِى المُؤْمِنِين﴾ [الأنبياء ٨٧، ٨٨]

(١) هذا لفظ ابن جرير لفظا وإسنادًا.

هذا وقد ورد فى فضل يونس عليه السلام- أحاديث كثيرة، منها ما رواه الإمام أحمد ، عن عبدالله بن عمر- قال: قال رسول الله - ﷺ: «لا ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يُونس بن متّى»

- ٦ -
حادث موسى والخضر

* روى البخارى - فى صحيحه - بإسناده - عن أُبَىّ بن كعب- رضى الله عنه- أنه سمع رسول الله - ﷺ يقول:(١).

«إن موسى قام خطيبًا فى بنى اسرائيل، فسُئل: أى الناس أعلم؟ قال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه، إن لى عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يارب وكيف لى به؟ قال: تأخذ معك حوتًا فتجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم».

فأخذ حوته فجعله بمكتل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه «يوشع بن نون» عليه السلام، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما، واضطرب الحوت فى المكتل، فخرج منه فسقط فى البحر، فاتخذ سبيله فى البحر سربا، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغداة، قال موسى لفتاه: ﴿آتِنَا غَدَاءَنا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ولم يجد موسى النَّصَب حتى جاوز المكان الذى أمره الله به، قال له فتاه: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فإنى نَسِيتُ الحوتَ وما أَنْسَانِيه إلاّ الشَّيْطَان أَنْ أَذْكُرَهُ واتَّخَذَ سَبِيلَهُ فى البَحْرِ عَجَبًا﴾.

قال: فكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا، فقال: ذلك ماكنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا.

قال: فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى صخرة، فإذا رجل مسجّى بثوب، فسلّم عليه موسى، فقال الخضر: وأنّى بأرضك السلام، فقال: أنا موسى، فقال: موسى بنى اسرائيل؟ قال: نعم، قال: أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدًا ﴿قال إنّك لَنْ تَسْتَطِيعَ معى صَبْرًا﴾ ياموسى. إنى على علم من علم الله، علّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه. فقال موسى: ﴿سَتَجِدُنِى إنْ شَاءَ الله صابرًا ولاَ أَعْصِى لَكَ أمرًا﴾ قال له الخضر:

﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلا تَسْأَلْنِى عَنْ شَىء حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْه ذِكْرًا﴾ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سَفِينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نَوْل، فلما ركبا فى السفينة

(١) وذكره ابن كثير فى تفسيره ج ٣ ص ٩٢ ومابعدها وانظر سورة الكهف الآيات ٦٠ - ٨٢.

لم يفجأ إلاّ والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قد حملونا بغير نول، فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئًا إمرا ﴿قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إنكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً؟ قَالَ: لَا تُؤَاخِذْنى بما نَسِيتُ ولا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾.

قال: وقال رسول الله - ﷺ: «فكانت الأولى من موسى نِسْيانًا».

قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة أو نقرتين، فقال له الخضر: ما عِلْمى وعِلْمك فى علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده، فقتله، فقال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بغير نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شيئًا نُكرًا﴾ قال: ﴿أَلَم أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِى صَبْرًا﴾ قال: وهذه أشد من الأولى.

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلَا تُصَاحِبْنى قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّى عُذْرًا فانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فوَجَدَا فِيها جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ أى مائلا، فقاله الخضر بيده (فأَقَامَهُ) فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يُطعمونا ولم يُضَيِّفونا ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْه أجرًا، قَالَ هَذَا فِراقُ بَيْنِى وبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

فقال رسول الله - ﷺ: «وَدِدْنا أن موسى كان صَبَرَ حتى يقص الله علينا من خبرهما».

ثانيا: الأحداث التى ترتبط بالإرهاصات الأولى لبعثته ﷺ.

- ١ -
إخبار سيف بن ذِى يَزَن عن قُرب بعثته

وسجل الحديث النبوى العديد من الأحداث التى تبشر بقرب مبعث رسول الله - ﷺ - هذه الأحداث كانت نبراسا يضىء، ويبشر الناس بزوال الكفر وعبادة الأصنام، وبقرب بعث الهادى البشير النذير - ﷺ.

من هذه الأحداث إخبار سيف بن ذى يزن بقرب مبعثه لهداية البشرية..

* أخرج البيهقى[1] - بإسناده - إلى أبى زُرْعة بن سيف بن ذى يَزَن، قال:

لما ظهر سيف بن ذى يزن على الحبشة، وذلك بعد مولد النبى - ﷺ - بسنتين، أتته وفود العرب وأشرافُها وشعراؤها لتهنيه، وتذكر ما كان من بلائه، وطلبه بثأر قومه، وأتاه وفد قريش، منهم: عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وعبدالله بن جُدْعان، وأسد بن عبدالعُزّى،

---

(١) دلائل النبوة ٣٣٥/١، ورواه ابن كثير فى البداية والنهاية ٢٣٠/٢ بإسناد عن الكلبى عن ابن صالح عن ابن عباس.

ووهب بن عبدمناف، وقُصَىّ بن عبد الدار، فدخل عليه آذِنُه، وهو فى رأس قصر يقال له: غُمْدَان، وهو الذى يقول فيه أمية بن أبى الصَّلْت الثقفى:

اشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التّاجُ مُرْتَفِقًا فى رأْس غُمْدَان دارًا مِنْك مِجْلالاً
واشْرَبْ هَنِيئًا فَقَدْ شَالَتْ نَعامتُهُم وأَسْبِل اليومَ فى بُرْدَيكَ إسْبَالاً
تِلْكَ المكَارِمُ لا قُعْبَان مِنْ لَبَنٍ شِيبًا بِماءٍ فَعادا - بَعْدُ - أَبْوالاً

قال: والملك متضمخ بالعبير، ويَلْصِف وبيص المسك فى مفرق رأسه، وعليه بُرْدان أخضران مرتديا بأحدهما، مُتَّزرا بالآخر، سيفه بين يديه، وعن يمينه وشماله الملوك والمقاول، فأخبر بمكانهم فأذن لهم، فدخلوا عليه، ودَنَا منه عبد المطلب، فاستأذنه فى الكلام..

فقال: إن الله عز وجل، أَحَلَّك أيها الملك محلا رفيعا شامخا باذخا منيعا، وأنبتك نباتًا طابت أرومته، وعظمت جُرثُومته، وثبت أصله، وبَسَق فرعه، فى أطيب موضع، وأكرم معدن.. وأنت ملك العرب الذى له تنقاد، وعمودها الذى عليه العماد، ومعقلها الذى يلجأ إليه العباد.. نحن أهل حرم الله تعالى، وسَدَنة بيت الله، أَشْخَصنَا إليك الذى أَبْهَجَنَا من كشفك الكَرْب، الذى فَدَحنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد الـمَرْزَأة.

قال له الملك: ومن أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم، قال: ابن أُختنا؟ قال: نعم، قال: ادْنُه، ثم أقبل عليه وعلى القوم، فقال: مرحبا وأهلا، وأرسلها مثلا. وكان أول من تكلم بها، وناقة ورحْلا، ومستناخا سهلًا، وملكا رِبَحْلا (كثير العطاء)، يعطى عطاء جَزْلًا، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، فإنكم أهل الليل والنهار، ولكم الكرامة ما أقمتم، والحِبَاءُ إذا ظعنتم.

ثم أُنهضُوا إلى دار الضيافة والوفود، وأُجرى عليهم الأنزال، فأقاموا بذلك شهرًا لا يَصِلُون إليه، ولا يؤذن لهم فى الانصراف، ثم انتبه لهم انتباهة، فأرسل إلى عبد المطلب فأدناه، ثم قال: ياعبد المطلب، إنى مُفْضٍ إليك من سر علمى أمرًا، لو غيرك لم أَبُحْ له به، ولكن رأيتك مَعْدَنه فأطلعتك طلعه، فليكن عندك مَخْبِيًّا حتى يأذن الله عز وجل فيه..

«إنى أجد فى الكتاب المكنون، والعلم المخزون، الذى ادخرناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا، خبرا عظيما، وخطرًا جسيما، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، للناس عامة، ولرهطك كافة لك خاصة..

إذا وُلد بتهامة غلام، بين كتفيه شامةٌ، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة، إلى يوم القيامة.. هذا حينُه الذى يولد فيه، أو قَدْ وُلِد، اسمه محمد، يموت أبوه وأمه، يكفله جدّه وعمه، قد ولدناه مرارًا، والله باعثه جهارًا، وجاعل له منا أنصارًا، يُعزّ بهم أولياءَه، ويذل بهم أعداءه، ويضرب

بهم الناس عن عُرُض، ويستفتحُ بهم كرائم أهل الأرض، يعبد الرحمن، ويَدْحَض الشيطان، ويُخمد النيران، ويكسر الأوثان، قوله فَصْلٌ، وحكمه عدل، ويأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

* قال له عبد المطلب: فهل الملك سارٌّنى بإفصاح، فقد وضح لى بعض الإيضاح؟

* قال له الملك سيف بن ذى يزن: والبيت ذى الحُجُب، والعلامات على النقب، إنك لجدّه ياعبد المطلب، غير ذى كذب.

قال: فخَرّ عبد المطلب ساجدًا، فقال له ابن ذى يزن: ارفع رأسك، ثَلج صدرُك، وعَلَا كعبك، فهل أحسست بشىء مما ذكرت لك؟

قال: نعم أيها الملك، إنه كان لى ابن، وكنت به معجبا، وعليه رفيقا، وإنى زوّجته كريمةً من كرائم قومى: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة، فجاءت بغلام فسميته محمدًا، مات أبوه وأمه، وكفلته.

قال له ابن ذى يزن: إن الذى قُلت لك كما قلت، فاحفظه، واحذر عليه من اليهود، فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا، واطْوِ ما ذكرتُ لك دون هؤلاء الرهط الذين معك. فإنى لست آمن أن تتداخَلَهم النفاسة، من أن تكون لهم الرئاسة، فينصبون له الحبائل، ويبغون له الغوائل، وإنهم فاعلون ذلك، أو أبناؤهم غير شك..

* «ولولا أنى أعلم أن الموت مُجْتَاحى قبل مبعثه، لسِرْت بخيلى ورجْلى حتى أُصَيِّر يثْرب دار ملكى، فإنى أجد فى الكتاب الناطق، والعلم السابق: أن يثْرب استحكام أمره، وأهل نصرته، وموضع قبره. ولولا أنى أقيه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأعلنت على حداثة سنه أمره، ولأَوْطَأْتُ على أسنان العرب كَعْبه، ولكن سأصرف ذلك إليك، عن غير تقصير بمن معك».

ووزع على القوم العطايا، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال: «إذَا حال الحول فائتنى بخبره وما يكون من أمره».

قال: فمات سيف بن ذى يزن قبل أن يحُولَ عليه الحول، فكان كثيرًا ما يقول عبدالمطلب: يامعشر قريش، لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك وإن كثر، فإنه إلى نفاد.. ولكن يغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذِكْرُه وفخره، فإذا قيل: وما هو؟ قال: سيُعْلَم ما أقول ولو بعد حين.

- ٢ -

استدلال بحيرى الراهب على أنه النبى الموعود فى كتبهم

أخرج ابن حجر[١] - بإسناده - عن أبى بكر بن أبى موسى، عن أبى موسى الأشعرى، قال:

«خرج أبو طالب إلى الشام، فخرج معه رسول الله - ﷺ - فى أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلّون رحالهم، فجعل يتخللهم حتى جاء، فأخذ بيد رسول الله - ﷺ، وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين.

فقال له أشياخ قريش: ما علمك؟ قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يمر بشجر ولا حجر إلاّ خرّ ساجدًا، ولا يسجدان إلاّ لنبى، وإنى أعرفه، خاتم النبوة فى أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع له طعاما، فلما أتاهم به، وكان هو فى رعية الإبل، قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تُظلّه، فقال: انظروا إليه عليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فَىْءِ الشجرة، فلما جلس مال فَىْءُ الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فَىْءِ الشجرة مال عليه..

قال: فبينما هو قائم عليهم، وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إنْ رأوه عرفوه بالصِّفة فقتلوه، فالتفت فإذا هو بتسعة نفر قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا إلى هذا النبى خارج فى هذا الشهر، فلم يبق طريق إلاّ بُعث إليه ناس، وإنا أُخبرنا خبره فبُعثنا إلى طريقك هذا.

قال لهم: هل خلّفتم خلفكم أَحَدا هو خير منكم؟ قالوا: لا.. إنا أُخبرنا خبر طريقك هذا.

قال: أفرأيتم أمرًا أراد الله، عز وجل، أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس ردّه؟

قالوا: لا، قال: فتابعوه وأقاموا معه.

قال: فأتاهم، فقال: أنشدكم الله، أيكم وليّه؟ فقالوا: أبو طالب، فلم يزل يُناشِدُه حتى ردّه.

* وكان الأحبار والرهبان يبشّرون ببعثه -ﷺ-.

روى ابن اسحاق[٢]، قال:

«وكانت الأحبار والرهبان من أهل الكتابين، هم أعلم برسول الله - ﷺ - قبل مبعثه، وبزمانه

---

(١) الإصابة ١٨٣/١، ودلائل النبوة للبيهقى ٣٧٠/١، والترمذى فى سننه فى أبواب المناقب، وابن كثير فى البداية والنهاية ٢٨٥/٢، والسيوطى فى الخصائص الكبرى ٨٥/١.

(٢) السيرة النبوية ٢٢٥/١، والبداية والنهاية ٣٠٨/٢، ودلائل النبوة ٤٢٥/٢.

الذى يترقب فيه من العرب، لما يجدونه فى كتبهم من صفته، وما أُثبت فيها عندهم من اسمه، وبما أخذ عليهم من الميثاق له، فى عهد أنبيائهم وكتبهم فى اتباعه، فيَسْتَفْتحون به على أهل الأوثان من أهل الشرك، ويخبرونهم أن نبيا يبعث بدين إبراهيم عليه السلام، اسمه أحمد، ﷺ، يجدونه كذلك فى كتبهم، وعهد أنبيائهم، يقول الله تعالى:

﴿الَّذِين يَتَّبِعُون الرَّسُولَ النبىَّ الأُمِّىّ الذى يَجِدُونه مَكْتُوبًا عِنْدَهُم فِى التَّوْرَاةِ والإِنْجِيل﴾ [الأعراف ١٥٧]

قال ابن اسحق: وكانت العرب أميين لا يدرسون كتابا ولا يعرفون من الرسل عهدًا، ولا يعرفون جَنّة ولا نارًا، ولا بعثا ولا قيامة، إلا شيئا يسمعونه من أهل الكتاب لا يَثْبُت فى صدورهم. فكان فيما بلغنا من حديث الأحبار والرهبان عن رسول الله - ﷺ - قبل أن يبعثه الله بزمان، ما تحدث به الأشياخ، قالوا:

لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله - ﷺ - منّا، كان معنا يهود، وكانوا أهل كتاب، وكنا أصحاب وثن، وكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون، قالوا: إن نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه، نتّبعه، فنقتلكم قتل عاد وإرم، فلما بعث الله - عز وجل - رسوله - ﷺ - اتبعناه وكفروا.

ففينا والله وفيهم أنزل الله، عز وجل: ﴿وَلَما جَاءَهُم كِتَابٌ مِنْ عِنْد اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُم، وكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، فلَما جَاءَهُم ما عَرَفُوا كَفَرُوا به، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الكَافِرِين، بِئْسَماَ اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسهم أَنْ يكْفُرُوا بِماَ أَنْزَلَ اللّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللّهُ مِنْ فَضْلِه عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِه، فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ، وَلِلْكَافِرِين عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة ٨٩-٩٠].

* وعن ابن عباس، قال: كان يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هُزِمَت يهود خيبر، فعاذتِ اليهود بهذا الدعاء، فقالت: «اللهم إنا نسألك بحق محمد النبى الأمىّ الذى وعدتنا أن تخرجه لنا فى آخر الزمان، إلّا نصرتنا عليهم، قالوا: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غطفان، فلما بُعث النبى - ﷺ - كفروا به، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُون﴾ يعنى بك يا محمد ﴿عَلَى الَّذِين كَفَرُوا﴾ إلى قوله ﴿فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الكَافِرِين﴾

- ٣ -

وجود صورة الرسول ﷺ مقرونة بصور الأنبياء قبله

* روى البخارى فى التاريخ الكبير[١]، بإسناده - عن جبير بن مطعم، قال: «خرجت تاجرًا

(١) التاريخ الكبير ١٧٩/١/١.

إلى الشام، فلقيت رجلا من أهل الكتاب، فقال:هل عندكم رجل يُتَنَبأُ؟ قلت: نعم، فجاء رجل من أهل الكتاب، فقال: فِيمَ أتيتم؟ فأخبره، فأدخلنى منزلا له، فإذا فيه صور، فرأيت النبى - ﷺ، قال: هو هذا؟ قلت: نعم، قال: إنه لم يكن نبى إلّا كان بعده نبىّ إلّا هذا النبىّ(١).

وروى محمد بن اسحاق -بإسناده- عن هشام بن العاص الأموى، قال:(٢).

«بُعثت أنا ورجل آخر من قريش إلى صاحب الروم، ندعوه إلى الإسلام، فخرجنا حتى قمنا الغُوطة -يعنى دمشق-، فنزلنا على جبلة بن الأيهم الغسانى، فدخلنا عليه، وإذا هو على سرير له، فأرسل إلينا برسول نكلمه، فقلنا له: والله لانكلم رسولاً، إنما بُعثنا إلى الملك، فإن أذن لنا كلمناه، وإلا لم نكلم الرسول، فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك.

قال: فأَذِن لنا، فقال: تكلموا... فكلمه هشام بن العاص ودعاه إلى الإسلام، وإذا عليه ثياب سوداء، فقال له هشام: ما هذه التى عليك؟ فقال: لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام.

قلنا: ومجلسك هذا، فوالله لنأخذنه منك، ولنأخذن مُلْك المَلِكِ الأعظم - إن شاء الله، أخبرنا بذلك نبينا -ﷺ.

قال: لستم بهم، بل هم قوم يصومون بالنهار ويفطرون بالليل، فكيف صومكم؟ فأخبرناه، فملأ وجهه سوادًا، فقال: قوموا. وبعث معنا رسولا إلى الملك، فخرجنا حتى إذا كنّا قريبا من المدينة، قال لنا الذى معنا: إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك، فإن شئتم حملناكم على بَرَاذين وبغال. قلنا: والله لا ندخل إلّا عليها، فأرسلوا إلى الملك: إنهم يأبون.. فدخلنا على رواحلنا، متقلّدين سيوفنا حتى انتهينا إلى غرفة له، فأَنَخْنا فى أصلها، وهو ينظر إلينا، فقلنا: لا إله إلا الله والله أكبر، والله يعلم.. لقد تنقّضت الغرفة حتى صارت كأنها عِذْقٌ تُصَفّقُه الرياح. فأرسل إلينا: ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم، وأرسل إلينا أن ادخلوا، فدخلنا عليه وهو على فراش له، وعنده بطارقَته من الروم، وكل شىء فى مجلسه أحمر، وما حوله حمرة، وعليه ثياب من الحمرة فدنوا منه فضحك، وقال: ما كان عليكم لو حَيّيْتُمُونى بتحيتكم فيما بيننا، فإذا عنده رجل فصيح بالعربية، كثير الكلام.. فقلنا: إن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك، وتحيتك التى تحيًّا بها لا يحل لنا أن نحيّيك بها.

قال: كيف تحيتكم فيما بينكم؟ فقلنا: السلام عليك، قال: فكيف تحيون ملككم؟ قلنا: بها. قال: وكيف يردّ عليكم؟ قلنا: بها، قال: فما أَعْظَمُ كلامكم؟ قلنا: لا إله إلّا الله والله أكبر. فلما تكلمنا بها قال: والله يعلم لقد تنقّضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها..

قال: فهذه الكلمة التى قلتموها حيث تنقّضت الغرفة، كلما قلتموها فى بيوتكم تنقض بيوتكم عليكم؟

(١) التاريخ الكبير ١٧٩/١/١.
(٢) ابن كثير التفسير ٥٦٤/٣ - ٥٦٧

قلنا: لا، ما رأيناها فعلت هذا قط إلاّ عندك.

قال: لوددت أنكم كلما قلتم تنقض كل شيء عليكم، وأنى خرجت من نصف ملكى.

قلنا: لِمَ؟ قال: لأنه كان أيسر لشأنها وأجدر أن لا يكون من أمر النبوة، وأن يكون من حيل الناس، ثم سألنا عما أراد، فأخبرناه. ثم قال: كيف صلاتكم وصومكم؟ فأخبرناه، فقال: قوموا، فقمنا، فأمر لنا بمنزل حسن، ونُزُلٍ كثير، فأقمنا ثلاثا...

فأرسل إلينا ليلا، فدخلنا عليه، فاستعاد قولنا فأعدناه، ثم دعا بشىء كهيئة الرَّبْعة العظيمة مُذَهَّبة، فيها بيوت صغار عليها أبواب، ففتح بيتا وقُفْلا، واستخرج حريرة سوداء فنشرها، فإذا فيها صورة حمراء، وإذا فيها رجل ضخم العينين، عظيم الأَلْيَتَين، لم أر مثل طول عنقه، وإذا ليست له لحية، وإذا له ضفيرتان، أحسن ما خلق الله، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا آدم، عليه السلام.

ثم فتح لنا بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها صورة بيضاء، وإذا له شَعْر كشعر القطط، أحمر العينين، ضخم الهامة، حسن اللحية، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا نوح عليه السلام..

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها رجل شديد البياض، حسن العينين، صَلْت الجبين، طويل الخد، أبيض اللحية، كأنه يتبسّم، فقال: هل تعرفون هذا ؟ قلنا: لا. قال: هذا ابراهيم عليه السلام.....

* ثم فتح بابا آخر، وإذا فيها صورة بيضاء، وإذا والله رسول الله – ﷺ – قال: أتعرفون هذا؟ قلنا: نعم، محمد رسول الله – ﷺ، قال: وبكينا. قال: والله يعلم إنه قام قائما، ثم جلس، وقال: والله إنه لَهُوَ؟ قلنا: نعم، إنه لَهُوَ، كأنا ينظر إليه، فأمسك ساعة ينظر إليها، ثم قال: أما إنه كان آخر البيوت ولكنى عجّلته لكم لأنظر ما عندكم.

* ثم فتح أبوابا فأخرج صور موسى، وهارون، ولوط، واسحاق، ويعقوب، واسماعيل ويوسف، وداود، وسليمان بن داود، وعيسى بن مريم، عليهم السلام.

قلنا: من أين لكم هذه الصور؟ لأنا نعلم أنها على ما صُوّرت عليه الأنبياء عليهم السلام، لأنا رأينا صورة نبينا، عليه السلام، مثله؟ فقال: إن آدم – عليه السلام – سأل ربه أن يُرِيَهُ الأنبياء من ولده، فأنزل عليه صورهم، وكانت فى خزانة آدم، عند مغرب الشمس، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس، فدفعها إلى دانيال، ثم قال: أما والله إن نفسى طابت بالخروج من ملكى، وإن كنت عبدًا لا يترك ملكه حتى أموت. ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرّحنا(١).

---

(١) رواه البيهقى فى كتاب دلائل النبوة عن الحاكم ص٣٤٧، وأشار إليه فى البداية والنهاية باختصار ٦٣/٦.

- ٤ -

تبشير زيد بن عمرو بن نُفَيل ببعثه

* روى البخاري[١] - بإسناده - عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: «إن زيد بن عمرو بن نفيل، خرج إلى الشام يسأل عن الدين، ويتبعه، فلقى عالم اليهود، فسأله عن دينه، فقال: إنى لعَلِّى أن أدينَ بدينكم، فأخبرونى عن دينكم، وقال له اليهودى: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله، تعالى. قال: ما أفرّ إلاّ من غضب الله، وما أحمل من غضب الله شيئا أبدًا، ولا أستطيع، فهل تدلنى على دين، ليس فيه هذا؟ قال: ما أعلم إلاّ أن تكون حنيفا، قال: وما الحنيف؟ قال: دين ابراهيم - عليه السلام، لم يكن يهوديا ولا نصرانيا، وكان لا يعبد إلاّ الله.

* فخرج من عندهم، فسأل عن عالم نصرانى، فقال: لعلى أن أدين بدينكم، فأخبرونى عن دينكم؟ قال: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، فقال: لا أحمل من لعنة الله شيئا أبدًا، وأنا استطيع، فهل تدلّنى على دين ليس فيه هذا؟ قال: ما أعلم إلاّ أن تكون حنيفا. قال: وما الحنيف؟ قال: دين ابراهيم، لم يكن يهوديا ولا نصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلما.

* فخرج من عندهم وقد رضى بما أخبروه، واتفقوا عليه من شأن ابراهيم، فلما برز رفع يديه إلى الله تعالى، وقال: إنى أشهدك أنى على دين ابراهيم.

* وروى عن نُفَيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، عن أبيه، عن جده.. أن زيد بن عمرو بن نُفيل، وورقة بن نوفل، خرجا يلتمسان الدين، حتى انتهيا إلى راهب بالموصل، فقال لزيد بن عمرو: من أين أقبلت يا صاحب البعير؟ قال: من بيت ابراهيم، قال: وما تلتمس؟ قال: ألتمس الدين، قال: ارجع فإنه يوشك أن يظهر الذى تطلب فى أرضك. فأما ورقة بن نوفل فتنصَّر، وأما زيد فعرض على النصرانية فلم توافقه، فرجع وهو يقول:

لَبَّيك حَقًّا حَقًّا تَعَبُّدًا وَرِقًّا
البرُّ أبْغِي لاَ الخَالْ وَهَلْ مُهَجِّرٌ كمن قَالْ

آمنت بما آمن به ابراهيم، وهو يقول:

أَنْفِي لَكَ عَانٍ رَاغِمْ مَهْمَا تُجَشِّمْنِي فَإِنِّي جَاشِمْ

ثم يخرّ فيسجد.

---

(١) الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو ابن نفيل ٥/ ٤٠ وهو فى مسند أحمد ٧/ ٢٢٥.

قـال: وجاء ابنـه إلى النبى - ﷺ - فقال: يـا رسول الله، إنّ أبى كـان كما رأيت وكـما بلغك، فاستغفر له، قال: نعم، فإنه يبعث يوم القيامة أُمّةً وحده(١).

- ٥ -

تبشير قُسّ بن ساعدة الإيادى ببعثته

روى البيهقى(٢)- بإسناده - عن عبد الله بن عباس، قال:

قدم وفد إياد على رسول الله، ﷺ، فسألهم عن قُسِّ بن سـاعدة الإيـادى، فقالـوا: هلك يا رسول الله، فقال رسول الله - ﷺ: لقد شهدته فى الموسم بعكاظ، وهو على جمل له أحمر، أو على ناقة حمراء، وهو ينادى فى الناس: «أيها الناس، اجتمعوا واستمعوا وعوا، واتّعظوا تَنْتَفِعُوا: من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت..

أما بعد، فإن فى السماء لَخَبرًا، وإن فى الأرض لعبرًا، نجومٌ تغُور ولا تغُور، وبحار تَفُور ولا تفور، وسقف مرفوع، ومهادٌ موضوع، وأنهار منبوع، أقسم قُسّ قسمًا بالله لا كذبًا ولا إثما: ليتبعن الأمر سخطا، ولئن كان فى بعضه رضا، إن فى بعضه لسخطا، وما هذا اللعب، وإن من وراء هذا لَلْعَجَب، أقسم قُسّ قسمًا بالله لا كذبا ولا إثما: إن لله دِينًا هو أَرْضَى له من دين نحن عليه، ما بالُ الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أَرَضُوا فأقاموا؟ أم تُرِكوا فناموا؟.

* قال رسول الله - ﷺ - ثم أنشد قُس بن ساعدة أبياتا من الشعر لم أحفظها عنه. فقال أبو بكر الصديق: «أنا حضرت ذلك المقام، وحفظت تلك المقالة، فقال له رسول الله -ﷺ-: ما هى؟ فقال له أبو بكر: قال قُس بن ساعدة فى آخر كلامه:

فى الـذَّاهِـبِـين الأوّلِـين ... مِنَ القُـرُونِ لَنـاَ بَصَـائِـرْ
لمـا رأيـتُ مَـوَارِدًا لـلمـو ... تِ لـنـا لهـا مَـصَـادِرْ
ورأيـت قـومـى نـحـوهـا ... يمْضِىِّ الأكـابـرِ والأصـاغِـرْ
لا يـرجـع المـاضـى إلىّ ... ولاَ مـن البـاقـين غـابِـرْ
أيْـقَـنْـتُ أنّى لامحـا ... لـةَ حيثُ صارَ القـوم صـائِـرْ

* ثم أقبل رسول الله - ﷺ - على وفد إياد، فقال: هل وُجِدَ لقُسّ بن ساعدة وصية؟ فقالوا: نعم.. وجدنا له صحيفة تحت رأسه مكتوبًا فيها:

---

(١) شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ٢٢٣/١، والمستدرك ٤٣٩/٣.

(٢) دلائل النبوة ٤٥٤/١.

يانَاعِيَ الموتِ والأمواتُ فى جَدَثٍ   عَلَيْهِمُ من بَقَـايَـا ثَـوْبِهم خِـرَقُ
دَعْهُم فـإنَّ لهم يَوْمًـا يصـاح بِهِمْ   كـما يُنَبَّهُ من نَـوْمـاَتِـهِ الصَّعِقُ
منهم عُــراةٌ ومَــوْتَى فى ثِيَــابِهِم   منهـا الجديـدُ ومنها الأَوْرَق الخَلِقُ

* فقال رسول الله - ﷺ -: والذى بعثنى بالحق لقد آمن قُسّ بالبعث(١).

(١) البداية والنهاية ٢/٢٣٦.

الفصل الثانى

الأحداث التى وقعت فى عهد النبى ﷺ

فى عهد النبوة سجل الحديث النبوى أحداثًا كثيرة، منها أحداث تتصل ببيت النبوة، وأحداث تتصل بعلاقاته مع الناس..

بيد أن أهم الأحداث التى سجلها الحديث النبوى، تلك التى تتصل بغزواته وبعوثه وسراياه. فإن الحديث النبوى - فى هذه الأحداث - يعد سجلا حافلاً، ومرجعًا معتمدًا لكل كتب التاريخ والسِّيرة.

أضف إلى ذلك أن الحديث النبوى سجل هذه الأحداث من زاوية الواقع الفعلى، الحادث المشاهد، فكل ماق الحديث النبوى من ذكر لأحداث الغزوات شاهد صدق، لأنه مؤيد بأقوال النبى - ﷺ - :

وفى هذا الفصل سنعرض لمجموعة من الأحداث:

أولا : الأحداث التى تتصل بشخصية النبى - ﷺ - وتتصل به.

ثانيًا : أحداث غزواته وبعوثه وسراياه.

ثالثًا : أحداث المعجزات.

أولا: الأحداث التى تتصل بشخصية النبى، وتتصل به

- ١ -

حادث الإفك

أخرج البخارى - بإسناده - عن عائشة رضى الله عنها، قالت:

«لمَّا ذُكر من شأنى الذى ذُكِر، وما علمتُ به، قام رسول الله - ﷺ - فىّ خطيبًا، فتشهّد، فحمد الله وأثنى عليه بما هُوَ أَهْلُهُ، ثم قال:

«أما بعد.. أشيروا علىَّ فى أُنَاس أَبَنُوا أَهْلِى، وأيم الله ما عَلِمْتُ عَلَى أهلى من سُوءٍ وأَبَنُوهُم بِمَنْ ، والله ما عَلِمْتُ عليه من سُوءٍ قَطُّ، ولا يَدْخُل بَيْتِى قَطّ إلاّ وأنا حَاضِرٌ. ولا غِبْتُ فى سَفَرٍ إلاّ غَابَ معى.

قالت: ولقد جاء رسولُ الله - ﷺ - بيتى فسأل عَنِّى خَادِمتى، فقالت: لا والله! ماعِلَمْتُ عليها عيبا، إلاّ أنها كانَتْ ترقُدُ حتّى تدخُل الشاةُ فتأكل خميرها - أو عجينها، وانتهرها بعض أصحابه، فقال: اصْدُقى رسول الله - ﷺ حتى أسْقَطوا لها به، فقالت: سبحان الله، والله ما علمتُ عليها إلاّ ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر.

وبلغ الأمر إلى ذَلِكَ الرجل الذى قيلَ له، فقال: سُبْحانَ الله، والله ما كَشَفْتُ كَنَفَ أنثى قط، قَالَتْ عائشة: فَقُتِل شهيدًا فى سبيل الله»[١].

حادث الصلاة على أحد المنافقين

روى البخارى - بإسناده - حديث ابن عمر - رضى الله عنه[٢].

«أن عبدَالله بن أُبَىّ، لما تُوفّى، جاء ابنه إلى النبى - ﷺ، فقال: يارسول الله. أعطنى قميصك أكَفِّنه فيه، وصلِّ عليه، واستَغْفِرْ له، فأعطاه النبى - ﷺ - قميصه فقال: «إذنى أُصَلِّ عليه، فآذنَه، فلما أراد أن يُصَلّى عليه، جَذَبه عُمر، فقال: ألَيْس الله نَهاكَ أن تُصَلِّ على المنافقين؟ فقال: أنا بَيْنَ خِيَرَتَيْن، قال: استغفر لهم أوْلاَ تَسْتَغْفِر لهم، إنْ تَسْتَغْفِر لَهُم سبعين مرة، فلَن يَغْفِر الله لهم فصَلِّ عليه. فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُم مَاتَ أَبدًا﴾.

وفى رواية أخرى - من حديث جابر، قال: أَتَى النبىُّ عبدَ الله بن أُبَىّ، بعد ما دُفِنَ فأخرجه، فنَفَثَ فيه من رِيقِهِ، وألبسهُ قميصه.[٣].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير ٦٥، وباب: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا﴾. وقوله ﷺ: (أشيروا على فى أناس): يريد أهل الإفك، (أبَنُوا أهلى): أى اتهموهم وذكروهم بالسوء، (وأسقطوا لها به): معناه: صرحوا لها بالأمر. ولهذا قالت: (سبحان الله) استعظامًا لذلك، وقيل: أتوا بسقط من القول فى سؤالها وانتهارها.

(٢) أخرجه البخارى، كتاب الجنائز ٢٣، وباب الكفن فى القميص الذى يكف أو لا يكف. وعبد الله بن أُبَىّ بن سلول: رأس المنافقين، لما توفى جاء ابنه عبد الله، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم. وقوله: أنا بين خيرتين: أى أنا مخير بين الأمرين، الاستغفار وعدمه. وقوله: لا تصل على أحد منهم مات أبدًا، لأن الصلاة دعاء للميت واستغفار له، وهو ممنوع فى حق الكافر، وإنما لم ينه عن التكفين فى قميصه، ونهى عن الصلاة عليه، لأن الضنّة بالقميص كان مخلاً بالكرم، ولأنه كان مكافأة لإلباسه العباس قميصه.

(٣) بعد ما دفن: دُلِّى فى حفرته، وكان أهله خشوا على النبى - ﷺ - المشقة فى حضوره، فبادروا إلى تجهيزه قبل وصوله، فلما وصل وجدهم قد دلّوه فى حفرته، فأمرهم بإخراجه، فنفث فيه، أى فى جلده.

حادث لفظ الأرض لأحد المنافقين

روى البخارى بإسناده - حديث أنس، رضى الله عنه، قال[١]:

«كان رجلٌ نصرانيا فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبى - ﷺ. فعاد نصرانيا، فكان يقول: ما يدرى محمد إلّا ما كتبتُ له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فِعْل محمدٍ وأصحابه لما هرب منهم، نبشوا عن صاحبنا، فألقوه، فحفروا له، فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرضُ، فقالوا: هذا فِعْل محمد وأصحابه، نبشوا عن صَاحِبنا لمّا هرب منهم، فألقوه. فحفروا له وأعمقوا فى الأرض ما استطاعوا. فأصبح وقد لفظته الأرضُ، فعَلِمُوا أنَّه لَيْسَ من الناس، فألقوه.

ثانيًا: أحداث غزواته وبعوثه وسراياه

مقـدمـة

عن غزواته وسراياه، ذكر محمد بن اسحاق، وأبو جعفر بن جرير، وأبو بكر البيهقى فى مصنفاتهم الكثير من غزواته وسراياه - ﷺ[٢].

ويهمنا منها ماجاء فى الحديث النبوى الشريف.

* ففى الصحيحين من حديث أبى إسحاق السبيعى، عن زيد بن أرقم، رضى الله عنه.. أن رسول الله -ﷺ- غَزَا تسع عشرة غزوة.

* وروى البخارى، عن أبى عاصم النبيل، عن يزيد بن أبى عبيد، عن سلمة بن الأكوع، قال: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، ومع زيد بن حارثة تسع غزوات، يؤمره علينا رسول الله - ﷺ.

* وفى الصحيحين، عن قتيبة، عن حاتم بن اسماعيل، عن زيد، قال:

«غزوت مع رسول الله -ﷺ- سبع غزوات، وفيما يَبْعَثُ من البعوث تسع غزوات، مرة علينا أبو بكر، ومرة علينا أسامة بن زيد.

---

(١) أخرجه البخارى، كتاب المناقب ٦١، ٢٥ باب علامات النبوة فى الإسلام. لفظته الأرض: أى طرحته ورمته من داخل القبر إلى خارجه، لتقوم الحجة على من رآه، ويدل على صدقه- ﷺ، فأعمقوا: أى أبعدوا، أنه ليس من الناس، أى أن هذا اللفظ والنبذ ليس من عمل الناس، بل من رب الناس.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير- تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد ٤٣٠/٤ طبع المعرفة سنة ١٩٧٦ م

* وفى الصحيحين، من حديث شعبة، عن أبى اسحاق، عن البراء، أن رسول الله - ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وشهد معه منها سبع عشرة، أولها: العُشَيْر أو العُسَيْر.

* وروى مسلم، عن أحمد بن حنبل - بإسناده - عن ابن بُريدة، عن أبيه، أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة.

وفى رواية لمسلم، من طريق الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بُريدة، عن أبيه.. أنه غزا مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، قاتل منها فى ثمان».

وفى رواية عنه بهذا الإسناد، «وبعث أربعًا وعشرين سَرِيّة، قاتل يوم بدر وأُحُدُ والأحزاب، والمريسيع، وخيبر، ومكة، وحنين».

* وفى صحيح مسلم، من حديث أبى الزبير، عن جابر، أن رسول الله - ﷺ - غزا إحدى وعشرين غزوة، غزوت معه منها تسع عشرة غزوة، ولم أشهد بدرًا ولا أُحُدًا، منعنى أبى، فلما قُتل أبى يوم أُحُد لم أتخلف عن غزاة غزاها.

* وقال قتادة: غزا رسول الله تسع عشرة، قاتل فى ثمان منها، وبعث من البعوث أربعًا وعشرين، فجميع غزواته وسراياه ثلاث وأربعون.

* وقد ذكر عروة بن الزبير، والزُّهْرِى، وموسى بن عُقبة، ومحمد بن اسحاق بن يسار، وغير واحد من أئمة هذا الشأن:

- أنه - ﷺ - قاتل يوم بدر، فى رمضان من سنة اثنتين (للهجرة).
- ثم أُحُد فى شوال سنة ثلاث.
- ثم الخندق وبنى قريظة فى شوال أيضًا من سنة أربع، وقيل: خمس.
- ثم فى بنى المصطلق بالمريسيع، فى شعبان سنة خمس.
- ثم فى خيبر فى صفر سنة سبع، منهم من يقول سنة ست، والتحقيق أنه من أول سنة سبع وآخر سنة ست.
- ثم قاتل أهل مكة فى رمضان سنة ثمان.
- وقاتل هوازن وحاصر أهل الطائف فى شوال، وبعض ذى الحجة سنة ثمان.

* وقال محمد بن اسحاق: وكان جميع ما غزا رسول الله - ﷺ - بنفسه الكريمة سبعًا وعشرين غزوة: غزوة وَدَّان وهى غزوة الأبواء، ثم غزوة بُواط من ناحية رضوى، ثم غزوة العُشَيْر من بطن ينبع، ثم غزوة بدر الأولى يطلب كُرْز بن جابر، ثم غزوة بدر العظمى، التى قتل الله فيها صناديد قريش، ثم غزوة بنى سُلَيم حتى بلغ الكُدْر، ثم غزوة السَّويق يطلب أبا سفيان ابن حرب، ثم غزوة غطفان، وهى غزوة ذى أمر، ثم غزوة بحران معدن بالحجاز، ثم غزوة أحد،

ثم حمراء الأسد، ثم غزوة بنى النضير، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دُومة الجَنْدل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بنى قريظة، ثم غزوة بنى لحيان من هُذَيل، ثم غزوة ذى قَرَد، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة، ثم غزوة الحديبِّية - لا يريد قتالاً فصدَّه المشركون، ثم غزوة خيبر، ثم عمرة القضاء، ثم غزوة الفتح، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك.

ويهمنا الآن أن نقف عند أحداث بعض الغزوات التى قاتل فيها رسول الله - ﷺ[1] وهى:

١ - غزوة أُحُد.

٢ - غزوة الخندق أو الأحزاب.

٣ - غزوة تبوك.

ثم ننتقل إلى بعوثه وسراياه.

أولا: أحداث غزواته الرئيسية

- ١ -
أحداث غزوة أُحُـد

كانت نتيجة غزوة بدر الكبرى أن أُصيب صناديد قريش إصابات بالغة، ورجعت فلولهم إلى مكة وقد عظم المصاب عليهم، ومشى رجال أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم، فكلموا أبا سفيان، ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة، فاستعانوا بهذا المال على حرب المسلمين، ففعلوا، واجتمعت قريش مرة أخرى لحرب رسول الله - ﷺ - وحرض الشعراء الناس بشعرهم، وأثاروا فيهم الحمية[2].

وخرجت قريش فى منتصف شوال سنة ثلاث للهجرة، بحدِّها وحديدها، بأبنائها ومن تابعها من القبائل، وخرجوا معهم بالظعن، لِئَلّا يفروا، وخرج سادة قريش بأزواجهم، وأقبلوا حتى نزلوا مقابل المدينة.

وكان من رأى رسول الله - ﷺ - أن يقيم المسلمون بالمدينة، ويدعهم فإن يدخلوا عليهم قاتلوهم فيها، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج، وكان رأى عبدالله بن أُبَىّ ما رأى رسول الله

---

(١) انظر فى غزوة بدر الكبرى بحثنا «أدب الحرب والسلم فى سورة الأنفال» فهو دراسة توضيحية نفسية بلاغية لهذه الغزوة. طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٧.

(٢) انظر فى ذلك السيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٠، وزاد المعاد ١/٣٤٩، والسيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ص ١٩٠ ومابعدها، وراجع صحيح البخارى باب غزوة أُحُد من كتاب المغازى.

-ﷺ- فقال رجال من المسلمين ممن فاته بدر:

«يا رسول الله.. اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرونا أنا جبنا عنهم وضعفنا».

فلم يزالوا برسول الله - ﷺ - حتى دخل رسول الله - ﷺ - بيته، فلبس لأمته، وندم الذين اقترحوا الخروج، فقالوا:

«استكرهناك يارسول الله، ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد- صلى الله عليك، فقال رسول الله - ﷺ: «ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل»[١].

فخرج رسول الله - ﷺ - في ألف من أصحابه، فلما كانوا بالشوط بين المدينة وأُحُد، انخذل عنه عبد الله بن أُبَيّ، بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني.

* ومضى رسول الله - ﷺ - حتى نزل الشِّعب من أُحُد- وهو جبل على بعد نحو من ٣ كيلومتر من المدينة- وجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد[٢] وقال:

«لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال» وتعبى رسول الله - ﷺ - للقتال، وهو في سبعمائة رجل، وأمّر على الرماة عبدالله بن جُبَير، وهم خمسون رجلًا، فقال: ادفع الخيل عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أوعلينا[٣]، وأمرهم بأن يلزموا مركزهم، وأن لا يفارقوا ولو رأوا الطير تتخطف العسكر[٤].

ولبس رسول الله - ﷺ - درعا فوق درع، ودفع اللواء إلى مُصْعب بن عُمير.

* وفي المعركة.. التقى الفريقان، ودنا بعضهم من بعض، وقامت هند بنت عتبة في النسوة، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال يحرضنهم، واقتتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة، الذى أخذ السيف من رسول الله - ﷺ- ووعده بأنه يأخذ بحقه، حتى أمعن في الناس، وجعل لا يلقى أحدًا إلا قتله[٥].

* وقاتل حمزة بن عبد المطلب قتالا شديدًا، وقتل عددًا من الأبطال، لا يقف أمامه شيء، وكان وحشي، غلام جُبير بن مطعم له بالمرصاد، وكان يقذف بحربه له قلما يخطئ بها شيئًا، ووعده جُبَير بالعتق إن قتل حمزة، وقد قُتل عمه طعيمة يوم بدر، وكانت هند تحرضه كذلك على قتل حمزة وشفاء نفسها، وحمل وحشي على حمزة بحربته، فدفعها عليه حتى خرجت من بين رجليه، فوقع شهيدًا[٦].

---

(١) ابن هشام ٦٣/٢.
(٢) سيرة ابن هشام ٦٦/٢.
(٣) سيرة ابن هشام ٦٦/٢.
(٤) زاد المعاد ٣٤٩/١ وصحيح البخارى (باب غزوة أُحُد).
(٥) سيرة ابن هشام ٦٧/٢.
(٦) القصة بلسان وحشي في الجامع الصحيح للبخارى (باب قتل حمزة) وسيرة ابن هشام ٧٠/٢.

* وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل، وأبلى المسلمون بلاء حسنا[١]. وأنزل الله تعالى نصره عليهم وصدقهم وعده حتى كشفوا المشركين عن العسكر، وكان الهزيمة لاشك فيها، وولت النساء مشمرات هوارب[٢].

وبينما هم كذلك إذ انهزم المشركون، وولوا مدبرين، حتى انتهوا إلى نسائهم، فلما رأى الرماة ذلك، مالوا إلى العسكر، وهم موقنون بالنصر، وقالوا: ياقوم! الغنيمة.. الغنيمة! فذكّرهم أميرهم عهد رسول الله - ﷺ، فلم يسمعوا، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة، فأخذوا الثغر، وأخلوا ظهور المسلمين إلى الخيل[٣]، وأصيب أصحاب لواء المشركين، حتى مايدنو منه أحد من القوم، فأتاهم المشركون من خلفهم، وصرخ صارخ، ألا إن محمدًا قد قُتل، فتراجع المسلمون، وكرّ المشركون كرّة، وانتهزوا الفرصة، وكان يوم بلاء وتمحيص، وخلص العدو إلى رسول الله -ﷺ- وأصابته الحجارة، حتى وقع لشقه، وأصيبت رباعيته، وشجّ رأسه، وجرحت شفته، وجعل الدم يسيل على وجهه، فيمسحه - ﷺ - ويقول:

كيف يُفلح قوم خَضَّبُوا وجه نبيّهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟[٤]

* ولا يعلم المسلمون بمكانه، فأخذ على بن أبي طالب، رضى الله عنه - بيد رسول الله - ﷺ. ورفعه طلحة بن عبيد الله، حتى استوى قائمًا، ومصّ مالك بن سنان الدم عن وجهه -ﷺ- وابتلعه[٥].

ولم تكن فرة، إنما كانت جولة يضطر إليها الجيش، ثم يستأنف كرّة، وما أصاب المسلمين من نكسة ومحنة، وما أصيبوا من خسارة فى النفوس، وشهادة من كان قوة للإسلام والمسلمين، وناصرًا لرسول الله ﷺ- وللدين، إنما كان نتيجة زلة للرّماة، وعدم تمسكهم بتعاليم الرسول ﷺ - وأمره إلى اللحظة الأخيرة، وإخلائهم للجبهة التى عينهم رسول الله - ﷺ عليها، وهو قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُم فِى الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِنْ بَعْدِ ما أَرَاكُم ما تُحِبُّونَ مِنكُم مَنْ يُرِيدُ الدُّنيا ومِنْكُم مَنْ يُرِيدُ الآخرةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُم لِيَبْتَلِيكُمْ، وَلَقَدْ عَفَا عنكُمْ واللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِين﴾ [آل عمران ١٥٢]

فى هذه المعركة ظهرت روائع من الحب والفداء..

* نزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين من وجه رسول الله - ﷺ - فسقطت ثنيته، ونزع الأخرى، فكان ساقط الثنيتين.

---

(١) السيرة النبوية ٧٣/٢.
(٢) سيرة ابن هشام ٧٧/٢.
(٣) زاد المعاد ٣٥٠/١.
(٤) سيرة ابن هشام ٧٨/٢.
(٥) سيرة ابن هشام ٨٠/٢.

* وتترس أبو دجانة بنفسه دون رسول الله - ﷺ - يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل.

* ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله - ﷺ - ويناوله النبى - ﷺ - النبل، ويقول: «ارم فداك أبى وأمى»[١].

* وأصيبت عين قتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته، فردّها رسول الله - ﷺ - بيده فكانت أحسن عينيه وأحدّهما[٢].

* وقصده المشركون يريدون ما يأباه الله، فحال دونه نفر نحو عشرة حتى قُتلوا عن آخرهم.

* وجالدهم طلحة بن عبيد الله، وترس عليه بيده، يقى بها النبى- ﷺ، فأصيبت أنامله وشلّت يده.

* وأراد رسول الله - ﷺ - أن يعلو صخرة هنالك، فلم يستطع لما به من الجراح والضعف، فجلس طلحة تحته حتى صعدها، وحانت الصلاة فصلى بها جالسا[٣].

* ولما انهزم الناس، لم ينهزم أنس بن النضر، عم أنس بن مالك، خادم رسول الله - ﷺ، وتقدم، فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أين يا أبا عمر؟ فقال أنس: «واها لريح الجنة ياسعد إنى أجدها دون أُحُد[٤].

* وانتهى أنس بن النضر إلى رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول- ﷺ - قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟.. قوموا وموتوا على مامات عليه رسول الله، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قُتل.

يقول أنس رضى الله عنه، لقد وجدنا به يومئذ سبعين ضربة، فما عرفه إلّا أخته، عرفته ببنانه[٥].

* وقاتل زياد بن السكن فى خمسة من الأنصار دون رسول الله -ﷺ- يقتلون دونه رجلًا ثم رجلًا، فقاتل زياد حتى أثبتته الجراحة، فقال رسول الله - ﷺ:

* ادنوه منى، فأدنوه، فوسده قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله - ﷺ[٦].

---

(١) رواه البخارى فى غزوة أحد باب قوله تعالى: (إذ همت طائفتان أن تفشلا) وأنظر السيرة النبوية ٨٠/٢.
(٢) سيرة ابن هشام ٨٢/٢.
(٣) زاد المعاد ٣٥٠/١، وسيرة ابن هشام ٨٦/٢.
(٤) الحديث كاملًا فى الصحيحين (غزوة أحد).
(٥) سيرة ابن هشام ٨٢/٢.
(٦) سيرة ابن هشام ٨١/٢.

* وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج، وكان له أربعة أبناء شباب، يغزون مع رسول الله - ﷺ - فلما توجه إلى أُحُد أراد أن يخرج معه، فقال له بنوه: إن الله قد جعل لك رخصة، فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد.

فأتى عمرو رسول الله - ﷺ - فقال: إن بنيّ هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك ووالله إني لأرجو أن أستشهد، فأطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال له رسول الله - ﷺ.

* أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد، وقال لبنيه: «وما عليكم أن تدعوه، لعل الله يرزقه الشهادة، فخرج مع رسول الله - ﷺ - فقُتل يوم أُحُد شهيدًا»(١).

* يقول زيد بن ثابت- رضى الله عنه- بعثني رسول الله - ﷺ - يوم أُحُد أطلب سعد بن الربيع فقال لي: إن رأيته فاقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله كيف تجدك؟

قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بآخر رمق، وفيه سبعون ضربة، مابين طعنة برمح، وضربة سيف، ورمية سهم، فقلت: ياسعد.. إن رسول الله - ﷺ - يقرأ عليك السلام، ويقول لك: أخبرني كيف تجدك؟ فقال: وعلى رسول الله السلام، وقل له: يارسول الله، أجد ريح الجنة، وقُل لقومي الأنصار: لاعذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله- ﷺ - وفيكم عين تطرف، وفاضت روحه من وقته(٢).

* وقال عبد الله بن جحش في ذلك اليوم: اللهم إني أقسم عليك أني ألقى العدو غدًا، فيقتلوني، ثم يبقروا بطني، ويجدعوا أنفي وأذني، ثم تخذلني فيم ذاك؟ فأقول فيك(٣).

* ولما عرف المسلمون رسول الله - ﷺ - نهضوا به، ونهض معهم نحو الشِّعب، وهنا أدركه أُبَيّ بن خلف، وهو يقول: أي محمد لا نجوتُ إنْ نجوتَ.. فقال رسول الله - ﷺ - دعوه، فلما دنا تناول رسول الله - ﷺ - الحربة من أحد أصحابه، ثم استقبله وطعنه في عنقه طعنة تقلّب بها عن فرسه مرارًا(٤).

* وخرج على بن أبي طالب، فملأ درقته ماء، وغسل من وجهه الدم، وكانت فاطمة بنت الرسول تغسله، وعليّ يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلّا كثرة، أخذت قطعة من حصير فأحرقتها، وألصقتها، فاستمسك الدم(٥).

* وكانت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم تنقلان القِرَب على متونها، تفرغانها في أفواه المجاهدين، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم(٦). وكانت أم سليط تزفر

(١) زاد المعاد ٣٥٣/١.
(٢) زاد المعاد ٣٥٣/١.
(٣) زاد المعاد ٣٥٣/١.
(٤) رواه البخاري في غزوة أحد، باب ما أصاب النبي من الجراح يوم أحد، وزاد المعاد ٣٥٢/١.
(٥) رواه البخاري.
(٦) الجامع الصحيح للبخاري.

(تستقى) لها القرب(١).

* ووقفت هند بنت عتبة، والنسوة اللآتى معها يمثّلن بالقتلى من المسلمين، يجدعن الآذان والأنوف، وبقرت عن كبد حمزة - رضى الله عنه - فمضغتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها(٢).

* ولما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته، إن الحرب سجال، يوم بيوم، اعل هبل.. فقال النبى - ﷺ - قُم يا عمر فأجبه، فقُلْ: الله أعلى وأجَلّ، لا سواء، فقتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار(٣). قال أبو سفيان: لنا العُزّى ولا عزّى لكم.. قال النبى - ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قُولُوا: الله مولانا ولا مولى لكم(٤).

* ولما انصرف، وانصرف المسلمون نادى: إن موعدكم بدر للعام القابل.. فقال رسول الله - ﷺ - لرجل من أصحابه: قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد(٥).

وفزع المسلمون لقتلاهم، وحزن رسول الله - ﷺ - على حمزة، وكان عمه وأخاه من الرضاعة. والمقاتل دونه. وأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه، وكان أخاها لأبيها وأمها. فقال رسول الله - ﷺ - لابنها الزبير بن العوام: القها، فأرجعها، لا ترمها بأخيها، فقال لها: يا أمّ.. إن رسول الله -ﷺ- يأمرك أن ترجعى، قالت: ولم؟، وقد بلغنى أن قد مُثّل بأخى، وذلك فى الله لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله، وأتته فنظرت إليه، وَصَلّت عليه، واسترجعت واستغفرت له، ثم أمر رسول الله - ﷺ - فدفن(٦).

* وقُتِل مصعب بن عمير، صاحب لواء رسول الله - ﷺ - ومن أنعم فتيان قريش قبل الاسلام، فكُفّن فى بردة، إن غُطى رأسه بدت رجلاه، وإن غطيت رجلاه بدا رأسه، فقال النبى -ﷺ- «غَطُّوا بها رأسه، واجعلوا على رجله الأذخر»(٧).

* وكان رسول الله - ﷺ - يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُد فى ثوب واحد، ثم يقول: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحد، قدّمه فى اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة، وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصلّ عليهم ولم يُغَسّلوا(٨).

---

(١) الجامع الصحيح باب «أم سليط».
(٢) سيرة ابن هشام ٩١/٢.
(٣) سيرة ابن هشام ٩٣/٢.
(٤) الجامع الصحيح للبخارى (غزوة أحد).
(٥) سيرة ابن هشام ٩٤/٢.
(٦) سيرة ابن هشام ٩٧/٢.
(٧) رواه البخارى فى الجامع الصحيح.
(٨) الجامع الصحيح باب من قتل من المسلمين يوم أحد

* وحين عاد المسلمون إلى المدينة، مروا بامرأة من بنى دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها، مع رسول الله - ﷺ، فلما نُعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله - ﷺ؟ قالوا خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أَرُونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل(١).

وقد استشهد من المسلمين يوم أُحُد سبعون أكثرهم من الأنصار، رضى الله عنهم، وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا(٢).

* وفى سنة ثلاث للهجرة، طلبت «عضل» و «القارة» نفرا من المسلمين ليعلموهم، فبعث معهم رسول الله - ﷺ - ستة من أصحابه، معهم عاصم بن ثابت، وخبيب بن عدى، وزيد بن الدثنة، حتى إذا كانوا على «الرجيع»، وهو موضع بين «عسفان» «ومكة»، غدروا بهم، قالوا: لكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم، فقال بعض المسلمين: لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدا، وقاتلوا القوم حتى قُتلوا.

وأما زيد بن الدثنة، وخبيب بن عدى، وعبد الله بن طارق، فأعطوا بأيديهم، فأسرهم المشركون، وقُتل عبدالله بن طارق فى الطريق، وأما خبيب وزيد، فباعوهما من قريش، وابتاع خبيبًا حُجَيْر بن أبى أهاب، ليقتله بأبيه أهاب. وأما زيد بن الدثنة، فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف.

وأخرجوا زيدًا من الحرم ليقتلوه، واجتمع رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا زيد.. أتحب أن محمدًا عندنا الآن فى مكانك، وأنك فى أهلك، قال: ما أحب أن محمدًا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وإنى جالس فى أهلى(٣).

قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا، ثم قتل(٤).

* وأما خبيب: فلما جاءوا به ليصلبوه، قال لهم: إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع، فركع ركعتين، أتمها وأحسنها، ثم أقبل على القوم، فقال: أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طوّلت جزعا من القتل لا ستكثرت من الصلاة، ثم أنشد:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَـل مُسْلِمًا   عَلَى أَىِّ شِقٍّ فِى اللّهِ مَصْرَعِى
وذَلِكَ فِى ذَاتِ الإلهِ وَإن يَشَأْ   يُبَارِكْ علَى أوصال شِلْوٍ مُمَزَّعِ(٥)

(١) سيرة ابن هشام ٢/٩٩.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/١٠١.
(٣) ذكره عروة وموسى بن عقبة فى قصة خبيب، أنظر ابن كثير ٣/١٣١.
(٤) سيرة ابن هشام ٢/١٧٢.
(٥) رواه البخارى فى كتاب المغازى (باب التوحيد والجهاد) وابن كثير ٣/١٢٣ وانظر سيرة ابن هشام ٢/١٦٩ - ١٧٦.

- ٢ -
أحداث غزوة الخندق

وفى شوال سنة خمس (للهجرة) كانت غزوة الخندق أو غزوة الأحزاب[١] وهى من الأحداث التى كان لها أثر بعيد فى تاريخ الإسلام والمسلمين، وفى تقرير مصير الدعوة الاسلامية، وكانت معركة حاسمة، ومحنة قاسية، ابْتُلِى فيها المسلمون ابتلاء لم يبتلوا بمثله. وقد صور ذلك القرآن، فى قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكم مِنْ فَوْقِكُم ومِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ باللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِىَ المُؤْمِنُون وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾ [الأحزاب ١٠، ١١].

* وكان سببها اليهود، فقد خرج نفر من بنى النضير، ونفر من بنى وائل، فقدموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله - ﷺ - وكانوا قد جرّبوها، واكتووا بنارها، فصاروا يتهيبونها، ويزهدون فيها، فزيّنها لهم الوفد اليهودى، وهوّن أمرها، قالوا: إنا سنكون معكم حتى نستأصله، فسرّ ذلك قريشا، ونشطوا لما دعوهم إليه، واجتمعوا لذلك، واستعدوا له، ثم خرج الوفد، فجاء غطفان، فدعاهم إلى ذلك، وطاف فى القبائل، وعرض عليها مشروع غزو المدينة، وموافقة قريش عليه[٢].

* وتم تحالف عسكرى، كان قريش واليهود وغطفان من أهم أعضائه، واتفقوا على أمور من أهمها أن تشارك غطفان فى جيش الحلف، أو عسكر الحلفاء بستة آلاف مقاتل، وأن يدفع اليهود لقبائل غطفان كل ثمر نخل خيبر لسنة واحدة، وحشدت قريش أربعة آلاف مقاتل، وغطفان ستة آلاف مقاتل، فكانوا عشرة آلاف، وأسندت قيادة الجيش إلى أبى سفيان[٣].

* لما سمع رسول الله - ﷺ - بزحفهم إلى المدينة، وتحزّب الأحزاب لقتال المسلمين، وعزمها على استئصال شأفتهم، تهيأ المسلمون للحرب، وقرروا التحصن فى المدينة، والدفاع عنها، وكان جيش المسلمين لا يزيد على ثلاثة آلاف مجاهد.

هنالك أشار سلمان الفارسى بضرب الخندق على المدينة[٤]، وكانت خطة حربية متبعة عند الفرس. قال سلمان: يا رسول الله.. إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا.. وقَبِل

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢١٤.
(٢) السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ص ٢٠٦.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/٢١٩.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٢٤.

رسول الله - ﷺ - رأيه فأمر بحفر الخندق فى السهل الواقع شمال غرب المدينة، وهو الجانب المكشوف الذى يخاف منه اقتحام العدو(١).

* وقسّم رسول الله - ﷺ - الخندق بين أصحابه، لكل عشرة منهم أربعين ذراعا(٢) وقد بلغ طول الخندق حوالى خمسة آلاف ذراع، وعُمقه من سبعة أذرع إلى عشرة، والعرض من تسعة إلى ما فوقها(٣).

* وعمل رسول الله - ﷺ - فى حفر الخندق، ترغيبا للمسلمين فى الأجر، وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه ودأبوا(٤)، وكان البرد شديدًا، ولا يجدون من القوت إلّا مايسدّ لرّمق، وقد لا يجدونه. يقول أبو طلحة: شكونا إلى رسول الله - ﷺ - الجوع، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله - ﷺ - عن بطنه حجرين(٥).

* وكانوا مسرورين، يحمدون الله، ويرتجزون، ولا يشكون ولا يتعتبون.. يقول أنس - رضى الله عنه - «خرج رسول الله - ﷺ - إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون فى غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النَّصَب والجوع، قال:

اللّهُمْ إنَ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَةْ   فـاغْفِر لـلأنصـارِ والْمُهَـاجِـرَةْ

فقالوا مجيبين له:

نحنُ الّـذِينَ بَـايَعُـوا محمـدًا   عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَـدًا»(٦)

* وفى أثناء الحفر، عرض للمسلمين فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة، لا تأخذ فيها المعاول، فَشَكُوا ذلك إلى رسول الله - ﷺ - فلما رآها أخذ المعول، وقال: «باسم الله»، وضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، فقطع ثلثا آخر، فقال: «الله أكبر»، أُعطيت مفاتيح فارس، والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة، فقال: «باسم الله» فقطع بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة(٧).

---

(١) انظر تفاصيل هذا الخندق فى كتاب «آثار المدينة المنورة» للأستاذ عبد القدوس الأنصارى.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ١٩٢/٣.

(٣) غزوة الأحزاب للأستاذ أحمد باشميل.

(٤) سيرة ابن هشام ٢١٦/٢.

(٥) سيرة ابن هشام ٢١٦/٢ وروى الترمذى قال: قال الطيبى: «عادة من اشتد جوعه وخمص بطنه أن يشد على بطنه حجرًا ليتقوم به صلبه [مشكاة المصابيح مع هامشها ٤٤٨/٢].

(٦) رواه البخارى فى الصحيح عن أنس - كتاب المغازى، باب غزوة الخندق. ورواه مسلم.

(٧) السيرة النبوية لابن كثير ١٩٣/٣.

وظهرت المعجزات على يد الرسول ﷺ.

* فإذا اشتد على المسلمين فى بعض الخندق كدية، دعا بإناء من ماء، فتَفَل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ونضح ذلك الماء على تلك الكدية، فانهالت وعادت كالكثيب(١).

* وظهرت البركة فى طعام قليل، فشبع به عدد كبير، وكفى الجيش كله.

* قال جابر بن عبد الله: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبى ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت فى الخندق، فقال: أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لانذوق ذواقًا، فأخذ النبى - ﷺ المعول، فضرب فعاد كثيبا أهْيَل.

فقلت يارسول الله.. ائذن لى إلى البيت، فقلت لامرأتى: رأيت بالنبى - ﷺ - شيئا ماكان فى ذلك صبر، فعندك شىء؟ قالت: عندى شعير وعناق (أنثى الماعز) فذبحت العناق، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم فى البُرْمة (القدر) ثم جئت النبى - ﷺ - والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافى، قد كادت أن تنضج، فقلت: طُعَيم لى، فقُم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان، قال: كم هو؟ فذكرت له، قال: كثير طيب. قل لها: لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنّور، حتى آتى، فقال: قوموا، فقام المهاجرون والأنصار..

فلما دخلت على امرأتى، قلت: ويحك، جاء النبى - ﷺ - بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر (يغطى) البرمة والتنوّر إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا.. وبقى بقية، قال: كلى هذا واهدى، فإن الناس أصابتهم مجاعة(٢).

* وفى رواية: قال جابر: «... جئته، فساررته، فقلت: يا رسول الله! ذبحنا بهيمة لنا وطحنَّا صاعا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبى - ﷺ - وقال: يا أصحاب الخندق.. إن جابرًا قد صنع سُورًا»(٣).

* وأقبلت قريش، حتى نزلت أمام المدينة، فى عشرة آلاف، وأقبلت غطفان بتوابعهم، فنزلوا أمام المدينة أيضًا، وخرج رسول الله - ﷺ - والمسلمون فى ثلاثة آلاف، وبينه وبين المشركين الخندق.

وكان بين رسول الله - ﷺ - وبين بنى قريظة عقد وعهد، فحملهم حُيىّ بن أخطب - سيد

---

(١) سيرة ابن هشام ٢١٧/٢.

(٢) رواه البخارى فى الجامع الصحيح باب «غزوة الخندق».

(٣) رواه البخارى. قال الفتنى فى «مجمع بحار الأنوار» لفظ (سور) فارسى وهو طعام العُرْس.

بني النضير – على نقض العهد، وقد فعل ذلك بعد امتناع وتردد، وتحقَّقه رسول الله – ﷺ[١] فعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، ونجم النفاق من بعض المنافقين..

وهَمَّ رسول الله – ﷺ بعقد الصلح بينه وبين غطفان، على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة رفقًا بالأنصار، وتخفيفًا عنهم، فقد استقلوا بأكبر نصيب من أعباء الحرب..

ثم عدل عن ذلك، بعد ما رأى من سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة الثبات والإباء والصمود أمام الأعداء.

قال سعد بن معاذ: يارسول الله.. قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك بالله، وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطعمون منها ثمرة إلاّ قِرى أو بيعًا.. أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا؟.. والله مالنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

قال رسول الله – ﷺ – فأنت وذاك[٢].

* وأقام رسول الله – ﷺ – والمسلمون، وعدوهم محاصرهم، ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش أقبلوا تسرع بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه مكيدة ما كانت للعرب تكيدها.

ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق، فضربوا خيلهم، فاقتحمت منه، فجالت بهم فى أرض المدينة، ومنهم الفارس المشهور عمرو بن عبد ودّ، الذى كان يقوم بألف فارس، فلما وقف قال: مَنْ يبارز؟ فبرز على بن أبي طالب – رضى الله عنه – فقال: ياعمرو! إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خُلّتين، إلا أخذتها منه.

قال: أجل، قال له عليّ: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام.

قال: لا حاجة لى بذلك، قال على : فإنى أدعوك إلى النزال.

فقال له: لم يا ابن أخى؟ فوالله ما أحب أن أقتلك..

قال له على، رضى الله عنه، لكنى والله أحب أن أقتلك.

فحمى عمرو عند ذلك، فاقتحم على فرسه، فعقره، وضرب وجهه، ثم أقبل على عليّ، فتنازلا وتجاولا، فقتله على رضى الله عنه.[٣] وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة.

* وتذكر كتب الصحاح والسيرة أحداثا كثيرة واكبت هذه الغزوة..

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٢٠.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٢١.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٣/٢٠٢.

* تقول عائشة - رضى الله عنها - وكانت مع نسوة مسلمات فى حصن بنى حارثة، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب، مرّ سعد بن معاذ، وعليه درع قصيرة، قد خرجت منها ذراعه كلها، وهو يرتجز.. فقالت له أمه: الحق ابنى فقد والله أخرت..

قالت عائشة: فقلت لها: يا أم سعد.. والله لوَدَدت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى. وكانت ما تخوفته عائشة.. فرُمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل، ومات شهيدًا فى بنى قريظة.(١).

* أحاط المشركون بالمسلمين، حتى جعلوهم فى مثل الحصن من كتائبهم، فحاصروهم قريبًا من شهر، وأخذوا بكل ناحية، واشتد البلاء، وتجهر النفاق، واستأذن بعض الناس رسول الله - ﷺ - فى الذهاب إلى المدينة، وقالوا: ﴿إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرةٌ ومَاهِى بعَوْرة إنْ يُرِيدُون إلاّ فِرَارًا﴾.

وبينما رسول الله - ﷺ - وأصحابه - فى ماوصف الله من الخوف والشدة، إذ جاءه نعيم بن مسعود الغطفانى، فقال: يارسول الله.. إنى قد أسلمت.. وإن قومى لم يعلموا بإسلامى، فمُرْنى ماشئت..

فقال رسول الله - ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخَذّل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة.

فخرج نعيم بن مسعود، فأتى بنى قريظة، وتكلم معهم بكلام جعلهم يشكّون فى صحة موقفهم، وولائهم لقريش وغطفان، الذين ليسوا من أهل البلد، وعدائهم للمهاجرين والأنصار، الذين هم أهل الدار وجيرانهم الدائمون، وأشار عليهم بألاّ يقاتلوا مع قريش وغطفان، حتى يأخذوا منهم رهنا من أشرافهم، يكونوا بأيديهم ثقة لهم، فقالوا: لقد أشرت بالرأى.

- ثم خرج حتى أتى قريشا، فأظهر لهم إخلاصه ونصيحته، وأخبرهم بأن اليهود قد ندموا على ما فعلوا، وسيطلبون منهم رجالاً من أشرافهم تأمينا للعهد، وسيسلّمونهم إلى النبى - ﷺ وأصحابه، فيضربون أعناقهم، ثم خرج إلى غطفان، وقال لهم مثل ما قال لقريش، فكان كلا الفريقين على حذر، وتوغرت صدورهم على اليهود، ودبّت الفرقة بين الأحزاب، وتوجس كل منهم خيفة من صاحبه.

ولما طلب أبو سفيان ورؤوس غطفان معركة حاسمة بينهم وبين المسلمين، تكاسل اليهود، وطلبوا منهم رهنا من رجالهم، فتحقق لقريش وغطفان صدق ما حدثهم به نعيم بن مسعود، وامتنعوا عن تحقيق طلبهم، وتحقق لليهود صدق حديثه كذلك، وهكذا تخاذل بعضهم عن بعض، وتمزق الشمل وتفرقت الكلمة.

* وكان من تأييد الله لنبيه - ﷺ - أن بعث الله على الأحزاب الريح فى ليال شاتية باردة

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢٠٧/٣.

شديدة البرد، فجعلت تقلب قدورهم وتطرح أبنيتهم، وقام أبو سفيان، فقال: يا معشر قريش! إنكم والله أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون[١]، ما تطمئن لنا قدور، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا، فإنى مرتحل.

وقام أبو سفيان إلى جَمَله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه فما أطلق عقاله إلّا وهو قائم. وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم، ورسول الله - ﷺ - قائم يُصَلّى.

وجاء حذيفة بن اليمان، الذى أرسله رسول الله - ﷺ - عيناً إلى الأحزاب، ينظر له مافعل القوم، فأخبره بما رأى[٢].

فلما أصبح انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة، وانصرف معه المسلمون، وقد وضعوا السلاح[٣] ﴿وَرَدَّ الله الَّذِين كَفَرُوا بِغَيْظِهم لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وكَفَى الله المُؤْمِنِينَ القِتَال، وكَانَ الله قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب ٢٥]

ووضعت الحرب أوزارها، فلم ترجع قريش بعدها إلى حرب النبى ﷺ أو حرب المسلمين، قال رسول الله - ﷺ:

«لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا. ولكنكم تغزونهم»[٤]

* واستشهد من المسلمين يوم الخندق سبعة على أكثر تقدير، وقتل من المشركين أربعة.[٥].

- ٣ -

أحداث غزوة تبوك

كانت غزوة تبوك سببًا فى قذف الرعب فى قلوب أعداء الإسلام، ورفع الغشاوة عن عيون كثير من الذين كانوا يعتقدون أن الإسلام سراج يلتهب ثم ينطفئ، أو سحابة صيف عن قليل تنقشع، وكانت هذه الغزوة احتكاكًا بأعظم قوة، وأكبر دولة فى عصر الرسول - ﷺ وكانت عظيمة الشوكة مرهوبة الجانب فى نظر العرب.

وقد قال أبو سفيان حين رأى اهتمام هرقل- الإمبراطور الرومى- بكتاب رسول الله- ﷺ، الذى بعثه مع دحيّة الكلبى، وحسابه لظهور النبى - ﷺ - فى جزيرة العرب: «لقد أمر

(١) عن ابن عباس - رضى الله عنهما، عن النبى - ﷺ قال: نُصِرتُ بالصَّبا وأهلكت عادٌ بالدَّبُور [رواه البخارى].
(٢) القصة بأكملها فى صحيح مسلم «غزوة الأحزاب» وتفسير ابن كثير ٤٧١/٣.
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٢٢١/٣.
(٤) السيرة النبوية لابن كثير ٢٢١/٣.
(٥) السيرة النبوية لابن كثير ٢٢١/٣.

ابن أبى كبشة أنه يخافه ملك بنى الأصفر، فمازلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله عَلَيّ الاسلام»(١).

وكانت العرب لا يحلمون بغزو الروم، والزحف عليهم، بل كانوا يخافون أن يغزوهم فى عقر دارهم. بل كانوا يرون أنفسهم أصغر من ذلك، وكان المسلمون فى المدينة إذا حزبهم أمر، أو دهمهم خطر ابتدرت أذهانهم إلى هجوم غسان وغزوهم، وهم تبع لقيصر ملك الروم وعماله.

وقد كانت الدولة الرومية فى أوجها، وقد دحرت جيوشها بقيادة هرقل جيوش فارس، وأوغلت فى ديارها، وهزمتها هزيمة منكرة، ومشى هرقل من حمص إلى إيلياء، فى موكب الملك المنتصر، والقائد المظفر شكرًا(٢) على هذا الانتصار الرائع، وذلك سنة سبع للهجرة، يحمل الصليب الذى استرده من الفرس، وقد بسطت له البسط، ووزعت عليه الرياحين، فمشى عليها(٣).

ولم يمض على هذا الانتصار الرائع سوى عامين، حتى خرج رسول الله - ﷺ - من المدينة يريد الروم.

* وكان السبب فى هذه الغزوة، ماقيل إن رسول الله - ﷺ - اتصل به نبأ تهيؤ الروم لغزو حدود العرب الشمالية.

قال ابن سعد- وشيخه الواقدى: إن رسول الله - ﷺ - بلغه من أنباط أن هرقل رزق أصحابه لسنة وأجلبت معهم لخم وجذام وعاملة وغسان، وغيرهم من متنصّرة العرب وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء(٤).

وسواء صحّت هذه الرواية أو لم تصح، فقد كان الهدف الحقيقى من هذه الغزوة إرهاب الدولة المجاورة، التى كانت تخاف معرتها على مركز الإسلام والمسلمين، وعلى الدعوة الإسلامية الزاحفة وقوتها الناشئة، ومنعها من أن تطمع فى غزو المسلمين فى عُقر دارهم، وأن تعتبرهم مالاً سائبا أو لقمة سائغة، وتلك هى الحكمة التى ذكرها القرآن، فى سياق الآيات التى نزلت فى غزوة تبوك.

﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِين﴾ [التوبة ١٢٣].

وقد تحققت هذه الغاية، فلم يقابل الروم هذا الزحف الإسلامى بزحف مقابل، وبتحركات عسكرية، بل كان هناك نوع انسحاب مقابل هذا التحدى الكبير، وصاروا يحسبون لهذه القوة الناشئة فى المدينة، حسابا لم يحسبوه من قبل.

---

(١) الجامع الصحيح للبخارى، باب كيف كان بدء الوحى إلى النبى - ﷺ.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبى - ﷺ - إلى هرقل يدعوه إلى الاسلام.

(٣) فتح البارى ج ١ ص ٣١.

(٤) الزرقانى على المواهب ج ٢ ص ٦٣.

* وحكمة أخرى هامة - من هذه الغزوة الجريئة، هي إدخال الرعب فى قلوب القبائل العربية التى لم تدخل فى الإسلام، والقبائل العربية المتنصّرة الخاضعة لنفوذ الإمبراطورية الرومانية، والتابعة لها.

وبالجملة فقد كانت لغزوة تبوك أهمية كبيرة فى تاريخ الدعوة الإسلامية، وفى السيرة النبوية، وتحققت منها غايات كانت بعيدة الأثر فى نفوس المسلمين والعرب، ومجرى الأحداث فى تاريخ الإسلام.

كانت هذه الغزوة فى رجب سنة تسع للهجرة، غزاها رسول الله - ﷺ - فى حرّ شديد حين طابت الثمار والظلال.

ذكر الزهرى، أن رسول الله - ﷺ - أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك فى زمان عُسرة من الناس، وشدة من الحر، وجَدب من البلاد، وحين طابت الثمار، فالناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص فى الحال من الزمان، الذى هم عليه.

وكان رسول الله - ﷺ - قلّ ما يخرج فى غزوة إلاّ كنّى عنها، إلاّ ما كان من غزوة تبوك، فإنه بيّنها للناس لبُعد الشُّقّة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذى يَصْمد إليه، ليتأهب الناس لذلك أُهبته، فأمرهم بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم[١].

* وتعلّل المنافقون بعلل، وكرهوا الخروج مع رسول الله - ﷺ - إشفاقا من العدو القوى، وفرارًا من الحر الشديد، وفى ذلك يقول رب العزّة: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِم خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِم فِى سَبِيلِ اللَّهِ وقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِى الحَرِّ، قُلْ نَارُ جَهَنَّم أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُون﴾ [التوبة ٨١].

جد رسول الله - ﷺ - فى سفره، وأمر الناس بالجهاد، وحض أهل الغنى على النفقة فى سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا، وأنفق عثمان بن عفان نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها.

قال ابن هشام: حدثنى من أثق به، أن عثمان أنفق فى جيش العُسرة - فى غزوة تبوك - ألف دينار، فقال رسول الله - ﷺ: «اللهم ارضَ عن عثمان فإنى عنه راضٍ».

* وروى الإمام أحمد - بإسناده - عن كُثّه مولى عبد الرحمن بن سمرة، قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبى - ﷺ - بألف دينار فى ثوبه، حين جهز النبى - ﷺ - جيش العُسْرةَ، قال: فصبّها فى حِجْر النبى، فجعل النبى - ﷺ - يقلّبها بيده ويقول: «ماضرّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم[٢]».

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٥/٤.

(٢) رواه الترمذى.

* وجاء بعض أهل الحاجة إلى رسول الله - ﷺ - ليحملهم حتى يصحبوه فى غزوته هذه فلم يجدوا عنده من الظّهر ما يحملهم عليه، فرجعوا وهم يبكون تأسفا على ما فاتهم من الجهاد فى سبيل الله، والنفقة فيه، وقد أسقط الله عنهم الحرَج، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُم قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُون﴾ [التوبة ٩٢].

* خرج رسول الله - ﷺ - فى ثلاثين ألفا من الناس، من المدينة إلى تبوك، وكان أكبر جيش خرج به فى غزوة، وضرب عسكره على ثنية الوداع(١)، واستعمل على المدينة محمد بن سلمة الأنصارى، وخلف على أهله على بن أبى طالب(٢).

قال ابن اسحاق: وخلّف رسول الله - ﷺ - عليّ بن أبى طالب على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلّفه إلا استثقالا له وتخفّفا منه. فلما قالوا ذلك أخذ عليٌّ سلاحه، ثم خرج حتى لحق برسول الله - ﷺ - وهو نازل بالجُرْف، فأخبره بما قالوا، فقال - ﷺ: «كذَبوا ولكنى خلّفتك لما تركتُ ورائى، فارجع فاخلُفْنى فى أهلى وأهلك، أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبى بعدى(٣). فرجع عليٌّ ومضى رسول الله - ﷺ - فى سفره.

* وروى عبد الله بن مسعود، قال: لما سار رسول الله - ﷺ - إلى تبوك، جعل لا يزال الرجل يتخلف فيقولون: يا رسول الله تخلّف فلان، فيقول: دَعُوه، إن يك فيه خير فسيُلْحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه. حتى قيل: يا رسول الله تخلّف أبوذَرّ، وأبطأ به بعيره، فقال: «دعوه إن يك فيه خير فسيُلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه».

فتلوّم (انتظر) أبو ذر بعيرَه، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره، ثم خرج يتبع رسولَ الله - ﷺ - ماشيا، ونزل رسول الله فى بعض منازله، ونظر ناظرٌ من المسلمين، فقال: يا رسول الله إن هذا الرجل ماشٍ على الطريق، فقال رسول الله - ﷺ: «كُنْ أبا ذَرّ» فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله.. والله أبو ذرّ، فقال رسول الله - ﷺ - «يرحم الله أبا ذَرّ يمشى وحده، ويموتُ وحده، ويُبعث وحده(٤)».

* وروى الإمام أحمد بإسناده - فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوه فِى سَاعَةِ العُسْرة﴾ قال: خرجوا فى غزوة تبوك، الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وخرجوا فى حر شديد، فأصابهم فى يوم عطش حتى جعلوا ينحرون إبلهم لينفضوا كراشها ويشربوا ماءها، فكان ذلك عُسرة فى

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١١/٤.
(٢) السيرة النبوية ١٢/٤.
(٣) صحيح البخارى «غزوة تبوك».
(٤) السيرة النبوية لابن كثير ١٥/٤.

الماء وعُسرة فى النفقة، وعُسرة فى الظَّهر(١).

* وقال عمر بن الخطاب عن شأن ساعة العُسْرة: خرجنا إلى تبوك فى قيظ شديد، فنزلنا منزلا، وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إنْ كان أحدَنا ليذهب فيلتمس الرَّحل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فَرْثه فيشربه، ثم يجعل ما بقى على كبده.

فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله.. إن الله قد عَوَّدك فى الدعاء خيرا فادع الله لنا، فقال: «أَوَ تحب ذلك؟» قال: نعم، قال: فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعها حتى مَالت السماء فأطلّت (أمطرت) ثم سكبت فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر(٢).

* وروى مسلم - فى صحيحه - بإسناده عن أبى هريرة، قال:

لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله.. لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادّهنا؟ فقال - ﷺ: «افعلوا».

فجاء عمر فقال: يا رسول الله إنْ فعلتَ قلَّ الظَّهْر، ولكن ادعهم بفَضْل أزوادهم وادْعُ الله لهم فيها بالبركة، لعل الله أن يجعل فيها البركة.

فقال رسول الله: نعم، فدعا بِنِطْع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخر بكف من تمر، ويجيء الآخر بكِسْرة، حتى اجتمع على النِّطع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله - ﷺ - بالبركة، ثم قال لهم: «خُذوا فى أوعيتكم» فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلاّ ملأوه، وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فَضْلة. فقال رسول الله - ﷺ - «أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنى رسول الله، لا يلقى الله بها عبدٌ غير شاكٍّ فيُحجب عن الجنة(٣)».

* وكان رسول الله - ﷺ - كما ذكرنا - حين مرّ بالحِجْر «ديار ثمود» نزلها، واستقى الناس من بئرها، فلما راحوا، قال رسول الله - ﷺ: «لا تشربوا من مياهها شيئا ولا تتوضأوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئا». وقال ﷺ: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلاّ أن تكونوا باكين، أن يُصيبكم ما أصابهم(٤)».

* وروى الإمام أحمد - بإسناده - عن جابر، قال: «لما مرّ النبى - ﷺ - بالحِجْر قال: لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح، فكانت تَرِد من هذا الفج (الوجه) وتصدر من هذا الفج،

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١٦/٤.
(٢) السيرة النبوية لابن كثير ١٦/٤، الجامع الصحيح «غزوة تبوك».
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ١٨/٤.
(٤) زاد المعاد ٣/٢، سيرة ابن هشام ٥٢٢/٢.

فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يوما، ويشربون لبنها يوما، فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله مَنْ تحت أديم السماء منهم إلاّ رجلا واحدًا كان فى حرم الله.. قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: «هو أبو رغال» فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه(١)».

* ولما انتهى رسول الله - ﷺ - إلى تبوك أتاه يُحَنَّة بن رؤبة صاحب أيلة، وهو أحد المقيمين بالحدود، فصالح رسول الله - ﷺ - وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جَرْباء وأَذْرُح فأعطوه الجزية.

وكتب لهم رسول الله - ﷺ - كتاب أمن، فهو عندهم.. فكَتب ليُحَنّة بن رؤبة وأهل أيلة: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أمنةٌ من الله ومحمد النبى رسول الله، ليُحُنّة بن رؤبة وأهل أيلة، سفنهم وسيّارتهم فى البر والبحر، لهم ذمة الله، وذمة محمد النبى ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمَنْ أحدث منهم حَدَثًا فإنه لا يَحُول ماله دون نفسه، وإنه طيِّب لمن أخذه من الناس، وأنه لا يحلُّ أن يُمْنعوا ماء يَرِدُونه، ولا طريقا يردونه من بر أو بحر(٢)».

وأعطى النبى - ﷺ - أهل أيلة بُرْدَه مع كتابه أَمَانًا لهم، فاشتراه بعد ذلك أبو العباس عبدالله بن محمد بثلاثمائة دينار(٣).

* وهنا بلغ خبر انسحاب الروم وعدولهم عن فكرة الزحف واقتحام الحدود، فلم ير رسول الله - ﷺ - محلا لتتبعهم داخل بلادهم، وقد تحقق الغرض.

* ثم إن رسول الله دعا خالد بن الوليد، فبعثه إلى أُكَيْدر دُومة، وهو أكَيْدر بن عبد الملك، رجل من بنى كندة، كان ملكا عليها، وكان نصرانيا، وقال رسول الله - ﷺ - لخالد: «إنك ستجده يصيد البقر».

فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفى ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له، ومعه امرأته، وباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله. قالت: فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد..

فنزل فأمر بفرسه، فأُسْرِج له، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسّان، فركب وخرجوا معه بمطاردهم.. فلما خرجوا تلقتهم خيلُ النبى - ﷺ - فأخذته، وقتلوا أخاه، وكان عليه قباء من ديباج مخوّص بالذهب، فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله - ﷺ - قبل قدومه عليه.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢٠/٤.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٥٢٥/٢.
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٣٠/٤.

قال أنس بن مالك: رأيت قباء أُكَيْدر حين قُدِم به على رسول الله - ﷺ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم، ويتعجبون منه، فقال رسول الله - ﷺ: «أتعجبون من هذا، فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسنُ من هذا».

* ثم إن خالد بن الوليد لما قدم بأُكَيْدر على رسول الله - ﷺ - حقن له دمه، فصالحه على الجزية، ثم خلى سبيله، فرجع إلى قريته.

فقال رجل من طيئ، يقال له بُجَيْر بن بُجَره فى ذلك:

تبَارَكَ سَائِقُ البقـراتِ إنّى ... رأيتُ الله يَهْدِى كلَّ هَادِ
فمن يك حائدًا عن ذى تبوك ... فإنا قَدْ أُمرنا بالجِهادِ

حكى البيهقى: أن رسول الله - ﷺ - قال لهذا الشاعر: «لا يَفْضُضِ اللّهُ فَاكَ» فأتت عليه سبعون سنة ما تحرك له فيها ضِرْس ولا سن(١). وأقام رسول الله - ﷺ - بتبوك بضع عشرة ليلة، لم يجاوزها ثم انصرف قافلا إلى المدينة.

* وقال عبدالله بن مسعود: «قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله - فى غزوة تبوك، فرأيت شُعلة من نار فى ناحية العسكر، فاتبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر، وإذا عبدالله ذو البجادين قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله فى حفرته، وأبو بكر وعمر يُدْلِيَانِهِ، وإذا هو يقول: «أدْنيا إلىّ أخاكما» فدلياه إليه، فلما هيأ لشقّه قال: «اللّهم إنّى قد أمسيت راضيًا عنه فارْضَ عنه(٢)».

وإنما سُمى ذا البجادين، لأنه كان يريد الإسلام، فمنعه قومه، وضَيَّقُوا عليه، حتى خرج من بينهم، وليس عليه إلا بِجَاد - وهو الكساء الغليظ - فشقه باثنين، فائتزر بواحدة، وارتدى بالأخرى، ثم أتى رسول الله - ﷺ - فسمى «ذا البِجَادَيْن». قال ابن مسعود: «يا ليتنى كنت صاحب الحُفْرة(٣)».

* وفى أثناء وجود رسول الله - ﷺ - فى تبوك، قامت طائفة من المنافقين ببناء صورة مسجد قريبا من مسجد قباء، وأرادوا أن يُصلى لهم رسول الله - ﷺ - فيه حتى يروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد، فعصم الله رسوله من الصلاة فيه، لأنه لما رجع نزل بذِى أوان، نزل عليه الوحى فى شأن مسجد الضرار هذا، وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة ١٠٧].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٥٢٦/٢، والسيرة النبوية لابن كثير ٣١/٤.
(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٣٣/٤.
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٣٣/٤.

فدعا رسول الله - ﷺ - مالك بن الدُّخشُم ومعن بن عدى - أو أخاه - عاصم بن عدى، رضى الله عنهما - وأمرهما أن يذهبا إلى هذا المسجد الظالم أهله فيحرقاه بالنار، فذهبا فحرقاه بالنار، وتفرق عنه أهله(١).

* وفى غزوة تبوك هذه، صلى رسول الله - ﷺ - خلف عبد الرحمن بن عوف، صلاة الفجر، أدرك معه الركعة الثانية منها، وذلك أن رسول الله - ﷺ - ذهب يتوضأ ومعه المغيرة بن شعبة فأبطأ على الناس، فأقيمت الصلاة، فتقدم عبدالرحمن بن عوف، فلما سلّم الناس أعظموا ما وقع، فقال لهم رسول الله - ﷺ: أحسنتم وأصبتم(٢).

* وبغزوة تبوك التى كانت فى رجب سنة تسع للهجرة، انتهت الغزوات النبوية التى بلغ عددها سبعا وعشرين غزوة، كما قال ابن اسحاق.

ثانيا: أحداث بعوثه وسراياه - ﷺ

تحدث محمد بن إسحاق عن أحداث بعوثه وسراياه فقال:

«وكانت بعوثه وسراياه - ﷺ - ثمانيا وثلاثين من بين بَعْثٍ وسَرِيّة(٣)»

* وسنذكر ملخص ما ذكره ابن اسحاق متصلا بالأحداث:

١ - بعث غالب بن عبدالله الكلبى إلى الكَدِيد، فأصاب بنى الملوّح، وأغار عليهم فى الليل، فقتل طائفة منهم، فاستاق نعمهم فجاء نفرهم فى طلب النعم، فلما اقتربوا حال بينهم وادٍ من السيل، وأسروا فى مسيرهم هذا الحارث بن مالك بن البَرْصاء.

٢ - بعث زيد بن حارثة إلى جذام من أرض بنى خُشَين، قال ابن هشام: وهى من أرض حَسْمى، وكان سببها، أن دِحيّة بن خليفة لما رجع من عند قيصر، وقد أبلغه كتاب رسول الله -ﷺ- يدعوه إلى الله، فأعطاه من عنده تحفا وهدايا، فلما بلغ واديا فى أرض بنى جذام يقال له شنار، أغار عليه الهنيد بن عُوص ، وابنه عُوص بن الهنيد الضُّلعيان، والضُّليع بطن من جذام، فأخذا ما معه، فنفر حىٌّ منهم قد أسلموا فاستنقذوا ما كان أخذ لدحيّة، فردوه عليه.

فلما رجع دحية إلى رسول الله - ﷺ - أخبره الخبر، واستسقاه دمَ الهنيد وابنه عُوص، فبعث حينئذ زيدَ بن حارثة فى جيش إليهم، فساروا إليهم من ناحية الأولاج، فأغار بالماقص من ناحية الحرة، فجمعوا ما وجدوا من مال وناس، وقتلوا الهنيدَ وابنه، ورجلين من بنى الأحنف، ورجلا من بنى خَصيب.

---

(١) السيرة النبوية لأبن كثير ٤/٤٠.
(٢) رواه البخارى فى غزوة تبوك.
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٤/٤٣٢.

فلما احتاز زيد أموالهم وذراريهم، اجتمع نفر منهم برفاعة بن زيد، وكان قد جاءه كتاب رسول الله - ﷺ - يدعوهم إلى الله، فقرأه عليهم رفاعة، فاستجاب له طائفة منهم، ولم يكن زيد بن حارثة يعلم ذلك، فركبوا إلى رسول الله - ﷺ - إلى المدينة فى ثلاثة أيام، فأعطوه الكتاب، فأمر بقراءته جهرة على الناس، ثم قال رسول الله ﷺ: كيف أصنع بالقتلى؟ ثلاث مرات، فقال رجل منهم - يقال له أبو زيد بن عمرو: أطلق لنا يارسول الله من كان حيا، ومن قُتل فهو تحت قدمى هذه.

* فبعث معهم رسول الله - ﷺ - على بن أبى طالب، فقال علىّ: إن زيدًا لا يطيعنى، فأعطاه رسول الله -ﷺ- سيفه علامة، فسار معهم على جمل لهم، فلقوا زيدًا وجيشه، ومعهم الأموال والذرارى بفيفاء الفحلتين، فسلّمهم علىٌّ جميع ما كان أُخذ لهم، لم يفقدوا منه شيئا.

٣ - بعث زيد بن حارثة - أيضا - إلى بنى فزارة، بوادى القُرى، فقُتل طائفة من أصحابه، وارتثّ (أى حمل جريحا وبه رمق) هو من بين القتلى ، فلما رجع آلى ألا يمسّ رأسه غسلٌ من جنابة حتى يغزوهم أيضا.

فلما استبلّ من جراحه بعثه رسول الله - ﷺ - ثانيا فى جيش، فقتلهم بوادى القرى. وأسر أم قِرْفة، فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر، ومعها ابنة لها، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر اليعمرى، فقتل أم قرفة، واستبقى ابنتها، وكانت من بيت شرف، يُضرب بأم قرفة المثل فى عزّها، وكانت بنتها مع سلمة بن الأكوع، فاستوهبها منه رسول الله -ﷺ- فأعطاه إياها، فوهبها رسول الله -ﷺ- لخاله حزن بن أبى وهب، فولدت له ابنه عبدالرحمن[1].

٤ - بعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر مرتين: إحداهما التى أصاب فيها اليُسَيْر بن رِزَام، وكان يجمع غطفان لغزو رسول الله -ﷺ- فبعث رسول الله -ﷺ- عبدَالله بن رواحة فى نفر منهم عبدالله بن أنيس، فقدموا عليه فلم يزالوا يرغبونه ليُقَدّموه على رسول الله -ﷺ- فسار معهم، فلما كانوا بالقرقرة على ستة أميال من خيبر، ندم اليُسَيْر على مسيره، ففطن له عبدالله بن أنيس، وهو يريد السيف، فضربه بالسيف فأطنّ قدمه، وضربه اليُسَير بمخرش من شَوْحط فى رأسه فأمّه، ومال كل رجل من المسلمين على صاحبه من اليهود فقتله، إلّا رجلا واحدًا أفلت على قدميه.

فلما قدم ابن أنيس تفل فى رأسه رسول الله - ﷺ - فلم يَقِحْ جُرحه ولم يؤذه.

* وكان البعث الآخر إلى خيبر، لما بعثه - ﷺ - خارصا على نخيل خيبر.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤/٤٣٢.

٥ - بعث زيد بن حارثة، وجعفر، وعبد الله بن رواحة إلى مؤتة من أرض الشام، فأصيبوا جميعا.

٦ - بعث غَالِبَ بن عبد الله إلى أرض بنى مُرّة، فأصيب بها مرداس بن نهيك، حليف لهم من الحُرقة من جهينة، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار أدركاه، فلما شهرا السلاح قال: لا إلـه إلا الله، فلما رجعا لامهما رسول الله -ﷺ- أشد اللوم، فاعتذرا بأنه ما قال ذلك إلّا تعوّذا من القتل، فقال لأسامة: هلا شقَقْت عن قلبه؟

* وجعل يقول لأسامة: من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ قال أسامة: فمازال يكررها حتى لوَدَدت أن لم أكن أسلمت قبل ذلك»[1].

٧ - بعث عمرو بن العاص إلى ذات السُّلاسل من أرض بنى عُذْرة، يستنفر العرب إلى الشام، وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بَلِىّ، فلذلك بعث عمرا يستنفرهم ليكون أنجع فيهم. فلما وصل إلى ماء لهم، يقال له السُّلْسل خافهم، فبعث يستمد رسول الله، فبعث رسول الله - ﷺ - سرية فيهم أبوبكر وعمر، وعليها أبوعبيدة بن الجراح ، فلما انتهوا إليه، تأمر عليهم كلهم عمرو، وقال: إنما بُعِثْتم مددًا لى، فلم يمانعه أبوعبيدة، لأنه كان رجلا سهلا ليّنا هينا عند أمر الدنيا، فسلّم له وانقاد معه. فكان عمرو يصلى بهم كلهم، ولهذا لما رجع قال: يارسول الله أى الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها.

٨ - بعث عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل..

قال محمد بن إسحاق: حدثنى من لا أتهم، عن عطاء بن أبى رباح، قال:

«سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبدالله بن عمر بن الخطاب عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتمّ قال: فقال عبدالله: أخبرك إن شاء الله عن ذلك، تعلم أنى كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب النبى -ﷺ- فى مسجده، أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وعبدالرحمن بن عوف، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان وأبوسعيد الخُدرى، وأنا مع رسول الله -ﷺ- إذ أقبل فتى من الأنصار فسلم على رسول الله، ثم جلس، فقال: يارسول الله.. أى المؤمنين أفضل؟ قال: أحسنهم خُلقا، قال: فأى المؤمنين أكْيَس؟ قال: أكثرهم ذِكْرًا للموت، وأحسنهم استعدادًا له قبل أن ينزل به، أولئك الأكياس، ثم سكت الفتى.

وأقبل علينا رسول الله - ﷺ - فقال: يا معشر المهاجرين.. خمس خصال إذا نزلن بكم - وأعوذ بالله أن تدركوهن - إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يُعلنوا عليها إلّا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤/٤٣٥.

- ولم ينقصوا المكيال والميزان إلاّ أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجَوْر السلطان.

- ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلاّ مُنِعُوا القَطْر من السماء فلولا البهائم ما مُطِروا.

- وما نقضوا عهد الله ورسوله إلاّ سَلّط عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما كان فى أيديهم.

- وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله ويجبروا فيما أنزل الله إلاّ جعل الله بأسهم بينهم.

قال: ثم أمر عبد الرحمن بن عوف، أن يتجهز لسرية بعثه عليها، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء فأدناه رسول الله - ﷺ - ثم نقضها ثم عممه بها، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوا من ذلك، ثم قال: هكذا ياابن عوف، فاعتمّ فإنه أحسنُ وأَعْرَف.

* ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء، فدفعه إليه فحمد الله، وصلى على نفسه، ثم قال: خذه يا بن عوف اغزوا جميعا فى سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغلُّوا ولا تَغْدُروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلُوا وليدًا، فهذا عهد الله وسيرة نبيكم فيكم(١)

فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء، فخرج إلى دومة الجندل.

٩ - بعث أبا عبيدة بن الجراح، وكانوا قريبا من ثلاثمائة راكب، إلى سيف البحر، وزوّده -عليه السلام- جرابا من تمر، وفيها قصة العنبر، وهى الحوت العظيم الذى دسَره البحر، وأكلهم كلهم منه قريبا من شهر حتى سمنوا وتزودوا منه وشائق - أى شرائح - حتى رجعوا إلى رسول الله -ﷺ- فأطعموه منه فأكل منه.

١٠ - وبعث سالم بن عمير، أحد البكائين، إلى أبى عَفَك أحد بنى عمرو بن عوف، وكان قد نَجَم نفاقُه حين قَتَل رسول الله - ﷺ - الحارثَ بن سويد بن الصامت، فقال يرثيه ويذم - قبّحه الله - الدخول فى الدين:

لَقَدْ عِشْتُ دَهرًا ومَا إنْ أَرَى ... مِنَ النَّاسِ دَارًا ولا مَجْمعا
أَبَـرَّ عُـهُـودًا وأَوْفَى لِـمَنْ ... يُعَـاقِـد فِيهِمْ إذَا مـادَعَـا
مِنْ أَوْلَادِ قَيْلة فى جَمْعِـهِم ... يَهُـدُّ الجِبَـالَ ولَمْ يَخْضَعـا
فَـصَـدَّعَهُـم رَاكِبٌ جَـاءَهُـم ... حَـلَالٌ حَـرَامٌ لِشَتَّى مَعَـا
فَـلَوْ أن بـالعـزِّ صَـدَّقْـتُمُ ... أو الـمُلْكِ تـابَـعْتُـم تُبَّـعَـا

فقال رسول الله - ﷺ - مَنْ لى بهذا الخبيث؟ فانتدب له سالم بن عُمير هذا فقتله.
فقالت أمامة المريدية فى ذلك:

---

(١) السيرة النبوية ٤/٤٣٧.

تُكذِّبُ دِينَ الله والمرءَ أَحْمَدَا لعَمْرو الَّذِى أَمْنَاكَ بِئْسَ الذى يُمْنِى
حَبَاك حَنِيفٌ آخر اللَّيلِ طَعْنَةً أَبَا عَفَك خُذْهَا عَلَى كِبَر السِّنِّ[1]

١١ - وبعث عُمير بن عَدِى الخطمى لقتل العصماء بنت مروان، من بنى أمية بن زيد، كانت تهجو الإسلام وأهله، ولما قُتل أبو عَفَك المذكور، أظهرت النفاق، وقالت فى ذلك:

باست بنى مالك والنَّبيت وعوف وباست بنى الخزرجِ
أطعتم أتاوىَّ من غيركم فلا مِن مُراد ولا مَذْحجِ
تُرَجُّونه بعدَ قَتْل الرءوس كما يرتجى ورق المنضَّجِ
ألا أنِفٌ يبتغى غِرَّةً فيقْطع من أملِ المرتجىِ

* فأجابها حسان بن ثابت فقال:

بنو وائل وبنو واقفٍ وخطمة دون بنى الخزرجِ
متى مادعت سَفهًا ويحها بعُولتَها والمنايا تجى
فهزَّت فتًى ما جدًا عِرْقه كريم المداخل والمخرج
فضرَّجها من نجيعِ الدما ءِ بُعيد الهدوّ فلم يَحْرَجِ

فقال رسول الله - ﷺ - حين بلغه ذلك: ألا آخِذٌ لى من ابنة مروان؟

فسمع ذلك عُمير بن عَدِى، فلما أمسى من تلك الليلة سَرى عليها فقتلها. ثم أصبح فقال: يارسول الله قتلتها، فقال: نصرتَ الله ورسوله يا عُمير.

قال: يا رسول الله.. هل علىَّ من شأنها؟ قال: لا تنتطح فيها عَنْزَان.

فرجع عُمير إلى قومه، وهم يختلفون فى قتلها، وكان لها خمسة بنون، فقال: أنا قتلتها فكيدونى جميعا، ثم لا تُنْظرون، فذلك أول يوم عزَّ الإسلام فى بنى خَطمة، فأسلم منهم بشر كثير لما رأوا من عز الإسلام[2].

١٢ - وبعث علقمة بن مُجزِّز المُدْلجى ليأخذ بثأر أخيه وقّاص بن مجزز يوم قُتل بذى قَرد، فاستأذن رسول الله ﷺ ليرجع فى آثار القوم، فأذن له وأمَّره على طائفة من الناس، فلما قفلوا أذن لطائفة منهم فى التقدم، واستعمل عليهم عبدالله بن حذافة، وكانت فيه دُعابة، فاستوقد نارًا وأمرهم أن يدخلوها، فلما عزم بعضهم على الدخول، قال: إنما كنت أضحك، فلما بلغ النبى -ﷺ- قال: من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه[3].

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤٣٨/٤.
(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٤٣٩/٤.
(٣) ذكره ابن هشام بإسناده عن أبى سعيد الخدرى.

١٣ – وبعث كُرْز بن جابر لقتل أولئك النفر الذين قدموا المدينة، وكانوا من قيس من بجيلة، فاستوخموا المدينة واستوبؤوها، فأمرهم رسول الله – ﷺ – أن يخرجوا إلى إبله فيشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صَحُّوا قتلوا راعيها، وهو يسار مولى رسول الله – ﷺ – ذبحوه وغرزوا الشوك فى عينيه، واستاقوا اللِّقاح، فبعث فى آثارهم كُرْز بن جابر فى نفر من الصحابة، فجاءوا بأولئك من بجيلة – مرجعه – ﷺ – من غزوة ذى قَرَد، فأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسُمِلت أعينهم.

وهؤلاء النفر هم المذكورون فى حديث أنس المتفق عليه، أن نفرًا ثمانية من عُكل أو عُرينة قدموا المدينة.. الحديث.

١٤ – وبعث رسول الله – ﷺ – أسامة بن زيد بن حارثة، إلى الشام، وأمره أن يُوطئ الخيل تخوم البَلْقاء والدَّاروم من أرض فلسطين، فتجهز الناسُ وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون..

* قال ابن هشام: وهو آخر بعثٍ بعثه رسول الله – ﷺ.

* وقال البخارى: حدثنا إسماعيل، حدثنا مالك، عن عبدالله بن دينار، عن عبدالله بن عمر، أن رسول الله – ﷺ – بعث بعثا وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناسُ فى إمارته، فقام النبى – ﷺ، فقال:

«إن تطعنوا فى إمارته فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلىّ، وإن هذا لمن أحب الناس إلىّ بعده»[1].

وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار فى جيشه، فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب، ومن قال إن أبا بكر كان فيهم فقط غلط، فإن رسول الله – ﷺ – اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم بالجُرف، وقد أمر النبى – ﷺ – أبا بكر أن يصلى بالناس فكيف يكون فى الجيش وهو إمام المسلمين بإذن الرسول من رب العالمين؟

ولو فرض أنه كان قد انتدب معهم – فقد استثناه الشارع من بينهم بالنص عليه للإمامة فى الصلاة، التى هى أكبر أركان الإسلام، ثم لما تُوفى – ﷺ – استطلق الصدّيقُ من أسامة عمرَ بن الخطاب، فأذن له فى المقام عند الصدِّيق، ونفذ الصدِّيق جيشَ أسامة[2].

ثالثًا: أحداث المعجزات

ولقد صادف الرسول – ﷺ – بعض المواقف، وكان الله – سبحانه – ناصرًا ومؤيدًا ومبرهنا

(١) رواه الترمذى من حديث مالك، وقال: حديث صحيح حسن، وانظر السيرة النبوية لابن كثير ٤٤١/٤.
(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٤٤١/٤.

على أنه المبعوث رحمة للعالمين، فكان تأييده له بالكثير من المعجزات، وكانت كل معجزة ترتبط بحدث وحديث، فاجتمع منها معا أحداث هذه المعجزات.

١ - إخبار الذئب بنبوّته:

* عن أبي سعيد الخدرى ، قال: عدا الذئب على شاة، فأخذها، فطلبها الراعى فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، فقال: ألا تتقى الله؟ تنزع منى رزقا ساقه الله عز وجل إلىّ، فقال: يا عجبًا..! ذئب مُقْعٍ على ذنبه يكلمنى بكلام الإنس؟ فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد - ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق.

قال: فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزوى إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله - ﷺ - فأخبره، فأمر رسول الله - ﷺ، فنودى: «الصلاة جامعة».

ثم خرج فقال للأعرابى أخبرهم، فأخبرهم، فقال رسول الله - ﷺ - صدق، والذى نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عدية سوطه، وشراك نعله، ويخبر فخذه ما أحدث أهله بعده[١].

* وفى رواية أخرى: عن أبى سعيد أيضا: قال: بينما رجل من أسلم، فى غنيمة له يهش عليها فى بيداء ذى الحليفة، إذ عدا عليه الذئب، فانتزع شاة من غنمه، فأخذ الرجل يرمى بالحجارة حتى استنقذ منه شاته، فذكر نحوه[٢].

* وفى رواية ثالثة: «قال النبى - ﷺ، إنها أمارات من أمارات بين يدى الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يجرع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده»[٣].

٢ - شهادة الشجر بنبوّته:

* عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: كنا مع رسول الله -ﷺ- فى سفر فأقبل أعرابى، فلما دنا، قال له النبى -ﷺ- أين تريد؟ قال: إلى أهلى، قال: هل لك فى خير؟

قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لاإلـه إلاّالله وحده لاشريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله. قال: من شاهد على ما تقول؟ قال: هذه الشجرة، فدعاها رسول الله -ﷺ- وهى بشاطئ الوادى، فأقبلت تخد الأرض خدًا حتى جاءت بين يديه، فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه - كما قال،

---

(١) رواه الترمذى وأحمد.

(٢) رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح، ومجمع الزوائد ٢٩١/٨.

(٣) أخرجه فى الصحيح، وورواه أحمد، ورجاله ثقات.

ثم رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال: إن يتبعونى آتيك بهم، وإلا رجعت إليك فكنت معك(١).

٣ - شهادة الضَّب بنبوته:

* عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - كان فى محفل من أصحابه، إذ جاء أعرابي من بنى سُلَيْم قد صاد (ضَبًّا) وجعله فى كمه، فذهب به إلى رحله، فرأى جماعة فقال: على من هذه الجماعة؟ فقالوا: على هذا الذى يزعم أنه النبى، فشق الناس، ثم أقبل على رسول الله - ﷺ، فقال: يامحمد، ما اشتملت النساء على ذى لهجة أكذب منك، وأنقص، ولولا أن تسمينى العرب عجولا لعجلت عليك فقتلتك، فسررت بقتلك الناس أجمعين.

فقال عمر: يا رسول الله.. دعنى أقتله، فقال رسول الله - ﷺ: أما علمت أن الحليم كاد يكون نبيا؟ ثم أقبل الأعرابي على رسول الله - ﷺ - فقال: واللآت والعزى لا آمنت بك. وقد قال له رسول الله - ﷺ - يا أعرابي.. ما حملك على أن قلت ما قلت.. وقلت غير الحق، ولم تكرم مجلسى؟ قال: وتكلمنى أيضا استخفافا برسول الله -ﷺ-. واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب؟ فأخرج الضَّب من كُمّه، فطرحه بين يدى رسول الله - ﷺ، وقال: إن آمن بك هذا الضب آمنت بك!!

فقال رسُول الله - ﷺ، يا ضَبّ، فكلّمه الضَّبّ بلسان عربي مبين يفهمه القوم جميعا، لبيك وسعديك يارسول رب العالمين.

فقال رسول الله - ﷺ - مَنْ تَعبد؟ قال: الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه، وفى البحر سبيله، وفى الجنة رحمته، وفى النار عذابه.

قال: فمن أنا يا ضَبُّ؟ قال: أنت رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، قد أفلح من صدقك، وقد خاب من كذبك.

فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله حقا. والله لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إلىّ منك، ووالله لأنت الساعة أحب إلى من نفسى، ومن ولدى، فقد آمنت بك شعرى وبشرى، وداخلى وخارجى، وسِرّى وعلانيتى، فقال له رسول الله - ﷺ : الحمد لله الذى هدى هذا.. (إلى آخر الحديث)(٢).

---

(١) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى والبزار، مجمع الزوائد ٢٩٢/٨.

(٢) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، انظر الحديث بتمامه فى مجمع الزوائد ٢٩٤/٨.

٤ - حديث الظبية:

* عن أم سلمة رضى الله عنها - قالت: كان رسول الله - ﷺ - فى الصحراء، فإذا منادٍ يناديه يارسول الله .. فالتفت فلم ير أحدًا، ثم التفت فإذا ظبية موثوقة، فقالت: أُدْنُ منى يا رسول الله، فدنا منها، فقال: ما حاجتك؟ فقالت: إن لى خَشْفين فى هذا الجبل، فخلنى حتى أذهب فأرضعهما ثم أرجع إليك، قال: وتفعلين؟ قالت: عذبنى الله عذاب العشار إن لم أفعل. فأطلقها، فذهبت فأرضعت خشفيها، ثم رجعت فأوثقها، وانتبه الأعرابى، فقال: ألك حاجة يارسول الله؟ قال: نعم، تُطلق هذه، فأطلقها، فخرجت تعدو وهى تقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله[(1)].

٥ - الشاة المسمومة

* عن أنس بن مالك - رضى الله عنه، قال:

«أهدت امرأة يهودية إلى رسول الله - ﷺ - شاة سميطا، فلما مدّ يده إليها ليأكل، قال رسول الله - ﷺ - إن عُضْوًا من أعضائها يخبرنى أنها مسمومة، فامتنع رسول الله - ﷺ - وامتنع من معه، فأرسل إلى اليهودية، فقال: ما حملك على أن أفْسَدَتها بعد أن أَصْلَحْتَها؟ قالت: أردت أن أعلم إن كنت نبيًا فإنك ستعلم ذلك، وإن كنت غير نبى أرحت الناس منك»[(2)].

* وعن أبى سعيد الخُدْرى، أن يهودية أهدت إلى رسول الله - ﷺ - شاة سميطا، فلما بسط القوم أيديهم، قال رسول الله - ﷺ - أمسكوا فإن عُضْوًا من أعضائها يخبرنى أنها مسمومة، فأرسل إلى صاحبتها، أَسَمَّمْتِ طعامك هذا؟ قالت: نعم، قال: ما حملك على ذلك؟ قالت: أردت إن كنت كاذبا أن أريح الناس منك، وإن كنت صادقا علمت أن الله تبارك وتعالى - سيطلعك عليه، فبسط يده، وقال: كُلُوا باسم الله.

قال: فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يُضَرّ أحد منا»[(3)].

٦ - تسبيح الحصى:

* عن سويد بن زيد - رضى الله عنه - قال: رأيت أبا ذَرّ جالسًا وحده فى المسجد، فاغتنمت ذلك، فجلست إليه، فذكرت له عثمان، فقال: لا أقول لعثمان أبدًا إلا خير الشىء رأيته عند رسول الله - ﷺ..

---

(١) رواه الطبرانى ، مجمع الزوائد ٢٩٥/٨.

(٢) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ٢٩٥/٨.

(٣) رواه البزار ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ٢٩٦/٨.

«كنت أتبع خلوات رسول الله - ﷺ - وأتعلم منه، فذهبت يوما، فإذا هو قد خرج فاتبعته، فجلس فى موضع فجلست عنده، فقال: يا أبا ذر ما جاء بك؟

قال: قلت الله ورسوله، قال: فجاء أبو بكر فسلّم فجلس عن يمين النبى - ﷺ - فقال له: ما جاء بك يا أبا بكر؟ قال: الله ورسوله. قال فجاء عمر فجلس عن يمين أبى بكر، فقال: يا عمر ما جاء بكم؟ قال: الله ورسوله. ثم جاء عثمان فجلس عن يمين عمر، فقال: ياعثمان ما جاء بك؟ قال: الله ورسوله.

قال: فتناول النبى - ﷺ - سبع حصيات، أو تسع حصيات - فسبّحن فى يده حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم وضعهن فى يد أبى بكر فسبحن فى يده، حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن فى يد عثمان، فسبحن فى يده، حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن[١].

* وزاد الطبرانى فى الأوسط: «يسمع تسبيحهن مَنْ فى الحلقة فى كل واحد، وقال: ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا».

٧ - نبع الماء من بين أصابعه

* عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: أصبح رسول الله - ﷺ - يوما فقال: ما من ماء؟ قالوا: لا، فقال: هل من شن؟ فجاءوا بشَنّ، فوضع بين يدى رسول الله - ﷺ - ووضع يده عليه، ثم فرق أصابعه، فنبع الماء مثل عصا موسى من أصابع رسول الله، فقال: يابلال: اهتف بالناس بالوضوء، فأقبلوا يتوضئون من بين أصابع رسول الله - ﷺ، وكانت همة ابن مسعود الشرب، فلما توضئوا صلى بهم الصبح، ثم قعد للناس، فقال: يا أيها الناس من أعجب إيمانا؟

قالوا: الملائكة، قال: وكيف لا تؤمن الملائكة وهم يعاينون الأمر؟ قالوا: فالنبيون يارسول الله، قال: وكيف لا يؤمن النبيون والوحى ينزل عليهم من السماء؟ قالوا: فأصحابك يارسول الله؟ قال: وكيف لا يؤمن أصحابى وهم يرون ما يرون؟ ولكن أعجب الناس إيمانا قوم يجيئون من بعدى، يؤمنون بى ولم يرونى، ويصدقونى ولم يرونى أولئك إخوانى»[٢].

* وعن البراء بن عازب - رضى الله عنه، قال: كنا مع رسول الله - ﷺ - فى مسير، فأتينا على ركية دمنة، أى قليلة الماء، قال: فنزل فيها ستة أنا سادسهم، قال: فأدليت إلينا دلو، قال رسول الله - ﷺ - على شفة الركى، قال: فجعلنا فيها نصفها أو قريب ثلثيها، فرفعت إلى رسول الله - ﷺ - قال البراء: فجئت بإنائى هل أجد شيئا أجعله فى حلقى فما وجدت، فرفعت الدلو

---

(١) رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، والبزار وأحمد، مجمع الزوائد ٨/٣٠٠.

إلى رسول الله - ﷺ - فغمس يده فيها، فقال: ما شاء الله أن يقول، فأعيدت إلينا الدلو بما فيها، قال: فقد رأيت آخرنا أخرج بقوة خشية الغرق، قال: ثم ساحت - يعنى جرت نهرًا.

قلت: هو فى الصحيح باختصار كثير فى غزوة الحديبية(١).

٨ - حبس الشمس له:

* عن أسماء بنت عميس، أن رسول الله - ﷺ - صلى الظهر بالصهباء، ثم أرسل عليًا فى حاجة، فرجع، وقد صلى النبى - ﷺ - العصر، فوضع النبى - ﷺ - رأسه فى حِجْر علىّ فنام، فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال:

«اللهم إن عبدَك عليًا احتبس بنفسه على نبيّه فرُدَّ عليه الشمس»

قالت أسماء: فطلعت عليه الشمس حتى وقفت على الجبال وعلى الأرض، وقام علىٌّ فتوضأ وصلَّى العصر، ثم غابت فى ذلك بالصهباء.

وفى رواية عنها، قالت: كان رسول الله - ﷺ - إذا نزل عليه الوحى يكاد يغشى عليه، فأنزل عليه يوما وهو فى حِجْر علىّ، فقال له رسول الله - ﷺ - صليت العصر؟ قال: لا يارسول الله، فدعا الله فردّ عليه الشمس حتى صلى العصر.

قالت: فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حين ردّت حتى صلى العصر(٢).

٩ - حديث ناولنى الذراع:

* وعن سلمى امرأة أبى رافع، أن رسول الله - ﷺ - بعث إلى أبى رافع بشاة، وذلك يوم الخندق - فيما أعلم - فصلاها أبو رافع وجعلها فى مكتل، ثم انطلق بها، فلقيه النبى - ﷺ - راجعا من الخندق، فقال: ياأبا رافع ناولنى الذراع، فناولته، ثم قال: ياأبا رافع.. ناولنى الذراع، فناولته، ثم قال: ياأبا رافع.. ناولنى الذراع، فقال يا رسول الله، هل للشاة إلّا ذراعان، فقال - ﷺ: لو سَكَتَّ لناولتنى ما سألتك(٣).

١٠ - قدوم وفد الجن وطاعتهم له:

* عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: بينما نحن مع رسول الله - ﷺ - بمكة، وهو فى نفر من أصحابه، إذ قال: ليقم معى رجل منكم، ولا يقومن معى رجل فى قلبه من الغش مثقال ذرة..

قال: فقمت معه فأخذت الأداوة ولا أحسبها إلا ماء، فخرجت مع رسول الله - ﷺ - حتى

---

(١) رواه أحمد والطبرانى ورجالها رجال الصحيح، مجمع الزوائد ٨/٣٠٠.

(٢) رواهما الطبرانى فى الأوسط بأسانيد ورجال الصحيح.

(٣) رواه الطبرانى ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ٨/٣١١.

إذا كنا بأعلى مكة، رأيت أسودة مجتمعة، قال: فخط لى رسول الله -ﷺ- خطًا، ثم قال: قُم ههنا حتى آتيك، فقمت ومضى رسول الله -ﷺ- إليهم، فرأيتهم يثورون إليه.

قال: فسَمُر معهم رسول الله - ﷺ - ليلاً طويلاً، حتى جاءنى رسول الله - ﷺ - فقال لى: مازلت قائما يا ابن مسعود؟ قلت له: يارسول الله.. أو لم تقل لى قم حتى آتيك!

قال: ثم قال لى: هل معك من وضوء؟ فقلت: نعم، ففتحت الأداوة فإذا هو نبيذ (عنب معصور) فقلت له: يارسول الله.. والله لقد أخذت الأداوة ولا أحسبها إلاّ ماء، فإذا هو نبيذ.

قال: قال رسول الله -ﷺ- ثمرة طيبة وماء طهور.

قال: ثم توضأ منها، فلما قام يصلى أدركه شخصان منهم، فقالا: يارسول الله.. إنا نحب أن تؤمنا فى صلاتنا، قال: فصَفَّهُما رسول الله - ﷺ - خلفه، ثم صلى بنا، فلما انصرف، قلت: يارسول الله: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء جنّ نصيبين، جاءونى يختصمون فى أمور كانت بينهم، وقد سألونى الزاد فزودتهم، قال: فقلت له: وهل عندك يارسول الله شيء تزودهم إياه؟

قال: قد زودتهم الرجعة وما وجدوا من روث وجدوه شعيرا، وما وجدوا من عظم وجدوه كاسيا.

قال: فعند ذلك نهى رسول الله - ﷺ - عن أن يستطاب بالعظم والروث[1].

---

(١) رواه أبو داود وغيره باختصار.

الفصل الثالث

الأحداث التى تَنَبّأ بها رسول الله ﷺ

الرسول المصطفى - ﷺ - لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحىٌ يوحى، علّمه شديد القوى، كان من إرادة الحق - سبحانه - أن يُطلعه على أمور مستقبلية، جعل أخبارها وذكر أحداثها على لسانه -ﷺ- تأييدًا لصدق نبوته، ودليلا على صحة رسالته.

إن كل هذه الأحداث تتنبأ بالمستقبل، وما سوف يقع فيه من أمور.. بعضها أحداث حدثت فى عهده والبعض الآخر حدثت بعد أن انتقل إلى جوار ربه..

● أما الأحداث التى تنبأ بها وحدثت فى حياته فمن مثل تنبؤه بمصرع كسرى، وأسر الشيماء بنت بقيلة الأزدية، وإسلام عمير بن وهب وغيرها..

● وأما الأحداث التى تنبأ بها وحدثت بعد وفاته، فمنها أحداث تتصل بالفتوحات، كما تتصل بالفتن والاضطرابات وما ينشأ عنها من صراعات، وأحداث تتصل بما يحدث فى الكون .. كما ذكر الرسول -ﷺ- فى أحاديثه أمورًا تتنبأ بالمستقبل، وتتصل ببعث المسيح عيسى بن مريم، وتتصل بالدجّال[1]...

أولا: الأحداث التى حدثت فى حياته - ﷺ -:

١ - مصرع كسرى:

* عن أبى بكرة - رضى الله عنه، قال: لما بعث رسول الله - ﷺ - بعث كسرى إلى عامله على أرض اليمن ومن يليه من العرب، وكان يقال له بادام، أنه بلغنى أنه خرج رجل قِبَلك يزعم أنه نبى، فقل له فليكف عن ذلك أو لأبعثن إليه من يقتله، أو يقتل قومه.

قال: فجاء رسول بادام إلى النبى -ﷺ- فقال له هذا، فقال رسول الله - ﷺ - لو كان شىء فعلته من قبلى كففت، ولكن الله عز وجل بعثنى، فأقام الرسول عنده. فقال له رسول الله -ﷺ- إن ربى قتل كسرى، ولاكسرى بعد اليوم، وقتل قيصر، ولاقيصر بعد اليوم.

(١) عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه، قال: قال رسول الله - ﷺ: «إن الله عز وجل قد رفع لى الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفى هذه جليان جلاه الله لنبيه (ﷺ) كما جلاه للنبيين من قبله» [رواه الطبرانى].

قال: فكتب قوله فى الساعة التى حدَّثه، واليوم الذى حدَّثه، والشهر الذى حدَّثه فيه ثم رجع إلى بادام، فإذا كِسْرى قد مات، وإذا قيصر قد قُتل(١).

* وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يهلك كِسْرى فلا يكون كسرى بعده فإنه يقول: أنا ملك الأملاك، ويهلك قيصر فلا يكون قيصر بعده، فإنه يقول: أنا ملك الأملاك(٢)».

٢ - أسر الشيماء الأزدية:

* عن خريم بن أوس، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «هذه الحيرة البيضاء قد رُفعت لى، وهذه الشَّيماء بنت بقيلة الأزدية، على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود، قلت يا رسول الله.. إن دخلنا الحيرة ووجدتها على هذه الصفة فهى لى؟ قال: هى لك. ثم ارتدت العرب فلم يرتد أحد من طيىء، فكنا نقاتل قيسا على الإسلام، ومنهم عتبة بن حصن، وكنا نقاتل طليحة بن خويلد الفقعسى، فامتدحنا خالد بن الوليد، وكان فيما قال فينا:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا طَيِّئًا فى دِيارها ... بمُعْتَرِكِ الأَبْطَالِ خيرَ جَزَاءِ
هُمْ أَهْلُ رَايَات السَّمَاحَةِ والندَى ... إذا ما الصَّبَا أَلْوَتْ بكلِّ خَبَاءِ
هُمْ ضَرَبُوا قَيْسًا عَلَى الدين بعدَمَا ... أَجَابُوا منادى ظُلْمَةٍ وعماءِ

ثم سار خالد بن الوليد إلى مسيلمة فسِرْنا معه، فلما فرغنا من مسيلمة وأصحابه، أقبلنا إلى ناحية البصرة، فلقينا هرمز بكاظمة فى جمع عظيم، ولم يكن أحد أعدى للعرب من هرمز، فبرز له ابن الوليد ودعا إلى البراز، فبرز له هرمز، فقتله خالد رضى الله عنه، فبلغه سلبه، فبلغت قلنسوته مائة ألف درهم.

ثم سرنا على طريق الطف، حتى دخلنا الحيرة، فكان أول منْ تلقانا فيها شيماء بنت بقيلة، على بغلة لها شهباء، بخمار أسود، فتعلقت بها وقلت: هذه وهبها لى رسول الله - ﷺ - فدعانى خالد عليها البيِّنة، فأتيته بها، فسلمها إلى، ونزل إلينا أخوها عبدالمسيح، فقال لى: بعينها، فقلت له: لا أنقصها والله من عشر مائة شيئا، فدفع لى ألف درهم، فقيل لى: لو قلت: مائة ألف دفعها إليك، فقلت: لا أحسب أن مالا أكثر من عشر مائة(٣).

٣ - إسلام عُمير بن وَهب الجمحى:

* عن محمد بن جعفر بن الزبير، قال: حُبس عُمير بن وهب الجمحى، وصفوان بن أمية، بعد مصاب أهل بدر من قريش فى الحجر بيسير، وكان عُمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش،

---

(١) رواه: الطبرانى فى الأوسط.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٢٩٨/٨.

(٣) رواه الطبرانى، والشاهدان كانا محمد بن سلمة وعبد الله بن عمر.

وكان ممن يؤذى رسول الله - ﷺ - وأصحابه، ويلقون منه عناء أذاهم بمكة.

وكان ابن وهب بن عمير فى أسارى أصحاب بدر، قال: فذكروا أصحاب القُلَيْب بمصابهم، فقال: والله إن فى العيش خير بعدهم، فقال عمير بن وهب: صدقت، والله لولا دَيْن عَلَيَّ ليس عندى قضاؤه، وعيالى أخشى عليهم الضيعة بعدى، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لى فيهم علّة، ابنى عندهم أسير فى أيديهم.

قال: فاغتنمها صفوان، فقال: علىّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالى أسويهم ما بقوا لا نسعهم بعجز عنهم، قال عمير: اكتم عنى شأنى وشأنك، قال: أفعل.

ثم أمر عمير بسيفه فشحذ وسُم، ثم انطلق إلى المدينة. فبينما عمر - رضى الله عنه - بالمدينة فى نفر من المسلمين يتذاكرون يوم بدر وما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوهم، إذ نظر إلى عمير بن وهب قد أناخ بباب المسجد متوشح السيف، فقال: هذا الكلب والله عمير بن وهب ما جاء إلّا لشرّ، هذا الذى حرش بيننا وحرزنا للقوم يوم بدر.

ثم دخل عُمر على رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله.. هذا عُمير بن وهب قد جاء متوشحا بالسيف، قال: فأدخله، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلبّبه بها، وقال عمر - لرجال من الأنصار من كان معه: ادخلوا على رسول الله -ﷺ- فاجلسوا عنده واحذروا هذا الكلب عليه، فإنه غير مأمون، ثم دخل على رسول الله -ﷺ- به، وعمر آخذ بحمالة سيفه.

فقال - ﷺ: أرسله يا عُمير.. أُدْنُ يا عُمير، فدنا، فقال: أنعموا صباحا - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله - ﷺ، قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير.. السلام تحية أهل الجنة، فقال: أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها، قال: فما جاء بك؟ قال: جئت لهذا الأسير، الذى فى أيديكم، فاحسبه قال: فما بال السيف فى عنقك؟ قال: قبحها الله من سيوف، فهل أغنت عنا شيئا.. قال: اصدقنى ما الذى جئت له؟ قال: ما جئت إلا لهذا.

قال ﷺ: بلى قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر، فتذاكرتما أصحاب القليب من قريش، فقلت لولا دَيْن عَلَيَّ وعيالى لخرجت حتى أقتل محمدًا، فتحمل صفوان لك بدَيْنِك وعيالك على أن تقتلنى، والله حائل بينك وبين ذلك.

قال عُمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحى، وهذا أمر لم يحضره إلّا أنا وصفوان، فوالله إنى لأعلم ما أنبأك به إلا الله، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام، وساقنى هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق. فقال رسول الله - ﷺ - فقهوا أخاكم فى دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره[1].

---

(١) رواه الطبرانى وإسناده جيد، مجمع الزوائد ٢٨٥/٨.

ثانيا: الأحداث التى تنبأ بها وحدثت بعد وفاته:

ومنها:

١ - أحداث تتصل بمصير الأمة الاسلامية.
٢ - أحداث الفتن.
٣ - أحداث تتصل بأفراد من الصحابة ومصائرهم.
٤ - أحداث تتصل بنهاية العوالم الأرضية.

- ١-

الأحداث التى تتصل بمصير الأمة الإسلامية

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه، قال: كنا عند رسول الله - ﷺ - مجتمعين، وأنا أعرف الحزن فى وجهه، فقال: ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ قلت: يا رسول الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا قال ربنا؟ قال: «أتانى جبريل آنفا فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قلت: أجل، إنا لله وإنا إليه راجعون، فمم ذلك يا جبريل؟ قال: **إن أمتك مفتتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير، فقلت: فتنة كفر أو فتنة ضلالة؟** قال: كل ذلك سيكون، قلت: **ومن أين يأتيهم ذلك وأنا تارك فيهم كتاب الله؟** قال: بكتاب الله يضلون، وأول ذلك من قبل قرائهم وأمرائهم، يمنع الأمراء الناس حقوقهم فلا يعطونها فيقتتلون، ويتبع القراء أهواء الأمراء، فيمدون فى الغى ثم لا يقصرون، قلت: **يا جبريل... فبِمَ سَلم من سلم منهم؟** قال: بالكفّ والصّبر إن أُعطوا الذى لهم أخذوه، وإن مَنَعُوه تركوه[1]».

اتساع الدولة:

* **عن شداد بن أوس، قال: قال رسول الله** - ﷺ: «إن الله عز وجل زوى لى الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وإن مُلك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها، وإنى أُعطيت الكنزين الأبيض والأحمر، وإنى سألت ربى - عز وجل - أن لا يهلك أمتى بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا فيهلكهم بعامة، وأن لا يلبسهم شيعا، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض.

فقال: يا محمد: «إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، **وإنى قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم**

---

(١) رواه الحكيم وابن أبى عاصم فى السنة، والعسكرى فى المواعظ، وكنز العمال للمتقى الهندى ٢٤٦/١١.

بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا ممن سواهم فيهلكهم بعامة، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، وبعضهم يقتل بعضا، وبعضهم يسبي بعضا.

قال: وقال النبى - ﷺ - «وإنى لا أخاف على أمتى إلا الأئمة المضلين، إذا وُضع السيف فى أمتى فلا يرفع عنهم إلى يوم القيامة(١)».

تتداعى عليكم الأمم:

* وعن ثوبان - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.. قيل: يا رسول الله فمن قِلّة بنا يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن فى قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهتكم الموت(٢)».

أمتى يسوقها الترك:

* روى أبو داود - بإسناده - عن بُرَيدة، قال: كنت جالسا عند النبى - ﷺ - فسمعت النبى - ﷺ - يقول: «إن أمتى يسوقها قوم عراض الوجوه، صغار الأعين، كأن وجوههم الحجف (أى الترس) ثلاث مرات. حتى يلحقوكم بجزيرة العرب، أما السائقة الأولى: فينجو من هرب منهم. وأما الثانية: فينجو بعض ويهلك بعض، وأما الثالثة: فيصطلعون من بقى منهم. قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: الترك، أما والذى نفسى بيده ليربطن خيولهم إلى سوارى مساجد المسلمين.

قال: وكان بُريدة لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسقية، بعد ذلك، للهرب مما سمع من النبى - ﷺ - من البلاء من الترك(٣).

* وروى الطبرانى -بإسناده- عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله - ﷺ - اتركوا الترك ما تركوكم، فإن أول من يسلب أمتى ملكهم، وما خولهم الله بنو قنطوراء(٤).

*** سيصيب أمتى داء الأمم:**

* روى الطبرانى - بإسناده - عن أبى هريرة، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «سيصيب أمتى داء الأمم، قالوا: يا رسول الله.. وما داء الأمم: قال: الأشر، والبطر، والتدابر،

(١) كنز العمال ٢١٧/١١، ومسند شداد بن أوس.
(٢) كنز العمال ١٢٢/١١.
(٣) ورواه أحمد والبزاز باختصار، ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ٣١١/٧.
(٤) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط.

والتنافس، والتباغض، والبخل حتى يكون البغى ثم الهَرْج - أى القتل»(١).

* وروى أحمد - بإسناده - عن النعمان بن بشير، قال: صحبنا رسول الله - ﷺ - وسمعناه يقول: «إن بين يدى الساعة فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا، ثم يصبح مؤمنا ويمسى كافرًا، يبيع أقوام أخلاقهم بعرض من الدنيا يسير.

قال الحسن: ولقد رأيناهم صورًا ولا عقول، أجسام ولا أحلام، فَرَاش نار وذئاب طمع، يغدو بدرهمين، ويروح بدرهمين، يبيع أحدهم دينه بثمن العنز»(٢)

* تنبؤ رسول الله بتفرق الأمة

* روى الطبرانى - بإسناده - عن أبى أمامة، قال:

«سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وأمتى تزيد عليهم فرقة، كلهم فى النار إلا السواد الأعظم(٣).

* وفى رواية: تفرقت أمة موسى على إحدى وسبعين ملة سبعون منها فى النار وواحدة فى الجنة، وتفرقت أمة عيسى على اثنتين وسبعين ملة، إحدى وسبعون منها فى النار، وواحدة فى الجنة، فقال رسول الله - ﷺ - وتعلو أمتى على الفرقتين جميعا بملة، اثنتان وسبعون فى النار، وواحدة فى الجنة، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الجماعة(٤).

* خير القتلى:

* روى نعيم بن حماد، فى الفتن، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله -ﷺ-:

«خير قتلى قُتلت تحت ظل السماء منذ خلق الله تعالى خلقه، أولهم هابيل الذى قتله قابيل اللعين ظلما، ثم قتلى الأنبياء، الذين قتلهم أممهم المبعوثة إليهم حين قالوا: «ربنا الله ودعوا إليه» ثم «مؤمن من آل فرعون» ثم «صاحب يس»، ثم «حمزة بن عبد المطلب» ثم «قتلى بدر»، ثم قتلى أُحُد، ثم قتلى الحديبية، ثم قتلى الأحزاب، ثم قتلى حنين، ثم قتلى تكون من بعدى تقتلهم الخوارج، مارقة فاجرة، ثم ارجع يدك إلى ما شاء الله من المجاهدين فى سبيله حتى تكون ملحمة الروم، قتلاهم كقتلى بدر.. ثم تكون ملحمة الترك، قتلاهم كقتلى يوم أحد، ثم ملحمة الدجال قتلاهم كقتلى يوم الحديبية، ثم ملحمة يأجوج ومأجوج، قتلاهم كقتلى يوم الأحزاب، ثم ملحمة الملاحم قتلاهم كقتلى يوم حنين، ثم لا تكون بعد ذلك ملحمة فى الإسلام لأهلها فيها إلى يوم ينفخ فى الصور»(٥).

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط، مجمع الزوائد ٣٠٨/٧.
(٢) رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط. وكنز العمال ١٠٦/١١.
(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ٢٥٨/٧.
(٤،٥) رواه نعيم فى الفتن، وكنز العمال ٢٢٣/١١.

* هلاك أمتي على يد أغيلمة سفهاء:

* روى البخارى - فى صحيحه بإسناده - عن عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد، قال:

أخبرنى جدّى قال: كنت جالسًا مع أبى هريرة فى مسجد النبي -ﷺ- بالمدينة، ومعنا مروان، قال أبوهريرة: سمعت الصادق المصدوق -ﷺ- يقول: «هَلَكَةُ أُمتى على يَدَىْ غِلْمةٍ من قُرَيْش، فقال مروان: لعنة الله عليهم غِلْمة.

فقال أبو هريرة: لو شِئْت أن أقولَ بنى فُلَان وبنى فُلَان لفعلْتُ، فكنتُ أخرجُ مع جدى إلى بنى مروان، حتى ملكوا بالشَّام فإذا رآهُم غِلْمَانًا أحداثًا، قال لنا: عَسَى هؤلاء أن يكونوا منهم؟ قلنا: أنت أعلم[١].

* سترون بعدى أمورًا تنكرونها:

* روى البخارى فى صحيحه - بإسناده - عن زيد بن وهب، قال:

سمعت عبد الله قال: قال لنا رسول الله - ﷺ - إنكم سترون بعدى أُثْرَةً وأمورًا تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم وسَلُوا الله حقكُم[٢].

* وعن أنس بن مالك، عن أُسَيد بن حُضَيْر، أن رجُلًا أَتَى النبى - ﷺ - فقال: يا رسول الله: استعملت فُلانًا ولم تستعملنى، قال: إنَّكم سَتَرون بَعْدِى أُثْرَةً فاصبروا حتى تلقونى[٣].

* لتركبن سُنن من كان قبلكم:

* روى الإمام أحمد - بإسناده - عن سهل بن سعد الأنصارى، عن النبى -ﷺ- قال: «والذى نَفْسِى بيده، لتركبن سنن من كان قبلكم مثلا بمثل»[٤]

زاد الطبرانى: «حتى لو دخلوا جحر ضَبٍّ لاتبعتموه، قلنا: يارسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن إلا اليهود والنصارى؟

* وعن شداد بن أوس، عن حديث رسول الله - ﷺ -. قال:

«ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من أهل الكتاب حذو القذة (ريش السهم) بالقذة[٥].

* وعن ابن عباس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) صحيح البخارى: كتاب الفتن.
(٢) رواه البخارى فى كتاب الفتن.
(٣) رواه البخارى فى كتاب الفتن.
(٤) رواه أحمد والطبرانى، مجمع الزوائد ٢٦١/٧.
(٥) رواه أحمد والطبرانى

لتركبن سَنن من كان قبلكم شِبْرًا بشبر، وذراعًا بذراع، وباعًا بباع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضَبٍّ لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم»[١].

* وعن المستورد بن شداد، أن رسول الله - ﷺ - قال: «لا تترك هذه الأمة شيئا من سنن الأولين حتى تأتيه»[٢].

- ٢ -

* التنبؤ بأحداث الفتن المستقبلية *

*** التعوذ من الفتن:**

* روى الطبرانى - بإسناده - عن عصمة بن قيس السلمى، صاحب رسول الله -ﷺ-، أنه كان يتعوذ من فتنة المشرق، قيل له: فكيف فتنة المغرب؟ قال: تلك أعظم وأعظم[٣].

* وروى الطبرانى - بإسناده - عن القاسم، قال: قال عبد الله: لا يقل أحدكم اللهم إنى أعوذ بك من الفتنة، فإنه ليس منكم أحد إلا يشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلاتها، فإن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُم وأَوْلَادُكم فِتْنَة﴾[٤].

*** ظهور الفتن:**

* روى البخارى - باسناده - عن أبى هريرة، عن النبى -ﷺ-، قال: «يتقارب الزمانُ، وينقصُ العمل، ويُلقى الشحّ، وتظهرُ الفتن، ويكثر الهرْجْ» قالوا: يا رسول الله.. أَيُّمَ هو؟ قال: القتل القَتْل[٥]

* وعن الأعمش، عن شقيق، قال: كنتُ مع عبد الله وأبى موسى، فقالا: قال النبى -ﷺ- «إن بَيْن يدى الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهلُ، ويرفعُ فيها العِلْم، ويكثُرُ فيها الهَرْجُ»[٦].

* وروى البخارى - فى صحيحه - بإسناده، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «ستكون فتنٌ القاعدُ فيها خَيْرٌ من القائم، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من

---

(١) رواه البزار ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ٧/٢٦١.
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات.
(٣) رواه الطبرانى ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ٧/٢٢٠.
(٤) رواه الطبرانى، ومجمع الزوائد ٧/٢٢٠.
(٥) رواه البخارى فى كتاب الفتن، والهرج بلغة الحبشة القتل.
(٦) صحيح البخارى: كتاب الفتن.

السّاعى، من تشرَّف لها تَسْتَشْرِفْهُ، فمن وجَدَ فيها ملجأ أو مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»(١).

* التحذير من الفتن السبع:

* عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله -ﷺ-:

«أحذركم سبع فتن تكون من بعدى: فتنة تُقبِل من المدينة، وفتنة بمكة، وفتنة تقبل من اليمن، وفتنة تقبل من الشام، وفتنة تقبل من المشرق، وفتنة تقبل من المغرب، وفتنة من بطن الشام وهى فتنة السُّفْيانى»(٤).

* الوصية عند الفتن:

* عن ابن عمر - رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله - ﷺ -:

«إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم، وخفّت أماناتهم، وكانوا هكذا - وشَبَّك بين أصابعه - فالزم بيتك، وأملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف، ودع عنك ما تنكر، وعليك بخاصة أمر نفسك، ودع عنك أمر العامة»(٣).

* وعن ابن عمرو - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله -ﷺ-:

«كيف بكم بزمان يوشك أن يأتى، يغربل الناس فيه غربلة، وتبقى فيه حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا وكانوا هكذا - وشبك بين إصبعيه - قالوا: كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك؟ قال: تأخذون ما تعرفون، وتدعون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم»(٤).

* عن أبى ذر - رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله -ﷺ-:

«يا أبا ذرّ، أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك، كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: تعفف.

«يا أبا ذر.. أرأيت إن أصاب الناس موت شديد، يكون البيت فيه بالعبد - يعنى القبر.

كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: اصْبِر.

«يا أبا ذر.. أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضا - يعنى تغرق حجارة الزيت من الدماء، كيف تصنع؟

قال: الله ورسوله أعلم، قال: اقعد فى بيتك، وأغلق عليك بابك، قال: فإن لم أُتْرَك؟ قال:

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الفتن.

(٢) كنز العمال ١١/١١٠.

(٣) كنز العمال ١١/١٠١.

(٤) كنز العمال ١١/١٠٧.

فأنت من أنت منهم، فكن فيهم، قال: فآخذ سلاحى؟

قال: إذا تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف، فألق من طرف ردائك على وجهك كى يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار»(١).

* وعن جندب بن سفيان، عن رجل من بجيلة، قال: قال رسول الله -ﷺ-:

«سيكون بعدى فتن كقطع الليل المظلم، تصدم الرجل كصدم جباه فحول الثيران، يصبح الرجل فيها مؤمنا، ويمسى كافرًا، ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله.. فكيف نصنع عند ذلك؟ قال: ادخلوا بيوتكم وأخملوا ذكركم.

قال رجل من المسلمين: يا رسول الله.. أفرأيت إن دخل على أحدنا بيته؟

قال رسول الله - ﷺ.. فليمسك بيديه، وليكن عبدالله المقتول، ولا يكن عبدالله القاتل، فإن الرجل يكون فى فتنة الإسلام، فيأكل مال أخيه، ويسفك دمه، ويعصى ربه، ويكفر خالقه، فتجب له جهنم»(٢).

- ٣ -

التنبؤ بمصائر أفراد

* الفتنة ضد عثمان بن عفان:

* روى البزار - بإسناده - عن جابر، أن رسول الله -ﷺ- ذكر فتنة، فقال أبو بكر: أنا أدركها؟ قال: لا ، قال عمر: أنا يارسول الله أدركها، قال: لا فقال عثمان: يا رسول الله أنا أدركها؟ قال: بك يُبْتلَون»(٣).

* وروى أبو يعلى - بإسناده - عن عثمان، قال:

«قال رسول الله - ﷺ - إنك سَتُبْتَلى بعدى فلا تقاتلن».

* وعن حذيفة - رضى الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-:

«أول الفتن قتل عثمان، وآخرها خروج الدجال»(٤).

وعن حذيفة- قال: قال رسول الله ﷺ:

«ليكونن بعد عثمان اثنا عشر ملكًا من بنى أمية، قيل له: خُلَفاء، قال: بل ملوك»(٥).

---

(١) كنز العمال ١١/١٨٤.

(٢) كنز العمال ١١/١٨٥.

(٣) ذكره أبوحاتم ورجاله ثقات، مجمع الزائد ٧/٢٢٥.

(٤) كنز العمال ١١/١٩٩.

(٥) كنز العمال ١١/١٩٣.

* التنبؤ بفتنة الخوارج:

* عن أبي سعيد الخدرى- رضى الله عنه، قال: قال رسول الله- ﷺ:

«إنه يخرج من ضئضئى هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد.[١]

* وعن أبي سعيد الخدرى- أيضًا - قال: قال رسول الله - ﷺ:

«إن من بعدى من أمتى قوما يقرؤون القرآن، لا يجاوز حلاقمهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلّنهم قتل عاد.[٢]

* وعن أبي سعيد الخدرى وأنس معًا، قالا: قال رسول الله - ﷺ:

«سيكون فى أمتى اختلاف وفُرقة، قوم يحسنون القول ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لايجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه فى شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم، سيماهم التحليق[٣].

* قول الرسول فى الحكمين:

* روى أبو يعلى – بإسناده – عن أبي مريم، قال: سمعت عمار بن ياسر، يقول: يا أبا موسى ! «ألم تسمع رسول الله – ﷺ – يقول: من كذب علىّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» فأنا سائلك عن حديث، فإن صدقت ولا يعتب عليك من أصحاب رسول الله – ﷺ– من يقررك، ثم أنشدك الله: أليس إنما عَنَاك رسول الله – ﷺ بنفسك فقال: «إنها ستكون فتنة فى أمتى أنت يا أبا موسى فيها نائم خير منك قاعد، وقاعد خير منك قائم» وقائم خير منك ماشى، فخصّك رسول الله – ﷺ – ولم يعم الناس؟ فخرج أبو موسى ولم يرد عليه شيئًا[٤].

* تنبؤ الرسول ﷺ بما كان فى وقعة الجمل ووقعة صفين:

* وروى الإمام أحمد - بإسناده – عن على بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه سيكون اختلاف وأمر، فإن استطعت أن تكون السلم فافعل»[٥].

---

(١) كنز العمال ١٢٧/١١.

(٢) كنز العمال ١٢٦/١١.

(٣) كنز العمال ١٢٨/١١.

(٤) رواه أبو يعلى واللفظ له، مجمع الزوائد ٢٤٦/٧.

(٥) رواه عبدالله ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ٢٣٤/٧.

* وروى الإمام أحمد - بإسناده - عن أبي رافع، أن رسول الله - ﷺ قال لعلى بن أبي طالب: إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر، قال: أنا يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: أنا أشقاهم يارسول الله؟ قال: لا ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها(١).

* وروى أبو يعلى - بإسناده - عن أبي سعيد الخدرى، قال:

«كنا عند بيت النبى -ﷺ- فى نفر من المهاجرين والأنصار، فقال: ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى، قال: الموفّون المطيبون، إن الله يحب الخفى النقى، قال: ومرّ على بن أبي طالب، فقال: الحقّ مع ذا، الحق مع ذا(٢).

* عن عبدالله بن عمرو قال: قال لى رسول الله - ﷺ: كيف بك إذا بقيت فى حثالة من الناس قد مرحت عهودهم ومواثيقهم وكانوا هكذا؟ فخالف بين أصابعه..

قال: فأْمُرْنِى بأمرٍ يارسول الله! قال: تأخذ ما تعرف وتدع ماتنكر، وتعمل بخاصة نفسك، وتدع الناس وعوام أمرهم.

فلما كان يوم صفين، قال له أبوه عمرو بن العاص: ياعبدالله، اخرج فقاتل، فقال: يا أبتاه..

* تأمرنى أن أخرج فأقاتل وقد سمعت ما سمعت يوم عهد إلىّ رسول الله- ﷺ - ما عهد؟

فقال: أنشدك بالله يا عبدالله، ألم يكن آخر ما عهد إليك رسول الله - ﷺ - أن أخذ بيدك فوضعها فى يدى، ثم قال: أطع أباك. قال: اللهم بلى(٣).

* تنبؤ رسول الله بمقتل عمار بن ياسر:

* روى الإمام أحمد- بإسناده - عن عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول يوم بناء المسجد، ونحن نحمل لبنة لبنة، وعمّار يحمل لبنتين لبنتين، أما إنه ستقتلك الفئة الباغية وأنت من أهل الجنة(٤).

* وعن عبدالله بن عمرو، قال: سمعت عَمْرًا، يقول لمعاوية: قتلنا هذا الرجل، وقد قال فيه رسول الله -ﷺ- ماقال، قال: أى رجل؟ قال: عمار بن ياسر، إن رسول الله - ﷺ، قال يوم بناء المسجد، ونحن ننقل لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين لبنتين، فمر على رسول الله- ﷺ، فقال: يا أبا اليقظان، أتحمل لبنتين وأنت ترحض، أما إنه ستقتلك الفئة الباغية وأنت من أهل الجنة.

فقال معاوية: اسكت، فوالله ما تزال تدحض فى بولك، أنحن قتلناه، إنما قتله من جاءوا فألقوه بين رماحنا، قال: فتنادوا فى عسكر معاوية، إنما قَتَل عَمّارًا من جاء به(٥).

---

(١) رواه أحمد الطبرانى ورجاله ثقات.
(٢) مجمع الزوائد ٢٣٥/٧.
(٣) كنز العمال ١٨٦/١١.
(٤) رواه أحمد والطبرانى، ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ٢٤١/٧.
(٥) مجمع الزوائد ٢٤١/٧.

تنبؤ الرسول بصنيع الحسن بن على:

* روى الطبرانى بإسناده - عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ:
«إن ابنى هذا سيد ، وليصلحن الله عز وجل به بين فئتين من المسلمين»(١).
* وفى رواية البخارى: «إن ابنى هذا لسيّد، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين»

* مُلْك بنى العباس:

* عن على رضى الله عنه، قال: إن رسول الله - ﷺ قال: «يكون مدينة بين الفرات ودجلة، يكون فيها مُلْك ابن عباس، وهى الزوراء، يكون فيها حرب مقطعة، يسبى فيها النساء، ويذبح فيها الرجال كما يذبح الغنم»(٢).

قلت: وقعت هذه الحروب والذبح بعد موت الخطيب بأكثر من مائتى سنة، وذلك مما يقوى ورود الحديث.

* وعن ابن عباس - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول للعباس: إن الله يستعمل من ولدك اثنى عشر رجلا، منهم السفاح والمنصور، والمهدى والأمين، والمؤتمن وأمير العُصُب(٣).

- ٤ -

التنبؤ بأحداث قيام الساعة

علامات الساعة:

* روى البخارى - بإسناده - عن أبى هريرة، أن رسول الله - ﷺ - قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة».
«وحتى يُبعث دجّالون كذّابون قريب من ثلاثين كُلّهم يزعم أنه رسول الله».
«وحتى يُقبض العلم وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثُر الهَرْج، وهو القتل».
«وحتى يكثر فيكم المال فيفيضَ حتى يَهُمَّ ربَّ المال من يَقْبَلُ صدقته، وحتى يعرضَه فيقول الذى يعرضُهُ عليه لا أَرَبَ لى به».
«وحتى يتطاول الناس فى البنيان، وحتى يمرُّ الرجُلُ بقبر الرجل فيقول: ياليتنى مكانه».
«وحتى تطلع الشَّمسُ من مَغْرِبها فإذا طلعَتْ ورآها الناسُ يَعْنِي آمنوا أجمعون، فذلك حين

(١) رواه الطبرانى ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ٢٤٧/٧. (٣) كنز العمال ٣٣٤/١١.
(٢) كنز العمال ٢٤٠/١١.

لا ينفع نفسًا إيمانُها، لم تكنْ آمنت من قبل، أو كسبت فى إيمانها خيرًا، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجُلُ بلَبَنِ لِقْحَتِهِ فلا يُطْعَمُهُ، ولتقومن السَّاعَةُ وهو يُلِيطُ حوضَه فلا يسْقى فيه، ولتقومنّ الساعة وقد رَفَعَ أُكْلَتَهُ إلى فيه فلا يَطْعَمُها(١)».

نزول يأجوج ومأجوج:

* روى أحمد والطبرانى - بإسنادهما - عن خالد بن عبد الله بن حرملة، عن خالته قال: «خطب رسول الله -ﷺ- وهو عاصب رأسه من لدغة عقرب، فقال: إنكم تقولون لا عدو، وإنكم لن تزالوا تقاتلون حتى يأتى يأجوج ومأجوج، عراض الوجوه، صغار العيون، صُهب الشعاف، ومن كل حدب ينسلون، كأن وجوههم المجان المطرقة(٢)».

* وعن حذيفة بن اليمان، قال: سألت رسول الله - ﷺ - عن يأجوج ومأجوج، فقال: يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت الرجل حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه، كل قد حمل السلاح.

قلت: يا رسول الله! صِفْهم لنا؟ قال: هى ثلاثة أصناف، فصنف منهم أمثال الأرْز، قلت: وما الأرز؟ قال: شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع فى السماء، فقال رسول الله -ﷺ- هؤلاء الذين لا يقوم لهم حيل ولا حديد، وصنف منهم يفترش بأذنه ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام، وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية(٣)».

* وعن عبدالله بن عمرو - رضى الله عنهما - عن النبى - ﷺ - قال: «إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معايشهم، ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدًا، وإن من ورائهم ثلاث أمم: تاول، وتاريس، ومنسك(٤).

ظهور الدجال:

* روى البخارى - بإسناده - عن أنس بن مالك، قال: قال النبى - ﷺ: «يجىء الدَّجَّال حتى ينزل فى ناحية المدينة، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق».

* وعن سالم بن عبد الله، أن عبد الله بن عمر، رضى الله عنهما - قال: «قام رسول الله

---

(١) البخارى: كتاب الفتن ٧٥/٩.

(٢) رواه أحمد والطبرانى ورجالها رجال الصحيح .

(٣) مجمع الزوائد ٦/٨.

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجاله ثقات.

-ﷺ- فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدَّجَّال. فقال: إنى لأُنْذِرُ كُمُوه، وما من نبى إلاَّ وقد أنذرَهُ قَوْمه، ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يَقُلْه نبىّ لقومه، إنه أعْور وإن الله ليس بأعور[١]».

خروج الدَّابة:

* روى الإمام أحمد - بإسناده - عن أبى أمامة، يرفعه إلى النبى - ﷺ - قال: «تخرج الدابة تسم الناس على خراطيمهم، ثم يعمرون فيكم حتى يشترى الرجل البعير، فيقول ممن اشتريته، فيقول: اشتريته من أحد المخطمين[٢]».

* وعن حذيفة بن أسيد - رضى الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «الدابة لها ثلاث خرجات من الدهر: خرجة فى أقصى اليمن. حتى يفشو ذكرها فى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية، ثم تكمن دخانا طويلا بعد ذلك، ثم تخرج خرجة قريبا من مكة، فيفشو ذكرها فى أهل البادية، ويفشو ذكرها فى مكة، ثم تمكث زمانا طويلا، ثم تفجأ الناس فى أعظم المساجد على الله حرمة، وخيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام، لم يرعهم إلا ناحية المسجد ترنو ما بين الركن والمقام إلى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج، فانفض الناس عنها ستا ومعا وثبت لها عصابة من المسلمين، وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض عن رأسها التراب، تبدت فجلّت وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية، ثم ولت فى الأرض لا يدركها طالب، ولا يعجزها هارب، حتى إن الرجل ليقوم يتعوذ منها بالصلاة فتأتيه. فتقول: أى فلان، الآن تصلى؟ فيقبل عليها بوجهه فتسمه فى وجهه، ويذهب ويتجاوز الناس فى دورهم، وفى أسفارهم، ويشتركون فى الأموال، ويعرف الكافر من المؤمن، حتى أن المؤمن ليقول للكافر: يا كافر، اقضنى حقى، وحتى أن الكافر ليقولن للمؤمن يا مؤمن اقضنى حقى[٢]».

طلوع الشمس من مغربها:

* روى أحمد - بإسناده - عن عبدالله بن عمرو، قال: «حفظت من رسول الله - ﷺ - أن أول الآيات خروجا: طلوع الشمس من مغربها، والدابة ضحى، فأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها..

ثم قال عبد الله: وكان يقرأ الكتب - وأظن أولها خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فى الرجوع، فأذن لها فى الرجوع حتى إذا بدا لله أن تطلع من مغربها فعلت، كما كانت تفعل، أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فى الرجوع

---

(١) صحيح البخارى: كتاب الفتن ٧٥/٩.
(٢) رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ٦/٨.
(٣) رواه الطبرانى، مجمع الزوائد ٧/٨.

فلم يرد عليها شيء، ثم تستأذن فى الرجوع فلا يرد عليها شيء حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب، وعرفت أنه إن أذن لها فى الرجوع لم تدرك المشرق، قالت: رب ما أبعد المشرق، من لى بالناس حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت فى الرجوع فيقال لها من مكانك فاطلعى، فطلعت على الناس من مغربها.

ثم تلا عبدالله هذه الآية: ﴿يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت فى إيمانها خيرا[١]﴾.

المهدى المنتظر:

* **روى الترمذى - بإسناده - عن أبى سعيد الخدرى، قال قال: رسول الله - ﷺ:** «أبشركم بالمهدى يبعث على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جورًا وظلما، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحا. قال له رجل: ما صحاحا؟ قال: بالسوية بين الناس، ويملأ الله قلوب أمة محمد -ﷺ- غناءً. ويسعهم عدله حتى يأمر مناديا، فينادى فيقول: من له فى مال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل واحد، فيقول: أنا. فيقول ائت السدّان - يعنى الخازن، فقل له إن المهدى يأمرك أن تعطينى مالا فيقول له: احث حتى إذا جعله فى حجره وائتزره ندم. فيقول: كنت أجشع أمة محمد - ﷺ - أو عجز عنى ما وسعهم. قال: فيردّه فلا يقبل منه، فيقال له: إنا لا نأخذ شيئا أعطيناه، فيكون كذلك سبع سنين، أو ثمانى سنين، أو تسع سنين، ثم لا خير فى العيش بعده، أو قال: ثم لا خير فى الحياة بعده[٢]».

نزول عيسى بن مريم:

* **روى الإمام أحمد - بإسناده - عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله - ﷺ:** «يوشك المسيح عيسى بن مريم أن ينزل حكما مقسطا، وإماما عادلا، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، وتكون الدعوة واحدة، فأقرئوه -أو- اقرأوه السلام من رسول الله -ﷺ- وأحدثه فيصدقنى فلما حضرته الوفاة، قال: أقرئوه منه السلام[٣]».

* وعن أبى هريرة، عن النبى - ﷺ - قال: «إنى لأرجو إن طال بى عمّر أن ألقى عيسى بن مريم -ﷺ- فإن عجّل بى موت فمن لقيه منكم، فليقرئه منى السلام[٤]».

---

(١) رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير، ورجاله رجال الصحيح، ومجمع الزوائد ٨/٨.
(٢) ورواه أحمد، مجمع الزوائد ٣١٤/٧.
(٣) مجمع الزوائد ٥/٨.
(٤) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

بدأ الإسـلام غريبا:

* عن سهل بن سعد الساعدى، قال: قال رسول الله - ﷺ: «بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطُوبَى للغرباء. قالوا: يا رسول الله.. ومن الغرباء؟ قال: الذين يصلحون عند فساد الناس[1].

---

(١) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

الباب الرابع

عالم الغيب وارتباطه بعالم الشهادة

وهذا هو العنصر الرابع من عناصر التاريخ.. وقد احتفل الحديث النبوى الشريف بذكر هذا العالم الغيبى، وتناول كل عناصره وجزئياته تناولا دقيقا، ينم عن سعة علم، واتساع أفق، ومعرفة إلهامية، ألهم بها الحق سبحانه نبيّه -ﷺ- لكى يذكرها ويوضحها، ويتحدث من خلالها عن خصائص هذا العالم اللاّ محسوس ومضامينه.

وهذا الباب يتضمن عدة فصول كما يلى:

الفصل الأول : الإله (الله)

الفصل الثانى : ملائكة الله.

الفصل الثالث : الجن والشياطين.

الفصل الرابع : كتب الله.

الفصل الخامس : أنبياء الله ورسله.

عالم الغيب

مقـدمة:

فى فطرة الإنسان، التى فطره الله عليها، طاقتان متقابلتان: طاقة الحقيقة وطاقة ما وراء الحقيقة، أو طاقة ما تدركه الحواس، وطاقة ما لا تدركه الحواس، وهو ما يعرف بالمغيبات أو «عالم الغيب».

ولقد شاء الحق - تبارك وتعالى، أن يجعل من «الإيمان بالغيب» أرسخ قواعد الإيمان، التى تقوم عليها حياة البشرية كلها، بحيث لا يستقيم وجود للإنسان بغير هذا الإيمان بالأمور الغيبية. لذلك جعل الله عز شأنه - أول صفة للمؤمنين المتقين هى «أنهم يؤمنون بالغيب»، الذى لا تدركه حواسهم البشرية، المخلوقة، المحدودة، فقال عز شأنه:

﴿الٓم، ذَٰلِكَ الكتابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِين، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بالغَيْبِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ومِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنفِقُون﴾ [البقرة ١ - ٣]

والإيمان بالغيب يندرج تحته: الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالرسل، والإيمان بالكتب، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بوجود الجن والشياطين.

فالله - سبحانه وتعالى - بالنسبة للبشر وللحواس البشرية (غَيْب)، والمؤمنون الصادقون يؤمنون بالله ، وإن لم تقع عليه حواسهم، يؤمنون به، وبالمغيبات جميعا، عن إدراك قلبى، واتصال روحى، يؤمنون بألوهيته وربوبيته وصفاته وأسمائه، وكل ما ذكره ووضحه القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف.

ويؤمنون كذلك بالملائكة، والرسل، والكتب، واليوم الآخر، والجن والشياطين، وكل هذه أمور غيبية ما كان ليعلمها الرسول - ﷺ..

* فالحق- تبارك وتعالى - شاء لنبيِّه - ﷺ - أن يتناول بحديثه بعض هذه الأمور الغيبية، إثباتا لصدق رسالته، وتأكيدًا أن خبره من السماء، إذ كان الرسول - ﷺ - يخبر بأخبار، ويتحدث عن أمور ما كان يعلمها هو، ولا أحد من قومه، ولا يكون هذا الإخبار والتحديث إلّا بوحيٍ من السماء، وفى ذلك يقول عز وجل:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَاقَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود ٤٩]

* فقد كان النبى - ﷺ - كما نعلم أُمِّيًّا، وقد سجّل التاريخ، وتأكد المؤرخون، القدماء

والمحدثون، أن النبى -ﷺ- لم يقصد إلى أحد من علماء اليهود أوالنصارى، ليسمع منهم أخبار الأنبياء السابقين والأمم البائدة، فلما نزل القرآن بقصص الأنبياء والأمم الغابرة، على نحو يتفق جملة وتفصيلا مع ما أثبتته التوراة والإنجيل من عرض تلك الأخبار والقصص، كان ذلك دليلا لا يقبل الشك على صدق النبى -ﷺ- بأن كل ما يذكره بوحى من الله.

* ولتنبيه الناس إلى هذه الحقيقة، يعقب القرآن الكريم بعد كل حدث أو قصة، ينتهى من عرضها بما يثير الانتباه إلى أن هذه المعلومات الغيبية لا يمكن أن تكون قد أتت إلى محمد -ﷺ- إلاّ عن طريق الوحى المجرّد.

- فهو يقول بعد الحديث عن مريم، صة ولادتها وكفالة زكريا لها:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُم أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران ٤٤]

- ويذكر القرآن بعد عرضه قصة يوسف - عليه السلام - بدقائقها وتفاصيلها:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وما كُنْتَ لَدَيْهِم إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف ١٠٢]

- وبعد ذكر أخبار موسى وفرعون، وما جرى من أحداث، يذكر القرآن ما يؤكد أمية الرسول - ﷺ - وعدم علمه لهذه الأخبار إلاّ عن طريق الوحى الإلهى، فيقول:

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه ٩٩]

هذه مقدمة أردنا من خلالها أن نلقى الضوء على بعض المعارف الغيبية التى منحها الحق سبحانه لرسوله - ﷺ - لكى يسجلها ويذكرها للناس تعليما وتعريفا وإخبارًا.

الفصل الأول

الله جل جلاله

(الله) تبارك وتعالى – هو الإله، أى المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة لما اتصف به من صفات الألوهية، وهى صفات الكمال والجلال، ولفظ الجلالة الذى هو (الله) علم على ذاته سبحانه، وهو أعرف المعارف على الإطلاق، وكونه –عز شأنه– مستحقا للألوهية، مستلزما لصفات الكمال، فلا يستحق أن يكون معبودًا لذاته إلّا (هو). وكل عمل لا يراد به وجهه –سبحانه– فهو باطل، وعبادة غيره، وحبّ غيره، يوجب الفساد، كما قال تعالى:

﴿لَوْ كان فِيهما آلِهَةٌ إلّا الله لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء ٢٢]

روى عن النبى – ﷺ – أنه قال: «كل أمر ذى بالٍ لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع» وفى رواية: «فهو أجذم».

* وقد تولى النبى –ﷺ– التعريف بالله عز وجل، فى أحاديث كثيرة، لغرس الإيمان فى قلوب المؤمنين، وتعريفهم بكنه ذاته – سبحانه وتعالى.

● فالله واحد أحد لا شريك له ولا نظير..

* عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ:

«قال الله تعالى: أنا أغْنَى الشُّرَكَاءِ عن الشرك، مَنْ عَمِل عملًا أشرك فيه معى غيرى، تركته وشِرْكه»(١)

● والله سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم..

* وعن أبى موسى – رضى الله عنه، قال: قام فينا رسول الله –ﷺ– بخمس كلمات، فقال: «إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القِسْطَ ويرفعه، يُرفع إليه عملُ الليل قبل عمل النهار، وعملُ النهار قبلَ عمل الليل، حجابُهُ النور، لو كَشَفَهُ لأحرقت سُبُحَات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلْقه»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

● والله - عز شأنه - كريم على عباده

* عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعا «يمينُ الله مَلأى لا تغيضها نفقةٌ، سَحَّاءُ الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خَلَق السمواتِ والأرض؟ فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه، والقسط بيده الأخرى يرفع ويخفض»(١).

● والله - جل جلاله - عليم بكل شيء، مطّلع على كل شيء..

* عن أبي ذَرّ - رضي الله عنه، قال: رأى رسولُ الله - ﷺ - شاتَيْن يَنْتَطِحَان، فقال: «أتَدْرِي فيم ينتطحان يا أبا ذَرّ؟ قلت: لا، قال: لكن الله يدري وسيحكم بينهما»(٢).

● والله - جلّت قدرته - يعلم كل شيء وما تخفي الصدور..

* عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال:

«مفاتيح الغيب خَمْسٌ لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما في غدٍ إلّا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلّا الله، ولا يعلم متى يأتي المطرُ إلّا الله، ولا تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموتُ إلّا الله، ولا يعلمُ متى تقوم الساعة إلّا اللهُ تبارك وتعالى»(٣).

● والله - عز شأنه - تواب رحيم..

* عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ:

«للَّهُ أشد فَرَحًا بتَوْبَةِ عبدِه حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ فانفلَتَتْ منه وعليها طعامه وشرابه فأيِسَ مِنْها فأتى شجرةً فاضطجع في ظِلّها وقد أيس من راحلتِه، فبينما هو كذلك إذ هُوَ بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك» أخطأ من شدة الفرح(٤)

* وعن أبي موسى - رضى الله عنه، أن رسول الله - ﷺ - قال:

«إنّ الله يبسطُ يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمسُ من مغربها»(٥).

● والله - تعالى - رحمن رحيم وسعت رحمته كل شيء..

* عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ:

---

(١) أخرجاه.

(٢) رواه أحمد، وقد أورده ابن كثير عند تفسير الآية الكريمة ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾.

(٣) رواه البخارى ومسلم.

(٤) أخرجاه.

(٥) رواه مسلم.

«لـمَّا خلق الله الخَلْق كتبَ فى كتاب فهُو عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْش إن رحمتى غلبت غَضَبِى»(١).

* وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال:
«جعل الله الرحمة مائة جُزْءٍ فأمْسَك عندَهُ تسعةً وتِسْعِين جُزْءًا، وأنزلَ فى الأرض جزءًا واحدًا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابَّةُ حافِرَها عَنْ ولدها خَشْيَةَ أن تُصِيبَهُ».

* ولمسلم معناه: من حديث سلمان وفيه: «كلُّ رحمةٍ طباقُ ما بين السماء والأرض».

* وفيه: «فإذا كان يومَ القيامة كَـمَّلها بهذه الرحمة»(٢).

● والله - تبارك وتعالى - يدخر للعبد حسناته..

*** عن أنس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله -ﷺ-:**
«إنّ الكافِرَ إذَا عَمِلَ حسنةً أُطْعِمَ بها طُعْمَةً فى الدُّنْيَا، وأمَّا المؤْمنُ فإنَّ الله يدَّخِرُ له حَسَناتِهِ فى الآخرة، ويُعْقِبُهُ رزقًا فى الدنيا على طاعته»(٥).

* وله عنه مرفوعا: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمدهُ عليها، ويشربُ الشَّرْبَةَ فيحمدُهُ عليها».

● وتسجد الملائكة لعزته وجلاله..

*** عن أبى ذر - رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:**
«أطَّتِ السماءُ وحُقّ لها أن تئِطَّ، ما فيها موضعُ أربع أصابع إلاّ وفيه مَلَكٌ ساجدٌ لله تعالى، والله لو تعْلَمُون ما أَعْلَمُ لضَحِكْتُم قليلاً ولبكَيْتُم كثيرًا، وما تَلَذَّذْتُم بالنساءِ على الفُرُش، ولخرجْتُم إلى الصُّعُداتِ تجأرُون إلى الله تعالى»(٤).

● والله - سبحانه - غفّار لمن تاب.

*** عن جُنْدب - رضى الله عنه - مرفوعا، قال رجلٌ والله لا يَغْفِرُ الله لفلان» فقال الله عز وجل: مَنْ ذا الذى يتألَّى عَلَيَّ أن لا أغفر لفلان؟ - إنى قد غفرت له وأحبطت عملك»(٥).**

* وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - مرفوعا «لَوْ يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحدٌ ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قَنِط من جَنَّتِه أحد»(٦).

* وللبخارى - عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - «الجنَّةُ

---

(١) رواه البخارى.
(٢) رواه البخارى ومسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه الترمذى وقال حديث حسن.
(٦) رواه مسلم.

أقربُ إلى أحدكم من شِرَاكِ نَعْله، والنارُ مثلُ ذلك».

● والله تعالى صبور على أذى عباده

* عن أبي موسى الأشعرى، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «وما أحدٌ أصبر على أذى يسمعُهُ من الله، يَدْعُونَ له الوَلَدَ ثم يعافيهم ويرزُقُهُم»(١).

● والله عز شأنه إذا أحب عبدًا أحبته الملائكة

عن أبي هريرة رضى الله عنه. قال: قال رسول الله -ﷺ-:
«إن الله تبارك وتعالى إذَا أحَبَّ عبدًا نادى يا جبريلُ إنّ الله يُحبُّ فُلانًا فأحبَّهُ، فيحبُّهُ جبريلُ، ثم ينادى جبريل فى السماء إن الله يحبُّ فلانا فأحِبُّوه، فَحَبُّهُ أهل السماء، ويوضع له القبولُ فى الأرض»(٢).

● والله -سبحانه - سيتجلى لعباده يوم القيامة.

* عن جرير بن عبد الله البجلىّ - رضى الله عنه - قال: «كنا جُلُوسًا عند النبى -ﷺ- إذْ نظر إلى القمر ليلة البدر، قال: «إنكم سترون ربّكم كما ترون هذا القمر، لا تضامُون فى رؤيته، فإن استطعتم أن لاتُغْلَبُوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحمدِ رَبِّك قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْس وقَبْل غروبها﴾.(٣)

● والله سبحانه - يعادى مَنْ عادَى أولياءه

* عن أبي هريرة - رضى الله عنه، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:
«إنَّ الله تبارك وتعالى قال: مَنْ عادَى لى وليًا فقد آذنتهُ بالحرب، وما تَقَرَّبَ إلىّ عبدى بشىء أحبَّ إلىّ من أداء ما افترضتهُ عليه، وما يزال عبدِى يتقرّب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتهُ كنت سمعه الذى يسمع به، وبصرَه الذى يُبْصِرُ به، ويدَهُ التى يبطشُ بها، ورِجْلَهُ التى يَمْشى بها، ولئِنْ سألَنِى لأعْطِينَّهُ، ولئن استعاذَنى لأعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شىءٍ أنَا فاعِلهُ تَرَدُّدِى عَنْ قبضِ نفس عبدى المؤمن يكرهُ الموتَ وأكرَه مَسَاءتَه ولابُدَّ له منه»(٤).

● والله - سبحانه - يقبل دعاء الداعين ويستجيب لسؤلتهم

* عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله -ﷺ- قال:
«ينزلَ ربُّنَا تبارك وتعالى كُلّ ليلةٍ إلى سَمَاء الدُّنْيَا حينَ يبقى ثُلُثُ الليل الآخر، يقول: مَنْ

---

(١) رواه البخارى.
(٢) رواه البخارى.
(٣) رواه الجماعة.
(٤) رواه البخارى.

يدعونى فأستَجِيب له، مَنْ يسألنى فأعْطيه، مَنْ يستغفرنى فأغفر له»(١).

* وعن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله -ﷺ-:
«جنتان من ذهب، آنيتها وما فيها، وجنتان من فضة آنِيتُهُا وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى رِّبهم إلاّ ردَاءُ الكبرياء على وجهه فى جنة عَدْن»(٢)

* وروى الإمام مسلم - تحت باب قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ماذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾ [سبأ ٢٣].

* عن ابن عباس - رضى الله عنها - قال: حدثنى رجلٌ من أصحاب النبى - ﷺ - من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله - ﷺ - إذ رُمِىَ بنَجْمٍ فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون إذَا رمِىَ بِمِثْل هذا؟».

قالوا: كُنّا نقول وُلدَ الليلة عظيم، أو مات عظيم، فقال: «إنها لم تُرْمَ لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربُّنا - عز وجل - إذَا قَضَى أمرًا سبَّحت حملة العرش حتى يُسَبِّح أهلُ السماء الذين يلونَهُم حتى يَبْلُغَ التَّسْبيحُ أهْلَ السماءِ الدنيا، فيقولُ الذينَ يَلُونَ حملة العرش: ماذا قالَ ربُّكُم؟ فيخبرونهم ماذا قال، فيستخبر أهلُ السمواتِ بعضهُم بعضا حتى يبلُغَ الخبرُ أهلَ السماءِ الدنيا فتخْطفُ الجن السمعَ فيُلْقُونَهُ إلى أوليائهم فما جاءوا به على وجهه فهو الحق ولكنَّهم يَقْذِفُون وَيزِيدُون»(٣)

* وعن النواس بن سمعان - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله -ﷺ-:
«إذا أراد الله أن يُوحى بالأمر تكلّم بالوحى أخذت السموات منهُ رَجْفَةٌ، أو قال: رَعْدَةٌ شديدة. خوفا من الله عز وجل، فإذا سَمِع ذلك أهْلُ السموات صَعقُوا.

أو قال: خَرُّوا لله سُجّدًا فيكون أوَّل مَنْ يَرْفَعُ رأسه جبرائيل - عليه السلام - فيكَلّمُهُ الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبرائيل على الملائكة كُلّما مرّ بسماء سأله ملائكتُه ماذا قال ربنا يا جبرائيل؟ فيقول: (قَالَ الحَقّ وَهُو العليُّ الكبيرُ). فيقولون كلهم مثلَ ما قال جبرائيل، فينتهى جبريل بالوحى إلى حيث أمره الله عَزّ وجل»(٤).

* وروى البخارى تحت باب قوله تعالى: ﴿وما قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ والأرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يوم القِيَامَة، والسَّمَـٰوَاتُ مَطْويّاتٌ بيمينه، سُبْحانهُ وتعالى عما يُشْرِكُون﴾ [الزمر ٦٧]

* عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله - ﷺ- يقول:

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه البخارى.
(٣) رواه مسلم والترمذى والنسائى.
(٤) رواه ابن جرير وابن خُزيمة والطبرانى وابن أبى حاتم واللفظ له.

«يقْبضُ الله الأرضَ ويطوى السماء بيمينِهِ، ثم يقولُ أنَا المَلِك أينَ مُلُوك الأرض؟»(١).

* وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - عن رسول الله - ﷺ - قال:
«إنّ الله يقبضُ يومَ القيامة الأرضين، وتكونُ السمواتُ بيمينه، ثم يقول: أنا الملك».

* وفى رواية عنه - أن رسول الله - ﷺ - قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر:
﴿ومَا قدرُوا الله حَقّ قَدْرِه والأرضُ جميعًا قبضَتُهُ يوم القيامة... الآية﴾

ورسول الله -ﷺ- يقول هكذا بيده يُحَرِّكُها ويُقْبِلُ بها ويُدْبر، يُمَجّدُ الربُّ نفسه أنَا الجبّار، أنا المتكبّر، أنا العزيزُ، أنا الكريمُ، فرجَفَ برسُول الله - ﷺ - المنبر حتى قلنا لَيَخِرَّنَّ به»(٢).

* وروى مسلم عن عُبيد الله بن مقسم، أنه نظر إلى عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - كَيْفَ يحكى عن رسول الله - ﷺ - قال: يأخذُ الله سمواته وأرضيه بيديه فيقبضهما فيقول: أنا الملك ويقبض أصابِعَهُ ويَبْسُطَها فيقول: أنا الملك حتى نظرتُ إلى المنبر يتحرك من أَسْفَل شىءٍ منه حتى إنِّى لأقولُ أَسَاقِطٌ هو برسول الله -ﷺ-.

* ومن مظاهر عظمة الله - سبحانه وتعالى - ما جاء فى الحديث النبوى من ذكر لأسمائه الحسنى، التى تثبت تفرّده - عزّت قدرته- بجمال جبروته، وجلال ملكوته، وأن له الآلاء والنعم، وله الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين، الموجود المعبود، لا إله غيره، تنزه عن مشابهة الحوادث، إنه خالق واحد، وإله واحد، لا أول له ولا آخر، قدير على كل شىء، عليم بكل شىء، محيط بكل شىء، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير، لا آلاء إلا آلاؤه. ولا نعماء إلا نعماؤه. له الأسماء الحسنى، والنور الأبهى، والصفات العليّة. قال الله سبحانه:

﴿وَلله الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَائه﴾ [الأعراف ١٨٠].

* روى الشيخان من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - ﷺ - قال:
«إنّ لله تِسْعَةً وتِسْعِين اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجنة».

وفى رواية: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا. مائة إلا واحدًا، مَنْ أحصاها دخل الجنة، وهُوَ وَتْرٌ يُحبّ الوتر، وهى:

«هو الله الذى لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهّاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعزّ، المذلّ، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلىُّ، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوى، المتين، الولى، الحميد،

---

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه أحمد.

المحصى، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحى، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوال، المتعال، البرّ، التواب، المنتقم، العفُوّ، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغنى، المغنى المانع، الضار، النافع النور، الهادى، البديع، الباقى، الوارث، الرشيد، الصبور.»[١]

* وهذه هى الأسماء الحسنى.

● والأسماء، مفردها اسم. قيل: هو من السُّمُو والرفعة، وقيل: هو من الوَسْم والسمة، أى العلامة.

والحسنى، مؤنث الأحسن، الذى هو أفعل التفضيل كالكُبْرى والصُّغْرى، وهى ضد السُّوأى أى لله تعالى أحسن الأسماء وأجلها، وأعظمها وأشرفها، لاشتمالها على معانى التقديس والتعظيم والتمجيد، وهى أحسن المعانى وأشرفها، وعلى صفات الجلال والكمال لله رب العالمين.

قال الإمام النسفى – فى تفسيره – «من أسمائه تعالى ما يستحقه بحقائقه: «كالحىّ» قبل كل شىء، «والباقى» بعد كل شىء، و«القادر» على كل شىء، و«العليم» بكل شىء، و«الواحد» الذى ليس كمثله شىء.

ومنها: ما تستحسنه الأنفس لآثارها، كالغفور، والرحيم، والشكور، والحكيم.
ومنها: ما يوجب التخلّق به، «كالعفوّ».
ومنها: ما يوجب مراقبة الأحوال، كالسميع والبصير.
ومنها: ما يوجب الإجلال، كالعظيم، والجبار، والمتكبر.

وقول النبى – ﷺ: «من أحصاها دخل الجنة» أى من حفظها – كما فى رواية البخارى – وهو قول أكثر المحققين. وقيل: «عدّها»، وقيل: «أحسن المراعاة لها» والمحافظة على ما تقتضيه، وصدّق بمعانيها، وعمل بمقتضاها.

وقيل: «أخطر بباله – عند ذكرها بلسانه – معانيها، وتفكر فى مدلولاتها معتبرا متدبرًا ذاكرًا. راغبا راهبًا، معظما لها ولمسمّاها، مقدسا للذات العلية، مستحضرا بباله عند ذكر كل اسم المعنى الدال عليه.

* ولقد ذكر النبى – ﷺ – فى حديثه العدد «تسعة وتسعين» أكثر من مرة، كما جاء فى حديثه السابق عن أسماء الله الحسنى، وكما جاء فى قوله – ﷺ: «إن الله – عز وجل – خلق مائة رحمة، فمنها رحمة يتراحم بها الخلق، وأخّر تسعةً وتسعين إلى يوم القيامة».

---

(١) أخرجه الترمذى فى جامعة –بإسناده– عن الوليد بن مسلم، عن شعيب.

فما الحكمة فى اختيار هذا العدد بالذات، مع اجماع العلماء أن الأسماء الحسنى أكثر من هذا العدد؟ بل إن بعض الأسماء الحسنى قد استأثر بها الله سبحانه فى علم الغيب عنده، بدليل قول النبى - ﷺ - فيما رواه عنه ابن مسعود: «قال: «ما أصاب أحدًا قط همٌّ ولا حزنٌ فقال: اللهم إنى عبدك، وابن عبدك، وابن أمَتك، ناصيتى بيدك، ماض فى حكمك، عدل فى قضائك، أسألك بكل اسم هو لك سمّيت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى، إلّا أذهب الله حزنه وهمّه، وأبدل مكانه فرحًا، فقيل: يا رسول الله: أفلا نتعلمها؟ قال: «بلى ينبغى لكل من سمعها أن يتعلمها[1]».

قال الفخر الرازى: إن الحكمة فى القصر على هذا العدد المخصوص، أنّه تعبّد لا يعقل معناه، كما قيل فى عدد الصلوات وغيرها، إشارة إلى أن الأسماء لا تؤخذ قياسا. وربما كان السبب فى اختيار هذا العدد، أنه يطلق على الأشياء التى يصعب حصرها، وربما كانت الحكمة أن معانى الأسماء ولو كانت كثيرة جدًا، إلّا أنها موجودة على قدر احتياجنا فى هذه الأسماء الحسنى التسعة والتسعين، أو أن الأسماء المذكورة هى أشهر الأسماء وأبينها معانى، وذلك بقدر حاجتنا إلى الأسماء التى ندعو بها الله سبحانه.

على أن هذا العدد (٩٩) ليس فيه حَصْر لأسمائه تعالى - كما يقول النووى، وليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما المقصود منه أن هذه التسعة والتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة، وله أسماء أخرى كثيرة.

* أما عن فائدة تلاوتها، فقد روى معقل بن يسار - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «من قال حين يُصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وَكّلَ الله به سبعين ألفَ مَلَكٍ يصلّون عليه حتى يمسى، وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدًا، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة[2]».

والآيات الثلاث هى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ، هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلٰه إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المتَكَبِّرُ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُون، هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمواتِ والأَرْضِ، وهُوَ العَزِيزُ الحكِيمُ﴾ [الحشر ٢٢ - ٢٤].

وفى هذه الآيات من الأسماء الحسنى ستة عشر اسمًا نصًّا، مع قوله تعالى: ﴿لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ أى التسعة والتسعون.

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده.

(٢) رواه الترمذى، كما رواه الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب.

* ومعرفة الله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته - كما ذكر النبى المصطفى - ﷺ - تُوجب الإيمان بالله - عز شأنه - والدخول فى طاعته. والإيمان بالله يقتضى النطق بالشهادة، شهادة التوحيد. (لا إله إلّا الله).

والشهادة: الإخبار بالشىء، عن علم به، واعتقاد لصحته وثبوته. ومعناها: أُقِرّ وأعترف مصدقًا ومعتقدًا أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شَرِيك له.

* ولشهادة التوحيد - أو الإخلاص - أركان وشروط، علمنا إياها رسول الله - ﷺ. فأركانها اثنان: نفى، وإثبات. وحدّ النفى من الإثبات: (لا إله) أى نافيا جميع ما يعبد من دون الله. والإثبات: (إلّا الله) أى مثبتا لعبادة الله وحده لا شريك له فى عبادته، كما أنه لا شريك له فى ملكه.

وأما شروطها، فسبعة.. لا تصح هذه الكلمة، ولا تنفع قائلها إلّا إذا استجمعت له الشروط التالية:

الأول: العلم، بمعناها، نفيا وإثباتا، قال الله تعالى لنبيّه - ﷺ: ﴿فاعْلم أنّه لا إله إلّا الله﴾ [محمد ١٩].

* وقال ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلّا الله دخل الجنة».

الثانى: اليقين، أى استيقان القلب بها، قال الله تعالى: ﴿إنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ [الحجرات ١٥].

وَقال ﷺ: «أشهد أن لا إله إلّا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شَاكٍّ فيهما إلّا دخل الجنة».

وقال ﷺ - لأبى هريرة - «من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مُسْتَيْقِنا بها قلبه فبشّره بالجنة[(١)]».

الثالث: الإخلاص، قال الله تعالى: ﴿وما أُمِرُوا إلّا لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّين﴾ [البينة ٥].

وعن أبى هريرة، قال: قلت يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه.

وعن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معى غيرى تركْتُه وشركه[(٢)]».

---

(١) رواها البخارى فى صحيحه. (٢) رواها مسلم فى صحيحه.

الرابع: الصدق، قال الله تعالى: ﴿والَّذِى جَاءَ بالصدقِ وصدَّق به أولَئِكَ هُمُ المتقُون﴾ [الزمر ٣٣].

عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله – ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمدًا رسول الله صدقا من قلبه إلاّ حرّمه الله على النار[١]».

الخامس: المحبة، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْف يأْتِى الله بقَوْمٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَه﴾ [المائدة ٥٤].

وقال ﷺ: «ثلاث من كُنّ فيه وَجَدَ بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلاّ لله».

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين[٢]».

السادس: الانقياد لها ظاهر وباطنا، قال الله تعالى: ﴿ومَنْ يُسْلم وجْهَهُ إلَى اللّهِ وهو مُحْسِنٌ فقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾ [لقمان ٢٢].

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدُكم حتى يكون هوَاهُ تبعًا لما جئتُ به».

السابع: القبول لها فلا يردّ شيئا من لوازمها ومقتضياتها، قال تعالى: ﴿وعَجِبوا أن جاءهم مُنذر منهم، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ إلى قوله.. ﴿بل لما يذوقوا عَذَابِ﴾ [ص٤-٨].

وعن أبى موسى – رضى الله عنه – قال: ال النبى – ﷺ: «مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هى قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله، ونفعه ما بعثنى الله به، فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به[٣]».

وقد شهد الله – سبحانه وتعالى – لنفسه بالوحدانية، فى قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط، لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم﴾ [آل عمران ١٨].

* فقد تضمنت هذه الآية الكريمة حقيقة التوحيد.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليهما.

(٣) متفق عليه.

الفصل الثانى

ملائكة الله

ويندرج تحت عَالَم الغيب.. عالَمٌ آخر له مكانته وقيمته العليا، إنه عالم الملائكة. وقد تولى الحديث النبوى الشريف كشف جوانب عديدة من هذا العالم الغيبى العظيم.

والملائكة- كما جاء فى معاجم اللغة- جمع مفرده مَلْأَك، نقلت حركة الهمزة فيه إلى الحرف الساكن قبله، ثم حُذِفت الألف تخفيفًا فصارت «مَلَكا»، وهو مشتق من «الألوكة» ومعناها الرسالة، والجمع: ملائك وملائكة.

وعالم الملائكة عالم رَوْحانى خالص، مستقل بذاته فى مملكة الله العظمى، له سماته وخصائصه، وله صفاته وأحواله، اختص به الله سبحانه، ولا يعرف كُنْهه إلاّ الله، فنحن نؤمن به امتثالاً لأوامر الله عز وجل.

وإذا كانت قد رأتنا البشرية المحدودة القاصرة لا تستطيع معرفة كُنْهه وخصائصه، فإننا نستمد معرفتنا به من أوثق المصادر وأصدقها، القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف.

* فقد أخبرنا الله - جلت عظمته - عنهم فى القرآن العظيم، فى الكثير من آياته، من مثل قوله:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَة، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لك﴾ [البقرة ٣٠]

فقد تضمن هذا الخبر وجود الملائكة، ومخاطبة الله تعالى لهم، ومخاطبتهم له سبحانه وتعالى، وهو دليل قاطع على وجودهم.

* وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ وكَانَ مِنَ الكَافِرِين﴾ [البقرة ٣٤]

ففى هذا الخبر أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأنهم سجدوا إلاّ إبليس أَبَى. وهل يؤمر ويمتثل غير موجود؟

* وقوله سبحانه: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فى السَّمَواتِ لاَتُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أن يَأْذَنَ الله لِمَنْ يَشَاءُ ويَرْضَى﴾ [النجم ٢٦]

ففى هذا الخبر القرآنى، أن كثيرًا من الملائكة لاتغنى شفاعتهم عن أحد شيئًا، وهل يشفع أو

لايشفع غير موجود ؟ وأخيرًا، فى القرآن الكريم، العديد من الأخبار الإلهية عن الملائكة، وكلها تتحدث عن صفاتهم وأحوالهم، وعباداتهم، وأعمالهم، التى تدل على وجودهم دلالة تكسب اليقين.

* ولقد أخبر النبى المصطفى - ﷺ عنهم، ووصفهم فى الكثير فى أحاديثه الشريفة:

* فقد صحّ عنه - ﷺ قوله: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة»(١).

* وقوله - ﷺ: « إنّ الملائكة تتأذىٰ مما يتأذى منه بنو آدم»(٢).

* وقوله- ﷺ: «إذا أمّن الإمام فأمنّوا فإن الملائكة تؤمن، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفِر له ما تقدم من ذنبه»(٣).

* وكان النبى - ﷺ - يقول فى دعائه: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل، وإسرافيل فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم»(٤).

فالملائكة جند الله، خلق عظيم، وعددهم كثير لا يأتى عليه العدّ، ولا يحصيه من دون الله أحد، أخبر الرسول المصطفى - ﷺ - عن مادة خَلْقهم، فقال:

«خُلِقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارجٍ من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم»(٥).

وقد طبعهم الله على الخير، فهم لا يعرفون الشر، ولا يأمرون به، ولا يأتونه، ولا يفعلونه.. فلِذَا هم لربهم مطيعون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، يسبّحون الليل والنهار لا يفترون، ولا يسأمون من عبادة الله، ولا هُم عنها يستكبرون، وهم الذين يحملون العرش، ويسبحون بحمد الله، ويستغفرون للمؤمنين.

﴿الَّذِين يَحْمِلُون العَرْش ومن حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم ، ويُؤْمِنُونَ بِهِ ويَسْتَغْفِرُون لِلَّذِين آمَنُوا، رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شيْءٍ رَحْمَةً وعِلْمًا فاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيم﴾ [غافر ٧]

وهم بالجملة صورة وضيئة من الإيمان الخالص، تُغْرى بالحب، وتوحى بالتطهر والارتفاع عن الأمور الدنيوية. لذلك شاءت إرادة الحق أن يكون «الإيمان بالملائكة» أحد أركان العقيدة الاسلامية، تقديرًا لمكانتهم، وتكريمًا لعملهم، وربط سبحانه بين الإيمان بالله - وهو رب العزة - وبين الإيمان بالملائكة، فقال تعالى:

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم ٢/٨٠.

(٣) متفق عليه، واللفظ لمسلم، واللؤلؤ والمرجان ١/٨٣.

(٤) رواه مسلم من حديث عائشة ٢/١٨٥.

(٥) رواه مسلم، وانظر سورة آل عمران ٥٩، والحجر ٢٦.

﴿لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ولكنّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخرِ والملائِكَةِ والكِتَابِ والنَّبِيِّين﴾ [البقرة ١٧٧]

* وقال ﷺ - فى حديث جبريل المشهور، حين سأله عن الإيمان «أن تؤمِنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشَرّه»(١).

* وقد ثبت فى بعض أحاديث المعراج، أنه - ﷺ «رُفِعَ له البيتُ المعمورُ الذى هو فى السماء السابعة- وقيل فى السادسة- بمنزلة الكعبة فى الأرض، وهو بحيال الكعبة حُرْمَتُه فى السماء كحرمة الكعبة فى الأرض، وإذا هو يَدْخُلُهُ كل يوم سبعون ألف مَلَك، ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم».

* وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله - ﷺ:
ما فى السَّماء مَوْضِعُ قَدَمٍ إلاّ عليه مَلَكٌ ساجد أو مَلَكٌ قائم، فذلك قول الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ، وَإِنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُون﴾(٢).

* وروى الطبرانى، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله - ﷺ: «مافى السموات السَّبْع مَوْضِعُ قَدَمٍ ولاَ شِبْرٍ ولا كفٌ إلاّ وفيه مَلَكٌ، قائم أو ملك ساجدٌ أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعًا: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك إلاّ أنا لم نُشرك بك شيئًا».

* وعن جابر - رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:
«أُذِنَ لى أنْ أحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ من ملائكة الله من حملة العرش، مابين شحمة أُذُنِهِ إلى عاتقه مسيرةُ سبعمائة عام»(٣).

* وكشأن الله - سبحانه وتعالى- فى خَلْقه، حدَّد لكل مَلَك من الملائكة منزلته ودوره ووظيفته، وفاضَل بينهم حسب دورهم ومكانتهم، والأعمال الموكول بها إليهم..

* إن منهم الملائكة المقرّبين، لقوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لله وَلاَ الملائِكَةُ المُقَرَّبُون﴾ [النساء ١٧٢]

* ومنهم حملة العرش، لقوله سبحانه: ﴿ويَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُم يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيةٌ﴾ [الحاقة ١٧]

* وأفضل ملائكة الله، عند الله، جبريل وميكائيل وإسرافيل، فكل منهم موكول إليه تنفيذ مهام خاصة حددها وقدّرها رب العزّة.

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه ابن أبى ذر وابن جرير.
(٣) رواه أبو داود والبيهقى فى الأسماء والصفات.

١ - فجبريل - عليه السلام - وصفه الله تعالى بالأمانة وحسن الخُلُق والقوة، فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى، ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى﴾ ومن شدة قوته أنه رفع مدائن قوم لُوط - عليه السلام - وكُنَّ سَبْعًا بمن فيهن من الأمم، وكانوا قريبا من أربعمائة ألف، وما معهم من الدواب والحيوانات، ومالتلك المدائن من الأراضى والعمارات، على طَرَف جناحه حتى بلغ بهن عَنَانَ السماء، حتى سَمِعَت الملائِكةُ نُبَاح كلابهم، وصياح ديكتهم، ثم قَلَبها فجعل عاليها سافلها.

فهذا هو شديد القوى، وقوله (ذُو مِرّة) أى ذو خُلُق حَسَن وَبَهَاءٍ وسَنَاءٍ، وقوة شديدة. قال معناه - ابن عباس - رضى الله عنهما.

وقال غيره: (ذُو مِرّة) أى ذو قوة. وقال تعالى فى صفته:

﴿إنَّه لقول رَسُولٍ كَرِيم، ذِى قُوَّة عِنْدَ ذِى العَرْشِ مكِينٍ مُطاعٍ ثَمَّ أَمِين﴾

أى له قوةٌ وبأس شديد، وله مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند ذى العرش ﴿مُطَاع ثَمَّ أَمِين﴾ أى مطاع فى الملأ الأعلى، ذِى أمانة عظيمة، ولهذا كان هو السفير بين الله وبين رُسُله.

* وصح عن النبى - ﷺ - أنه رافقه فى أعظم رحلة تمت فى الوجود، وهى إسراء النبى - ﷺ - ومعراجه، فرافقه عليه السلام من مكة إلى المسجد الأقصى، ومنه إلى سدرة المنتهى بالملكوت الأعلى(١).

* ومن الثابت الصحيح، أن جبريل - عليه السلام، كان يأتى إلى رسول الله - ﷺ، فى صفات متعددة، وقَدْ رآه على صفته التى خَلَقَه الله عليها مرتين، وله ستمائة جناح. وروى ذلك البخارى عن ابن مسعود - رضى الله عنه.

* وروى الإمام أحمد، عن عبدالله، قال: رأى رسول الله - ﷺ - جبريل فى صورته وله ستمائة جناح، كلُّ جناح منها سدَّ الأفق، يسقُطُ من جناحه من التهاويل والدُّر والياقوت ما الله به عليم.

* وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - قال: رأى رسول الله - ﷺ - جبريل فى حُلّة خضراء، قد ملأ مابين السماء والأرض(٢).

وعن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله - ﷺ قال:

* رأيت جبريل منهبطًا قَدْ ملأ مابين الخافقين، عليه ثيابُ سُندس مُعَلَّق بها اللؤلؤ والياقُوت.

* وروى الطبرانى، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ: «ألاَ أُخْبِرُكُمْ بأفْضَلِ الملائكة؟ .. جبريل».

(١) البخارى ٩٢/١ - ٩٤، ومسلم ٩٩/١ - ١٠١. واللؤلؤ والمرجان ٣٥/١ - ٣٩.

(٢) رواه مسلم.

* وروى الإمام أحمد - بإسناده- عن أبي عمران الجَوْنى، أنه بلغه أن جبريل أتى النبى -ﷺ- وهو يَبْكى، فقال له رسول الله- ﷺ - ما يُبْكِيك؟ قال: ومالى لا أبكى.. فوالله ما جفَّت لِى عَيْن منذ خَلَق الله النار مخافة أن أعصيه فيقذفنى فيها»(١).

* وعن ابن عباس - رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله - ﷺ لجبريل: أَلاَ تَزُورُنا أكثر ممَّا تَزُورنا؟ فنزلت ﴿وما نَتَنَزَّل إلاَّ بأَمْرِ رَبِّكَ له مابَيْنَ أيدِينَا وما خلفنا﴾ الآية.

* وعن ابن عباس - رضى الله عنهما- قال: «جبرائيل: عبد الله، وميكائيل: عُبَيد الله، وكل اسم فيه (إيل) فهو عبد الله.

٢ - وأما ميكائيل.. فقد اختصه الله بوظيفة كبرى، حيث وكل إليه القَطْر والنبات.

* روى الامام أحمد، عن أنس بن مالك - رضى الله عنه- أن رسول الله - ﷺ، قال لجبرائيل: مالى لم أر ميكائيل ضاحكًا قط؟ قال: ما ضَحِك ميكائيل منذ خُلِقت النار.

٣ - وأما إسرافيل- عليه السلام- فهو بالإضافة إلى أنه أحدُ حملة العرش، فقد اختصه الله بأعظم الأعمال يوم القيامة، وهو النفخ فى الصور، إيذانا بانتهاء العوالم الأرضية.

* روى الترمذى - عن أبي سعيد الخدرى- رضى الله عنه، قال: قال رسول الله - ﷺ. «كيف أَنْعَمُ وصاحب القَرْن قد الْتَقَم القَرْن وحنَى جَبْهَتَهُ وأَصْغَى سمعه ينتظر متى يُؤْمر فينفخ قالوا: فما نقول يارسول الله؟ قال: قُولُوا: حَسْبُنَا الله ونِعْم الوكيل، على الله توكَّلْنا».

* وعن ابن عباس- رضى الله عنهما- أن رسول الله - ﷺ قال:

«إن مَلَكا من حَمَلةِ العَرْش يُقال له إسْرَافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله قد مَرَقَتْ قدماه فى الأرض السابعة السفلى، ومرق رأسُهُ من السّماءِ السابعة العُلْيا»(٢).

* وروى أبو الشيخ، عن الأوزاعى، قال: ليسَ أَحَدٌ من خَلْق الله أَحْسَنَ صَوْتًا من إسرافيل، فإذا أخذ فى التسبيح قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم.

٤ - ومن ساداتهم: ملك الموت، الموكل بقبض الأرواح، ولم يَجِىء مصرحا باسمه فى القرآن، ولا فى الأحاديث الصحيحة، وقد جاء فى بعض الآثار تسميته بعزرائيل، فالله أعلم قاله الحافظ ابن كثير.

ولملك الموت أعوان كثيرون، وهم صنفان: ملائكة رحمة، وملائكة عذاب، وقد ذكرهم الله

---

(١) رواه الأمام أحمد فى الزهد.

(٢) رواه أبو الشيخ وأبو نعيم فى الحلية.

مع ملك الموت، بقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْه رُسُلنَا وهُمْ لا يُفَرِّطُون﴾ [الأنعام ٦١].

٥ - حَمَلَة العرش - عرش الرحمن عز وجل، وهم أربعة، وإذا جاء يوم القيامة أُضيف إليهم أربعة آخرون، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم ويُؤْمِنُونَ به وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر ٧] ولقوله سبحانه: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[الحاقة ١٧].

٦ - ملائكة مختصون بالجنة ونعيمها: وهم رضوان ومَنْ معه فأما رضوان، فهو الخاظن الأعظم، ورئيس خدّام الجنة، يعاونه خدام كثيرون من الملائكة، لا يحصى عددهم إلاّ الله، يقول تعالى: ﴿والمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُون عَلَيْهِم مِنْ كُلِّ بابٍ، سَلاَمٌ عَلَيكُم بِمَا صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقْبَى الدار﴾ [الرعد ٢٣، ٢].

* وورد أن للواحد من أهل الجنة خدما لا يقلّون عن ثمانين ألف خادم، وظيفتهم خدمة أهل الجنة[1].

٧ - الزبانية، وهم تسعة عشر مَلَكا، وَكَلَهُم الله تعالى بالنار، فهمُ خُزّانها، يعذبون فيها أهلها، قال تعالى: ﴿سَأُصليه سَقَر، وما أَدْرَاك ما سَقَر، لا تُبْقِي ولا تَذَرُ، لَوَّاحَةٌ لِلبَشَرِ، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَر، ومَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَة وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[المدثر ٢٦ - ٣١] وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُون اللّهَ ما أمرهم وَيَفْعَلُونَ ما يؤمرون﴾ [التحريم ٦].

* ورئيس هؤلاء الخزنة، يدعى مالكا، قال تعالى فى الحديث عن أهل النار: ﴿وَنَادوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُون، لَقَدْ جِئْنَاكُم بالحَقِّ ولكِنَّ أكثركُم لِلحَقِّ كارِهُون﴾ [الزخرف ٧٧، ٧٨].

٨ - الكرام الكاتبون، وعملهم كتابة أعمال البشر، وإحصاؤها عليهم. فَعلَى يمين كل مكلّف مَلَك يكتب صالح أعماله، وعن يساره مَلَك يكتب سيئات عمله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيكُمْ لحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِين، يَعْلَمُون مَا تَفْعَلُون﴾ [الانفطار ١٠-١٢].

وقال سبحانه: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد﴾ [سورة ق ١٧، ١٨].

* روى البزّار عن ابن عباس - رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله - ﷺ: «إِنَّ الله ينهاكم عن التعرى فاسْتَحْيُوا من ملائكة الله الَّذِينَ معكُم، الكرام الكاتبين، الذين لا يُفَارِقُونكم إلاّ عِنْد إِحْدَى ثلاث حالات: الغَائِط، والجَنَابة، والغُسْل، فإذا اغتسل أحدُكم بالعراء فلْيَسْتَتِر

(١) رواه الترمذى بهذا المعنى.

بثوبِهِ، أو بِجِذْمِ حائط أو بغيره».

قال الحافظ ابن كثير: «ومعنى إكرامهم أن يَسْتَحى مِنْهُم فلا يُمْلِى عليهم الأعمال القبيحة التى يكتبونها، فإن الله خلقهم كِرامًا فى خَلْقهم وأخلاقهم».

* وروى البخارى - بسنده - أن رسول الله - ﷺ - قال: «إذا قام أحدُكم إلى الصلاة فلا يبزق أمامه، فإنه يناجى الله تعالى ما دام فى مصلاه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه مَلَكا، ليبصق عن يساره، أو تحت قدميه[1]».

فإن قيل: كيف يبصق عن يساره وكاتب السيئات عن يساره؟ قلنا: إن المؤمن فى صلاته لا يفعل سوءًا قط، فلذا ينضم كاتب السيئات إلى كاتب الحسنات، حتى ينتهى من صلاته، إذ الصلاة هى أم الحسنات ولا سيئة فيها.

٩ - الحَفَظَة، وعملهم حفظ الإنسان من الجان والشياطين، والعاهات والآفات. وقد ذكرهم الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد ١١].

فسرها ابن عباس بقوله: «ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قَدَرُ الله خلُّوا عنه، وقال مجاهد: يحفظونه فى نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام[2].

١٠ - المَلَك الموكل بالرَّحم، لحديث البخارى ومسلم، عن رسول الله - ﷺ: «إن الله عز وجل، قد وكل بالرحم مَلَكا، فيقول: أى ربِّ نُطْفة، أى ربِّ عَلَقة، أى ربِّ مُضْغة.

فإذا أراد الله أن يقضى خَلْقًا، قال: قال المَلَك: أى ربِّ ذكرٌ أو أنثى؟ شقى أو سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه[3].

١١ - ملك الجبال، وهو مَلَك وكّله الله بالجبال، لحديث البخارى ومسلم: «فنادانى مَلَك الجبال فسلَّم علىّ، فقال: يا محمد.. ذلك فيما شئت إن شئت أن أُطْبق عليهم الأخشبين.. الحديث[4].

١٢ - الملائكة السيّاحون، وهؤلاء وظيفتهم تبليغ سلام أمة محمد وصلاتها على نَبِيِّها - ﷺ، وقد ذكرهم النبى المصطفى - ﷺ، فقال: «إن لِلَّهِ فى الأرضِ ملائكة سيّاحين يُبَلِّغوننى عن أُمّتى السلام[5]».

١٣ - ملائكة الدعاء، وعملهم الذى وكّلوا به أن العبد إذا دَعَا بدعوة لأخيه المؤمن - وهو غائب، قال المَلَك: «آمين ولَكَ بمثلِ ذلك». لحديث مسلم: «دعوةُ المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب

(١) رواه الشيخان، وانظر اللؤلؤ والمرجان ١١١/١.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٠٣/٥ ط الحلبى.

(٣) البخارى ٨٣/١ ومسلم ٤٦/٨ واللؤلؤ والمرجان ٢٠٨/٣.

(٤) اللؤلؤ والمرجان ٢٢٧/٢.

(٥) رواه أحمد وأخرجه النسائى وابن حيان .

مستجابة، عند رأسه مَلَك موكل كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل ذلك[١]».

١٤ – ملائكة العروج بأرواح العباد بعد الموت، لحديث مسلم: «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان فيصعدانها، قال حمّاد – راوى الحديث: فذكر من طيب ريحها، وذكر المسك. قال: ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قِبَل الأرض – صلى الله عليك، وعلى ما كنت تعمّرينه، فينطلق به إلى ربه، عز وجل، ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل.. وذكر للكافر عكس ذلك[٢].

١٥ – منكر ونكير، وعملهما – كما يقول النبى – ﷺ – سؤال العباد فى قبورهم ما ربُّك؟ وما دينُك؟ وما نبيّك؟ وقد ورد ذكرهما فى حديثه – ﷺ: «إذَا قُبِر الميّت أتاه مَلَكَان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المُنْكِر، وللآخر: النَكِير، فيقولان: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، فيقولان: قد كنّا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين، ثم ينوّر له فيه ثم يقال له: نَمْ، فيقول: أرجع إلى أهلى فأخبرهم، فيقولان: نَمْ كنومة العروس، الذى لا يوقظه إلاّ أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك.

* وإن كان منافقا، قال: سمعت الناس يقولون قولا، فقلت مثله، لا أدرى فيقولان: قد علمنا أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمى عليه، فتلْتَئِم عليه، فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذّبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك[٣].

* هذا وإذا تتبعنا الآثار الواردة فى أعمال الملائكة، ملاحظين الآيات القرآنية الدالة على الملائكة وأعمالهم وواجباتهم، مثل قوله تعالى: «والصافات» والزاجرات، فالتاليات، والنازعات، والناشطات، فالمدبرات، فالمقسمات، لقلنا فى صدق: إن الكون كله علويه وسُفْليّه قد أنيط أمر تدبيره بالملائكة، وذلك بإذن ربهم تعالى.

* ويضاف إلى ذلك أن النبى – ﷺ – قال: «أطَّت السماء وحَقَّ لها أن تئط، ما من موضع أربع أصابع إلاّ عليه مَلَك واضع جبهته، ساجدً لله تعالى[٤]».

● إن الملائكة بذواتهم وكُنْهِهِم من الغيب المحض، الذى دل الدليل العقلى والشرعى على وجودهم، وعلى وجوب الإيمان بهم، والتصديق بأعمالهم وأحوالهم، والمراد من الدليل العقلى والشرعى، الأخبار الصادقة، والآثار الناطقة. ومن خلال الأخبار الصادقة تحصّلنا على عدد كبير من صفات الملائكة:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم ١٦٢/٨.

(٣) رواه الترمذى فى الجنائز ٧٠ وأبوداود بمعناه ٥٤٠/٢، وأحمد ١٢٦/٣، ٢٨٨/٤.

(٤) رواه أحمد ١٧٣/٥ والترمذى (زهد/٩).

(أ) حياؤهم.. إن الملائكة تستحى استحياء يليق بحالها، إذ قد صحّ أن النبى - ﷺ: قال: «ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة(١)؟» - يعنى بذلك عثمان بن عفان - رضى الله عنه، ففى هذا الخبر الصادق الصحيح دليل على صفة الحياء للملائكة.

(ب) تأذّيهم.. فالملائكة تتأذى من المكروه كما يتأذى منه الإنسان، لحديث مسلم: «من أكل من الثوم والبصل والكراث فلا يقربنّ مسجدنا؟ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم(٢)».

ولحديث الصحيحين أيضا: «إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة(٣)».

(جـ) حبهم لمن يحب ربهم. إن الملائكة تحب حبًّا يليق بحالهم، وحسب ذواتهم. ففى الصحيحين: «إن الله تعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحّبه جبريل، ثم ينادى جبريل فى السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول فى الأرض(٤)».

(د) عظم خلقهم وتفاوتهم فيه. إن خَلْق الملائكة لعظيم، وهم يتفاوتون فيه تفاوتا كبيرًا، فقد صح أن لجبريل- عليه السلام ستمائة جناح، فى حين أن من الملائكة من له جناحان فقط، كما قال الله تعالى: ﴿الحَمْدُ لِلّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ جَاعِلِ المَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِى الخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[فاطر ١].

* وروى أبو داود - بسند صحيح - أن النبى - ﷺ - قال: «أُذِنَ لى أن أتحدَّث عن مَلَكٍ من حملة العرش، رجلاه فى الأرض السُّفلَى، وعلى قرنه العرش، ومن شحمة أُذُنِهِ وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام، فيقول ذلك الملك: سبحانك حيث كُنت».

● بقى أن نذكر دور هؤلاء الملائكة العظيم، فى مؤازرة النبى - ﷺ، وفى تثبيت المؤمنين، يوم الفرقان، يوم بدر، يوم دَعَا النبى - ﷺ - ربه، فاستجاب له دعاءه ودعاء المؤمنين.. ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم فاسْتَجَابَ لكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِين، ومَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمِئنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال ٩، ١٠].

ثم قال تعالى فى تبشير المسلمين بالمساعدة والنصر: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلى الملائِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعب، فاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ واضربوا مِنْهُم كُلَّ بَنَانٍ﴾[الأنفال ١٢].

* ومع كثرة هذه الأدلة العقلية والنقلية على وجود الملائكة، فلا زال من الملاحدة وأعداء

---

(١) رواه مسلم ١١٧/٧.

(٢) رواه مسلم ٩٠/٢.

(٣) متفق عليه.

(٤) البخارى ١٧٣/٩، ومسلم ٤٠/٨.

الدين من يقول: إن الملائكة قوى معنوية، ومنهم من زعم أن جبريل - عليه السلام - هو العقل الفعال، وهو ما يتخيل فى نفس النبى - ﷺ - من الصور الخيالية، وأن كلام الله ما يوجد فى نفسه، كما يوجد فى نفس النائم، إلى آخر هذه الأوهام والأقاويل الباطلة، التى يصطنعها المتفلسفة، وهذا الأمر يظهر مدى جهل هؤلاء وأمثالهم من الزنادقة، وأن الغاية من ورائه محاولة تكذيب النبى - ﷺ - وتكذيب رسول الله معناه الطعن فى الإسلام.

الفصل الثالث

الجن والشياطين

ومن العوالم الغيبية أيضا، عالم الجن والشياطين، وهو عَالَم لا مرئى يتصل بعالم الملائكة ذلك أن الإيمان بالملائكة – عليهم السلام – يقتضى الإيمان بوجود الجن والشياطين، إذ الإيمان بوجود هذه المخلوقات جزء من العقيدة الإسلامية.. إنهم جميعا من الغيب الذى أمر المؤمنون بالإيمان به، وبتصديق الله -عز وجل- ورسوله -ﷺ- فيما قالا فى شأنه وأخْبَرا به.

* إن الأخبار الإلهية والأحاديث النبوية الصادقة، الناطقة بوجود الجن والشياطين لكثيرة جدًا.

* منها: أخباره تعالى المصرّحة بوجود الجن والشياطين، من مثل قوله تعالى فى خلق الانسان والجان:

﴿خَلَقَ الإنْسَانَ من صَلْصَالٍ كالفَخّارِ، وخَلَقَ الجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾ [الرحمن ١٤-١٥].

* وقوله تعالى فى بيان العلة فى خلقه للإنس والجن:

﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات ٥٦، ٥٧]

* وقوله فى الإخبار بأن شياطين الجن وشياطين الإنس يوحى بعضهم إلى بعض الباطل والكذب لتضليل الناس، وإغوائهم بالفتن والشرور.

﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجِنّ يُوحِى بَعْضُهُم إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام ١١٢]

* وقوله تعالى فى الإخبار بما امتن به على عبده ورسوله «سليمان – عليه السلام»، وتسخير الجن والشياطين له حيث كان يستخدمهم فى شتى الأعمال والأغراض..

﴿وَمِنَ الجِنّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بإِذْنِ رَبِّهِ ومَنْ يَزِغْ مِنْهُم عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وجِفَانٍ كالجَوَابِ وقُدورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [سبأ ١٢-١٣]

* وقوله تعالى عن الإخبار عن جن نصيبين الذين حضروا صلاة الصبح مع الرسول – ﷺ – فى بطن نخلة، بين مكة والطائف، وكيف رجعوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإيمان بالرسول – ﷺ – وينذرونهم مما يترتب على عدم إيمانهم من العذاب الأليم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إليكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إلى قَوْمِهِم مُنْذِرِين، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِى إِلَى الحَقِّ وإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيم، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ الله وآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لكُم مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيم﴾ [الأحقاف ٢٩-٣١]

*** وقوله تعالى فى أمر رسول الله -ﷺ- بأن يخبر بما أوحى إليه من استماع الجن لقراءته، وبالذى دار بين الجن من أحاديث عجيبة، تحوى حقائق مدهشة عظيمة عن الجن، وعقائدهم، وأعمالهم، وأحوالهم:**

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن ١-٢]

*** أما ما ورد فى الحديث النبوى الشريف من أخبار عن الجن، فهى كثيرة:**

*** منها قوله -ﷺ- فى الإخبار عن القرين من الجن، والذى وُكِل بكل إنسان:**

«ما من أحد إلّا وقد وُكِلَ به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وَإِيَّاى إلّا أن الله أعاننى عليه، فأسلم فلا يأمرنى إلّا بخير»(١).

*** وقوله -ﷺ- فى الإخبار عن دخول الشيطان مع الإنسان بيته، وتناوله من طعامه وشرابه:**

«إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان (لأولاده ومن معه من الشياطين) لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا ما لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء.»(٢).

*** وقوله -ﷺ- فى النهى عن الأكل والشرب بالشمال، والتعليل بأكل الشيطان وشربه بشماله:**

«لا يأكل أحدكم بشماله، ولا يشربن بها، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها»(٣).

*** وقوله - ﷺ - وهو يحذّر المؤمنين من أن يبيت أحدهم وفى يده أثر طعام، أو إدَام من أن يأتى الشيطان لِلَحْسِ ذلك من يده، فيؤذيه:**

«إن الشيطان حسّاس لحاّس فاحذروه على أنفسكم، من بات وفى يده غَمْر فأصابه شىء فَلا يلُومنّ إلّا نفسه»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٩/٨. (٢) أخرجه مسلم ١٠٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٩/٦.

(٤) أخرجه الترمذى (أطعمة ٤٨) وأبو داود ٣٠/١ - والغَمْر: رائحة الطعام.

*** وقوله -ﷺ- لما سأله الجن الزاد:**

«كل عَظْم ذكر اسم الله عليه وقع فى يد أحدهم أوفر ما يكون لحما، وكل بعر علف لدوابهم[١]»

ومن هنا نهى رسول الله -ﷺ- عن الاستجمار بالعظم والروث، وقال معللا للنهى: «فإنه زاد إخوانكم من الجن[٢].

*** وقوله - ﷺ - فى صلاته بالليل:**

إن عفريتا من الجن تفلّت علىَّ البارحة ليقطع على الصلاة، فأمكننى الله منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم.. فذكرت قول أخى سليمان: ربِّ اغْفِر لى، وهَبْ لى مُلْكا لا ينْبَغِى لأحدٍ من بعدى»[٣].

*** وقوله -ﷺ- فى إرشاده لأمته: أن تسأل الله تعالى عند سماح صياح الديك، وتستعيذ بالله من الشيطان عند سماع نهيق الحمار:**

«وإذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطانا»[٤]

*** وقوله - ﷺ - فى الارشاد إلى الآداب:** «التثاؤب من الشيطان»[٥]

وقوله -ﷺ- وهو يرشد أمته إلى كيفية ردِّ كَيْد الشيطان، ومجاهدته بدفع ما يلقيه من الشبه فى نفس العبد:

«يأتى الشيطان أحدكم فيقول: من خَلَق كذا، من خلق كذا، حتى يقول من خلق ربك، فإذا بلغه فَلْيَسْتَعِذ بالله وَلْيَنْتَهِ»[٦]

*** وقوله -ﷺ-:** «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفّوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ.. الحديث»[٧].

لتلك الأخبار الإلهية والأحاديث النبوية، كان الإيمان بوجود الجن والشياطين واجبا حتماً، تفرضه العقيدة الإسلامية.

---

(١) رواه البخارى ٥٩/٧.
(٢) رواه أبو داود والترمذى.
(٣) متفق عليه وهو فى اللؤلؤ والمرجان ١٠٩/١.
(٤) متفق عليه، وهو فى اللؤلؤ والمرجان ٢٣٣/٣.
(٥) متفق عليه البخارى ١٥٢/٤، وهو فى اللؤلؤ والمرجان ٣٢٧/٣.
(٦) متفق عليه وهو فى اللؤلؤ والمرجان ٢٦/١.
(٧) متفق عليه، وهو فى اللؤلؤ والمرجان ١٦/٣.

* **والسؤال الآن: ما هى خصائص الجان والشياطين، وما أحوالهم فى عالمهم الغيبى.**

* **الجان:** هو أبو سائر الجن، وهو مخلوق من مادة النار المعروفة، وكان خلقه قبل خلق الإنسان، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ من صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مِسْنُون، والجانَ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ من نار السَمُوم﴾ لحجر ٢٦-٢٧].

* **وسُمِّى الجنُّ جِنًّا لاجْتِنَانِهم** - وهو استتارهم - وعدم ظهورهم للناس، لأن الاجتنان هو الاستتار، وهو مأخوذ من جَنَّ الليل إذا أظلم، فستر الأشياء بظلامه.

* **وسُمِّيت الجنة - دار النعيم - جنة، لأنها تستر بأشجارها الكثيرة الملتفة من يدخلها،** كما سمى الجنين فى بطن أمه جَنِينًا، لاستتاره ببطن أمه، قال الله تعالى فى الشيطان من الجن:

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرونَهُمْ﴾ [الأعراف ٢٧]

والجن مُفْتَقِرُون إلى الغذاء المناسب لذواتهم، كافتقار سائر الحيوانات والنباتات لأغذيتها المناسبة لها، والدليل على هذه الحقيقة، **ما صَحَّ عن رسول الله - ﷺ - من أن الجن سألوه الزاد، فقال لهم:**

«كل عَظْم يذكر الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحمًا»(١).

ونهى -ﷺ- عن الاستجمار بالعظم، وقال: «إنه طعام إخواننا من الجن» **كما نهى عن الأكل والشرب بالشمال، وعلل ذلك بأن الشيطان يأكل ويشرب بشماله.**

فبهذه الأحاديث النبوية الصحيحة، يثبت أن الجن والشيطان يأكلون ويشربون، وذلك لأجل التغذية اللازمة لهم حسب ذواتهم وطبيعتهم التى خلقهم الله تعالى عليها.

* ومن الأمور اليقينية، **أن الجن والشياطين يتوالدون،** وتتم بينهم عملية التناسل بحسب طبيعة خَلْقِهم وتكوينهم، وأن لهم سنة فى ذلك يتم بحسبها وجود ذرية لهم، كما تتوالد سائر الأحياء، **يقرر هذه الحقيقة القرآن الكريم،** فى قوله تعالى:

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وذُرِّيَتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ؟ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف ٥٠]

فإن المنهى عن اتخاذه وذريته أولياء هو **إبليس** وذريته، بدليل السياق، إذْ أوله:

﴿وَإِذْ قُلْنَا للمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَـدُوا إلاّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْـرِ رَبِّه أَفَتَتَّخِذُونَهُ..﴾.

كما ورد فى صحيح مسلم، أن الشيطان يشارك الإنسان فى طعامه وشرابه وفراشه، إن لم يذكر **اسم الله تعالى عند أكله وشربه ومخالطة أهله،** ولهذا قال رسول الله -ﷺ-:

---

(١) تقدم ذكر تخريج هذا الحديث رواه أبو داود، ورواه البخارى ٥٩/٧.

«لو أن أحدهم يقول حين يأتى أهله: باسم الله ، اللهم جنبنى الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدّر بينهما فى ذلك، أو قَضَى وَلَد، لم يضره شيطان أبدًا»[1].

*** وهناك فرق كبير بين الجن والشيطان:**

وتنجلى هذه الحقيقة إذا أيقنا أن الخلق الراقى أربعة أنواع: الملائكة، والإنس، والجن، والشياطين.

* فالملائكة- كما ذكرنا - عالم روحانى خالص، مستقل له خصائصه وصفاته وأحواله.

* والجن: نوعان شياطين لا خير فيهم البتّة، وجِنّ، منهم الصالح، ومنهم الطالح. فحالهم كحال الناس، منهم البار، ومنهم الفاجر، ومنهم المؤمن، ومنهم الكافر.

بيد أن الشياطين أصلهم من الجن، وذلك لأن إبليس كان من الجن، بدلالة القرآن فى قوله تعالى:

﴿إلاَّ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف ٥٠]

ولما أُبْلِس الشيطان، وطُرد من الرحمة الإلهية، وانقطع من الخير كلية، كانت ذريته مثله بحكم الوراثة، لا خير فيها أصلاً، فلا يعرفون إلاّ الشر، ولا يدعون إلاّ إليه.

- ثم إن كل من يخبث ويتمرد، وينقطع عن الخير من أفراد الجان والإنسان يصبح شيطانا، فإن عَتَا قيل فيه مارد، وإن زاد عتوًا وطغيانا قيل فيه عِفْرِيت.

* وقد أثبت القرآن الكريم هذه الحقائق كلها، إذ جاء فيه أن من الجن شياطين، ومن الإنس شياطين:

﴿شَيَاطِين الإنْسِ والجِنّ يُوحِى بَعْضُهُم إلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام ١١٢]

- كما جاء فى القرآن أن من الجن صالحين، وذلك فى قوله تعالى:

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحوُن وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الجن ١١]

- كما أخبر الله تعالى أنه خلق الجن والإنس لعبادته وطاعته، فى قوله جل جلاله:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِنْ رِزْقٍ وما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُون﴾ [الذاريات ٥٦، ٥٧].

- كما أخبر الله تعالى أن الشيطان يأمر بالفحشاء، فى قوله تعالى:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُم الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بالفَحْشَاءِ، والله يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وفَضْلاً﴾ [البقرة ٢٦٨]

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخارى، وهو فى اللؤلؤ والمرجان ٢/.

- كما أخبر سبحانه أن الشيطان يُضل من يتبعه، ويهديه إلى عذاب السعير، فى قوله عز وجل:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج ٣، ٤]

وهذا هو النوع الذى لا خير فيه من شياطين الجن، وهو إبليس، عليه لعنات الله.

* ومن الثابت المؤكد - أن الجن كالشياطين يتشكلون بأشكال مختلفة، ويتلوّنون تلونا كبيرًا، وهذا مادلت عليه الأخبار الصادقة المتعددة، ومنها:

١ - ما ذكره ابن كثير[١]، من مجىء إبليس إلى دار الندوة فى مكة، ورجال قريش مجتمعون فيها للتشاور فى أمر النبى محمد - ﷺ - ودعوته إلى الدين الجديد، فتحيروا فى أمره، فاجتمعوا يبحثون عن تخريج لهم منها، ولو كان قتل النبى -ﷺ- أوحبسه، أونفيه.

وبينما هم كذلك، دخل عليهم الشيطان فى صورة رجل كبير محترم من رجلات نَجْد ومشائخها الموقرين، وشارك فى اجتماعهم ومداولاتهم، ورجّح لهم اقتراحًا حاز أغلبية الأصوات، وهو أسوأ اقتراح تقدم به إنسان وأقبحه، وأكثره شرًّا وفسادًا، وهو الحكم بقتل الرسول - ﷺ - وإهدار دمه بين القبائل.

فهذه الحادثة متواترة لا مجال للشك فيها فضلا عن إنكارها وجحودها.

٢ - تشكل جان من جنان المدينة المنوّرة فى صورة حية، لما روى مسلم، أن أبا سعيد الخدرى قال: كان فتى منا حديث عهد بعرس، فخرجنا مع رسول الله - ﷺ - إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله - ﷺ - بأنصاف النهار، فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوما، فقال له رسول الله - ﷺ - خذ عليك سلاحك، فإنى أخشى عليك قريظة، فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به، وأصابته غيرة، فقالت له: اكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذى أخرجنى؟ فدخل، فإذا بحيّة عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج فركزه فى الدار فاضطربت عليه، فما يُدرَى أيهما كانَ أسرع موتا: الحية أم الفتى؟[٢]

قال: فجئنا إلى رسول الله - ﷺ - فذكرنا ذلك له، وقلنا ادع الله يحييه لنا، فقال: استغفروا لصاحبهم، ثم قال: إن بالمدينة جنًا قد أسلموا فإذا رأيتم منها شيئا فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بَدَا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان.

---

(١) القصة كاملة فى البداية والنهاية ١٧٥/٣-١٧٦ وأنظر سيرة ابن هشام ١٠٣/٢-١٠٥

(٢) أخرجه مسلم ٤٠/٧

٣- تشكل شيطان فى صورة إنسان، وسرقته من تمر الصدقة..

فقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة، قال:

«وكلنى رسول الله - ﷺ - بحفظ زكاة رمضان، فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله -ﷺ- قال: دَعْنِى فإنى محتاج ولى عيال وبى حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال رسول الله -ﷺ- يا أبا هريرة.. ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته، فخليت سبيله..

قال: أما إنه قد كذَبَك، وسيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام، فعل ذلك ثلاث ليال، كل ذلك والرسول - ﷺ - يقول: أما أنه قد كذبك وسيعود، فلما كان فى الثالثة، قلت لأرفعنك إلى رسول الله -ﷺ-، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود، فقال: دعنى أعلّمك كلمات ينفعك الله بها، فقلت: وما هى؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسى، ﴿الله لَا إِلَهَ إِلاّ هو الحىّ القيوم.. حتى ختم الآية﴾ فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح..

فقال النبى - ﷺ - أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم مَنْ تخاطب منذ ثلاث ليال يا أباهريرة؟ قلت: لا، قالْ: «ذلك شيطان»(١).

* ونحن إذا قرّرنا أن الجن والشياطين يتشكلون - كما تتشكل الملائكة - إلاّ أنه لم يثبت لدينا خبر صحيح، عن كيفية تشكل الملائكة والجن والشياطين.

غير أنه لا يبعد أن يكون الله تعالى قد علمهم أسماء يدعونه بها، أو كلمات يقولونها، فيتم لهم ذلك التشكل على الصورة التى يريدونها، فى حدود ما أُذِن لهم فيه.

والدليل على ذلك، أن الشيطان لا يقدر على التمثل بصورة الرسول -ﷺ-، لقوله -ﷺ-: «مَنْ رآنى فقد رآنى حقا فإن الشيطان لا يتمثّل بى»(٢).

* أما عن سُكْنَى الجن، فأرجح القول أنهم يسكنون الخرائب والحشوش والمزابل، لحديث أبى داود:

«إن هذه الحشوش محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث».

ومن هنا كانت الشياطين تنزل على أخباث الرجال والنساء من أهل الآثام والأفاكين، والملوثين بالذنوب. قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ، تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم﴾ [الشعراء ٢٢١، ٢٢٢].

---

(١) رواه البخارى ١٢٥/٣.

(٢) متفق عليه، البخارى ٤٢/٩، ومسلم ٥٤/٧ وهو فى اللؤلؤ والمرجان ٨٠/٣.

* وينص القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف، على أن الله تعالى منح الجن والشياطين قدرة خاصة، تتيح لهم العروج إلى الملكوت الأعلى، فلذا هم يعرجون كما تعرج الملائكة من الأرض إلى السماء. وهذا العروج يتيح لهم استرقاق السمع من الملأ الأعلى. ومن كان له ولى من الإنس يُفْضى به إليه، ليحدث به الناس، فيفتنهم، ويغويهم، ويشهد لهذه الحقيقة ويثبتها، ما قصَّ الله تعالى فى كتابه العزيز، وحكاه عن الجن أنفسهم فى قوله عز وجل:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وشُهُبًا، وأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهابًا رَصَدًا، وَأَنَّا لَا نَدْرِى أَشَرٌ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِم رَبُّهُم رَشَدًا﴾ [الجن ٨، ١٠].

* وهنا سؤال يطرح نفسه.. هل الجن يؤذون الناس؟

إن أذى الجن للإنس ثابت لا يُنكر، حيث ثبت ذلك بالدليل السمعى، والدليل الحسى، والعقل يُجيزه ويقرّه، ولولا المعقبات من الملائكة، التى أناط الله تعالى بها حفظ الإنسان، لما نجا من الجن والشياطين أحد. وذلك لعدم رؤية الإنسان لهم، ولقدرتهم على الانتقال والتحول بسرعة. ولكون أجسامهم من اللطافة بحيث لا يشعر بها ولا يحسّ أحد.

ومن هنا كان مما لا شك فيه، أن بعض الجن يؤذون بعض الإنس، إما لكون الإنسان قد تعرّض لهم بالأذى فآذاهم، بصب ماء حار عليهم، أو ببوله عليهم، أو بنزوله فى بعض منازلهم وهو لا يشعر، فينتقمون فيؤذونه.

* فإذا كان ذلك كذلك.. فما هى كيفية التحصن منهم؟

إن التحصن منهم، وتجنب شرهم ممكن، إذا داوم الإنسان على ما يلى:

أولا: الاستعاذة بالله تعالى: لقوله تعالى:

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ بالله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العليم﴾ [فصلت ٣٦]

ولقول الرسول -ﷺ- فى حديث الصحيحين:

«إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»(١).

ثانيا: قراءة المعوذتين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بربِّ الفَلَق﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس﴾.

لحديث النسائى وغيره «يابن عباس.. ألا أدلك - أو ألا أخبرك - بأفضل ما تعوّذ به المتعوذون؟ قال: بلى يارسول الله. قال: قل أعوذ برب الفلق، وقُلْ أعوذ برب الناس، هاتين السورتين(٢)»

(١) متفق عليه، وانظر اللؤلؤ والمرجان ١٩٩/٣.

(٢) النسائى ٢٢٠/٨.

ثالثا: قراءة آية الكرسى: ﴿الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّوم.. إلى آخر الآية﴾ [البقرة ٢٥٥]
لحديث أبى هريرة - فى صحيح مسلم - وقد تقدم - حيث جاء فيه: (١)
«أن الشيطان لما ألقى أبو هريرة عليه القبض، قال: أطلقنى وأعلمك آية لا يقرؤها أحد ويقربه شيطان أبدًا، وقد أقر الرسول - ﷺ - ذلك بقوله «صَدَقَك وهو كذوب».

رابعا: قراءة سورة البقرة بكاملها.

لحديث مسلم، وفيه: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذى تُقْرأ فيه سورة البقرة(٢)»

خامسا: ذكر لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» فى اليوم مائة مرة، فإن من فعلها كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل ما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»(٣).

سادسا: ذكر الله تعالى..

لحديث الترمذى، وفيه قال يحيى بن زكريا «وآمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سرعان حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلّا بذكر الله تعالى»(٤).

سابعا: الوضوء عند الغضب..

فمن غضب فليتوضأ فإنه يعصم نفسه من الشيطان أن يحمله على ارتكاب ما لا ينبغى، أو مالا يخشى من قول أو فعل، وذلك لحديث أبى داود:
«إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»(٣).

---

(١) رواه البخارى ١٢٥/٣.
(٢) رواه مسلم ١٨٨/٢.
(٣) متفق عليه، وهو فى اللؤلؤ والمرجان ٢٢٥/١.
(٤) أخرجه الترمذى - أدب ٧٨.
(٥) أبو داود ٥٥٠/٢، وأحمد ٢٢٦/٤.

الفصل الرابع

كتب الله

ومن الأمور الغيبية أيضا كتب الله السابقة، ووجوب الإيمان بها جملة وتفصيلا..

فالإيمان بكتب الله معناه التصديق الجازم بما أوحى الله تعالى من كلامه الخاص، إلى من اصطفى من عباده، وهم أنبياؤه ورسله، فجُمع ودوّن، فكان صُحُفا مطهرة، وكُتُبًا قيّمة، أو بقيت صُحُفا لم تجمع ولم يتكون منها كتاب خاص.

فالصحف: كصُحُف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

والكتب: كالتوراة والزبور والإنجيل والقرآن الكريم.

والإيمان بها - الإيمان بأن الله سبحانه أنزلها على أنبيائه ورسله، وأنها من كلامه حقيقة، وأنها نور وهدى، وأن ما تضمنته هو الحق والصدق.

وهذه الكتب السماوية لا يعلم عددها إلا الله، وأنه يجب الإيمان بها جملة، إلّا ما سمى منها، فيجب الإيمان بها على التفصيل، والبقية إجمالا.

فالإيمان بكتب الله ركن من أركان العقيدة الإسلامية، لأن الحق سبحانه أوحى بها إلى رسله، لذلك فهو يقول سبحانه:

﴿يـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا باللَّهِ ورَسُولِهِ والكِتَابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ، والكِتَابِ الَّذِى أَنْزَلَ من قَبْلُ، ومَنْ يَكْفُرْ باللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ فقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء ١٣٦].

إن من مقتضى الإيمان بالله.. الإيمان بالرسل المؤيدين من عند الله بالمعجزات، ومن مقتضى الإيمان بالرسل، تصديقهم فى كل ما يبلّغون عن الله تعالى، ومن ذلك الكتب التى ينزلها الله عليهم، نظرا لحاجة الناس إليها.

وتظهر لنا حاجة الناس إلى كتب ربانية، تكون فيهم بمثابة دستور يرجعون إليه، ويهتدون بهديه إذا لاحظنا أمورًا:

● الأول: أن الكتاب الربّانى المنزّل على الرسول هو المرجع لأمته مهما تعاقبت العصور، فيرجعون إليه فى تحديد عقائد الدين، وأسسه ومبادئه وغاياته، ويرجعون إليه فى التعرف على أحكام شريعة الله، واستبانة الواجبات التى يأمرهم بها، والمحرمات التى ينهاهم عنها، والفضائل

والكمالات التى يحثهم عليها ويندبهم إليها، ويرجعون إليه ليطالعوا مواعظه ونصائحه، وأمثاله وآدبه، وما تتضمنه من بشائر ونذر، ووعد ووعيد، وسائر الوسائل، والأساليب التربوية المختلفة، الهادية إلى صراط الله المستقيم، ويرجع إليه أيضا المجتهدون من العلماء، ليستنبطوا من نصوصه المختلفة الأحكام الشرعية، لكل ما يجدّ فى حياة الناس، وذلك حينما لا يتهيأ لهم الرجوع إلى الرسول مباشرة لبعدهم عنه فى المكان، أو فى الزمان.

● الثانى: إن الكتاب الربانى المنزّل على الرسول، هو الحَكَم العَدْل لأمته فى كل ما يختلفون فيه، مما تتناوله أحكام شريعة الله لهم.

● الثالث: إن الكتاب الربانى المنزّل على الرسول، والمحفوظ من بعده من التحريف والتبديل، يَصون عقائد الدين وشرائعه، وغاياته من ضلالات ذوى الأهواء، الذين تسوّل لهم أنفسهم أن يتلاعبوا بالدين، وينسبوا إليه ما ليس منه، وينحرفوا به عن صراط الله المستقيم، إرضاء لشهواتهم وغرائزهم.

واستمرار الكتاب الربانى فى أمة الرسول من بعده، بمثابة استمرار وجود الرسول الذى بلّغه إليهم بين ظهرانيهم، من ناحية بيان أصول الدين وشرائعه، وسائر مواعظه وآدابه.

● الرابع: إن استمرار وجود الكتاب الربانى فى أمة، يحفظ لدعوة الرسول ولرسالته تأثيرها، وسريانها، وقابليتها للاتساع والانتشار؛ مهما تباعدت الأمكنة أو الأزمنة، عن مكان أو زمان نشأة الرسول صاحب الدعوة، لاسيما حينما تكون دعوة الرسول دعوة عامة شاملة كرسالة محمد - ﷺ.

* **إن المصادر الوحيدة التى يُرجع إليها فى معرفة كتب الله هى القرآن الكريم والحديث النبوى..**

فالقرآن هو الكتاب الإلهى، المحفوظ حفظا، لا يتطرق إليه معه الزيادة، ولا النقص، ولا التحريف ولا التغيير أو التبديل بحال من الأحوال، تولى الحق سبحانه حفظه، مصداقا لقوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر ٩]

وقوله سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُم وإِنَّهُ لكتابٌ عزيزٌ، لَايَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت ٤١، ٤٢]

* **وقد ذكر القرآن الكريم من الكتب الإلهية السابقة: صحف إبراهيم، وصحف موسى، وثلاثة كتب، هى: توراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى، عليهم السلام، ذكرها فى مواضع متفرقة منه، نذكر منها:**

١ - **قوله تعالى فى سورة الفرقان:** ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَا معه أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرا﴾ [الفرقان ٣٥]

والمراد من لفظ الكتاب فى هذه الآية التوراة.

* **وقوله تعالى فى الحديث عن اليهود:** ﴿وكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثم يَتَوَلونَ مِنْ بَعْدِ ذلك وَمَا أولئِكَ بالمؤْمِنين، إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى ونُورٌ يَحْكُمُ بها النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا والرَّبَّانيّونَ والأَحْبَارُ بما اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء﴾ [المائدة ٤٣، ٤٤].

* والتوراة.. هو الكتاب الذى أنزله الله على موسى، وهو كتاب تشريع وأحكام، وقد تلقى موسى بعضه من ربه مكتوبا فى ألواح من الحجارة ، وعمل به أهل الكتاب حقبا من الدهر، ولكن اليهود بعد ذلك حرّفوا فيه، وبدلوا، وزادوا ونقصوا، **فليس بين أيدى أهل الكتاب - اليهود - نسخة صحيحة ثابتة من نسخ التوراة،** لا تبديل فيها ولا تحريف.

٢ - **وذكر الزبور فى قوله تعالى:**

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء ٥٥].

* والزبور.. هو الكتاب الذى أنزله الله على داود، **وهو كتاب مواعظ ونصائح وأخلاق وإثارة مشاعر وجدانية دينية،** وقد كان داود عليه السلام - **يرتله ترتيلا غنائيا بصوته الشجىّ،** وكانت الجبال تُؤَوِّب معه رَجْعَ صوته الندى الجميل.

٣ - **وذكر الإنجيل فى قوله عز وجل:**

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهم بِرُسُلِنَا وقَفَّيْنَا بعِيسَى بنِ مَرْيَمَ وآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ﴾ [الحديد ٢٧].

* **والإنجيل:** هو الكتاب الذى أنزله الله على **عيسى** - عليه السلام، **ولكن لا نجد عند النصارى نسخة صحيحة أصلية ثابتة بالتواتر الصحيح،** وما لديهم من نصوص محرّفة، مبدّلة، وفيها زيادات كثيرة، وفيها نقص كبير أيضا عن الأصل الربانى، **فنحن نؤمن بالإنجيل، بوصفه كتابًا سماويا،** أنزله الله على رسوله عيسى، لا بالمحرّفات التى يزعم أهل الكتاب النصارى أنها هى الإنجيل.

٤ - **وذكر صحف إبراهيم وموسى،** فى قوله سبحانه:

﴿إِنَّ هَذَا لَفِى الصُّحُفِ الأُولَى، صُحُفِ ابْرَاهِيمَ ومُوسَى﴾ [الأعلى ١٨، ١٩].

* فقد جاء فى هذه الآيات البينات **ذِكْر ثلاثة كتب إلهية، مع كل من صحف ابراهيم وموسى** - عليهما السلام.

* كما جاء فى مواضع أخرى من القرآن ذكر بعض ما جاء فيها من أخبار.

* نحو قوله تعالى فى التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ، والعَيْنَ بالعَيْنِ، والأَنْفَ بالأَنْفِ، والأُذُنَ بالأُذُنِ والسِّنَّ بالسِّنّ والجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة ٤٥]

حيث ذكرت حكما من أحكام القِصَاص فى الأطراف.

* ونحو قوله تعالى فى الإنجيل:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشدّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا من اللّهِ ورِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فى الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ﴾ [سورة الفتح ٢٩]

* فقد نصّت هذه الآية القرآنية على أن وصفَ الرسول محمد - ﷺ - ووصف أصحابه فى كل من التوراة والإنجيل، بنفس المعنى الذى حوته هذه الآية القرآنية الكريمة.

* ونحو قوله تعالى فى صحف إبراهيم وموسى:

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى، وإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى، أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وأَن لَيْسَ للإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى، ثم يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى، وأَنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنْتَهَى﴾ [النجم ٣٦-٤٢].

* فقد نَصّت هذه الآيات الكريمة على أن فى صحف كل من ابراهيم وموسى: الإخبار بأن النفس المذنبة يوم القيامة لا يحمل عنها ذنبها غيرها، وأن الإنسان ليس له من نتائج العمل إلّا ما عمله، وسَعَى فيه بنفسه، كما أن سعى الإنسان سوف يعرف به، ويجزاه كاملاً غير منقوص.

فهذه الكتب والصحف، التى ذكرت فى القرن بأسمائها، وأسماء أصحابها التى نزلت عليهم، يؤمن بها المؤمن تفصيلا كما ذكرت مفصلة، ويؤمن بباقى كتب الله تعالى، التى لم تذكر فى القرآن مفصلة، حتى لم يرد فى القرآن ذكر أسمائها، ولا أسماء من نزلت عليهم، وإنما ذُكرت مجملة، كما فى قوله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بالبَيِّنَاتِ وأَنْزَلْنَا مَعَهُم الكِتَابَ والمِيزَانَ ليقومَ النَّاسُ بالقِسْطِ﴾ [الحديد ٢٥].

وكما فى قوله تعالى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ وأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بالحَقِّ، ليَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيه﴾ [البقرة ٢١٣].

فقد جاء فى هاتين الآيتين ذكر الكتب مجملا، فيؤمن بها المؤمن مجملة، وإن لم يعرف أسماءها، ولا أسماء من أنزلت عليهم.

● وقد ورد فى الأحاديث النبوية الشريفة ذكر لكتب الله، فى مناسبات كثيرة ، منها:

* قوله - ﷺ: «إنما بقاؤكم فيمن سَلَف» كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أُوتى أهلُ «التوراة» التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار، ثم عجزوا فأُعْطُوا قيراطًا قيراطًا، ثم أوتى أهلُ «الإنجيل» الإنجيل فعملوا به حتى صُلِّيت العصرُ، ثم عجزوا فأُعْطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أُوتيتُم «القرآن» فعملتم به حتى غَرُبت الشمسُ، فأُعْطِيتُم قِيرَاطَيْن قيراطين، فقال أهلُ الكتاب: أَقَلّ منّا عَمَلاً وأكثر أجرًا؟ قال الله: ﴿هَلْ ظَلَمْتُكُم مِنْ حَقِّكُم من شىءٍ؟ قالُوا: لَا، قال: هو فَضْلى أُوتيه من أشاء﴾[١].

* وقوله - ﷺ: «خُفِّفَ على داودَ - عليه السلام - القرآنُ (القراءة) فكَانَ يأْمُرُ بدَوَابِّه فتُسرَجُ فيقرأ القرآن (التوراة أو الزبور) قبل أن تُسْرَجَ دوابُّهُ، ولا يأكل إلاّ من عمل يديه»[٢].

* وقوله - ﷺ: «لا تُصَدِّقُوا أهلَ الكتابِ ولا تُكَذِّبوهم وقُولُوا آمَنَّا بالّذِى أُنْزِلَ إلَيْنا وما أُنْزِل إليكم، وَإِلَهُنَا وإِلَهُكُم واحدٌ، ونحنُ له مسلمُون»[٣].

* وعن وقت نزول هذه الكتب السماوية - روى الإمام أحمد بن حنبل - بإسناده - أن رسول الله - ﷺ - قال: «أُنْزِلت صُحُف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان، وأُنزلت التوراة لستٍّ مَضَيْنَ من رمضان، وأُنْزِل الإنجيل لثلاث عشرة خَلَت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان».

وفى رواية عن جابر بن عبدالله: «أن الزبور أنزل لثنتى عشرة خلت من رمضان، والإنجيل لثانى عشرة».

فأما الصحف والتوراة والزبور والإنجيل، فنزل كل منها على النبى الذى أنزل عليه جملة واحدة، وأما القرآن فإنما نزل جملة واحدة إلى بيت العزّة من السماء الدنيا، وكان ذلك فى شهر رمضان فى ليلة القدر منه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وقال جل وعلا: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فى ليلةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ ثم نزل منجما على الرسول -ﷺ- وفقًا لظروفه وظروف الدعوة والمجتمع.

* إن هذه الكتب الإلهية التى ذكرها القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف، لا يكتمل إيمان المسلم إلاّ إذا آمن بها جميعا. يقول تعالى:

---

(١) رواه البخارى.
(٢) رواه البخارى.
(٣) رواه البخارى.

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ من رَبِّهِ والمُؤْمِنُون كُلٌّ آمَنَ باللَّهِ ومَلَائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ من رُسُلِهِ﴾ [البقرة ٢٨٥].

فالإيمان بهذه الكتب إيمان بالقرآن الكريم، وهو واجب شرعى، لأن الحق تبارك وتعالى أمر بذلك أمرًا صريحا جازما، بقوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا باللَّهِ ورَسُولِهِ، والكِتَابِ الَّذِى نَزَّل عَلَى رَسُولِهِ، والكِتَابِ الَّذِى أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ...﴾ [الآية ١٣٦ من النساء].

فهذه الآية الكريمة كافية فى الدلالة على وجوب الإيمان بهذه الكتب الإلهية، إيمانها بالقرآن الكريم، لذلك كان الإيمان بها ركنًا من أركان الإسلام، التى لا يصح إيمان المؤمن إلّا باستكمالها، والإيمان بها كلها.

* هذا وقد ورد فى الأثر خبر عن عدد الصحف والكتب السماوية المنزّلة:

* روى أبو ذر الغفارى - رضى الله عنه، قال: قُلْتُ يا رسول الله: كم كتابا أُنْزَل الله على أنبيائه؟ قال الرسول - ﷺ: مائة صحيفة وأربعة كتب، فقد أنزل على آدم عَشْر صحائف، وعلى شيث خمسون صحيفة، وعلى إدريس ثلاثون صحيفة، وعلى ابراهيم عشر صحائف، وأنزل التوراة والزبور والإنجيل والقرآن»[1].

* منزلة القرآن الكريم بين كتب الله تعالى

ومن المهم أن نذكر، أن للقرآن العظيم منزلة خاصة بين سائر الكتب الإلهية، التى تقدّمته فى النزول، وتتجلى هذه المنزلة العالية فى الأمور التالية:[2]

* كونه ناسخا لها لفظا وحكما، فلا تُقرأ للتعبّد ولا يعمل بما فيها من شرائع وأحكام، وذلك:

أولا: لما داخلها من تحريف، وما أصابها من تضييع ونسيان، إذ لم يبق فيها ما يُجزم بصحة نسبته إلى الله تعالى، أقرّ بهذه الحقيقة واعترف بها المنصفون والمحققون من علماء أهل الكتابين معا.

ثانيا: كان التشريع فيها خاصا ببنى اسرائيل، وموقوتا بزمن معين.

وليس أدل على نسخ القرآن للكتب السماوية التى قبله، من أمر الله تعالى لنبيّه - حامل رسالة القرآن محمد - ﷺ، أن يحكم بين سائر الناس على اختلاف ما ينتحلون من ديانات بالقرآن الحكيم، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ ومُهَيْمِنًا عَلَيهِ فاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُم عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ﴾ [المائدة ٤٨].

ثالثًا: كونه مهيمنا عليها رقيبا شهيدًا، فما صححه منها وأقره فيها صحَّ وقر، وما أبطله منها ونفاه لكونه دخيلا عليها ليس منها، بَطُل وانتفى، كما جاء شاهد هذا فى الآية الكريمة السابقة.

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده.

(٢) الشيخ أبوبكر الجزائرى: عقيدة المؤمن ص٢٤٠ وما بعدها. طبع مكتبة الكليات الأزهرية.

رابعا: كون ما يحمل من التشريع الإلهى عاما لكل الناس، فى أى مكان كانوا، وفى أى زمان وجدوا، وذلك لعموم رسالة صاحبه المنزّل عليه -ﷺ- إذْ قال الله سبحانه وتعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عبده ليكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان ١].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُم جَمِيعا﴾ [الأعراف ١٥٨].

بخلاف الكتب التى سبقته، فإنها كانت خاصة من المكان والزمان، ولا عموم فيها البتّة.

خامسا: تعهد الله تبارك وتعالى بحفظه إلى أن يرفعه إليه.

إذ قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نزَّلْنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ [الحجر ٩].

فحفظه الله سبحانه، بأن قيّض له رجالا أمناء، حَفِظُوه فى صدورهم، وسطورهم فلم تقو يد الزمان، ولا يد العدوان على أن تزيد فيه حرفا، ولا أن تنقص منه حرفا، بخلاف غيره من الكتب، **وخاصة التوراة، فقد ضاعت كلها فى غزو بَخْتِنَصَّر البابلى لمملكة بنى إسرائيل، ولم يعثر عليها إلاّ** فيما بعد، ثم ما إن جُمعت - والله أعلم بصحة ما جمع فيها - حتى تسلط عليها عبدة المادة فحرّفوها وبدّلوها حسب مصالحهم وأهوائهم.

أما الإنجيل، فيكفى فى الدلالة على عدم حفظه أنه اليوم **خمسة أناجيل**، هى: إنجيل متّى ومرقص، ولوقا، ويوحنا، وبرنابا، والأخير أصحها، بعد أن كان يوم نزوله إنجيلا واحدًا.

*** بقى أن نقول:** إن الإيمان بهذه الكتب الإلهية - **إذا كان واجبا شرعا، فهو واجب عقلا أيضا - فإنه يظهر للمتأمل من حيث حاجة العباد إليها، وإقامة الحجة عليهم بها..**

فإن الرسول المبلغ عن الله شرائعه وأحكامه يحتاج غالبا فى إثبات رسالته إلى كتاب من الله، تقوم به الحجة له على تلك الأمة، التى أُرسل إليها **حتى يؤمنوا به، ويصدقوه، ويتبعوه ويعملوا بما جاءهم به.**

والتشريع الإلهى نفسه يفتقر إلى كتاب يحويه، ويتضمنه، ويُثبت فيه، ليبقى بعد وفاة الرسول الذى جاء شرعا محفوظا، تعمل به الأجيال إلى المدى الذى حدد له بنسخة برسالة أخرى، أو بنسخ بعض ما جاء فيه، كماحصل للتوراة والإنجيل، **فقد نسخ الله تعالى بالإنجيل بعض أحكام التوراة، ونسخ بالقرآن الكريم الإنجيل والتوراة كليهما**، ولولا بقاء الكتاب بعد الرسول، لضاع الدين الذى جاء به، أو ضاع الكثير منه، وحينئذ يقول الناس: **بم نعبد الله؟ وكيف نعبده؟ ولم يكن لدينا من شرائعه ما نعبده به.**

*** وتكون لهم الحجة على الله تعالى**، وهذا ما لم يُرِدْه الله تعالى، حيث صرح بنفسه فى قوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ لِئَلًّا يكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُل، وكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء ١٦٥].

* فهذه المسائل الثلاث:

(أ) احتياج الرسول فى إثبات رسالته إلى كتاب من ربّه تقوم له به الحجّة على قومه.

(ب) افتقار التشريع الإلهى إلى كتاب يحويه ويتضمّنه، ويُثبت به.

(جـ) عدم إعطاء الناس الحجة على الله تعالى ببقاء التشريع الإلهى محفوظا فى كتاب، ثابتا فيه.

هى التى اقتضت عقلا وجوب كتب إلهية، كما اقتضت وجوب الإيمان بها، وتصديقها، والعمل بما فيها، لافتقار سعادة البشرية فى الحياتين إليها، وتوقفها عليها.

الفصل الخامس

أنبياء الله ورسله

ويندرج تحت عَالَم الغيب كذلك، عالم غيبى خامس، وهو عالم الأنبياء والمرسلين السابقين، خاصة أولئك الذين لم تصل إلينا أخبارهم أو أخبار أقوامهم، أو أزمانهم وأماكنهم..

فالحق سبحانه وتعالى - شاءت إرادته - أن يرسل رُسلا مبشرين ومنذرين، لِئَلا يكون للناس عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بعد الرُّسُل، وأيدهم بالمعجزات الباهرات، والآيات البينات، وجَمّلهم وكمّلهم بجميع الكمالات الإنسانية، حتى يكونوا الأسوة والقدوة لجميع البشر. وقد بيّن الحق - سبحانه - حاجة الناس إلى هؤلاء الأنبياء والرسل، فقال عز شأنه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بالبيِّنَـاتِ وَأَنْزَلْنَـا مَعَهُم الكِتَابَ والمِيزَان لِيَقُومَ النَّاسُ بالقِسْطِ﴾ [الحديد ٢٥].

* وقبل أن نذكر تأريخ الرسول -ﷺ- للرسل، وحديثه -ﷺ- عنهم وعن فضائلهم وشمائلهم، وما يتصل بهم وبشعوبهم من أمور.. نود أن نقف قليلا لنتعرف عليهم، وعلى سماتهم وشمائلهم، وما يحملون من مؤهلات خاصة، ميّزهم بها رب العزّة، ليكونوا أهلاً لحمل الأمانة، وتبليغ الرسالة، والاضطلاع بالدور العظيم الذى اختاره الله لهم.

* النبوّة.. لغة[1].. اسم مشتق من «نَبَا» الشىء يَنْبُو نُبُوَّةً، إذا ارتفع متجاوزًا غيره، ومنه قولهم: نَبَا السيفُ ينبو نبوةً إذا ارتفع متجاوزًا مضرب الفارس. أو - هى: اسم مشتق من «أَنْبَأَ» فلان غيره يُنْبِئه إِنْبَاءً، إذا أخبره بخبر ذى شأن، ولهذا تُقْرَأ «النُّبُوءَة» بالهمز بعد الواو، وبها قرأ وَرْش عن نافع، قوله جل جلاله: ﴿آتَيْنَاهُم الكِتَابَ والحُكْمَ والنُّبُوءَةَ﴾ [الأنعام ٨٩].

وقرأ حَفْص عن عاصم: ﴿النُّبُوّة﴾ بواو مشددة، والقراءتان صحيحتان، كما ذكر ابن كثير.

* والنبوة.. شرعا.. إعلام الله تعالى من اجتبى من الناس لرفعته، وإعلاء شأنه، بإنبائه بالوحى الذى أراده الله.

* والأنبياء.. جمع نبىّ، والنبىّ فرد من بنى آدم، اختاره الله واصْطَفَاه وفضله على قومه، وأوحى إليه بأمر محدد، فإن كلفه الله بتبليغ هذا الأمر فهو نبى مرسل، وإن لم يكلفه بتبليغه، فهو نبى فقط. وبهذا يمكن تحديد الفرق بين النبى المختار، والرسول المرسل.

فالرسول: يكون مرسلاً من قِبَل الله، سبحانه وتعالى، لقوم أو أقوام معيّنين، لتبليغ رسالة هى

(١) أنظر المعجم الوسيط مادة (نبأ).

تعاليم الله، وأوامره ونواهيه، وما أوحى به إليه.

أما النبىّ، فهو الذى يُوحى إليه بأمر ما، ولم يكلّف، أو لم يؤمر بتبليغه إلى عباد الله، لاختصاصه به وحده، دون غيره من سائر البشر.

فإذا كان ذلك كذلك، فكل رسولٍ نبىّ، وليس كلُ نبى رسولا. فالنبوة داخلة فى الرسالة، والرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها، فالأنبياء أعم، والنبوة نفسها جزء من الرسالة، والرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف النبوة فإنها لا تتناول الرسالة.

والنبوة.. فضلُ إلهى، وهِبَةٌ ربانية، يهبها الله لمن يشاء من عباده، ويختص لها مَنْ يريد من خلقه، وهى لا تُدرك بالجد والتعب، ولا تُنال بكثرة الطاعة والعبادة، وإنما هى بمحض الفضل الإلهى ﴿يَخْتَصُّ برَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، واللَّهُ ذُو الفضل العظيم﴾ [آل عمران ٧٤].

فهى إذًا ﴿اصطفاء واختيار﴾ ولا تكون إلا لمن اختاره الله تبارك وتعالى لها، ممن هم أهل لحملها، لأنها حمل ثقيل، وتكليف عظيم، لا يقدر عليه إلا أُولُو العَزْم من الرجال، كما قال تعالى مخاطبا خاتم الأنبياء والمرسلين ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[المزمل ٥].

* والنبوة لا تكون بالوراثة، ولا تكون بطريق الغلبة والاستعلاء، إنما هى اختيار، يختار الله – سبحانه وتعالى – لها أفضل خلقه، وصفوة عباده يختارهم لحمل الرسالة، ويصطفيهم من بين سائر البشر لهذا العمل الجليل – كما وضح البارى جل وعلا، ذلك فى كتابه العزيز، فقال: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ المَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج ٧٥] وقال جلت عظمته: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ونُوحًا وآل إبْرَاهِيمَ وآلَ عِمْرَان عَلَى العَالَمِين﴾ [آل عمران ٣٣] وقال فى معرض الحديث عن بعض الرسل: ﴿وَإِنَّهُم عِنْدَنَا لَمِنَ المُصْطَفِين الأَخْيَار﴾ [ص ٤٧].

* وعدد الأنبياء لا يحصى، إذْ يزيد عددهم – على ما جاء فى بعض الآثار – على مائة وعشرين ألفا.

* روى الإمام أحمد، عن أبى ذر الغفارى، رضى الله عنه، أنه قال: «قلت يا رسول الله.. أى الأنبياء كان أول؟ قال: آدم، قلت: يا رسول الله.. أنَبىّ كان؟ قال: نعم، نبى مكلَّم، قلت: يا رسول الله.. كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيرًا».

وفى رواية أبى أمامة: قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدد الأنبياء؟ قال: مائة ألف وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر، جمًّا غفيرًا[(١)].

* أما الرسل، فهم قلّة، والذين ذُكروا فى القرآن الكريم يجب الإيمان بهم تفصيلا وَهم خمسة

---

(١) رواه الإمام أحمد – فى مسنده ١٧٨/٥، ١٧٩، ٢٦٦.

وعشرون، وكلّهم من الرسل، وهم كالآتى: ﴿آدم، ونوح، وإدريس، وصالح، وابراهيم، وهود، ولوط، ويونس، وإسماعيل، واسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، والْيَسَع، وذو الكِفْل، وداود، وزكريا، وسليمان، وإلياس، ويحيى، وعيسى، ومحمد﴾.

* وهؤلاء الرسل يجب الإيمان بهم تفصيلا، بمعنى أنه يتعين التصديق برسالتهم، بأشخاصهم وأسمائهم، لأنهم ذكروا فى القرآن الكريم. أما بقية الرسل - غير المذكورين، وإن كانوا من عالم الغيب بالنسبة لنا، إلّا أنه يجب الإيمان بهم جملة، بمعنى أن نصدق بأن هناك أنبياء غير هؤلاء الذين ذكروا فى الكتاب العزيز، لأن الله - تبارك وتعالى - قد أخبر عنهم بقوله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُم عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء ١٦٤].

* وقد جمع هؤلاء الرسل فى آية كريمة، ذكر منهم فيها ثمانية عشر، والسبعة الباقون ذكروا فى آيات متفرقة من كتاب الله. أما الآية الكريمة، فهى قول عز شأنه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ، وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كل من الصالحين، وإسماعيل واليسع ويونس وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمِنْ آبَائِهِم وَذُرِّيَّاتِهِم وَإِخْوَانِهِم وَاجْتَبَيْنَاهُم وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام ٨٣ - ٨٧].

وقد جمع بقية الرسل فى بيتين من الشعر، وهو قول الناظم:

«فى تلك حُجَّتُنا مِنْهم ثمانيةٌ مِنْ بعدِ عشرٍ، ويَبْقَى سَبْعةٌ وَهُمُوا»
«إدريس، وهود، شعيبٌ، صالحٌ وكَذَا ذُو الكِفْل، آدَمُ، بالمختار قد خُتِمُوا»

* والدليل على أن الرسل الكرام مأمورون بتبليغ الرسالات، وأنهم يختلفون عن الأنبياء فى هذا الأمر، قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُون رِسالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[الأحزاب ٣٩].

وقوله تعالى مخاطبا خاتم المرسلين: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة ٦٧].

* والأنبياء صفوة البشر، اختارهم الله من بين خلقه، ليكونوا نموذجًا للكمال، وعنوانًا للفضل، وحملة لمشعل النور والضياء، وقادة لركب الحضارة الإنسانية، على مدى الأزمان وَكَرِّ الدهور واصطفاهم المولى - جلّت حكمته - ليكونوا هداة ومصلحين، فاختارهم على عِلْمه، ورباهم على عَيْنه، وشرفهم بأكمل الأوصاف، فجعلهم أئمة الدين والدنيا:

﴿وَجَعَلْنَاهُم أَئِمَّةً يَهْدُون بِأَمرِنا وأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وكَانُوا لَنَا عَابِدِين﴾ [الأنبياء ٧٣]

هؤلاء الصفوة المختارة من عباد الله هم «الأنبياء والمرسلون» الذين شرفهم الله بالنبوة، وأعطاهم الحكمة، ورزقهم قوة العقل، وسداد الرأى، واصطفاهم ليكونوا وسطاء بينه وبين خلقه، يبلغونهم أوامر الله عز وجل، ويحذرونهم غضبه وعقابه ويرشدونهم إلى مافيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة.

وهؤلاء الرسل الأطهار، ليسوا بدرجة واحدة من الفضل والمكانة، بل بعضهم أفضل من بعض، فقد جعلهم الله تعالى درجات، وفى ذلك يقول سبحانه:

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْض﴾ [البقرة ٢٥٣]

ويقول عز شأنه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء ٥٥]

* ومن الرسل الكرام من سماهم القرآن الكريم «أولى العَزْمِ» وهم قادة الأنبياء وسادتهم، وقد ذكرهم الله تعالى بالثناء العاطر، وأمر رسوله محمدًا - ﷺ - أن يقتدى بهم فى جهادهم وصبرهم، فقال عز من قائل:

﴿فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُل﴾ [الأحقاف ٣٥]

وإنما سُموا بأُولِي العزم، لأن عزائمهم كانت قوية، وابتلاءهم كان شديدًا، وجهادهم كان شاقًّا ومريرًا، فمنهم من صبر على البلاء والتكذيب القرون الطويلة، وتعاقبت عليه الأجيال العديدة، لأنه عمّر طويلا، ولكن حياته كلها كانت محنا وشدائد «كنوح» عليه السلام الذى لبث فى قومه قريبًا من ألف سنة، ولم يؤمن معه إلّا قليل، وصدق الله العظيم حيث يقول.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إلاّ خَمْسِينَ عَامًا فأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُم ظَالِمُون﴾ [العنكبوت ١٤]

* ومنهم من وصلت به الشدّة والكربة، ونال من قومه الشدائد والأهوال، إلى درجة أنهم حكموا عليه بالتحريق بالنار، كإبراهيم - عليه السلام، خليل الرحمن، فقد كانت عقوبته فى سبيل دعوة الله، الإحراق بالنار، ولكن الله - عز وجل - نجّاه، فأمر النار أن تكون بردًا وسلامًا عليه.

وهكذا بقية أولى العزم كموسى وعيسى ومحمد- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كلهم أُوذُوا. واضطهدوا وشُرّدوا، فتحملوا الأذى والعذاب، وصبروا على البلاء والشدة.

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ الله وَمَا ضَعُفُوا وما اسْتَكَانُوا، والله يُحِبّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران ١٤]

لهذا استحقوا أن يكونوا قادة الأنبياء، وسادة الرسل، وأن يحملوا اللواء فى سبيل عزة الإنسانية، وانتشالها من براثن الشرك والضلال، إلى نور التوحيد والهداية.

* ومن رحمة الله بعباده، ومن جميل لطفه بهم وإحسانه إليهم، أن بعث إليهم الأنبياء والمرسلين

ميشرين ومنذرين، ليكونوا منارات للهدى، تُضِئ للعالم طريق الخير، وترشدهم إلى السعادة، وتنقذهم من براثن الشرك والوثنية، وتسمو بهم إلى مدارج العز والكمال.

* وقد جرت سُنّة الله فى خلقه، ألّا يعاقب أمة قبل أن يبعث إليها رسولاً، يدعوها إلى البرّ والخير، وينهاها عن السوء والشر، وذلك حتى لا يدع لأحد من البشر عذرًا:

﴿وَمَاكُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء ١٥]

* ولِئَلا يقول الناس يوم القيامة (مَاجَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة ١٩]

* أو يتخذوا منها ذريعة لعدم الإيمان، أو حُجّة على الله تعالى فى عدم استحقاقهم للعذاب:

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه ١٣٤]

* وسؤال هام يطرح الآن نفسه: لماذا كان الأنبياء والرسل من البشر؟

نقول: لما كان الغرض من بَعْث الأنبياء والرسل - عليهم أفضل الصلاة والسلام - أن يكونوا سُفَراء بين الله تبارك وتعالى - وبين عباده، حتى يبلّغوا الناس أوامر الله تعالى ونواهيه، ويرشدوا الخلق إلى مايحبه البارى - جَلَّ وعَلَا - وما يبغضه، ويكونوا قدوة للبشر فى سلوكهم وأخلاقهم وتصرفاتهم، ولما كان لابد فى الوسيط - السفير - أن يكون ممن يمكن الاجتماع به، والأخذ عنه..

لذلك بعث الله - تبارك وتعالى - الرسل من البشر، ليبلغوا أوامر الله، ويدعو الناس إلى سعادة الدنيا والآخرة.

ولو كان الرسل من الملائكة لما استطاع البشر أن يأخذوا عنهم، أو يجتمعوا بهم، ولكان للناس حُجّة فى عدم الاتباع للرسل، وهو أن يقولوا: هؤلاء الذين بعثهم الله إلينا، وأمرنا باتباعهم ليسوا من جِنْسنا، ليسوا بشرًا، إنما هم ملائكة، وطبيعتنا تختلف عن طبيعتهم، فهم أسمى منّا خُلُقًا، وأطهر منّا عملًا، وأكرم مقامًا.(١)

ثم إن الملائكة لا يأكلون ولايشربون، وليس فيهم شهوة أو ميل إلى المعصية، لأنهم عباد مكرمون، ومن ناحية أخرى، لو كان الرسول الذى يبعث إلى الخَلْق مَلَكا، لما استطاع البشر أن يأخذوا عنه، أو يجتمعوا به، لأنه إن جاءهم بصورة مَلَكِيّة فزعوا وصعقوا وولوا الأدبار هربا وفزعًا منه، لأنهم لم يعهدوا مثل هذه الصورة، ولم يروا مثل هذا الخلق العظيم.

وقد ذكر القرآن العظيم هذا المعنى فى معرض الرد على المشركين، حين طلبوا أن يكون النبى المرسل من الملائكة لا من البشر.

---

(١) الشيخ محمد على الصابونى: النبوة والأنبياء ص ١٩ طبع مكتبة الغزالى سنة ١٤٠٠ هـ

﴿وقَالوا لَوْلا أُنْزِل عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ ثم لا يُنظَرُون، وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاه رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَايَلْبِسُون﴾ [الأنعام ٨، ٩]

أى إننا لو جعلنا النبىَّ مَلَكًا كما اقترحوا لجعلناه فى صورة رجل من البشر، ليمكن اجتماعهم به، وأخذهم عنه، وحينئذ يلتبس عليهم الأمر، هل هو ملك أم بشر؟ فيشكّون فى أمره، ويعودون إلى سيرتهم الأولى فى طلبهم أن يكون النبىّ من الملائكة.

* ولقد اقتضت حكمة اللطيف الخبير، أن يبعث إلى الخلائق الأنبياء الكرام، لتعريفهم الفرق بين الخير والشر، وتوضيح بعض الأمور الغيبية لهم، التى لا يمكن للإنسان معرفتها إلّا عن طريق الوحى، كالإيمان بالله، وبصفاته العلية، والإيمان بالملائكة، وبالبعث والنشور، إلى غير ذلك، ليقطع على البشر معاذيرهم، ولِئَلّا يبقى لإنسان حجة عند الله يوم القيامة.

* تأريخ الرسول للرسل:

إن التاريخ الذى كتبته يد البشر، ومهما كانت اليد الكاتبة أمينة وعليمة، لتاريخ ناقص عن توفية الرسل حقهم فيما وهبهم الله تعالى من الكمال، وقاصر عن إعطاء الصورة الواضحة لرسل الله وأنبيائه، الذين لم تخلُ من وجودهم فيها أمة من الأمم، ومن بدء الخليقة إلى أن خُتموا بإمامهم وسيدهم محمد- ﷺ.

ومع هذا فإنه لا يوجد فى مصادر التاريخ اليوم ما يُعوّل عليه فى هذا الشأن، وما يعتمد عليه فى هذه المهمة العظيمة، وهى التاريخ الصادق الكامل لصفوة الخلق، وخلاصة البشر، الرسل - عليهم السلام -اللهم إلّا ما كان من كتاب الله تعالى: القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف، فهما المصدران الوحيدان الصادقان، الموثوق بهما، اللذان لا يُعدَل بهما غيرهما، ولا يلتفت معهما إلى سواهما، إذْ لا يعرف الأنبياء إلّا ربُّ الأنبياء، وأخو الأنبياء، وخاتمهم(١) - ﷺ.

* فقد ذكر الرسول - ﷺ - الرسل والأنبياء - عليهم السلام، فى أحاديث كثيرة:

* فعن أبى ذر قال: أتيت رسول الله - ﷺ - وهو فى المسجد فجلست، فقلت: يارسول الله.. أى الأنبياء كان أول؟ قال: آدم، قلت: يا رسول الله.. ونبى كان؟ قال: نعم، نبى مكلّم، قلت: يا رسول الله.. كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر، جما غفيرًا، أو قال مرة: خمسة عشر، قلت: يا رسول الله.. آدم نبى؟ قال: نعم مكلّم، قال، قلت: يارسول الله.. أيما أنزل عليك أعظم؟ قال: آية الكرسى (الله لَا إِلَه إِلّا هُوَ الحىّ القيوم)(٢).

* وعن أبى أمامة، أن رجلًا قال: يارسول الله أنبى كان آدم؟ قال: نعم، قال: كم كان بينه

---

(١) انظر فى ذلك الجامع الصحيح ص٢٦٤ ومابعدها، واللؤلؤ والمرجان: كتاب فضائل الأنبياء.

(٢) رواه أحمد، وروى النسائى طرفا منه.

وبين نوح؟ قال: عشرة قرون، قال: كم كان بين نوح وابراهيم؟ قال: عشرة قرون، قال: يارسول الله.. كم كانت الرسل؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر»[١]

* وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:
«بعث الله ثمانية آلاف نبى، أربعة آلاف إلى بنى اسرائيل، وأربعة آلاف إلى سائر الناس»[٢].

* وعن أنس بن مالك، قال: بُعِثَ نبيّ الله - ﷺ ، بعد ثمانية آلاف نبيّ، منهم أربعة آلاف من بنى اسرائيل[٣].

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما - قال: الأنبياء من بنى إسرائيل إلاّ عشرة: نوح وهود، ولوط، وصالح، وشعيب، وابراهيم، واسماعيل، واسحق، وعيسى، ومحمد - ﷺ. وليس من نبّى إلا له اسمان إلاّ عيسى ويعقوب عليهما السلام[٤].

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: قال رسول الله - ﷺ: «الأنبياء أحياء فى قبورهم يُصَلُّون»[٥].

* وعن أنس بن مالك - أيضًا - قال: سمعت رسول الله - ﷺ يقول: «كان فيمن خلا من إخوانى من الأنبياء ثمانية آلاف نبى، ثم كان عيسى بن مريم، ثم كنت أنا»[٦]

- ١ -
* آدم - عليه السلام *

إن تاريخ الرسل - عليهم السلام - يبتدئ بآدم أبى البشر، وخروجه من الجنة، وهبوطه على الأرض، وتكاثر أبنائه فيها، ثم وفاته ودفنه.

وقد تناول الحديث النبوى الشريف، التأريخ لآدم - عليه السلام - منذ خلقه وتكوينه وحياته داخل الجنة وخارجها. حتى انتقل إلى جوار ربه.

* فعن خلق آدم - عليه السلام - روى أبو هريرة، عن النبى - ﷺ - قال:

«إن الله خَلَق آدم من تراب، ثم جعله طينا، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونا، خلقه وصوّره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار، قال: فكان إبليس يمرّ به فيقول: لقد خُلقت لأمرٍ عظيم، ثم نفخ الله فيه من روحه، فكان أول شىء جرى فيه الروح بصره وخياشيمه، فعطس فلقاه أنه حمد

---

(١) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.
(٢) رواه أبو يعلى.
(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط.
(٤) رواه الطبرانى ورجاله ثقات.
(٥) رواه أبو يعلى.
(٦) رواه أبو يعلى.

ربه، فقال الرب: يرحمك ربك، ثم قال: يا آدم آذهب إلى أولئك النفر. فقل لهم: وانظر ما يقولون، فجاء فسلّم عليهم، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله. فجاء إلى ربه، فقال: ماذا قالوا لك؟ - وهو أعلم بما قالوا له - قال: يارب لقد سلّمت عليهم، قالوا: وعليك السلام ورحمة الله، قال: يا آدم هذه تحيتك وتحية ذريتك، قال: يارب وما ذريتى؟ قال: اختر يا آدم، قال: اختار يمين ربى، وكلتا يدى ربى يمين، فبسط الله كفّه، فإذا كل ما هو كائن من ذريته فى كفّ الرحمن، عز وجل، فذكر الحديث..(١)

* **وعن حكمة الله سبحانه - فى خلق آدم - عليه السلام.**

أخبر الله تعالى الملائكة، قائلا لهم ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة ٣٠] أَعْلَم بما يريد أن يخلق من آدم وذريتهُ الذى يَخْلُف بعضهم بعضا، كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُم خَلاَئِفَ الأرضِ﴾ [الأنعام ١٦٥] فأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخَلْق آدم وذريته، كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه، فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام. عن وجه الحكمة لَا عَلَى وجه الاعتراض والتنقص لبنى آدم، والحسد لهم، قالوا:

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهاَ وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ [البقرة ٣٠].

قيل: علموا أن ذلك كائن بما رأوا ممن كان قبل آدم من الجِنّ والحِنّ، وهم طائفة من الجن.

وقيل: لما اطلعوا عليه من اللوح المحفوظ، أطلعهم عليه هاروت وماروت عن مَلَك فوقهما يقال له السِّجِل. ﴿ونَحْنُ نُسَبِّح بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة ٣٠] أى نعبدك دائما لا يعصيك منا أحد، فإن كان المراد بخَلْق هؤلاء أن يعبدوك، فها نحن لا نُفْتُرُ ليلًا ولا نهارًا.

﴿قَال: إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُون﴾ أى أعلم من المصلحة الراجحة فى خلق هؤلاء ما لا تعلمون، أى سيوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون، والشهداء والصالحون.

* **ثم بين لهم شرف آدم عليهم فى العلم، فقال:** ﴿وعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّها﴾ [البقرة ٣١] **قال ابن عباس: علمه أسماء الذّوات وأفعالها مكبَّرها ومصغرها.**

* **ذكر البخارى - بإسناده - عن أنس بن مالك،** عن رسول الله -ﷺ-، قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعَلَّمك أسماء كل شىء».. وذكر تمام الحديث.

* ﴿ثُمّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَال: أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنتُم صَادِقِين﴾ [البقرة ٣١] **قال الحسن البصرى:** لما أراد الله خلق آدم؛ قال الملائكة: لا يخلق ربنا خلقًا إلَّا كنا أعلم

---

(١) رواه أبويعلى ووثقه البخارى، ورجاله رجال الصحيح.

منه، فابْتلو بهذا. وذلك قوله ﴿إنْ كُنتم صَادِقين﴾.

قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمتنا إنَّك أنْتَ العَلِيمُ الحكِيمُ﴾ [البقرة ٣٢]

أى سبحانك أن يحيط أحدٌ بشىء من علمك من غير تعليمك.

﴿قَالَ : يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بأَسْمَائِهِم، فلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بأسمائِهِمْ قال: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَاتِ والأَرْضِ، وأَعْلَم ما تُبْدُونَ وما كُنتُم تكتُمُون﴾ [البقرة ٣٣] -أى أعلم السرَّ كما أعلم العلانية.

قيل: إن المراد بقوله: ﴿أَعْلَمُ مَا تُبْدُون﴾ ما قالوا: أَتَجْعَلُ فيها من يفسد فيها.

وقال أبو العالية: ﴿وما كُنتُم تكتمون﴾ قولهم: لن يخلق ربنا خَلْقًا إلاَّ كُنَّا أَعْلَمُ منه وأكرم عليه منه.

* وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إبْلِيس أَبَى واسْتَكْبَرَ وكَانَ مِنَ الكافِرين﴾ [البقرة ٣٤]

هذا إكرام عظيم من الله تعالى لآدم، حين خَلَقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأَمْرِه الملائكة بالسجود له. وتعليمه الأشياء. فهذه أربع تشريفات.

ولهذا جاء فى الحديث الذى رواه البخارى - بإسناده - عن أبى هريرة - رضى الله عنه، عن النبى -ﷺ-: «قال له موسى الكليم حين اجتمع هو وإياه فى الملأ الأعلى وتناظرا:

«أنت آدم أبو البشر، الذى خَلَقَكَ الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شىء.. أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة».

* وأمر الله آدم- عليه السلام - أن يسكن هو وزوجته الجنة، فقال:

﴿وَقلْنَا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وزوْجكَ الجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْها رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمين﴾ [البقرة ٣٥]

وسياق هذه الآية يقتضى أن خَلْق حواء كان قبل دخول آدم إلى الجنة، ولكن حكى السُّدى -بإسناده عن ابن عباس:

«أخرج إبليس من الجنة وأُسكن آدم الجنة، فكان يمشى فيها وحشيا ليس له فيها زوج يسكن إليها، فنام نومةً فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة، خَلَقَها الله من ضِلْعِهِ، فسألها ما أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولم خُلقت؟ قالت: لتسكن إلىّ، فقالت له الملائكة ينظرون ما بَلَغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالوا: ولِمَ كانت حواء؟ قال: لأنها خُلِقَت من شىء حى.

وفى الصحيحين: من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ، أنه قال:

«استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خُلقت من ضِلَع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه. فإن ذهبت تقيمه كَسَرْتَه، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا».

وقد اختلف المفسرون، في الجنة التي أدخلها آدم، هل هي في السماء أو في الأرض؟

* والجمهور على أنها هي التي في السماء، وهي جنة المأوى، لظاهر الآيات والأحاديث..

* كقوله تعالى: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ والألف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظي، وإنما تعود على معهود ذهني، وهو المستقر شرعا من جنة المأوى.

* وكقول موسى لآدم – في الحديث الصحيح – «علام أخرجتنا ونفسَك من الجنة؟».

* وروى مسلم – في صحيحه – بإسناده، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله – ﷺ –:

يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تُزْلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلّا خَطِيئة أبيكم؟ وذكر الحديث.

وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى.

* ويرى أصحاب الرأي الثاني – الذين يقولون: إن الجنة في الأرض، أن الله سبحانه وتعالى امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نُهيا عنها دون غيرها من الثمار.

* ومما احتج به أصحاب هذه المقالة، ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد – في الزيادات بإسناده – عن أُبَيّ بن كعب قال:

«إن آدم لما احتُضر اشتهى قِطْفًا من عنب الجنة، فانطلق بَنُوه ليطلبوه له، فلقيتهم الملائكة فقالوا: أين تريدون يا بني آدم؟ فقالوا: إن أبانا اشتهى قطفا من عنب الجنة، فقالوا لهم: ارجعوا فقد كُفِيتُمُوه، فانتهوا إليه فقبضوا روحه وغسّلوه وحنّطوه وكفنوه – وصلى عليه جبريل، ومن خلفه من الملائكة ودفنوه، وقالوا: هذه سُنّتكم في موتاكم».

قالوا: فلولا أنه كان الوصول إلى الجنة التي كان فيها آدم، التي اشتهى منها القطف ممكنا، لما ذهبوا يطلبون ذلك، فدل على أنها في الأرض لا في السماء، والله أعلم[1]

* وقوله تعالى: ﴿فأزلَّهما الشَّيْطَانُ عَنْها﴾ [البقرة ٣٦] أي عن الجنة ﴿فَأَخْرَجَهُما مِمَّا كَانَا فِيه﴾ أي من النعيم والنضرة والسرور إلى دار التعب والكدّ والنكد، وذلك بما وسوس لهما وزيّنه في صدورهما، كما قال تعالى:

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا ووريَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِما، وَقَال مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ

---

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء ص ١٨.

الشَّجَرَةِ إلاَّ أَنْ تَكُونا مَلَكَيْن، أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدين﴾ [الأعراف ٢٠]

يقول: ما نهاكما عن أكل هذه الشجرة إلّا أن تكونا ملكين، أو تكونا من الخالدين، أى لو أكلتما منها لصرتما كذلك.

* ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ [الأعراف ٢١] أى حلَف على ذلك ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِين﴾ - كما قال فى الآية الأخرى ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ، قالَ: يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّك عَلَى شَجَرةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لاَ يَبْلَى؟﴾ [طه ١٢٠] أى هل أدلك على الشجرة لتى إذا أكلت منها حصل لك الخلد.

وهذا من التغرير والتزوير والإخبار بخلاف الواقع.

والمقصود أن قوله ﴿شجرة الخلد﴾ التى إذا أكلت منها خُلّدت، وقد تكون هى الشجرة التى قال الإمام أحمد - بإسناده - عن أبى الضحاك، قال: سمعت أبا هريرة، يقول:

قال رسول الله -ﷺ- «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها، شجرة الخلد».

* وقوله: ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُما، وطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجنة﴾ [الأعراف ٢٢]

وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم، وهى التى حَدَتْه على أكلها. وعليه يحمل الحديث الذى رواه البخارى - بإسناده - عن أبى هريرة، عن النبى -ﷺ-:

«لولا بنو إسرائيل لم تَخنَزْ اللحم (تنتن) ولولا حواء لم تَخُنْ أنثى زوجها»[1]

* وقد دلّ القرآن العظيم على أنه كان عليهما لباس، فى قوله: ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهما﴾ [الأعراف ٢٧]

وروى ابن أبى حاتم - بإسناده - عن أُبىّ بن كعب، قال: قال رسول الله -ﷺ-:

«إن الله خلق آدم رجلًا طَوالا كثير شعر الرأس، كأنه نخله سَحُوق، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه، فأول ما بدا منه عورته، فلما نظر إلى عورته جعل يشتد فى الجنة، فأخذت شعره شجرةٌ فنازعها، فناداه الرحمن - عز وجل - يا آدم منى تفرّ؟ فلما سمع كلام الرحمن، قال: يارب لا، ولكن استحياء».

* وفى رواية أخرى: «إن أباكم آدم كان كالنخلة السحوق، ستون ذراعا، كثير الشعر، موارى العورة، فلما أصابه الخطيئة فى الجنة بدت له سوأته، فخرج من الجنة، فلقيته شجرة فأخذت بناصيته، فناداه ربه، أفرارًا منى يا آدم؟ قال: بل حياء منك، والله يا رب مما جئت به».

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه.

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَة، وأَقُلْ لَكُمَا إنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِين؟ قالا: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنَا لنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرين﴾ [الأعراف ٢٢، ٢٣]

وهذا اعتراف ورجوع إلى الإبانة، وتذلل وخضوع واستكانة، وافتقار إليه تعالى فى الساعة الراهنة. وهذا السر ما سرى فى أحد من ذريته إلاّ كان عاقبته إلى خير فى دنياه، وأخراه.

﴿قَالَ: اهْبِطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُو، ولَكُمْ فى الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ومَتَاعٌ إلَى حِين﴾ [الأعراف ٢٤]

* روى الحافظ ابن عساكر، عن مجاهد قال: «أمر الله مَلَكين أن يُخْرِجَا آدم من جواره، فنزع جبريل التاج عن رأسه، وحَلَّ ميكائيل الإكليل عن جبينه، وتعلق به غصنٌ، فظن آدم أنه قد عُوجل بالعقوبة، فنكس رأسه يقول: العَفْوَ العفو.

* وروى ابن عساكر عن حسان، «قال: مكث آدم فى الجنة مائة عام، وفى رواية ستين عاما، وبكى على الجنة سبعين عاما، وعلى خطيئته سبعين عاما»[(١)]

* وقال عبدالرزاق بإسناده – عن أبي موسى الأشعرى: قال: «إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض، علّمه صَنعة كل شيء، وزوّده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير»[(٢)].

* وقال الحاكم فى مستدركه – بإسناده عن ابن عباس، قال: «ما أُسكن آدم الجنة إلاّ ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس»[(٣)]

* وروى مسلم – بإسناده – عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله – ﷺ:

* خيرُ يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلِق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُخرج منها».

* ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلماتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ، إنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة ٣٧]

روى مجاهد: هى قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنا لنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرين﴾ [الأعراف ٢٣]

* قال ابن أبي حاتم – بإسناده – عن أُبَيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ:

«قال آدم – عليه السلام: أرأيت يارب إن تُبتُ ورجعت أعائدى إلى الجنة؟

قال: نعم، فذلك قوله ﴿فتلَقى آدمُ من ربّه كلمات فتاب عليه﴾.

* وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الكلمات: «اللهم لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك.

---

(١) رواها ابن عساكر.

(٢) رواه البزار والطبرانى ورجاله ثقات.

(٣) قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

رب إنى ظلمت نفسى، فاغفر لى إنك خير الراحمين، اللهم لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك رب إنى ظلمت نفسى فَتُبْ علىّ إنك أنت التواب الرحيم».

* وروى الحاكم فى مستدركه، والبيهقى وابن عساكر باسنادهم – عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله -ﷺ- : «لما اقترف آدمُ الخطيئة قال: يارب أسألك بحقِّ محمد إلاّ غفرتَ لى. فقال الله: فكيف عرفت محمدًا.. ولم أخلقه بعد؟

فقال: يارب لأنك لما خلقتنى بيدك، ونفخت فىّ من روحك، رفعتُ رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فعلمت أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلاّ أحب الخلق إليك».

فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأَحَبُّ الخَلْق إلىّ، وإذْ سَألتنى بحقّه فقد غفرتُ لك. ولولا محمد ما خلقتك».

أُولُو العَزْمِ من الرُّسُل

بعد أن ذكرنا ما جاء فى الحديث النبوى الشريف من تأريخ لآدم – عليه السلام.. يجدر بنا أن نقف عند أولى العزم من الرسل، لأهمية معرفتهم، ومعرفة تاريخهم كما ذكره الرسول ﷺ، لأن الإيمان بهم جزء من العقيدة الإسلامية، إذ جاء فى القرآن الكريم: ﴿فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُل﴾ [الأحقاف ٣٥] فتعين معرفتهم، والوقوف عند تاريخهم، ومعرفة بيان عددهم وأسمائهم، وقد ورد ذكرهم جميعا فى قوله تعالى: ﴿وإذْ أَخَذْنَا من النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُم وَمِنْكَ ومِنْ نُوح وإبْرَاهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى بن مريم﴾ [الأحزاب ٧].

فالكاف من قوله تعالى ﴿ومِنْكَ﴾ حرف خطاب تعنى محمدًا – ﷺ – فهو مقدّم فى اللفظ والفضل، ويأتى بعده أربعتهم، وهم: نوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، مرتبون فى الفضل، والزمن، فنوح – عليه السلام – أولهم، وعيسى بن مريم آخرهم، فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

– ٢ –
نوح – عليه الصلاة والسلام

ثم بُعث نوح عليه السلام، وهو أول رسول مرسل، كما صرح بذلك القرآن الكريم، فى قوله تعالى: ﴿إنَّا أَوْحَيْنَا إلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إلَى نُوحٍ والنَّبِيِّين مِنْ بَعْدِه﴾ [النساء ١٦٣].

وهو نُوح بن لَامِك بن مُتُوشَلِخ بن خَنُوخ - وهو إدرِيس - بن يَرد بن مَهْلَابيلْ بن قَيْنِنْ بن أَنُوش بن شِيثْ بن آدم - عليه السلام.

وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة (١٢٦) فيما ذكره ابن جرير وغيره. وعلى تاريخ أهل الكتاب، يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة (١٤٦).

* وكان بينهما عشرة قرون، كما قال الحافظ أبو حاتم ابن حيان - فى صحيحه، بإسناده - عن أبى أمامة، أن رجلا قال: يا رسول الله.. أنبىٌّ كان آدم؟ قال: نعم مكلَّم. قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون[1].

* وفى صحيح البخارى، عن ابن عباس - قال: «كان بين آدم ونوح عشرة قُرُون كلهم على الإسلام». فإن كان المراد بالقرن مائة سنة - كما هو المعروف عند كثير من الناس، فبينهما ألف سنة لا محالة لكن لا ينفى أن يكون أكثر، باعتبار ما قيدّ به ابن عباس بالإسلام، إذ قد يكون بينهما قرون أُخر متأخرة لم يكونوا على الإسلام - لكن حديث أبى أُمَامة يدل على الحصر فى عشرة قرون، وزادنا ابن عباس أنهم كلهم كانوا على الإسلام.

* وإن كان المراد بالقَرْن الجيل من الناس كما فى قوله تعالى: ﴿وكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ القُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوح﴾[الإسراء ١٧] وقوله عز وجل ﴿وقرونا بين ذلك كثيرا﴾[الفرقان ٣٨].

* وكقوله - ﷺ: «خير القرون قرنى...» الحديث فقد كان الجيل قبل نوح يعمرّون الدهور الطويلة، فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين[2]. وبالجملة، فنوح - عليه السلام - إنما بعثه الله تعالى لما عُبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناسُ فى الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد، فكان أول رسول بُعث إلى أهل الأرض، كما يقول أهل الموقف يوم القيامة.

واختلفوا فى مقدار سِنِّه يوم بعث، فقيل: كان ابن خمسين سنة، وقيل: ابن ثلاثمائة وخمسين سنة، وحكى ابن جرير، عن ابن عباس، قال: كان ابن أربعمائة وثمانين سنة.

* وقد ذكر القرآن قصته، وما كان من قومه، وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان، وكيف أنجاه الله وأصحاب السفينة، فى غير موضع، كما فى الأعراف، ويونس، وهود، والأنبياء، والمؤمنون، والشعراء، والعنكبوت، والصافات، واقتربت الساعة، وأنزل الله فيه سورة كاملة.

* ومضمون ما جرى لنوح مع قومه استنادًا إلى القرآن والحديث النبوى والآثار.. أنه بعد القرون العشرة الصالحة، حدثت أمور اقتضت أن آل الحال بأهل ذلك الزمان إلى عبادة الأصنام.

وكان سبب ذلك ما رواه البخارى، من حديث ابن جُريج عن عطاء، عن ابن عباس، عند

(١) رواه مسلم.

(٢) ابن كثير: قصص الأنبياء ٧٤.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح ٢٣] قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وانْتَسَخ العلم عُبِدت.

قال ابن عباس: وصارت هذه الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعدُ.

* وقال ابن جرير - فى تفسيره بإسناده - عن محمد بن قيس، قال: كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم، لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوّروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون، دبَّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر، فعبدوهم.

* ومقتضى الأخبار، أن كل صنم من هذه عبدَه طائفة من الناس، وقد ذكر أنه لما تطاولت العهود والأزمان، جعلوا تلك الصور تماثيل مجدّة ليكون أثبت لها، ثم عُبدت بعد ذلك من دون الله، عزّ وجل.

* وقد ثبت فى الصحيحين، عن رسول الله ﷺ، أنه لما ذكرت عنده أم سلمة وأم حبيبة، تلك الكنيسة التى رأينها بأرض الحبشة، ويقال لها مارية وذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، قال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبرْه مسجدًا، ثم صَوَّروا فيه تلك الصورة أولئك شِرَار الخلق عند الله عز وجل.

والمقصود أن الفساد لما انتشر فى الأرض، وعمَّ البلاء بعبادة الأصنام فيها، بعث الله عبدَه ورسوله نوحا - ﷺ - يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة ما سواه.

فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، كما ثبت فى الصحيحين، من حديث أبى حيان، بإسناده، عن أبى هريرة، عن النبى - ﷺ - فى حديث الشفاعة، قال: «فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: ربى قد غضب غضبا شديدًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهانى عن شجرة فعصيت، نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى نوح.

* فيأتون نوحا يقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسمّاك الله عبدًا شكورًا، أَلَا ترى ما نحن فيه؟ أَلَا ترى إلى ما بَلَغَنَا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك عز وجل؟ فيقول: ربِّى قد غَضِب اليوم غَضَبًا لم يَغْضَب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسى نفسى[1].

---

(١) الحديث بطوله أورده البخارى فى الجامع الصحيح فى قصة نوح.

فلما بعث الله نوحا - عليه السلام - دعاهم إلى إفراد عبادة الله وحده لا شريك له، وألا يعبدوا معه صنما ولا تمثالا ولا طاغوتا، وأن يعترفوا بوحدانيته، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه، كما أمر الله تعالى من بعده من الرسل الذين هم كلهم من ذريته. كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات ٧٧].

وقال فيه وفى ابراهيم: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ والكِتَابَ﴾ [الحديد ٢٦] أى كل نبى من بعد نوح فمن ذريته، وكذلك ابراهيم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل ٣٦] ولهذا قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُم عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف ٥٩] فذكر أنه دعاهم إلى الله بأنواع الدعوة فى الليل والنهار، والسر والإجهار، بالترغيب تارة، والترهيب أخرى، وكل هذا لم ينجح فيهم، بل استمر أكثرهم على الضلالة والطغيان وعبادة الأصنام والأوثان، ونصبوا له العداوة فى كل وقت وأوان، وتنقّصوه وتنقصوا من آمن به، وتوعدهم بالرّجْم والإخراج.

* وقالوا له فيما قالوا: ﴿مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِثْلَنَا ومَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ الرَّأْىِ﴾[هود ٢٧] وقولهم ﴿بادِىَ الرأى﴾ أى بمجرد ما دعوتهم استجابوا لك من غير نظر ولا روية، وهذا الذى رموهم به هو عين ما يمدحون بسببه رضى الله عنهم، فإن الحق الظاهر لا يحتاج إلى روية ولا فكر ولا نظر، بل يجب اتباعه والانقياد له متى ظهر.

ولهذا قال رسول الله - ﷺ - مادحا للصدِّيق: «ما دعوتُ أحدًا إلى الاسلام إلا كانت له كبوة غير أبى بكر، فإنه لم يتلعثم» ولهذا كانت بيعته يوم السقيفة أيضا سريعة من غير نظر ولا روية.

* وقد تطاول الزمان والمجادلة بين نوح - عليه السلام - وبين قومه، كما قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُم الطُّوفَانُ وهُمْ ظَالِمُون﴾[العنكبوت ١٤] أى ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلاّ القليل منهم. ﴿وَأُوحِىَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود ٣٦] - تسلية له عمّا كان منهم إليه، ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يفْعَلُون﴾. وهذه تعزية لنوح - عليه السلام - فى قومه أنه لن يؤمن منهم إلاّ من قد آمن، أى لا يَسُوأَنَّكَ مَا جَرَى فإن النصر قريب، والنّبأ عجب عجيب.

* ﴿واصْنَعِ الفُلْكَ بأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُغْرَقُون...﴾ ﴿ويَصْنَعُ الفُلْكَ وكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا منه..﴾ - أى يستهزئون به استبعادًا لوقوع ما توعدهم به.

﴿قَالَ: إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فإنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[هود ٣٧، ٣٨].

وقد كانت سجاياهم الكفر الغليظ، والعناد البالغ فى الدنيا، وهكذا فى الآخرة، فإنهم يجحدون أيضا أن يكون جاءهم رسول، كما قال البخارى - بإسناده - عن أبى سعيد، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «يجيء نوح - عليه السلام وأمته فيقول الله عز وجل، هل بلَّغت؟ فيقول: نعم أى رب. فيقول لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: لا.. ما جاءنا من نبى، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فنشهد أنه قد بلَّغ؟ وهو قوله تعالى: ﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ علَى النَّاسِ وَيكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة ١٤٣].

والوسط: العَدْل، فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيِّها الصادق المصدوق، بأن الله قد بعث نوحا بالحقّ، وأنزل عليه الحق وأمره به، وأنه بَلَّغه إلى أُمته على أكمل الوجوه وأتمها، ولم يدع شيئا مما ينفعهم فى دينهم إلاّ وقد أمرهم به، ولا شيئا ممّا قد يضرّهم إلاّ وقد نهاهم عنه، وحذرهم منه.

وهكذا شأن جميع الرسل، حتى إنه حذّر قومه من المسيح الدجال، وإن كان لا يتوقع خروجه فى زمانهم، حذَرًا عليهم، وشفقة ورحمة بهم.

* روى البخارى -.بإسناده - عن ابن عمر، قال: قام رسول الله - ﷺ - فى الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إنى لأُنْذِرُكموه، وما من نبى إلاّ وقد أنذره قومَه، لقد أنذره نوحٌ قومه، ولكنى أقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه: تَعْلَمُون أنّه أَعْوَر وأن الله ليس بأعور».

* وقد قال بعض علماء السلف: لما استجاب الله له، أمره أن يغرس شجرًا ليعمل منه السفينة، فَغَرَسَهُ وانتظر مائة سنة، ثم نَجَّره فى مائة أخرى، وقيل فى أربعين سنة.

قال الثورى: وأمره أن يجعل طولها ثمانين ذراعا، وأن يطلى ظاهرها وباطنها بالقار، وأن يجعل لها جُؤْجُؤا أَزْور (أى صدرًا مائلا) يشق الماء[1] قال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [المؤمنون ٢٧] أى بأمرنا لك، وبمرأى منا لصنعتك لها ومشاهدتنا لذلك، لنرشدك إلى الصواب فى صنعتها، ثم قال سبحانه:

* ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنا وَفَارَ التَّنُورُ فاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وأَهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ مِنْهُم، ولا تُخَاطِبْنِي فى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُغْرَقُونَ﴾

* فتقدم إليه بأمره العظيم العالى، أنه إذا جَاءَ أَمْرُه وحلّ بأسه، أن يحمل فى هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات، وسائر ما فيه رُوح من المأكولات وغيرها لبقاء نسلها، وأن يحمل

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء ٩٧.

معه أهله، أى أهل بيته، إلّا من سَبَق عليه القوم منهم، أى إلّا من كان كافرًا، فإنه قد نفذَت فيه الدعوة التى لا ترد.

قال الله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلعَالَمِين﴾ [العنكبوت ١٥]

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِين﴾. [الصافات ٨٢]

وكان نوح - عليه السلام - قد دَعَا على الكافرين بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح ٢٧] وقد استجاب الله دعوته فلم يبق فيهم عَيْنٌ تطرف.

* روى الإمامان أبو جعفر بن جرير، وأبو محمد بن أبى حاتم، فى تفسيرهما، بإسنادهما - أن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله - ﷺ: «لو رحم الله من قوم نوح أحدًا لرحم أم الصبى».. «مكث نوح - عليه السلام - فى قومه ألف سنة - يعنى إلّا خمسين عاما، وغرس مائة سنة الشجر، فعظمت وذهبت كلَّ مذهب، ثم قطعها، ثم جعلها سفينة، ويمرون عليه ويسخرون منه، ويقولون، تعمل سفينة فى البر، كيف تجرى؟ قال: سوف تعلمون..

فلما فرغ، ونبع الماء، وصار فى السكك خشيت أُمُّ الصبى عليه، وكانت تحبه حبًا شديدًا، فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها فغرقا، فلو رحم الله منهم أحدًا لرحم أم الصبى»

* ثم ذكر الله تعالى مناشدة نوح ربه فى ولده، وسؤاله له عن غرقة على وجه الاستعلام والاستكشاف ووجه السؤال: أنك وعدتنى بنجاة أهلى معى، وهو منهم وقد غرق!..

فأُجيب.. بأنه ليس من أَهْلِكِ، أى الذين وُعِدْت بنجاتهم.

ثم قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود ٤٨]

هذا أمر لنوح - عليه السلام - لما نَضَب الماء عن وجه الأرض، وأمكن السعىُ فيها والاستقرار عليها، أن يهبط من السفينة التى كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر جَبَل الجُودى، وهو جبل بأرض الجزيرة مشهور، (بِسَلَامٍ مِنَّا وبَرَكَاتٍ) أى اهبط سالما مباركا عليك، وعلى أمم ممن سيولد بعدُ، أى من أولادك، فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلاً ولا عَقِبًا سوى نوح - عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَتَهُ هُمُ البَاقِين﴾ [الصافات ٧٧] فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بنى آدم، ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة، وهم: سام، وحام، ويافث.

روى الإمام أحمد -بإسناده- عن سَمُرة، أن النبى -ﷺ- قال:

«سام أبوالعرب، وحام أبوالحبش، ويافث أبوالروم»

وقد روى عن عمران بن حُصين، عن النبى -ﷺ- مثله. قال: والمراد بالروم هنا الروم الأول، وهم اليونان المنتسبون إلى رومى بن ليطى بن يونان بن يافث بن نوح - عليه السلام.

* وروى أبوبكر البزار فى مسنده، بإسناده - عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله - ﷺ: «ولد نوح: سام وحام ويافث. فولد لسام: العرب وفارس والروم، والخير فيهم، وولد ليافث: يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ، ولا خير فيهم. وولد لحام: القبط والبربر والسودان».

* هذا وقد احتفل الحديث النبوى الشريف بذكر أمور عدة تتصل بشكر نوح لله تعالى، وصومه، وحجّه.

* فعن شكره لله تعالى، قال عز وجل: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء ٣] - أى يحمد الله على طعامه، وشرابه، ولباسه، وشأنه كله.

* وروى الإمام أحمد - بإسناده - عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله - ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[1].

والظاهر أن الشكور، هو الذى يعمل بجميع الطاعات القلبية والقولية والعملية، فإن الشكر يكون بهذا وبهذا - كما قال الشاعر:

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّى ثَلاثَةً ... يَدِى ولِسَانِى والضَّمِيرَ المُحَجَّبَا

* وعن صوم نوح عليه السلام

روى ابن ماجة، باب صيام نوح - عليه السلام، بإسناده، عن أبى فِرَاس، أنه سَمع عبدالله بن عمرو، يقول: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «صام نوحٌ الدهر إلا يوم عيد الفطر ويوم الأضحى».

* وعن حجه - عليه السلام

روى أبو يعلى - بإسناده - عن ابن عباس، قال: حجّ رسول الله - ﷺ - فلما أتى وادى عُسْفان، قال: «يا أبا بكر.. أى وادٍ هذا؟ قال: هذا وادى عسفان، قال: لقد مرّ بهذا نوح وهود وابراهيم على بُكْرَان (أى نوق) لهم حُمر خطمهم الليف، أُزرهم العباء، وأرديتهم النّمار (برود الصوف) يحجون البيت العتيق».

---

(١) ورواه أيضا مسلم والترمذى والنسائى من حديث أبى أسامة.

* وعن وصيته لولده - عليه السلام

روى الإمام أحمد - بإسناده - عن عبدالله بن عمر، قال: كنا عند رسول الله - ﷺ - فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيحان مُزَرْوَرَة بالديباج، فقال: «ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس، أو قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس، ورفع كلَّ راع ابن راع»

قال: فأخذ رسول الله - ﷺ - بمجامع جُبّته وقال: «ألا أرى عليك لباسَ من لا يعقل»

ثم قال: إنّ نَبِيّ الله نوحا - عليه السلام - لما حضرته الوفاة قال لابنه:

«إني قاصٌّ عليك وصية: آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلاّ الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وُضعت فى كفّة ووضعت لا إله إلاّ الله فى كفة رجحت بهن لا إله إلاّ الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مُبْهمة ضمتهن لا إله إلا الله، وبسبحان الله وبحمده، فإن بها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر».

قال: قلت: يا رسول الله، هذا الشرك قد عرفناه، فما الكِبْر؟ أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شِراكان حسنان؟ قال: لا، قال: هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟

قال: لا، قال: هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: لا، قال: هو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: لا، قلت: يارسول الله، فما الكِبْر؟ قال: «سَفَه الحق وغمط الناس»[1].

* ثم جاء بعد نوح - عليه السلام: هود فصالح فابراهيم، فلوط فاسماعيل، فاسحاق فيعقوب، فيوسف، ثم شعيب، فموسى فهارون، فداود فسليمان، ثم إلياس فأيوب، واليسع، وذو الكِفْل، ويونس، وزكريا، فيحيى، وعيسى بن مريم، ثم خاتمهم محمد - صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

وهذا الترتيب الزمنى صحيح إلى حدٍّ ما، ولولا الخفاء في زمن كل من يونس، وأيوب وذى الكِفْل واليسع.. لكان إلى الصحة أقرب منه إلى غيرها.

والحقيقة فى هذا أنه من باب علم لا ينفع، وجهالة لا تضر، إذ المطلوب هو الإيمان بالرسل، وتوقيرهم، وتعزيزهم، واتباعهم، والاقتداء بهديهم فى أى زمان كانوا، وفى أى أرض وجدوا.

---

(١) ورواه الطبرانى والبزار.

- ٣ -

إبْرَاهِيم ﷺ

* هو ابراهيم بن تَارُخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ عابر بن شالح بن أرفخشد، ابن سام بن نوح - عليه السلام[١].

* وحكى الحافظ ابن عساكر، فى ترجمة ابراهيم الخليل، من تاريخه عن اسحق بن بشر الكاهلى، صاحب كتاب المبتدأ، أن اسم أم ابراهيم «أميلة»، ثم أورد عنه فى خبر ولادتها له حكاية طويلة.

* وروى ابن عساكر، من غير وجه، عن عِكْرمة، أنه قال: كان ابراهيم - عليه السلام - يكنى «أبا الضيفان»: قالوا: ولما كان عُمر تارخ خمسا وسبعين سنة، وُلد له ابراهيم، وتاحُور، وهَاران، وولد لهاران لُوط.

* وعند أهل الكتاب، أن ابراهيم - عليه السلام - هو الأوسط، وأن هاران مات فى حياة أبيه، فى أرضه التى وُلد فيها، وهى أرض الكلدانيين، يعنون أرض بابل.

وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل السير والتاريخ، وصحح ذلك الحافظ ابن عساكر، بعدما روى بإسناده، عن ابن عباس، قال:

ولد ابراهيم بغوطة دمشق، فى قرية يقال لها برزة، فى جبل يقال له قاسيون، ثم قال: والصحيح أنه وُلد ببابل، وإنما نسب إليه هذا المقام لأنه صلى فيه، إذ جاء للوط - عليه السلام. قالوا: فتزوج ابراهيم سَارَة، وناحور مَلْكا - ابنة خران، يعنون ابنة أخيه، وكانت سارة عاقرًا لا تلد.

وانطلق تارُخ بابنه ابراهيم وامرأته سارة، وابن أخيه لوط بن هاران، فخرج بهم من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين، فنزلوا حران فمات فيها تارخ، وله مائتان وخمسون سنة، وهذا يدل على أنه لم يولد بحرّان، وإنما مولده بأرض الكلدانيين، وهى أرض بابل وما ولاها. ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكنعانيين، وهى بلاد بيت المقدس، فأقاموا بحران وهى أرض الكشدانيين فى ذلك الزمان، وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضًا.

وكانوا يعبدون الكواكب السبعة، والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين، يستقبلون القطب الشمالى، ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفِعَال والمَقَال. ولهذا كان على كل

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء، قصة ابراهيم الخليل ص ١٦٧.

باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها، ويعملون لها أعيادًا وقرابين.

وهكذا كان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام، وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفارًا سوى ابراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم السلام.

وكان الخليل – عليه السلام – هو الذى أزال الله به تلك الشرور، وأبطل به ذاك الضلال، فإن الله سبحانه وتعالى – آتاه رُشده فى صغره، وابتعثه رسولا، واتخذه خليلا فى كبره، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا به عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء ٥١] أى كان أهلا لذلك.

وقال سبحانه: ﴿وَإِبْرَاهِيم إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا الله واتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ، إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا، إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ الله الرِّزْق واعْبُدُوه واشْكُرُوا لَهُ إليه تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت ١٦، ١٧]

* وكان أول دعوة إبراهيم لأبيه وكان أبوه ممن يعبد الأصنام – لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له: ﴿إِذْ قَالَ لأبيه يَاأَبتِ لِمَ تَعْبُدُ مَالا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا..﴾ [مريم ٤٢-٤٨]

فذكر تعالى ما كان بينه وبين أبيه من المحاورة والمجادلة، وكيف دعا أباه إلى الحق بألطف عبارة، وأحسن إشارة، بيّن له بُطلان ماهو عليه من عبادة الأوثان، التى لا تسمع دعاء عابدها، ولا تبصر مكانه. فكيف تغنى عنه شيئًا أو تفعل به خيرًا من رزق أو نصر؟

ثم قال له منبها على ما أعطاه الله من الهدى والعلم النافع، وإن كان أصغر سنا من أبيه: ﴿يَا أَبَت إِنِى قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْم مَالَمْ يأْتِك فاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطًا سَوِيًّا﴾ أى مستقيًا واضحًا سهلا حنيفا، يُفْضِى بك إلى الخير فى دنياك وأُخْرَاك..

فلما عرض هذا الرشد عليه وأهدى هذه النصيحة إليه، لم يقبلها منه، ولا أخذها عنه، بل تهدده وتوعده، قال: ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي ياإِبْراهيمُ؟ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم ٤٦] فعندها قال له ابراهيم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ أى لا يصلك منى مكروه، ولا ينالك منى أذى، وزاده خيرا، فقال: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إنَّه كَانَ بِي حَفِيًّا﴾.

وقد استغفر له ابراهيم – عليه السلام كما وعده فى أدعيته، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه – كما قال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلما تبيَّن لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لله تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ ابْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة ١١٤]

* روى البخارى – بإسناده – عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ ، قال:

«يَلْقى إبراهيم أباه آزَرْ يوم القيامة وعلى وجه آزر قَتَرة وغَبَرة، فيقول له ابراهيم: ألم أقل لك لا تَعْصِنى؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول ابراهيم: يارب إنك وعدتنى أن لا تخزينى يوم

يُبْعثُون فأى خِزى أخزى من أبى الأبعد؟ فيقول الله: إنى حرَّمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم.. ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذبح متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار»(١).

* وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيم لأبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنامًا آلِهَةً إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَالٍ مُبِين﴾ [الأنعام ٧٤]

فهذا يدل على أن اسم أبى ابراهيم آزر، وجمهور أهل النسب منهم ابن عباس، على أن اسم أبيه تارح. وأهل الكتاب يقولون تازخ، فقيل إنه لقِّب بصنم كان يعبده، اسمه آزر.

* ثم قامت بينه وبين قومه مناظرة، وبين لهم أن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب النيِّرة، لا تصلح للألوهية، ولا أن تُعبد مع الله عز وجل، لأنها مخلوقة مَرْبُوبة، مصنوعة مدبرة ومسخرة تطلع تارة، وتأفل أخرى، ولهذا قال: ﴿فَلَمَّا رأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قالَ هَذَا رَبِّى هذا أَكْبَرُ، فلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّى برِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُون، إنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِى لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِين﴾ [الأنعام ٧٩]

وتنتهى المناظرة والمجادلة بأن أقسم ابراهيم ليكيدن هذه الاصنام التى يعبدونها بعد أن تولّوا مدبرين إلى عيدهم، فلما خرجوا إلى عيدهم، واستقر هو فى بلدهم ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِم﴾ [الصافات ٩١]

أى ذهب إليها مسرعا مستخفيًا، فوجدها فى بهو عظيم، فكسّرها بقدوم فى يده – كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ أى حطاما، كسرها كلها ﴿إلاّ كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُم إِلَيْهِ يَرْجِعُون﴾ [الأنبياء ٥٨] فلما رجعوا من عيدهم ووجدوا ما حَلَّ بمعبودهم ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بآلِهَتِنَا إِنَّه لَمِنَ الظَّالِمِين﴾.

وهذا فيه دليل ظاهر لهم لو كانوا يعقلون، وهو ماحلَّ بآلهتهم التى كانوا يعبدونها، فلو كانت آلهة لدفعت عن أنفسها من أرادها بسوء، لكنهم قالوا من جهلهم، وقلّة عقلهم، وكثرة ضلالهم وخبالهم ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا؟ إنه لِمن الظَّالِمِين﴾.

* ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتى يَذْكُرُهم يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيم﴾ يذكرها بالعيب والتنقّص لها، والازدراء بها، فهو المقيم عليها، والكاسر لها.

* ﴿قَالُوا فَأْتُوا به على أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُم يَشْهَدُونَ﴾ أى فى الملأ الأكبر على رءوس الأشهاد. لعلهم يشهدون مقالته ويسمعون كلامه، ويعاينون ما يحلّ به من الاقتصاص منه.

وكان هذا أكبر مقاصد الخليل عليه السلام، أى يجتمع الناس كلهم، فيقيم على جميع عُبَّاد الأصنام الحجة على بطلان ماهم عليه.

* وهنا ينتهى الموقف بأن ﴿قَالُوا ابْنُوا له بُنْيَانًا فَأَلْقُوه فِى الجَحِيم﴾ [الصافات ٩٧]

(١) وهكذا رواه النسائى، والبزار.

أى اعدلوا عن الجدال والمناظرة لمّا انقطعوا وغلبوا، ولم تبق لهم حُجّة ولا شُبهة إلى استعمال قوتهم وسُلطانهم، لينصروا ماهم عليه من سفههم وطغيانهم، فكادهم الرب جل جلاله، وأعلى كلمته ودينه وبرهانه، كما قال الله تعالى:

﴿قَالُوا حرِّقُوه وانْصُرُوا آلِهَتَكُم إِنْ كُنْتُم فاعلِين، قُلْنَا يَانَارُ كُونِى بَرْدًا وسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيم﴾ [الأنبياء ٦٩]

وذلك أنهم شرعوا يجمعون حطبًا من جميع ما يمكنهم من الأماكن، فمكثوا مدة يجمعون له حتى إن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عُوفيت لتحملن حطبا لحريق ابراهيم، ثم عمدوا إلى حفرة عظيمة، فوضعوا فيها ذلك الحطب، وأطلقوا فيه النار، فاضطربت وتأجّجت والتهبت، وعلاها شررٌ لم يُر مثله قط..

ثم وضعوا ابراهيم عليه السلام - فى كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الأكراد، ثم أخذوا يقيدونه ويكتّفونه، وهو يقول: لا إِلَهَ إِلاّ أنت سبحانك ، رب العالمين، لك الحمد ولك الملك، لا شريك لك.

فلما وُضع الخليل - عليه السلام - فى كفة المنجنيق مقيدًا مكتوفًا، ثم ألقوه منه إلى النار، قال: حَسْبُنَا الله ونعم الوكيل، كما روى البخارى عن ابن عباس- أنه قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها ابراهيم حين ألقى فى النار».

* وروى أبو يعلى، بإسناده، عن أبى هريرة، قال: قال ﷺ:

«لما أُلقِى إبراهيم فى النار، قال، اللهم إنك فى السماء واحد، وأنا فى الأرض واحد أعبدك»

وذكر بعض السلف: أن جبريل عرض له فى الهواء فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا.

* ويروى عن ابن عباس، أنه قال: جعل ملك المطر يقول: متى أُومر فأرسل المطر؟ فكان أمر الله أسرع.

* وقال السّدى: كان معه أيضًا مَلَك الظل، وصار ابراهيم - عليه السلام - فى مَيْل الحَوْبة (أى الحفرة) حوله نار، وهو فى روضة خضراء، والناس ينظرون إليه لا يقدرون على الوصول، ولاهو يخرج إليهم.

* قال البخارى - بإسناده - عن أم شريك، أن رسول الله - ﷺ - أمر بقتل الوَزَغ، وقال: «كان ينفخ على ابراهيم».

* وروى الإمام أحمد - بإسناده - أن نافعًا مولى ابن عمر، أخبره أن عائشة أخبرته، أن

---

(١) ابن كثير ص ١٨٢.

رسول الله - ﷺ - قال: «اقتلوا الوَزَغ فإنه كان ينفخ النار على ابراهيم».

قال: فكانت عائشة تقتلهن.

* وروى الإمام أحمد أيضًا- بإسناده- عن نافع، أن امرأة دخلت على عائشة فإذا رمح منصوب فقالت: ما هذا الرمح؟ فقالت: نقتل به الأوزاغ، ثم حدثت عن رسول الله - ﷺ: «أن ابراهيم لما ألقى فى النار جعلت الدواب كلها تطفئ عنه إلّا الوزغ، فإنه جعل ينفخها عليه»(١).

* وجاء فى هجرة إبراهيم الخليل إلى بلاد الشام. ودخوله الديار المصرية، واستقراره فى الأرض المقدسة(٢).

قال الحق سبحانه: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنبياء ٧١، ٧٢]

لما هَجَر قومه فى الله، وهاجر من بين أظهرهم، وكانت امرأته عاقرًا لا يولد لها، ولم يكن له من الولد أحد، بل معه ابن أخيه لوط بن هاران، وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين، وجعل فى ذريته النبوةَ والكتاب. فكل نبى بُعث بعده فهو من ذريته، وكل كتاب نزل من السماء على نبى من الأنبياء من بعده، فعلى أحد نسله وعَقِبه، خلعةً من الله وكرامة له، حين ترك بلاده وأهله وأقرباءه، وهاجر إلى بلد يتمكن فيه من عبادة ربه عز وجل، ودعوة الخلق إليه.

* قال أُبى بن كعب وأبو العالية وقتادة: «والأرض التى قصدها بالهجرة أرض الشام، وهى التى قال الله عز وجل. ﴿إِلَى الأرضِ التى بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

* وقال السُّدى: انطلق ابراهيم ولوط قبل الشام. فلقى إبراهيم سارة، وهى ابنة ملك حران، وقد طعنت على قومها فى دينهم، فتزوجها على أن لا يغيرها.

وذكر أهل الكتاب، أنه لمّا قدم الشام أوحى الله إليه، «إِنِّى جَاعِلٌ هذه الأرض لخَلَفِك من بعدك» فابتنى ابراهيم مَذْبَحًا لله شكرًا على هذه النعمة، وضَرَب قبته شرقىّ بيت المقدس، ثم انطلق مرتحلًا إلى التَّيَمُّن، وإنه كان جوع- أى قحط وشدة غلاء، فارتحلوا إلى مصر.

وذكروا قصة سارة مع ملكها، وأن ابراهيم قال لها: قولى أنا أخته، وذكروا إخدام الملك إياها هاجر، ثم أخرجهم منها فرجعوا إلى بلاد التَّيَمُّن، يعنى أرض بيت المقدس وما وَالاها.

* روى البخارى - بإسناده - عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله - ﷺ: لم يَكْذِبْ إبراهيم- عليه السلام- إلّا ثلاث كذبات، ثِنْتَيْن منهن فى ذات الله - عز وجل، قوله: (إِنِّى سَقِيم).

(١) تفرد بها الامام أحمد ورواه ابن ماجه.

(٢) ابن كثير، قصص الأنبياء ص ١٩١.

وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَه كَبِيرُهم هذا﴾. وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذْ أَتَى عَلَى جَبَّار من الجبابرة، فقيل له: إنَّ ههُنا رجلاً معه امرأة من أَحْسَنِ الناس، فأرسَلَ إليه، فسأله عنها، فقال: مَنْ هذه؟ قال: أُخْتِي، فأتى سارة، قال: ياسارة.. لَيْسَ على وَجْهِ الأرضِ مُؤْمِنٌ غيرى وغيرك، وإنَّ هذا سَأَلَنِي فأخبرتُهُ أَنَّكِ أُختى، فلا تُكَذِّبينى، فأرسلِ إليها. فلمَّا دخلت عليه ذهب يتناولها بيده، فأُخِذ، فقال: ادْعى الله لى ولا أَضُرُّك، فدعَتِ الله، فأُطْلِق، ثم تناولها الثانية، فأُخِذ، مثلها أوأشد فقال: ادْعى الله لى ولا أَضُرُّك، فدَعَتْ، فأُطْلِق، فَدَعَا بعض حَجَبَتِه، فقال: إنَّكُمْ لم تَأْتُونى بإنسانٍ، إنما أتيتمونى بشيطان. فأَخْدَمَها هاجَرَ، فأتته، وهو قائم يُصَلِّى، فأومأ بيدِه، مَهْيَا، قالت: رد الله كيد الكافر – أو الفاجر – فى نحرِهِ، وأَخْدَمَ هَاجَرَ.

قال أبو هريرة: تِلْكَ أُمُّكم يا بَنِى ماء السماء[1].

وروى الإمام أحمد – بإسناده – عن أبى هريرة – قال: قال رسول الله ﷺ:

«لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: قوله حين دُعى إلى آلهتهم، فقال: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَذَا﴾، وقوله لسارة: «إنها أختى».

قال: ودخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك، أو جبار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم الليلة بامرأة من أحسن الناس، قال: فأرسل إليه الملك أو الجبار: من هذه معك؟

قال: أختى، قال: فأَرْسِلْ بها، قال: فأرسل بها إليه، وقال: لا تُكَذِّبِى قَوْلِى فإنى قد أخبرته أنك أختى، إن ما على الأرض مؤمن غيرى وغيرك.

فلما دخلت عليه قام إليها، فأقبلت تتوضأ وتصلى، وتقول: اللهم إن كنت تعلم أنى آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجى إلاّ على زوجى، فلا تسلّط علىَّ الكافر. قال: فَغَطَّ حتى ركض برجله. قالت: اللهم إن يمت يقال هى قتلته، قال: فأُرسل.

قال: ثم قام إليها، قال: فقامت تتوضأ وتصلى وتقول: اللهم إن كُنت تعلم أنى آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجى إلاّ على زوجى، فلا تسلّط علىّ الكافر.

قال: فغط حتى ركض برجله، قالت: اللهم إن يمتْ يُقَل هى قتلته، قال: فأرسل.

قال: فقال فى الثالثة أوالرابعة: ما أرسلتم إلىّ إلاّ شيطانا، أرجعوها إلى إبراهيموأعطوها هَاجَر. فرجعت فقالت لإبراهيم: أشعرتَ أن الله ردّ كيدَ الكافرين، وأخدم وليدة.[2].

* وروى ابن أبى حاتم -بإسناده- عن أبى سعيد، قال: قال رسول الله -ﷺ-، فى كلمات إبراهيم الثلاث، التى قالها: «ما منها كلمة إلاّ ما حلَ بها (أى دافع) عن دين الله، فقال: ﴿إِنِّى

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء ٦٠، وباب قوله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ واللؤلؤ والمرجان ١١٦.
(٢) رواه الإمام أحمد وهو على شرط الصحيح.

سقيم﴾ وقال: ﴿بَلْ فَعَله كَبِيرُهُم هذا﴾ وقال للملك حين أراد امرأته «هي أختي».

* فقوله في الحديث «هي أختي» أي في دين الله، وقوله لها: «إنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك» يعني زوجين مؤمنين غيري وغيرك، ويتعيّن حمله على هذا لأن لوطا كان معهم، وهو نبي - عليه السلام. وقوله لها لما رجعت إليه «مهيم؟» معناه: ما الخبر؟، فقالت: إن الله ردّ كيد الكافرين. وفي رواية: الفاجر هو الملك، وأخدَم جارية.

وكان إبراهيم، - عليه السلام - من وقت ذُهَب بها إلى الملك، قام يصلي لله عز وجل، ويسأله أن يدفع عن أهله، وأن يردّ بأس هذا الذي أراد أهله بسوء، وهكذا فعلت هي أيضا. فلما أراد عدو الله أن ينال منها أمرًا، قامت إلى وضوئها وصلاتها، ودعت الله عز وجل بما تقدم من الدعاء العظيم، ولهذا قال تعالى: ﴿واسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاةِ﴾ [البقرة ٤٥]، فعصمها الله وصانها لعصمة عبده ورسوله وحبيبه وخليله إبراهيم - عليه السلام.

وقد ذهب بعض العلماء إلى نُبُوَّة ثلاث نسوة: سَارَة، وأم موسى، ومريم - عليهن السلام. والذي عليه الجمهور أنهنّ صدِّيقات - رضى الله عنهن وأرضاهن.

* وقد جاء في بعض الآثار، أن الله عز وجل كشف الحجاب فيما بين إبراهيم وبينها، فلم يزل يراها منذ خرجت من عنده إلى أن رجعت إليه، وكان مشاهدًا لها وهي عند الملك، وكيف عصمها الله منه، ليكون ذلك أطيب لقلبه، وأقر لعينه، وأشد لطمأنينته، فإنه كان يحبها حبا شديدًا، لدينها وقرابتها منه وحُسْنها الباهر، فإنه قد قيل إنه لم تكن امرأة بعد حواء إلى زمانها، أحسن منها.

* ثم إن الخليل - عليه السلام - رجع من بلاد مصر إلى أرض التّيمن - وهي الأرض المقدسة، التي كان فيها، ومعه أنعام وعبيد ومال جزيل، وصحبتهم هاجر القبطية المصرْية.

وأوحى الله تعالى إلى إبراهيم الخليل، فأمره أن يمد بصره، وينظر شمالا وجنوبا وشرقا وغربا. وبشرّه بأن هذه الأرض كلها سأجعلها لك ولخلفك إلى آخر الدهر. وسأكثر ذريتك حتى يصيروا بعدد تراب الأرض. وهذه البشارة اتصلت بهذه الأمة، بل ما كُملَت ولا كانت أعظمَ منها في هذه الأمة المحمدية.

* ثم إن إبراهيم - عليه السلام - سأل الله ذرية طيبة(١). وإن الله بشره بذلك، وإنه لما كان لإبراهيم ببلاد بيت المقدس، عشرون سنة، قالت سارة لإبراهيم: إن الرب قد أحرمني الولد، فادخل على أَمَتي هذه (هاجَر) لعل الله يرزقني منها ولدًا، فلما وَهَبَتْها له دخل بها إبراهيم فحملت منه، ووضعت إسماعيل عليه السلام، ولدته ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة.

ولما ولد اسماعيل أوحى الله إلى إبراهيم يبشره باسحاق من سَارة، فخرّ لله ساجدًا، وقال له: قد

---

(١) ابن كثير - قصص الأنبياء ص ٢٠٠

استجبتُ لك فى إسماعيل، وباركت عليه وكثّرته ونمّيته جدًا كثيرا، ويولد له اثنا عشر عظيما، وأجعله رئيسا لشعب عظيم.

وهذه أيضا بشارة بهذه الأمة العظيمة، وهؤلاء الاثنا عشر عظيما هم الخلفاء الراشدون الاثنا عشر، المبشَّر بهم فى حديث عبد الملك بن عُمير، عن جابر بن سمرة، عن النبى - ﷺ - قال:

«يكون اثنا عشر أميرًا، ثم قال كلمة لم أفهمها، فسألت أبى ما قال، قال: «كلهم من قريش»[1] وفى رواية: «لا يزال هذا الأمر قائما، وفى رواية: عزيزًا، حتى يكون اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

* فهؤلاء منهم: الأئمة الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، ومنهم: عمر بن عبد العزيز أيضا ومنهم بعض بنى العباس.

وليس المراد أنهم يكونون اثنى عشر نسقًا بل لابد من وجودهم.

وليس المراد الأئمة الاثنى عشر الذين يعتقد فيهم الرافضة، الذين أوّلهم على بن أبى طالب. وآخرهم المنتظر بسرداب سامراء - وهو محمد بن الحسن العسكرى، فيما يزعمون.

فإن أولئك لم يكن فيهم أنفع من علىّ وابنه الحسن بن على، حين ترك القتال وسلّم الأمر لمعاوية، وأخمد نار الفتنة، وسكن رحى الحرب بين المسلمين، والباقون من جملة الرعايا، لم يكن لهم حُكم على الأمة فى أمر من الأمور، وأما ما يعتقدونه بسرداب سامراء، فذلك هَوَس من الرءوس، وهذيان فى النفوس، لا حقيقة له، ولا عين ولا أثر[2].

* وفى تأريخ الرسول - ﷺ - لإبراهيم ولذريته وآله، ذكر ثناء الله عليه، ثم أعقب ذلك بثنائه -ﷺ- ثناء كثيرا..

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وإِبْرَاهِيمَ وجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ والكِتَابَ﴾ [الحديد ٢٦]

فكل كتاب أُنزل من السماء ع نبىّ من الأنبياء بعد إبراهيم الخليل، فمن ذريته وشيعته، وهذه خِلْعَة سنية لا تضاهى، ومرتبة علية لا تباهى، وذلك أنه ولد له لصلبه ولدان ذكران عظيمان: إسماعيل من هاجر، ثم اسحق من سارة، وولد له يعقوب - وهو إسرائيل - الذى ينتسب إليه سائر أسباطهم، فكانت فيهم النبوة، وكثُروا جدًا بحيث لا يعلم عددهم إلَّا الذى بعثهم. واختصهم بالرسالة والنُبوّة، حتى خُتموا بعيسى بن مريم من بنى إسرائيل.

* وأما إسماعيل - عليه السلام، فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها، ولم يوجد من سلالته من الأنبياء سوى خاتمهم على الإطلاق، وسيدهم، وفخر بنى آدم فى الدنيا والآخرة:

(١) أخرجاه فى الصحيحين.

(٢) ابن كثير ص ٢٠٢.

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشى، المكى ثم المدنى، - ﷺ -. فلم يوجد من هذا الفرع الشريف، والغصن المنيف سوى هذه الجوهرة الباهرة، والدرّة الزاهرة، وواسطة العقد الفاخرة، وهو السيد الذى يفتخر به أهل الجَمْع ويغبطه الأولون والآخرون يوم القيامة.

وقد ثبت عنه فى صحيح مسلم - أنه قال: «سأقوم مقامًا يرْغب إلىَّ الخلقُ كلهم حتى إبراهيم فمدح إبراهيم أباه مدحة عظيمة فى هذا السياق، ودلّ كلامه على أنه أفضل الخلائق بعده عند الخلاق، فى هذه الحياة الدنيا، ويوم يُكشف عن ساق.

* وروى البخارى - بإسناده - عن ابن عباس، قال: «رسول الله - ﷺ -. يعوذ الحسن والحسين، ويقول: «إن أباكما - يقصد إبراهيم - كان يعوذ بهما إسماعيل واسحق، أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لاَمّة».

* وروى ابن أبى حاتم - بإسناده عن اسحق بن يسير، قال: «لما اتخذ الله إبراهيم خليلا، ألقى فى قلبه الوَجَل حتى إنْ كان خفقان قلبه ليسمع من بُعد، كما يُسمع خفقان الطير فى الهواء.

وروى ابن أبى حاتم - أيضا - عن عُبيد بن عُمير، قال:

«كان إبراهيم - عليه السلام - يُضَيِّف الناس، فخرج يوما يلتمس إنسانا يضيّفه فلم يجد أحدًا يضيّفه، فرجع إلى داره فوجد فيها رجلا قائما، فقال: يا عبد الله ما أدخلك دارى بغير إذنى؟ قال: دخلتها بإذن ربها، قال: ومن أنت؟ قال: أنا مَلَك الموت، أرسلنى ربى إلى عبد من عباده، أبشره بأن الله قد اتخذه خليلا، قال: ومن هو؟ فوالله إن أخبرتنى به ثم كان بأقصى البلاد لآتيته، ثم لا أبرح له جارًا حتى يفرّق بيننا الموت، قال: ذلك العبد أنت، قال: أنا، قال، نعم، قال: فبم اتخذنى ربى خليلا؟ قال: بأنك تعطى الناس ولا تسألهم»(١)

* وقد ذكره الله تعالى فى القرآن كثيرا، فى غير ما موضع، بالثناء عليه، والمدح له، فقيل: إنه مذكور فى خمسة وثلاثين موضعا، منها خمسة عشر فى البقرة وحدها.

وهو أحد أولى العَزْم الخمسة، المنصوص على أسمائهم تخصيصا من بين سائر الأنبياء فى آيتى الأحزاب والشورى.

وهو الذى وجده -ﷺ- فى السماء السابعة مُسندًا ظهره بالبيت المعمور. الذى يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

وروى الإمام أحمد - بإسناده، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله - ﷺ -:

«إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن».

---

(١) رواه ابن أبى حاتم.

ومما يدل على أن إبراهيم له المكانة العليا – عند رسول الله، الحديث الذى قال فيه ﷺ: «وأُخِّرْتُ الثَّالِثَةَ ليوم يرغب إلىّ الخلق كلهم حتى إبراهيم».(١)

وهذا هو المقام المحمود الذى أخبر عنه صلوات الله وسلامه عليه بقوله: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر».

* وروى البخارى – بإسناده – عن أبى هريرة، قال: قيل يا رسول الله.. من أكرم الناس؟ قال: «أكرمهم أتقاهم» فقالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرم الناس يوسف، نبى الله، ابن نبى الله، ابن نبى الله، ابن خليل الله.»

* وروى الإمام أحمد، بإسناده – عن أنس بن مالك، قال: قال رجل للنبى – ﷺ: يا خير البرية، فقال: ذاك إبراهيم.(٢)

وهذا القول من باب التواضع مع والده الخليل – عليه السلام، كما قال: «لا تفضّلونى على الأنبياء».

* ولما كان إبراهيم – عليه السلام – أفضل الرسل وأولى العزم بعد محمد – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أُمِرَ المصلى أن يقول فى تشهده ما ثبت فى الصحيحين، من حديث كعب بن عجرة، قال: قلنا يارسول الله، هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك، قال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

* وروى ابن أبى حاتم – بإسناده عن ابن عباس: فى قوله تعالى: ﴿وَإِذ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُن﴾ [البقرة ١٢٤].

قال: ابتلاه الله بالطهارة، خمس فى الرأس، وخمس فى الجسد..

فى الرأس: قصّ الشارب، والمضمضة، والسواك، والاستنشاق، وفَرْق الرأس.

وفى الجسد: تقليم الأظافر، وحَلْق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل أثر الغائط والبول بالماء».

قلت: وفى الصحيحين، عن أبى هريرة، عن النبى – ﷺ –، قال:

«الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط».

هذا وقد تحدث الرسول –ﷺ– عن قصره فى الجنة، فقال – فيما رواه عنه أبوهريرة: «إن فى الجنة قصرًا – أحسبه قال من لؤلؤة، ليس فيه فَصَم وَلاَ وَهْى، أعده الله لخليله إبراهيم – عليه السلام – نزلا».

---

(١) رواه مسلم من حديث أبىّ بن كعب.

(٢) رواه مسلم من حديث الثورى.

وَصَفَه - ﷺ - فيما رواه عنه ابن عباس، فقال:

«رأيت عيسى بن مريم وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جَعْد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم، قالوا له : فإبراهيم؟ قال؟ «انظروا إلى صاحبكم» يعني نفسه.[١]

- ٤ -

مُوسَى - عليه السلام

هو موسى بن عِمْران بن قَاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام[٢].

قال الله تعالى: ﴿واذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا، ونَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا. وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم ٥١-٥٣].

أرخ الرسول - ﷺ - فى حديثه، لحياته ودعوته، تأريخا دقيقا، فى حديث طويل، سمّاه العلماء «حديث الفتون» حيث تضمن تاريخ موسى كاملا مبسوطا من أوله إلى آخره.

* وقد روى هذا الحديث الإمام أبو عبد الرحمن النسائى، فى كتاب التفسير من سننه[٣]، عند قوله تعالى فى سورة طه: ﴿وقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه ٤٠].

رواه بإسناد طويل، عن سعيد بن جُبَير، قال: سألت عبد الله بن عباس، عن قول الله تعالى لموسى: ﴿وفَتَنَّاكَ فُتُونا﴾ فسألته عن الفتون ما هى؟ فقال: استأنف النهار يا بن جبير، فإن لها حديثا طويلا:

* فلما أصبحتُ غدوت إلى ابن عباس، لأتَنَجَّزَ منه ما وعدنى من حديث الفتون، فقال: «تذكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعدَ إبراهيم عليه السلام، أن يجعل فى ذريته أنبياء وملوكا، فقال بعضهم: إن بنى اسرائيل ينتظرون ذلك، ما يشكّون فيه، وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب، فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان وعد إبراهيم، فقال فرعون: فكيف ترون؟ فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشِّفَار، يطوفون فى بنى اسرائيل فلا يجدون مولودًا ذَكَرًا إلّا ذبحوه، ففعلوا ذلك.

فلما رأوا أن الكبار من بنى اسرائيل يموتون بآجالهم، والصغار يذبحون، قالوا: توشكون أن

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه.

(٢) ابن كثير، قصص الأنبياء ج٢ ص٣.

(٣) وأخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيرهما، وابن كثير فى تفسيره، وفى قصص الأنبياء ١٥٢/٢.

يُفْنوا بنى اسرائيل، فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة، التى كانوا يَكْفُونكم، فاقتلوا عاما كلَّ مولود ذكر، واتركوا بناتهم، ودعوا عاما فلا تقتلوا منهم أحدًا، فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم لن يكثروا بمن تَسْتَحْيُون منهم، فتخافوا مكاثرتهم إياكم، ولن يَفنُوا من تقتلون وتحتاجون إليهم.

فأجمعوا أمرهم على ذلك، فحملت أم موسى بهارون فى العام الذى لا يُقتل فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة.

فلما كان من قابل حملت بموسى – عليه السلام – فوقع فى قلبها الهمُّ والحَزَن، وذلك من الفُتُون، يا ابن جبير، ما دخل عليه فى بطن أمه مما يراد به، فأوحى الله إليها: أن ﴿ولَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِى إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وجَاعِلُوهُ من الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص ٧] فأمرها إذا ولدت أن تجعله فى تابوت، وتلقيه فى اليَمّ.

فلما ولدت فعلتْ ذلك، فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطانُ، فقالت فى نفسها: ما فعلتُ يا بُنى؟ لو ذُبِحَ عندى فواريته وكفَّنته كان أحبَّ إلى من أن ألقيه إلى دوابِّ البحر وحيتانه؟.

فانتهى الماء به حتى أوفى عند فُرْضَةٍ تستقى منها جوارى امرأة فرعون، فلما رأينه أخذنه، فَهَمَمْنَ أن يفتحن التابوت، فقال بعضهن: إنّ فى هذا مالا، وإنّا إنْ فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه، فحملنه كهيئته لم يُخرجن منه شيئا حتى دفعنه إليها، فلما فتحته رأت فيه غلاما، فألقى الله عليه منها محبةً لم يلق منها على أحد قط ﴿وأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ [القصص ١٠] من ذكر كل شيء إلّا من ذِكر موسى، فلما سمع الذبّاحُون بأمره، أقبلوا بِشِفَارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه. وذلك من الفتون يا ابن جبير!

فقالت لهم: أقرُّوه فإن هذا الواحد لا يزيد فى بنى اسرائيل، حتى آتى فرعون فأستوهبه منه، فإن وهبه منى كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم أَلُمْكم. فأتت فرعون فقالت: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لى ولَكَ﴾ فقال فرعون: يكون لك، فأمّا لى فلا حاجة لى فيه، فقال رسول الله – ﷺ: «والذى يحلف به لو أقرَّ فرعون أن يكون قرة عين له، كما أقرّت امرأته لهداه الله كما هداها، ولكن حرمه ذلك».

فأرسلت إلى من حولها إلى كل امرأة لها لأن تختار له ظِئْرا، فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يُقْبل على ثديها، حتى اشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فأحزنها ذلك، فأمرت به فأخرج إلى السوق ومَجْمع الناس، ترجو أن تجد له ظِئْرا تأخذه منها، فلم يَقْبل، وأصبحت أم موسى والهًا، فقالت لأخته: قُصِّى أثره واطلبيه، هل تسمعين له ذِكْرًا؟ أحىٌّ ابنى أم قد أكلته الدّوابُّ؟ ونسيت ما كان الله وعدها فيه. ﴿فَبَصُرَتْ به﴾ أخته ﴿عَنْ جُنُبٍ وهم لَا يَشْعُرُونَ﴾ –

والجُنُب.. أن يسمو بصر الإنسان إلى شيء بعيد وهو إلى جنبه لا يشعر به، فقالت من الفرح حين أعياهم الظُّئرات: أنا ﴿أَدُلُّكُم عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يكْفُلُونَهُ لَكُم وَهُمْ له نَاصِحُونَ﴾ فأخذوها فقالوا: ما يدريك ما نُصْحهم له؟ هل تعرفينه؟ حتى شكُّوا فى ذلك، وذلك من الفتون يا ابن جبير!

* فقالت: نُصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم فى صِهْر الملك، ورجاء منفعة الملك. فأرسلوها فانطلقت إلى أُمّها فأخبرتها الخَبر، فجاءت أمه، فلما وضعته فى حجرها نَزَا (وَثَب) إلى ثديها، فمصَّه حتى امتلأ جنباه ريًّا، وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرها أن قد وجدنا لا بنك ظئرا، فأرسلت إليها فأتت بها وبه.

فلما رأت ما يصنع بها قالت: امكثى ترضعى ابنى هذا، فإنى لم أحب شيئًا حبَّه قط، قالت أم موسى: لا أستطيع أن أترك بيتى وولدى فيضيع فإن طابت نفسك أن تعطينيه، فأذهب به إلى بيتى، فيكون معى لا آلوه خيرًا، فعلتُ، فإنى غير تاركة بيتى وولدى.

وذكرت أمُّ موسى ما كان الله وعدها، فتعاشرْت على امرأة فرعون، وأيقنت أن الله منجز موعودَه، فرجعت إلى بيتها من يومها، وأنبته الله نباتًا حسنا، وحفظه لما قد قَضَى فيه، فلم يزل بنو اسرائيل وهم فى ناحية القرية، ممتنعين من السُّخرة والظلم ما كان فيهم.

فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى: أَزِيرِينى ابنى، فوعدتها يوما تُزيرها إياه فيه، وقالت امرأة فرعون لخزانها وظُئورها وقهارمتها: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابنى اليوم بهديّة وكرامة، لأرى ذلك فيه، وأنا باعثة أمينًا يحصى كل ما يصنع كل إنسان منكم، فلم تزل الهدايا والكرامة والنِّحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليها نَحَلَتْه وأكرمته وفرحت به، وانحلتْ أُمَّه لحسن أثرها عليه، ثم قالت: لآتينّ به فرعون فلينحلّنه وليكرمنّه.

فلما دخلت به عليه جعله فى حِجْرِه، فتناول موسى لحية فرعون فمدّها إلى الأرض، فقال الغواة من أعداء الله لفرعون: ألا ترى ما وعد الله ابراهيم نبيه؟ إنه زعم أنه يرثك ويعلوك ويَصْرَعك! فأرسل إلى الذّباحين ليذبحوه. وذلك من الفتون يا ابن جبير - بعد كل بلاء.

فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون، فقالت: ما بَدَالك فى هذا الغلام الذى وهبته لى؟ فقال: ألا ترينه يزعم أنه يصرعنى ويعلونى؟ فقالت: اجعل بينى وبينك أمرًا تعرف فيه الحق، ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقرِّبهن إليه، فإذا بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين، عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يُرِد اللؤلؤتين، علمت أن أحدًا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل.

فقرب إليه الجمرتين واللؤلؤتين، فتناول الجمرتين، فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعد ما كان هَمَّ به، وكان الله بالغا فيه أمره.

فلما بلغ أشده وكان من الرجال، لم يكن أحد من آل فرعون يَخْلُص إلى أحد من بنى اسرائيل معه بظلم ولا سخرة، حتى امتنعوا كل الامتناع، فبينما موسى - عليه السلام - يمشى فى ناحية المدينة، إذا هو برجلين يقتتلان، أحدهما فرعونى، والآخر إسرائيلى، فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى، فغضب موسى غضبا شديدًا، لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بنى اسرائيل، وحفظه لهم، لا يَعْلم الناسُ إلا أنه من الرضاع إلاّ أم موسى، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يُطْلع عليه غيره.

فوكز موسى الفرعونى فقتله، وليس يراهما أحد إلاّ الله - عز وجل - والإسرائيلى، فقال موسى حين قَتل الرجل: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ ثم قال: ﴿رَبِّ إِنى ظَلَمْتُ نَفْسِى فاغْفِرْ لى. فَغَفَر لَهُ إِنَّه هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم، قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص ١٥ - ١٧] وعزم على الخروج هربا من فرعون وقومه.

* ويتابع ابن عباس رواية حديث رسول الله عن موسى، فيذكر خروجه إلى مَدْين وزواجه، يقول: «فخرج موسى متوجها نحو مَدْين، لم يلق بلاء قبلَ ذلك، وليس له بالطريق عِلْم إلاّ حُسْن ظنه بربه - عز وجل - فإنه قال: ﴿عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَوَاءَ السَّبِيل.. وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ، وَوَجَد مِنْ دُونِهِم امْرَأَتَيْن تَذُودَانِ﴾ يعنى بذلك حابستين غنمهما، فقال لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ معتزلتين الناس؟ قالتا: ليس لنا قوة نزاحم القوم، وإنما ننتظر فضولَ حياضهم، فسَقَى لهما، فجعل يغترف من الدلو ماء كثيرا حتى كان أول الرِّعاء وانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما، وانصرف موسى فاستظل بشجرة، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص ٢٢ - ٢٤].

واستنكر أبوهما سرعة صدورها بغنمهما حُفّلا بِطَانًا[١] فقال: إن لكما اليومَ لشأنا، فأخبرتاه بما صنع موسى، فأمر إحداهما أن تدعوه، فأتت موسى فدعته، فلمّا كلّمه ﴿قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولَسْنا فى مملكته. فقالت إحداهما: ﴿يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْه إِنَّ خَيْرَ مَن اسْتَأْجَرْتَ القَوِىُّ الأَمِينُ﴾[القصص ٢٥، ٢٦].

* فاحتملته الغيرَ على أن قال لها: ما يدريك ما قُوّته وما أَمَانته؟ فقالت: أما قوّته فما رأيت منه فى الدلو حين سقى لنا، لم أر رجلا قط أقوى فى ذلك السَّقى منه. وأما الأمانة: فإنه نظر إلىّ حين أقبلت إليه وشخصتُ له، فلما علم أنى امرأة صوّب رأسه فلم يرفعه حتى بلّغته رسالتك. ثم قال لى: امشى خلفى وانعتى لى الطريق، فلم يفعل هذا إلاّ وهو أمين، فسرِّى عن أبيها وصدَّقها، وظن به الذى قالت.

---

(١) الحفّل: الممتلئة الضروع باللبن، والبِطَان: الشباع.

* فقال له: هل لك ﴿أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثماني حِجَجٍ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ، وما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص ٢٧] ففعل، فكانت على نبى الله موسى ثمانى سنين واجبة وكانت السنتان عِدَةً منه، فقضى الله عدته فأتمها عشرًا.

* ويتابع ابن عباس - رواية حديث رسول الله - ﷺ - فيذكر ما كان من أمر النار والعصا ويده، قال:

فلما سار موسى بأهله، كان من أمر النار والعَصَا ويده، ما قصّه القرآن.. فشكا إلى الله تعالى ما يتخوّف من آل فرعون فى القتيل، وعقدة لسانه، فإنه كان فى لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام، وسأل ربّه أن يعينه بأخيه هارون، يكون له رِدْءًا، يتكلم عنه بكثير مما لا يُفصح به لسانه، فآتاه الله عز وجل سُؤْله، وحَلَّ عقدةً من لسانه، وأوحى الله إلى هارون فأمره أن يلقاه، فاندفع موسى بعصاه حتى لقى هارون، فانطلقا جميعا إلى فرعون.

* وعن لقاء موسى وهارون - بفرعون - روى ابن عباس، قال: «فأقاما على بابه حينا لا يُؤْذَن لهما، ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا: ﴿إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ﴾ قال: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ فأخبراه بالذى قص الله عليك فى القرآن، قال: فما تريدان؟ وذكَّره القتيل فاعتذر بما قد سمعت.

قال: أريد أن تؤمن بالله، وترسل معى بنى إسرائيل، فأبَى عليه، وقال: إئت بآيةٍ إنْ كنتَ من الصَادقين، فألقى عصاه فإذا هى حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها فاقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفّها عنه ففعل، ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء، يعنى من غير بَرَص، ثم ردَّها فعادت إلى لونها الأول.

* فاستشار الملأ من حوله فيما رأى، فقالوا له: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ [طه ٦٣] يعنى مُلْكهم الذى هم فيه والعيش، وأبَوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب، وقالوا له: اجمع السحرة فإنهم بأرضك كثير حتى تغلب بسحرك سحرهما.

فارسل إلى المدائن فحُشِر له كلُّ سَاحر متعالم، فلما أتوا فرعون قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: يعمل بالحيات. قالوا: فلا والله ما أحد فى الأرض يعمل السحر بالحيات والحبال والعصى الذى نعمل فما أجْرُنا إن نحن غلبنا؟ قال لهم: أنتم أقاربى وخاصتى، وأنا صانع إليكم كل شىء أحببتم، فتواعدوا ﴿يَوْمَ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضحى﴾[طه ٥٩].

* وعن يوم الزينة، قال سعيد بن جبير: فحدثنى ابن عباس أن يوم الزينة، اليوم الذى أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة: هو يوم عاشوراء.

فلما اجتمعوا فى صعيد قال الناس بعضهم لبعض: انطلقوا فلنحضُر هذا الأمر ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُم الغَالِبِين﴾ [الشعراء ٤٠] يعنون موسى وهارون، استهزاء بهما.

فقالوا ياموسى - بعد تريثهم بسحرهم: ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِي وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ [طه ٦٥]

قال: بل ألقوا، ﴿فَأَلْقوا حِبَالَهُم وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الغَالِبُون﴾ [الشعراء ٤٤]

فرأى موسى من سحرهم ما أَوْجَسَ فى نفسه خيفة، فأوحى الله إليه ﴿أَنْ أَلْقِ عصاك﴾ [الأعراف ١١٧]

فلما ألقاها صارت ثعبانا عظيمًا فاغرًا فاهُ، فجعلت العصا تلتبس بالحبال، حتى صارت جِرْزًا للثعابين، تدخل فيه حتى ما أبقت عصا ولا حبلا إلا ابتلعته.

فلما عرف السحرة ذلك، قالوا لو كان هذا سحرًا لم يبلغ من سحرنا كل هذا، ولكنه أمرٌ من الله تعالى، آمنّا بالله وبما جاء به موسى، ونتوب إلى الله مما كنا عليه.

فكَسَرَ الله ظهر فرعون فى ذلك الموطن وأشياعه، وظهر الحق ﴿وَبَطَلَ مَّا كَانُوا يَعْمَلُون﴾، ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وانْقَلَبُوا صَاغِرِين﴾ [الأعراف ١١٨، ١١٩]، وامرأة فرعون بارزة مبتذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه، وإنما كان حُزنها وهمّها لموسى.

فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة، كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بنى إسرائيل، فإذا مضت أخلف موعده، وقال: هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا؟

أرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم آيات مفصلات، كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفّها عنه، ليوافقه على أن يرسل معه بنى إسرائيل، فإذا كُفّ ذلك عنه أخلف بوعده، ونكث عهده، حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه، فخرج بهم ليلا.

فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل فى المدائن حاشرين، فتبعه بجنود عظيمة كثيرة. وأوحى الله إلى البحر: إذا ضربك موسى - عبدى - بعصاه، فانْفَلِقْ اثنتى عشرة فرقة، حتى يجوز موسى ومن معه، ثم التقِ على من بقى بعد من فرعون وأشياعه.

فنسى موسى أن يضرب البحر بالعصا، وانتهى إلى البحر وله قَصِيف[1] مخافة أن يضربه موسى بعصاه، وهو غافل فيصير عاصيا لله عز وجل، فلما تراءى الجمعان وتقاربا ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُون﴾ [الشعراء ٦١] افعل ما أمرك به ربك، فإنه لم يكذب ولم تكذب.

قال: وعدنى ربى إذا أتيتُ البحر انفرقَ اثنتى عشرة فرقة حتى أجاوزه، ثم ذكر بعد ذلك العصا،

---

(١) القصيف: أى تكسر أمواج البحر حتى يسمع لها صوت كالرعد.

فضرب البحر بعصاه حين دَنَا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى، فانفرق البحر - كما أمره ربه وكما وعد موسى، فلما أن جاوز موسى وأصحابه كلهم البحر، ودخل فرعون وأصحابه، التقى عليهم البحر كما أُمِر.. فلما جاوز موسى البحر، قال أصحابه: إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق، ولا نؤمن بهلاكه، فدعا ربه، فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه.... إلى آخر الحديث.

* وهذا الحديث - حديث الفتون - صحيح، كما ذكر ابن كثير(١)، قال:

«وصدَّق ذلك عندى أن معاوية سمع ابن عباس، يحدث هذا الحديث، فأنكر عليه أن يكون الفرعونى، الذى أفشى على موسى أمر القتيل الذى قتل، فقال: كيف يفشى عليه ولم يكن عَلِمَ به ولا ظهر عليه إلّا الإسرائيلى الذى حضر ذلك؟

فغضب ابن عباس، فأخذ بيد معاوية وانطلق به إلى سعد بن مالك الزهرى، فقال له:

يا أبا اسحاق، هل تذكر يوم حدثنا رسول الله - ﷺ - عن قتيل موسى الذى قَتَل من آل فرعون؟ الإسرائيلى الذى أفشى عليه أم الفرعونى؟

قال: إنما أفشى عليه الفرعونى بما سمع من الاسرائيلى الذى شهد ذلك وحضره(٢).

* وعن نصرة موسى وهلاك فرعون وجنوده، قال الله تعالى:

﴿وأَنْجَيْنَا مُوسَى ومَنْ مَعَهُ أَجْمَعِين، ثُمّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ، إنَّ فى ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُؤْمِنينَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء ٦٥-٦٨]

أى فى إنجائه أولياءه فلم يغرق منهم أحدًا، وإغراقه أعداءه فلم يخلص منهم أحدًا، آية عظيمة وبرهان قاطع على قدرته تعالى العظيمة، وصِدْق رسوله فيما جاء به عن ربه من الشريعة الكريمة، والمناهج المستقيمة.

ثم أخبر تعالى عن كيفية غرق فرعون، وأنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارة، وترفعه أخرى، وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده، ماذا أحل الله به وبهم من البأس العظيم، والخَطْب الجسيم، ليكون أقرّ لأعين بنى إسرائيل، وأشفى لنفوسهم، فلما عاين فرعونُ الهلكة وأحيط به، وباشر سكرات الموت، أناب حينئذ وتاب، وآمن حين لا ينفع نفسه إيمانُها.

وهكذا دعا موسى على فرعون وملئه، أن يطمس على أموالهم، ويشْدُد على قلوبهم، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، أى حين لا ينفعهم ذلك، ويكون حسرة عليهم، وقد قال الله تعالى لهما - أى لموسى وهارون - حين دَعَوا بهذا ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ [يونس ٨٩]

فهذا من إجابة الله تعالى دعوة كليمه وأخيه هارون - عليهما السلام.

---

(١) قصص الأنبياء ١٦٨/٢.

(٢) انظر الحديث بطوله فى سنن النسائى، وتفسير ابن جرير وابن أبى حاتم.

* ومن ذلك الحديث الذى رواه الإمام أحمد - بإسناده - عن ابن عباس، قال: قال رسول الله - ﷺ: «لما قال فرعون: ﴿آمنتُ أنه لا إله إلاّ الذى آمنت به بنو إسرائيل﴾ قال لى جبريل: لو رأيتنى وقد أخذت من حال البحر فَدَسَسْتُه فى فيه، مخافة أن تناله الرحمة»(١).

* وروى أبو داود - بإسناده - عن ابن عباس، قال: قال رسول الله - ﷺ -:

«قال لى جبريل: لو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فأدسّهُ فى فم فرعون مخافة أن تناله الرحمة».

* وروى ابن أبى حاتم - بإسناده - عن ابن عباس، قال: قال رسول الله - ﷺ -:

«لما أغرق الله فرعون، أشار بإصبعيه ورفع صوته: ﴿آمنت أنه لا إله إلاّ الذى آمنت به بنو اسرائيل﴾ قال: فخاف جبريل أن تسبق رحمة الله فيه غضبه، فجعل يأخذ الحال بجناحه فيضرب به وجهه فيرْمسه (أى يدفنه)(٢).

تكليم الله لموسى

* وذكر ابن كثير، أنهم - أى موسى وقومه - لما جازوا البحر، وذهبوا قاصدين إلى بلاد الشام، مكثوا ثلاثة أيام لا يجدون ماء، فتكلم من تكلم منهم بسبب ذلك، فوجدوا ماء زُعَافًا أُجَاجًا لم يستطيعوا شربه، فأمر الله موسى، فأخذ خشبة فوضعها فيه، فحلا وساغ شُربه.

وعلمه الله هنالك فرائض وسُنَنًا، ووصاه وصايا كثيرة..

«نزل بنو إسرائيل حول طور سيناء، وصعد موسى الجبل، فكلّمه ربه، وأمره أن يذكّر بنى إسرائيل ما أنعم به عليهم، من إنجائه إياهم من فرعون وقومه، وكيف حَمَلهم على مثل جناحى نسر من يده وقبضته، وأمره أن يأمر بنى إسرائيل بأن يتطهروا ويغتسلوا، ويغسلوا ثيابهم، وليستعدوا إلى اليوم الثالث، فإذا كان فى اليوم الثالث فليجتمعوا حول الجبل، ولا يقتربن أحد منهم إليه، فمن دنا منه قُتل، حتى ولا شىء من البهائم، ماداموا يسمعون صوت القَرْن، فإذا سَكَن القرن، فقد حَلّ لكم أن ترتقوه، فسمع بنو اسرائيل ذلك، وأطاعوا واغتسلوا وتنظفوا وتطيّبوا.

فلما كان اليوم الثالث ركب الجبلَ غمامةٌ عظيمة، وفيها أصوات وبروق، وصوت الصُور شديد جدًا، ففزع بنو إسرائيل من ذلك فزعا شديدًا، وخرجوا فقاموا فى سفح الجبل، وغَشِى الجبلَ دخان عظيم فى وسطه عمود نور، زلزل الجبل كله زلزلة شديدة، واستمر صوت الصُور، وهو البوق، واشتد، وموسى - عليه السلام - فوق الجبل، والله يكلّمه ويناجيه، وأمر الله - عز وجل - موسى أن ينزل، فيأمر بنى إسرائيل أن يقتربوا من الجبل، ليسمعوا وصية الله، وأمر الأحبار -

(١) ورواه الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم عند تفسير هذه الآية [يونس ٩٠]

(٢) ورواه ابن جرير، وابن كثير ٨٦/٢ عند تفسير الآية.

وهم علماؤهم – أن يدنوا فيصعدوا الجبل، ليتقدموا بالقُرَب.

وأمره الله تعالى أن يذهب فيأتى معه بأخيه هارون، وليكن الكهنة والشعب – وهم بقية بنى إسرائيل، غير بعيد، ففعل موسى.

* وكلّمه ربه عز وجل، فأمره حينئذ بالعشر الكلمات، وهى:

«الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والنهى عن الحلف بالله كاذبا، والأمر بالمحافظة على السَّبْت، ومعناه تفرغ يوم من الأسبوع للعبادة، وهذا حاصلٌ بيوم الجمعة الذى نسخ الله به السبت، أكرم أباك وأمك ليطول عمرك فى الأرض، الذى يعطيك الله ربُّك، لا تقتل، لا تَزْنِ، لا تسرق، لا تشهد على صاحبك شهادة زور، لا تمد عينك إلى بيت صاحبك، ولا تَشْتَهِ امرأة صاحبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئا من الذى لصاحبك، ومعناه النهى عن الحَسَد»(١).

* وقد جمع القرآن العظيم مضمون هذه العشر الكلمات فى آيتين، وهما قوله تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ولا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها ومَا بَطَنَ، ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بالحَقِّ، ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ به لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلَّا بالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّه، وأَوْفُوا الكَيْلَ والمِيزَانَ بالقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، وَإِذَا قُلْتُم فاعْدِلُوا ولَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى، وبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام ١٥١، ١٥٢]

* وقد أرخ رسول الله – ﷺ – هذه الحقبة التى كلم الله فيها موسى بالعديد من الأحاديث

فعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله – عز وجل – ناجى موسى بمائة ألف وأربعين ألف كلمة فى ثلاثة أيام، فلما سمع موسى كلام الآدميين مَقَتَهم لما وقع فى مسامعه من كلام الرب جل وعز، وكان فيما ناجى به، أن قال: ياموسى.. إنه لم يتصنع إلى المتصنعون بمثل الزهد فى الدنيا، ولم يتقرَّب إلى المتقربون بمثل الورع عما حرِّمت عليهم، ولم يتعبد المتعبدون بمثل البكاء من خشيتى، قال موسى:

يارب البرية كلها، ويا مالك يوم الدين، وياذا الجلال والإكرام، ماذا أعددت لهم؟ وماذا جزيتهم؟ قال: أما الزهاد فى الدنيا فإنى أبحتهم جنتى يتبوؤن منها حيث شاءوا، وأما الورعون فإنى استحييهم وأجلّهم وأكرمهم، فأدخلهم الجنة بغير حساب، وأما البكاءون من خشيتى فأولئك لهم الرفيق الأعلى، لا يُشَارَكُونَ فيه»(٢)

---

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء ١٠٦/٢.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط.

* وعن جابر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ:

«لما كلّم الله تبارك وتعالى - موسى - ﷺ - يوم الطُّور، كلّمه بغير الكلام الذى كلّمه به يوم ناداه، فقال له موسى: يارب هذا كلامك الذى كلمتنى به. قال: ياموسى: إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولى قوة الألسن كلها، وأقوى من ذلك، فلما رجع موسى إلى بنى إسرائيل، قالوا: ياموسى: صِفْ لنا كلام الرحمن - عز وجل، قال: لا تستطيعونه، ألم تروا إلى أصوات الصواعق التى تقبل من أعلى حلاوة سمعتموه، فذاك قريب منه وليس به»(١).

* وقال الحافظ أبو حاتم بن حِبّان - فى صحيحه بإسناده - عن الشعبى، قال:

«سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر، عن النبى - ﷺ:

«إن موسى - عليه السلام - سأل ربه عز وجل: أى أهل الجنة أدنى منزلة؟ فقال: رجل يجىء بعد ما يدخل أهل الجنة - الجنة، فيقال له: أدخل الجنة، فيقول: كيف أدخل الجنة وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا إخاذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك من الجنة مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: نعم أى رب، فيقال: لك هذا ومثله معه، فيقول: أى رب رضيت، فيقال له: لك مع هذا ما اشتهت نفسك، ولذّت عينك.

وسأل ربّه: أى أهل الجنة أرفع منزلة؟ قال: سأحدثك عنهم، غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها، فلا عَيْنٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خَطَر على قَلْب بشر»(٢).

* ومصداق ذلك فى كتاب الله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة ١٧]

وهكذا رواه مسلم والترمذى، كلاهما عن ابن عمر:

«فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقال له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فيقول فى الخامسة: رضيت رب، فيقال: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهيت نفسك، ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة؟

قال: أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدى، وختمت عليها، فلا ترى عَيْنٌ، ولم تسمع أُذُن، ولم يخطر على قلب بشر»(٣).

* وقال ابن حِبّان: «ذكر سؤال الكَلِيم ربّه عن خِصَال سبع» بإسناده - عن أبى هريرة، عن النبى - ﷺ، أنه قال:

---

(١) رواه البزار.

(٢) رواه ابن كثير ١٣٠/٢.

(٣) قال الترمذى: حسن صحيح.

«سأل موسى ربه – عز وجل – عن سِتّ خصال، كان يظن أنها له خالصة، والسابعة لم يكن موسى يحبها:

قال: يارب أى عبادك أتقى؟ قال: الذى يذكر ولا ينسى.

قال: فأى عبادك أهدى؟ قال: الذى يتَّبع الهدى.

قال: فأى عبادك أحكم؟ قال: الذى يحكم للناس كما يحكم لنفسه.

قال: فأى عبادك أعْلَم؟ قال: عالم لا يشبع من العلم، يجمع علمَ الناس إلى علمه.

قال: فأى عبادك أعزّ؟ قال: الذى إذا قَدَر غَفَر.

قال: فأى عبادك أغنى؟ قال: الذى يرضى بما يؤتى.

قال: فأى عبادك أفقر؟ قال: صاحب منقوص.

وقال رسول الله – ﷺ: «ليس الغنى عن ظَهْر (أى كثرة المال)، إنما الغنى غنَى النفس، وإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا جعل غناه فى نفسه، وتُقاه فى قلبه، وإذا أراد بعبد شرًا جعل فقره بين عينيه».

* قال ابن حبان: قوله «صاحب منقوص» يريد به منقوص حالته يستقل ما أُوتِى ويطلب الفضل[1].

* وروى الإمام أحمد – بإسناده – عن أبى سعيد الخُدْرى، عن النبى – ﷺ – أنه قال:

«إن موسى قال: أى رب عبدك المؤمن مُقَتَّر عليه فى الدنيا، قال: ففتح له باب من الجنة فنظر إليها، قال: يا موسى هذا ما أعددتُ له. فقال موسى: يارب وعزّتك وجلالك لو كان مقطَّع اليدين والرجلين يسحب على وجهه منذ يوم خلقته إلى يوم القيامة، وكان هذا مصيره لم ير بؤسًا قط.

قال: أى رب عبدك الكافر موسَّع عليه فى الدنيا، قال: ففتح له باب النار، فقال: يا موسى.. هذا ما أعددت له، فقال موسى: أى رب وعزتك وجلالك لو كانت له الدنيا منذ يوم خلقته إلى يوم القيامة، وكان هذا مصيره لم ير خيرًا قط»[2].

* وقال ابن حِبّان: «ذكر سؤال كليم الله ربه جل وعلا أن يعلمه شيئًا يذكره به» بإسناده عن أبى سعيد، عن النبى – ﷺ أنه قال:

«قال موسى: يارب علِّمنى شيئًا أذكرك به وأدعوك به، قال: قل ياموسى: لا إله إلا الله.

قال: يارب كلُّ عبادك يقول هذا. قال: قل لا إله إلاّ الله. قال: إنما أريد شيئًا تخصُّنى به.

قال: يا موسى.. لو أن أهل السموات السبع، والأرضين السبع فى كفة، ولا إله إلا الله فى كفة، مالَتْ بهم لا إله إلاّ الله؛

(١) رواه ابن جرير فى تاريخه، ورواه ابن كثير فى قصص الأنبياء ١٣٢/٢.

(٢) تفرد به أحمد من هذا الوجه.

ويشهد لهذا الحديث، وأقرب شيء إلى معناه، الحديث المروى فى السنن عن النبى ﷺ. أنه قال: «أفضل الدعاء دعاء عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير».

*** سؤال الرؤية**

وعن سؤال الرؤية، قال الله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ. وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ: لَنْ تَرَانِي، ولكِنِ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وخَرَّ مُوسَى صَعِقًا، فلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف ١٤٢، ١٤٣]

*** قال جماعة من السلف، منهم ابن عباس: «الثلاثون ليلة هى شهر ذى القعدة بكماله، وأتمت أربعين ليلة بعشر من ذى الحجة.**

فعلى هذا يكون كلام الله له يوم عيدالنحر وفى مثله أكمل الله – عز وجل – لمحمد – ﷺ دينه، وأقام حجته وبراهينه.

والمقصود أن موسى عليه السلام – لما استكمل الميقات، وكان فيه صائمًا، يقال إنه لم يستطعم الطعام، فلما كمل الشهر أخذ لحاء شجرة فمضغه ليطيّب ريح فمه، فأمره الله أن يمسك عَشْرًا أخرى، فصارت أربعين ليلة.

*** ولهذا ثبت فى الحديث: «أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».**

* فلما عزم على الذهاب، استخلف على شعب بنى اسرائيل أخاه هارون، المحبَّب المبجَّل الجليل، وهو ابن أمه وأبيه، ووزيره فى الدعوة إلى مصطفيه، فوصَّاه، وأمره وليس فى هذا لعلوّ منزلته فى نبوته منافاة.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أى فى الوقت الذى أمر بالمجيء فيه ﴿وكَلَّمَهُ رَبُّه﴾ أى كلمه الله من وراء حجاب، إلا أنه أسمعه الخطاب، فناداه وناجاه، وقرّبه وأدناه، وهذا مقام رفيع، ومعقل منيع، ومنصب شريف، ومنزل منيف...

لما أعطى هذه المنزلة العلية، والمرتبة السنيَّة، وسمع الخطاب، سأل رفع الحجاب، فقال للعظيم، الذى لا تدركه الأبصار، القوى البرهان: (رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ – قَالَ: لَنْ تَرَانِي).

ثم بين تعالى أنه لا يستطيع أن يَثْبُت عند تجلّيه – تبارك وتعالى، لأن الجبل الذى هو قوى وأكبر ذاتًا، وأشد ثباتًا من الإنسان، لا يثبت عند التجلى من الرحمن، ولهذا قال عز وجل:

﴿وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾.

* جاء في الصحيحين، عن أبي موسى، عن رسول الله - ﷺ - أنه قال:

«حِجَابه النور، وفي رواية: النار، لو كشفه لأحرقت سَبحاتُ (أنوار) وجهه ما انتهى إليه بصره مِنْ خلْقِه».

* وروى الإمام أحمد، والترمذي، بإسنادهما، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿فَلَمَّا تَجلَّى ربّه للجبلِ جَعَلَه دكّا﴾ قال: هكذا بإصبعه، ووضع النبي - ﷺ. الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، فسَاخَ الجبل.

* وروى السُّدى عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ما تجلّى - يعنى من العظمة- منه إلاّ قدر الخنصر. فجعل الجبل دكًّا، قال: ترابا. ﴿وخَرّ مُوسَى صَعِقًا﴾ أى مغشيا عليه. ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ لأن الإفاقة تكون عن غَشْى ﴿قال سُبْحَانَك﴾ تنزيه وتعظيم وإجلال أن يراه بعظمته أحد ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ أى فلست أسأل بعد هذا الرؤية ﴿وأنا أَوّلُ المؤمنين﴾ أنه لا يراك أحد حيّ إلا مات، ولا يابس إلاّ تَدَهْدَه.

* وقد ثبت في الصحيحين، بإسنادهما - عن أبي سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ.

«لا تخيّروني من بين الأنبياء، فإن الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدرى أفاق قبلى أم جُوزِى بصَعْقَة الطور؟»

* هذا وقد تناول الحديث النبوى الشريف كثيرًا مما يتصل بموسى عليه السلام. من حيث صفته وفضائله وأخيرًا ذكر الأمور التى اتصلت بوفاته.

* أما عن صفته، فقد روى ابن عباس، أن رسول الله - ﷺ قال:

«رأيت عيسى بن مريم وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جَعْد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جَسِيم سَبْط... الحديث»[١]

وروى الإمام أحمد، بإسناده، عن ابن عباس، قال: قال نبى الله - ﷺ:

«رأيت ليلة أُسْرى بي موسى بن عمران رجلًا طِوّالًا جعدًا، كأنه من رجال شَنُوءَة..»[٢]

* أما عن فضائله وشمائله، فقد جاء في الصحيحين، عن رسول الله - ﷺ، أنه قال:

«إن موسى كان رجلًا حَيِيًا سِتّيرًا لايُرى من جلده استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلاّ من عيب بجلده، إما بَرَص، وإما أُدْرَة، وإما آفة، وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوما وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل

(١) رواه الإمام أحمد، ابن كثير ص ١٩٢.

(٢) مسند الإمام أحمد.

يقول: ثوبى حجر، ثوبى حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بنى اسرائيل فرأوه عريانَ أحسن ما خلق الله، وبرأه الله مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا، فذلك قوله عز وجل:

﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾(١) [الأحزاب ٦٩]

* وكان من وجاهته - عليه السلام - أنه شفع فى أخيه عند الله، وطلب منه أن يكون معه وزيرًا. فأجابه الله إلى سؤاله، وأعطاه طلبته وجعله نبيًا.

* أما عن صَبْر مُوسى - عليه السلام - فقد روى البخارى - بإسناده - عن عبدالله، قال:

«قسم رسول الله - ﷺ - قَسْما، فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبى - ﷺ - فأخبرته فغضب، حتى رأيت الغضب فى وجهه، ثم قال: «يرحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر»(٢).

* واتفقت الروايات كلها، على أن الله تعالى لما فَرَضَ على محمد - ﷺ - وأمته خمسين صلاة فى اليوم والليلة، مر بموسى، فقال: ارجع إلى ربك فسَلْه التخفيف لأمتك، فإنى قد عالجتُ بنى اسرائيل قبلك أشد المعالجة، وإن أمتك أضعف أسماعًا وأبصارًا وأفئدة، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل، ويخفف عنه فى كل مرة، حتى صارت إلى خمس صلوات فى اليوم والليلة، وقال الله تعالى: هى خمس وهى خمسون أى بالمضاعفة.

* وروى البخارى - بإسناده - عن ابن عباس، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه يومًا، فقال: «عُرِضت علىَّ الأمم ورأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق، فقيل: هذا موسى فى قومه»

* وعن وفاة موسى - عليه السلام..

روى البخارى فى صحيحه «وفاة موسى عليه السلام» بإسناده عن أبى هريرة، قال:

«أرسل ملك الموت إلى موسى - عليه السلام، فلما جاءه صَكَّه، فرجع إلى ربه - عز وجل، فقال: أرسلتنى إلى عبدٍ لايريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على مَتْن ثَور، فله بما غطَّت يده بكل شعرة سَنة، قال: أى رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن.

قال: فسأل الله عز وجل - أن يدنيه من الأرض المقدسة رَمْيَة بحجَر.

قال أبو هريرة: فقال رسول الله - ﷺ «فلو كنت ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»(٣).

(١) وقد رواه الإمام أحمد، ورواه الإمام مسلم، وابن كثير ١٨٣/٢.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الإمام أحمد، وأنظر ابن كثير ١٩٤/٢.

وزعم بعضهم، أن موسى عليه السلام، هو الذى خرج بهم من التية، ودخل بهم الأرض المقدسة. وهذا خلاف ما عليه جمهور المسلمين.

ومما يدل على ذلك، قوله لما اختار الموت: «ربّ أدْنِنى إلى الأرض المقدّسة رمية حَجر، ولو كان قد دخلها لم يسأل ذلك، ولكن لما كان مع قومه بالتيه، وحانت وفاته - عليه السلام - أحب أن يتقرب إلى الأرض التى هاجر إليها، وحث قومه عليها، ولكن حال بينهم وبينها القَدَر رمية بحجر.

ولهذا قال سيد البشر، ورسول الله إلى أهل الوبر والمدر: «فلو كنت ثَم لأريتكم قبره عند الكثيب الأحمر».

وقد ذكر الله تعالى - موسى عليه السلام - فى القرآن كثيرا، وأثنى عليه، وأورد قصته فى كتابه العزيز مرارًا، وكرَّرها كثيرًا، مطوّلة ومبسوطة ومختصرة، وأثنى عليه ثناء بليغا.

وبالجملة فشريعة موسى كانت شريعة عظيمة، وأمته كانت أمة كثيرة، ووجد فيها أنبياء وعلماء وعُبّاد وزهاد، وألباء وملوك وأمراء، وسادات وكبراء، لكنهم كانوا فبادوا، وتبدّلوا كما بُدِّلت شريعتهم، ومُسِخُوا قردة وخنازير، ثم نُسخت بعد كل حساب ملتهم، وجرت عليهم خطوب أمور يطول ذكرها.

- ٥ -

عيسى بن مريم - عليه السلام

احتفل الحديث النبوى الشريف بعيسى بن مريم - عليه السلام[١]، احتفالاً كبيرًا، وتناول أمورًا كثيرة تتصل به فبيّن:

اسمه، ولقبه، ونسبه، وذَكَر أمّه وأبَا أُمِّه، وأوصاف أمه.

وشكله - عليه السلام - ولونه، وقامته، وهيئته، ولونَ شعره، وطول شعره، وشبيهه من الناس.

وخصائصه، من ولادته من غير أب، واستقرار حمله من نفخ المَلَك، وتكلُّمه فى المهد صَبِياً، وإحيائه الموتى بإذن الله، وإبراء الأكمه بإذن الله، وإبراء الأبرص بإذن الله.

ثم بيّن رفْعَه إلى السَّماء، وهيئته عند النزول، فذكر لباسَه وبُرْنُسَه ﴿قلنسوته﴾، وبعض أحواله عند النزول. من أن نَفَسَه إذا وجده كافرٌ مات، وأنَّ نَفَسَه ينتهى إلى حيث ينتهى طَرفهُ.

---

(١) انظر فى ذلك: «التصريح بما تواتر فى نزول المسيح»، للشيخ محمد أنور شاه الكشميرى الهندى، تحقيق ومراجعة عبد الفتاح أبو غدّة، نشر مكتب المطبوعات الاسلامية بحلب سنة ١٩٦٥م.

وذكر كيفية النزول، وكونه واضعا يديه على أجنحة ملكين، وأنَّه يكونُ بيده حربة.

ثم ذكر بلَدَ النزول، وموضع النزول منه بعينه، ثم عَيَّن الجانب المشخَّص منه.

وذكر حُضَّار الناس حينئذ، وتَعْدَادهم، وعَمَلَهم إذْ ذلك، وسمَّى إمامهم إذ ذاك، والكلام الذى يجرى بينهما.

وذكر وَقْتَ النزول، ومدة إقامته بعد النزول وتَزَوُّجه، وأنه يُولَد له.

وأنه ماذا يعمل بعد نزوله، من كَسْر الصَّليب، وقتل الخنزير، ووضع الحَرْب، ووضع الخراج وفيض المال.

ونزوله بفجِّ الرَّوْحَاء[1]، وحجَّه منه، وإتيانه على قَبْرِ النبى فى المدينة المنوّرة، وإجابته - ﷺ - لسلامه عليه.

وهلاك الملل كلها فى زمانه إلاّ الإسلام، وصلاته بالناس، وقُنُوته ﴿دعائه﴾ على الدجال وقتله الدجَّال، وموضع قَتْله.

ثم بين أحوال الناس فى زمنه وعملهم: من ذهاب الشحناء والبُغْض من القلوب، ونزول البركات من السماء والأرض، ونزول الرُّوم بالأعماق، وخروج جيش المدينة لقتالهم.

وذكر - ﷺ - أشهر الحوادث الواقعة فى زمانه، من خروج الدَّجَّال بن الشام والعراق، وكونه أعور العَيْن اليُسْرَى، بعينه اليُمْنى ظَفَرةٌ غليظة، ومكتوب بين عينيه (كافر) يقرؤه كل أحدٍ كاتب وغير كاتب.

وذكر عيثه (إفساده) فى الأرض، وطَيّها له كطىّ الفروة، ومُكْثَه فى الناس أربعين يوما، وكونَ أيامِهِ على ثلاثة أقسام، يومٌ كسَنَةٍ، ويوم كشهر، ويوم كجمعة.

وأن له حمارًا، عرضُ ما بين ذراعيه أربعون ذراعا، وأنه إذا أَمَرَ السماء فتمطر، وأنه يأمُرُ الخربة أن أخرجى كنوزَكِ فتتبعه كنوزها.

وأنه يأمر رجلا ممتلئا شبابا، فيضربُهُ بالسيف فيقطعه جَزْلتين، ثم يدعوه فيُقبل يتهللّ وجهه يضحك، وأنه يكونُ معه سبعون ألف يهودى.

وأن الدجال إذا نظر إلى عيسى - عليه السلام - يذوب كما يذوب المِلْحُ فى الماء، فينطلق هاربا، فيدركه المسيح - عليه السلام - بباب لُدّ[2] فيقتله.

ثم ذكر خروج يأْجُوجَ ومأجوج فى زمنه، وإحراز عيسى عليه السلام - المسلمين إلى جبل

---

(١) مكان فى طريق النبى - ﷺ - من المدينة المنورة إلى بدر.

(٢) بلدة فى فلسطين قريبة من بيت المقدس.

الطُّور، ثم دعاء عيسى المسلمين عليهم، وقوْتهم بالنَّغف[1]. يُرسَل فى رقابهم.

وذكر أنه يأمر الناس باستخلاف رجل يقال له: (المُقْعَد)، ثم بيَّن أنـه يموتُ بـين أيدى المسلمين[2]، فيُصلى عليه المسلمون، ويُدْفَن فى جوار النبى - ﷺ.

ثم ذكر استخلاف الناس (المُقْعد)، وأنه إذا مات المقعد يُرْفع القرآنُ من الصدور بعده بثلاث سنين. وأن القيامة بعده تكون كالحامل المُتِمّ، لا يدرى أهلها متى تفجأهم بولادتها.

كل هذه أمور تحدث عنها وبيّنها النبى الأمين - ﷺ - فى أحاديثه الصحيحة. ويهمنا أن نقف فى هذا البحث عند أهم العناصر التى تتصل بجوانب التاريخ وهى:

١ - تأريخ الرسول لمريم وابنها.

٢ - ميلاده.

٣ - نشأته.

٤ - الآيات والمعجزات التى أيده الله بها.

٥ - مكانته وصفاته وسجاياه.

٦ - رفعه إلى السماء.

٧ - نزوله من السماء مرة أخرى فى آخر الزمان.

* عيسى بن مريم، عبدالله ورسوله، وابن أَمَتِهِ - عليه السلام، ذكره القرآن فى سورة آل عمران[3]، التى أُنزل صدرها - وهو ثلاث وثمانون آية منها - فى الرَّد على النصارى، الذين زعموا أن لله ولدًا، تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا.

* وكان قد قدم وفد نجران منهم على رسول الله محمد - ﷺ - فجعلوا يذكرون ماهم عليه من الباطل، من التثليث فى الأقانيم، ويدّعون بزعمهم أن الله ثالث ثلاثة، وهم: «الذات المقدسة، وعيسى، ومريم» على اختلاف فرقهم.

فأنزل الله - عز وجل - صدر هذه السورة، بيّن فيها أن عيسى عبدٌ من عباد الله، خَلَقَه وصوّره فى الرحم، كما صور غيره من المخلوقات، وأنه خلقه من غير أب، كما خلق آدم من غير أب ولا أم، وقال له كُنْ فكان.

١ - تأريخ الرسول لمريم وابنها:

وقد أرخ الرسول - ﷺ - لمريم وابنها عيسى - عليه السلام، فى أحاديث كثيرة، فتحدث عن حملها وولادتها ومكانتها بين نساء العالمين.

---

(١) دُود يكون فى أنوف الإبل والغنم.

(٢) أى سيدنا عيسى - عليه السلام - يموت.

(٣) الآيات ٤٢ وما بعدها.

* فقد روى الإمام أحمد، بإسناده – عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ – قال: «ما من مولود إلاّ والشيطان يمسّه حين يولد، فيستهل صارخا من مسّ الشيطان، إلاّ مريم وابنها».

ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[آل عمران ٣٦].

* وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله – ﷺ: «ما من مولود إلاّ وقد عَصَرَه الشيطان عصرة أو عصرتين إلاّ عيسى بن مريم، ومريم» ثم قرأ رسول الله – ﷺ ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران ٤٢].

أى اختارك واجتباك ﴿وطَهَّرَكِ﴾ أى من الأخلاق الرذيلة، وأعطاك الصفات الجميلة ﴿واصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ يحتمل أن يكون المراد عالمى زمانها، ويحتمل أن يكون محفوظ العموم، فتكون أفضل نساء الدنيا ممن كان قبلها، أو جَدَّ بعدها، لأنها إن كانت نَبِيَّة على قول من يقول بنُبوّتها ونبوّة سارة أم اسحاق، ونبوة أم موسى، محتجا بكلام الملائكة والوحى إلى أم موسى – كما يقول ابن حزم. وغيره، فلا يمتنع على هذا أن تكون مريم أفضل من سارة وأم موسى لعموم قوله: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ إذ لم يعارضه غيره.

* أما قول الجمهور – كما قد حكاه أبو الحسن الأشعرى وغيره عن أهل السنة والجماعة، من أن النبوّة مختصة بالرجال، وليس فى النساء نبيّة، فيكون أعلى مقامات مريم – كما قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾[المائدة ٧٥] فعلى هذا لا يمتنع أن تكون أفضل الصدِّيقات المشهورات ممَّن كان قبلها، وممَّن يكون بعدها.

* وقد جاء ذكرها – فى حديث رسول الله، مقرونا مع آسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، رضى الله عنهن وأرضاهن.

فقد روى الإمام أحمد، والبخارى ومسلم، من طرق عديدة، عن على بن أبى طالب، قال: قال رسول الله – ﷺ –: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد».

* وروى الإمام أحمد – بإسناده – عن أنس، قال: قال رسول الله – ﷺ: «حَسْبُك من نساء العالمين بأربع، مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد رسول الله».

* وقد روى الإمام أحمد – بإسناده – عن أبى سعيد، قال: قال رسول الله – ﷺ: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران».

وهذا الحديث إسناده حسن وصححه الترمذى ولم يخرجوه، والمقصود أن هذا يدل على أن مريم وفاطمة أفضل هذه الأربع، ثم يحتمل الاستثناء أن تكون مريم أفضل من فاطمة، ويحتمل أن يكونا على السواء فى الفضيلة.

- لكن ورد حديث إن صحَّ - عيَّن الاحتمال الأول، فقال ابن عساكر - بإسناده - عن ابن عباس، قال: قال رسول الله - ﷺ: «سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران، ثم فاطمة، ثم خديجة، ثم آسية امرأة فرعون».

فإن كان هذا اللفظ محفوظا بـ(ثم) التى للترتيب، فهو مبين لأحد الاحتمالين، اللذين دلَّ عليهما الاستثناء، وتقدم على ما تقدم من الألفاظ التى وردت بواو العطف، التى لا تقتضى الترتيب ولا تنفيه.

* إن المقصود هاهنا ذكر ما يتعلّق بمريم بنت عمران - عليها السلام، فإن الله طهَّرها واصطفاها على نساء عالمى زمانها، ويجوز أن يكون تفضيلها على النساء مطلقا.

وقد ورد فى حديث أنها تكون من أزواج النبى - ﷺ - فى الجنة، هى وآسية بنت مزاحم. وقد ذكر ابن كثير ذلك فى التفسير[1]، عن بعض السلف، أنه قال ذلك، واستأنس بقوله: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[التحريم ٥] قال: فالثيِّب آسية، ومن الأبكار مريم بنت عمران».

* روى الطبرانى - بإسناده - عن سعد بن جناده، قال: قال رسول الله - ﷺ: «إن الله زَوَّجنى فى الجنة مريم بنت عمران، وامرأة فرعون، وأخت موسى».

* وروى ابن عساكر - بإسناده - عن ابن عباس، أن رسول الله - ﷺ - «دخل على خديجة وهى فى مرض الموت، فقال: يا خديجة إذا لقيت ضرائرك فاقرئيهن منى السلام، قالت: يا رسول الله.. وهل تزوجت قبلى؟ قال: لا، ولكن الله زوّجنى مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وكلثم أخت موسى».

٢ - ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم:

قال الله تعالى: ﴿واذْكُرْ فى الكِتَابِ مَرْيَمَ إذ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكَانًا شَرْقِيًّا، فاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، قَالَتْ: إِنِّى أَعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[مريم ١٦ - ١٩].

لما كبرت مريم، وبلغت خمس عشرة سنة، جعلتها أمها محرَّرة تخدم بيت المقدس[2]، وكفلها زوج أختها أو خالتها، نبى ذلك الزمان زكريا - عليه السلام، اتّخذ لها محرابا، وهو المكان الشريف

(١) انظر تفسيره آخر سورة التحريم.

(٢) ابن كثير: قصص الأنبياء ٣٨٩/٢.

من المسجد، لا يدخله أحد عليها سواه، فاجتهدت فى العبادة، فلم يكن فى ذلك الزمان نظيرها فى فنون العبادات، وظهر عليها من الأحوال ما غبطها به زكريا - عليه السلام، وأنها خاطبتها الملائكة بالبشارة لها باصطفاء الله لها، وبأنه سيهب لها ولدًا زكيا، يكون نبيًّا طاهرا مكرّما مؤيدًا بالمعجزات، فتعجبت من وجود ولد من غير والد، لأنها لا زوج لها، ولا هى ممن تتزوج، فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء إذا قضى أمرًا، فإنما يقول له كن فيكون، فاستكانت لذلك وأنابت وسلّمت لأمر الله، وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها، فإن الناس يتكلمون فيها بسببه، لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر، وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل.

وكانت إنما تخرج من المسجد فى زمن حيضها، أو لحاجة ضرورية لابد منها، من استقاء ماء أو تحصيل غذاء، فبينما هى يوما قد خرجت لبعض شئونها ﴿وانْتَبَذَتْ﴾ أى انفردت وحدها شرقى المسجد الأقصى، إذ بعث الله إليها الروحَ الأمين جبريل - عليه السلام. ﴿فتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ فلما رأته ﴿قَالَتْ: إِنِّى أَعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا﴾ أى مؤمنا مطيعًا.

* قال على بن أبى طالب: علمت أن التقى ذو رحمة وخشية، وهى تحسبه رجلا من بنى آدم.

* وقال عكرمة: وكان جبريل عرض لها فى صورة رجل شاب أمرد، مضىء الوجه جعد الشعر، سَوِىّ الخُلق، وإنما أرسله الله تعالى فى صورة البشر لتثبيت مريم - عليها السلام - وتقدر على استماع كلامه. فلما استعاذت منه مريم ﴿قالَ: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا...﴾

﴿قَالَتْ: أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا. قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم ٢٠-٢١]

فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله، فذكر غير واحد من السلف:

* أن جبريل نفخ فى جيب دِرْعِها، فنزلت النفخة إلى فَرْجها فحملت من فورها، كما تحمل المرأة عند جماع بعلها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ أى فحملت ولدها عيسى ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾

وذلك لأن مريم - عليها السلام - لما حَمَلت ضاقت به ذَرْعًا، وعلمت أن كثيرا من الناس سيكون منهم كلام فى حقها، فذكر غير واحد من السلف، منهم وهب بن منبه:

أنها لما ظهرت عليها مخايل الحمل، كان أول من فطن لذلك رجل من عُبَّاد بنى إسرائيل، يقال له: يوسف بن يعقوب النجار، وكان ابن خالها، فجعل يتعجب من ذلك عجبا شديدًا، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها، وهو مع ذلك يراها حُبْلى، وليس لها زوج، فعرّض لها ذات يوم فى الكلام.

* فقال: يا مريم هل يكون زرع من غير بذر؟ قالت: نعم، فمن خَلَق الزرع الأول؟

ثم قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى.

قال لها: فاخبريني خبرك، فقالت: إن الله يبشرني ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِين﴾ [آل عمران ٤٥، ٤٦]

* روى السُّدى بإسناده عن الصحابة: «أن مريم دخلت يوما على أختها قالت لها أختها: أشعرتِ أنى حُبلى؟ فقالت مريم: وشعرت أيضا أنى حُبلى؟.. فاعتنقتها وقالت لها أم يحيى: إنى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك، وذلك قوله ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران ٣٩]

ومعنى السجود هاهنا الخضوع والتعظيم، كالسجود عند المواجهة للسلام، كما كان فى شرع من قبلنا، وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم.

* وقال مالك: بلغنى أن عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا ابنا خالة، وكان حملها جميعا معا، فبلغنى أن أم يحيى قالت لمريم: إنى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك.

قال مالك: أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام، لأن الله تعالى جعله يُحْيِى الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص(١).

وروى عن مجاهد، قال: «قالت مريم كُنت إذا خَلَوْت حَدَّثَنِي وكلّمنى، وإذا كنت بين الناس سبَّح فى بطنى».

ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر، كما تحمل النساء ويَضَعْن لميقات حملهن ووضعهن، إذ لو كان خلاف ذلك لذُكِر(٢).

* وعن ابن عباس، ما هو إلّا أن حَمَلت به فوضعته، قال بعضهم: حملت به تسع ساعات. واستأنسوا لذلك بقوله: ﴿فَحَمَلَتْهُ فانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا، فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم ٢٣]

والصحيح أن تعقيب كل شىء بحسبه، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً، فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا، ثم أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون ١٤]

ومعلوم أن بين كل حالين أربعون يوما، كما ثبت فى الحديث المتفق عليه.

* وقوله ﴿فأَجَاءَهَا المَخَاضُ إلى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أى فألجأها واضطرها الطَّلْق إلى جذع النخلة. وهو بنص الحديث الذى رواه النسائى بإسناد لا بأس به عن أنس مرفوعا، والبيهقى بإسناد

(١) رواه ابن أبى حاتم.

(٢) ابن كثير: قصص الأنبياء ٣٨٩/٢.

وصححه عن شدَّاد بن أوس مرفوعا أيضا - ببيت لحم، الذى بنى عليه بعض ملوك الروم - فيما بعد - هذا البناء المشاهد الهائل.

* قالت: ﴿يَا لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ [مريم ٢٣] - فيه دليل جواز تمنى الموت عند الفتن، وذلك أنها علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها، بل يكذبونها حين تأتيهم بغلام على يدها، مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات فى المسجد، المنقطعات إليه، المعتكفات فيه، ومن بيت النبوة والديانة، فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمنت أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال، أو كانت ﴿نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ أى لم تخلق بالكلية.

* وقوله ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾، وفى المضمر قولان: أحدهما: أنه جبريل، قاله العَوْفى عن ابن عباس.

قال: ولم يتكلم عيسى إلاّ بحضرة اقوم.

وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير - فى رواية - هو ابنها عيسى

وقوله: ﴿أَن لَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَك سَرِيًّا﴾ قيل: النهر، وإليه ذهب الجمهور. وغيرهم: أنه ابنها، والصحيح الأول، لقوله ﴿وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ فذكر الطعام والشراب، ولهذا قال: ﴿فَكُلِى واشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾

* روى ابن أبى حاتم - بإسناده - عن على بن أبى طالب، قال: قال رسول الله - ﷺ: «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خُلقت من الطين الذى خُلِقَ منه آدم، وليس من الشجر شىء يُلَقّح غيرها».

* وقال رسول الله - ﷺ: «أطعموا نساءكم الولد الرطَب، فإن لم يكن رطب فتَمْر، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران»(١).

وقوله: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أَحَدًا فَقُولى: إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم ٢٦].

وهذا من تمام كلام الذى ناداها من تحتها، قال: ﴿كُلِى واشْرَبِى وقَرِّى عَيْنًا فإمَّا تَرَيِنَّ...﴾ الآية..

أى فإن رأيت أحدًا من الناس ﴿فَقُولى﴾ له أى بلسان الحال والإشارة ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أى صمتًا، وكان من صومهم - فى شريعتهم - ترك الكلام والطعام.

* وقوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا: يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مريم ٢٧]

---

(١) رواه أبو يعلى فى مسنده.

ذكر كثير من السلف، ممن ينقل عن أهل الكتاب، أنهم لما افتقدوها من بين أظهرهم ذهبوا فى طلبها، فمروا على محلّتها والأنوار حولها، فلما واجهوها وجدوا معها ولدها، فقالوا لها: يامريم! لقد فعلت أمرًا عظيما منكرًا.

* وفى هذا الذى قالوه نظر، مع أنه كلام ينقض أوله آخره، وذلك لأن ظاهر سياق القرآن العظيم، يدل على أنها حملته بنفسها، وأتت به قومها وهى تحمله.

* ثم قالوا: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ قيل شبهوها بعابد من عُبَّاد زَمَانِهِم، كانت تساميه فى العبادة، وكان اسمه هارون. وقيل: أرادوا بهرون أخا موسى، شبّهوها به فى العبادة.

* وقد ورد الحديث الصحيح الدال على أنه قد كان لها أخ اسمه هارون، وليس فى ذكر قصة ولادتها، وتحرير أمها لها ما يدل على أنها ليس لها أخ سواه.

* روى الإمام أحمد - بإسناده - عن المغيرة بن شُعبة، قال:

«بعثنى رسول الله - ﷺ - إلى نجران، فقالوا: أرأيت ما تقرءون: ﴿ياأُخْتَ هارون﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال: فَرُحْتُ فذكرت ذلك لرسول الله - ﷺ - فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمّون بالأنبياء والصالحين قبلهم».

وفى رواية: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمّون بأسماء صالحيهم وأنبيائهم».

فدلّ الحديث على أنها قد كان لها أخ نَسَبِى، اسمه هارون، وكان مشهورًا بالدين والصلاح والخير، ولهذا قالوا: ﴿مَاكَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم ٢٨] - أى لست من بيت هذا شيمتهم، ولا سجيتهم، لا أخوك ولا أمك ولا أبوك، فاتهموها بالفاحشة العظمى، ورموا بالداهية الدهياء.

* فذكر ابن جرير - فى تاريخه - أنهم اتهموا بها زكريا، وأرادوا قتله، ففرّ منهم فلحقوه، وقد انشقت له الشجرة فدخلها وأمسك إبليس بطرف ردائه فنشره فيها.

* ومن المنافقين من اتهمها بابن خالها يوسف بن يعقوب النجار

فلما ضاق الحال، وانحصر المجال، وامتنع المقال، عَظُم التوكل على ذى الجلال، ولم يبق إلا الإخلاص والاتكال ﴿فأَشَارَتْ إِلَيْه﴾ - أى خاطبوه وكلّموه، فإن جوابكم عليه، وما تبغون من الكلام لديه، فعندها (قالوا) من كان منهم جبّارًا شقيا ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أى كيف تحيلينا فى الجواب على صبى صغير لا يعقل الخطاب، وهو مع ذلك رضيع فى مهده؟

فعندها ﴿قَالَ: إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ آتَانِىَ الكِتَابَ وجَعَلَنِى نَبِيًّا، وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَاكُنْتُ وأَوْصَانِى بِالصَّلَاةِ والزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوالِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا، والسَّلَامُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾. [مريم ٣٠-٣٣]

أى اعترف لربه تعالى بالعبودية، وأن الله رَبَّه، فنزَّه جَنَاب الله عن قول الظالمين فى زعمهم أنه ابن الله، بل هو عبده ورسوله وابن أَمَتِهِ.

ولهذا لما قَدِم وفد نجران وكانوا ستين راكبا يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم، ويؤول أمر الجميع إلى ثلاثة هم أشرافهم وساداتهم، وهم: العاقب، والسيِّد، وأبو حارثة بن عَلْقَمَة، فجعلوا يناظرون فى أمر المسيح، فأنزل الله صَدْر سورة آل عمران فى ذلك، وبيَّن أمر المسيح، وابتداء خلقه وخَلْق أمّه من قبله، وأمر رسوله بأن يُباهلهم إن لم يستجيبوا له ويتبعوه، فلما رأوا عينيها وأذنيها نكصوا، وامتنعوا عن المباهلة، وعدلوا إلى المسالمة والموادعة، وقال قائلهم:

- وهو العاقب عبد المسيح: يا معشر النصارى، لقد علمتم أن محمدًا لنبىّ مرسل، ولقد جاءكم بالفَصْل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه مالاَعَنَ قومٌ نَبِيًّا قط، فبقى كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وإنها للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلْف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

* فطلبوا ذلك من رسول الله - ﷺ - وسألوه أن يضرب عليهم جِزْية، وأن يبعث معهم رجلا أمينا، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح»[1].

والمقصود أن الله تعالى بين أمر المسيح فقال لرسوله: ﴿ذَلِكَ عِيسَى بن مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم ٣٤] يعنى من أنه عبدٌ مخلوق من امرأة من عباد الله ، ولهذا قال: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾ أى لا يعجزه شىء ولا يكرثه ولا يؤوده، بل هو القدير الفعال لما يشاء.

* روى البخارى - بإسناده - عن عبادة بن الصامت، عن النبى - ﷺ، قال:

«من شهدْ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

وزاد جنادة: «من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء»[2].

٣ - منشأ عيسى بن مريم..

وُلد عيسى - عليه السلام - ببيت لحم قريبا من بيت المقدس.

وذكر وهب بن منبه: أنه يوم مولده، خَرَّت الأصنام فى مشارق الأرض ومغاربها، وأن الشياطين

(١) انظر فى ذلك: ابن كثير: تفسير آل عمران، والسيرة النبوية ١٠٠/٤ - ١٠٨ تحقيق د/مصطفى عبد الواحد، وقصص الأنبياء ٣٩٨/٢.

(٢) ورواه أيضا مسلم بإسناده عن جابر.

حارت فى سبب ذلك حتى كَشَف لهم إبليس الكبير أمر عيسى، فوجدوه فى حِجْر أمّه، والملائكة مُحْدِقة به، وأنه ظهر نجم عظيم فى السماء، وأن مَلِك الفرس أشفق من ظهوره، فسأل الكهنة عن ذلك، فقالوا: هذا لمولد عظيم فى الأرض، فبعث رله ومسهم ذهب ومرّ ولُبَان هدية إلى عيسى، فلما قدموا الشام سألهم ملكها عما أقدمهم فذكروا له ذلك.

فسأل عن ذلك الوقت فإذا قد وُلِد فيه عيسى بن مريم ببيت المقدس، واشتهر أمره بسبب كلامه فى المهد، فأرسلهم إليه بما معهم، وأرسل معهم مَنْ يعرفه له، ليتوصّل إلى قتله، إذا انصرفوا عنه. فلما وصلوا إلى مريم بالهدايا ورجعوا، قيل لها: إن رسل ملك الشام إنما جاءوك ليقتلوا ولدك، فاحتملته فذهبت به إلى مصر.

* قال اسحاق بن بشر - بإسناده - عن ابن عباس، قال:

«لما بلغ سبع سنين أسلمته أمّه فى الكُتّاب، فجعل لا يعلّمه المَعَلِّم شيئا إلا بدره إليه، فعلمه أبا جاد، فقال عيسى: ما أبو جاد؟ فقال المعلم: لا أدرى، فقال عيسى: كيف تعلمنى ما لا تدرى؟ فقال المعلم: إذًا فعلِّمنى؟ فقال له عيسى: فقُمْ من مجلسك ، فقام.. فجلس عيسى مجلسه، فقال: سَلْنى؟ فقال المعلم: فما أبو جاد؟

فقال عيسى: «الألف: آلاء الله، والباء: بهاء الله، والجيم: بهجة الله وجماله»، فعجب المعلم من ذلك، فكان أول من فسر أبا جاد.

* وعن أبي سعيد الخُدْرى، قال: قال رسول الله - ﷺ:

«إن عيسى أرسلته أمه ليتعلم، فقال له المعلم: قل باسم الله، فقال عيسى: وما باسم الله؟ قال المعلم: ما أدرى، قال عيسى: الباء بهاء الله، والسين : سَناءُ الله، والميمُ: مملكته جل وعلا»(١).

* وقال اسحاق بن بشر: قال لنا إدريس، عن جده وهب بن منبه، قال:

«إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمره الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا، فأقام بها حتى أحدث الله له الإنجيل، وعلمه التوراة، وأعطاه إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، والعلم بالغيوب مما يدّخرون فى بيوتهم، وتحدّث الناس بقدومه، وفزعوا لما كان يأتى من العجائب، فجعلوا يعجبون منه، فدعاهم إلى الله، ففشا فيهم أمره.

* وعن نزول الإنجيل عليه، روى عن رسول الله - ﷺ، أنه قال:

«أُنزلت التوراة على موسى فى ست ليال خَلَوْن من شهر رمضان، ونزل الزبور على داود فى اثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وذلك بعد التوراة بأربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة،

(١) النيسابورى الثعالبى: قصص الأنبياء ص ٣٨٧.

وأُنزل الإنجيل على عيسى بن مريم فى ثمانية عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد الزبور بألف عام وخمسين عام».

* وذكر ابن جرير - فى تاريخه - أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة، ومكث حتى رُفع عيسى إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

* وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: أوحى الله عز وجل - إلى عيسى بن مريم: «يا عيسى جِدَّ فى أمرى ولا تَهِن، واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البِكْر البتول، إنك من غير فحل، وأنا خلقتُك آية للعالمين، إياىَ فاعبد وعلىَّ فتوكل، خُذ الكتاب بقوة، فَسِّر لأهل السريانية، بلِّغ من بين يديك أَنِّى أنا الحق الحىّ القائم الذى لا أزول، صدِّقوا النبى الأمّى العربى، صاحب الجمل والتاج - (وهى العمامة) - والمِدْرَعة والنَّعلين والهراوة (وهى القضيب) الأنجَل العينين، الصَّلْت الجبين، الواضح الخدّين، الجعد الرأس، الكث اللحية، المقرون الحاجبين، الأقنى الأنف، المفلَّج الثنايا، البادِى العَنْفَقَة، الذى كأن عنقه إبريق فضة، وكأن الذهب يجرى فى تراقيه، له شعرات من لَبَّته إلى سُرَّته تجرى كالقضيب، ليس على بطنه، ولا على صدره شَعْر غيره.

تكفَّله يا عيسى فى آخر الزمان كما كفل زكريا أمك، له عندى منزلة ليست لأحد من البشر، كلامه القرآن، ودينه الإسلام، وأنا السلام، طُوبَى لمن أدرك زمانه، وشهد أيامه، وسمع كلامه»(١)

٤ - الآيات والمعجزات التى ظهرت لعيسى - عليه السلام:

ظهرت الآيات والمعجزات على عيسى فى حال صغره.

● منها: أن الدهقان الذى نزل عنده هو وأمه، افتقد مالا من داره، وكانت داره لا يسكنها إلاّ الفقراء والضعفاء والمحاويج، فلم يدر من أخذها، وعزّ ذلك على مريم - عليها السلام، وشق على الناس وعلى رب المنزل وأعياهم أمرها، فلما رأى عيسى - عليه السلام - ذلك، عمد إلى رجل أعمى وآخر مقعد من جملة من هو منقطع إليه، فقال للأعمى: احمل هذا المقعد وانهض به، فقال: إنى لا أستطيع ذلك، فقال: بلى كما فعلت أنت وهو حين أخذتما هذا المال من تلك الكوة من الدار، فلما قال ذلك صدَّقاه فيما قال، وأتيا بالمال، فعظم عيسى فى أعين الناس، وهو صغير جدًا.

● ومن ذلك: أن ابن الدهقان عمل ضيافة للناس بسبب طُهور أولاده، فلما اجتمع الناس وأطعمهم، ثم أراد أن يسقيهم شرابا - يعنى خمرًا - كما كانوا يصنعون فى ذلك الزمان، لم يجد فى جراره شيئًا، فشق ذلك عليه. فلما رأى عيسى ذلك منه، قام فجعل يمر على تلك الجِرَار، ويُمِرّ يده على أفواهها، فلا يفعل بجرة منها ذلك إلاّ امتلأت شرابا من خيار الشراب.

---

(١) رواه ابن عساكر، وابن كثير، قصص الأنبياء ٤١٩/٢.

* وروى أبوبكر بن أبي الدنيا، بإسناده، عن أبي عثمان:

«كان عيسى – عليه السلام – يُصَلِّي على رأس جبل، فأتاه إبليس فقال: أنت الذى تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر؟ قال: نعم، قال: ألقِ نفسك من هذا الجبل وقل قدِّر علي، فقال: يالِعَين! الله يختبر العباد وليس العباد يختبرون الله عز وجل(١)

* وقد روى أبو حذيفة إسحاق بن بشر، بأسانيده – عن كعب الأحبار، ووهب بن منبه وابن عباس، دخل حديثُ بعضهم فى بعض قالوا:

«لما بُعث عيسى بن مريم، وجاءهم بالبينات، جعل المنافقون والكافرون من بنى اسرائيل يعجبون منه، ويستهزئون به، فيقولون: ما أكل فلان البارحة، وما ادّخر فى منزله؟ فيخبرهم، فيزداد المؤمنون إيمانًا، والكافرون والمنافقون شكًا وكفرانا».

* وكان عيسى مع ذلك ليس له منزل يأوى إليه، إنما يَسِيح فى الأرض ليس له قرار ولا موضع يُعرف به.

فكان أول ما أحيا من الموتى، أنه مرّ ذات يوم على امرأة قاعدة عند قبر، وهى تبكى فقال لها: مالك أيتها المرأة؟ فقالت: ماتت ابنة لى لم يكن لى ولد غيرها، وإنى عاهدت ربى أن لا أبرح من موضعى هذا حتى أذوق ما ذاقت من الموت، أو يحييها الله لى فأنظر إليها.

فقال لها عيسى: أرأيت إن نظرت إليها أراجعة أنت؟ قالت: نعم.

قالوا: فصلّى ركعتين ثم جاء فجلس عند القبر، فنادى يافلانة قومى بإذن الرحمن، فاخرجى، فتحرك القبر، ثم نادى الثانية، فانصدع القبر بإذن الله، ثم نادى الثالثة، فخرجت وهى تنفض رأسها من التراب.

فقال لها عيسى: ما أبطأ بك عنى؟ فقالت: لما جاءتنى الصيحة الأولى بعث الله لى ملكًا فركب خَلْقى، ثم جاءتنى الصيحة الثانية فرجّع إلّى روحى، ثم جاءتنى الصيحة الثالثة فخفت أنها صيحة القيامة، فشَابَ رأسى وحاجباى وأشفار عينى من مخافة القيامة.

ثم أقبلت على أمها فقالت: يا أماه ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرتين، يا أماه اصبرى، واحتسبى، فلا حاجة لى فى الدنيا، ياروح الله وكلمته.. سَلْ رَبِّى أن يردّنى إلى الآخرة، وأن يهون علىَّ كرب الموت، فدَعَا ربه فقبضها إليه، واستوت عليها الأرض(٢).

وسأله بنو اسرائيل أن يُحْيى لهم سام بن نوح، فدعا الله عز وجل، وصلى الله، فأحياه الله لهم،

(١) ابن كثير : قصص الأنبياء ٤٢١/٢.
(٢) قصص الأنبياء ٤٢٦/٢.

فحدَّثهم عن سفينة نوح وأمرها، ثم دعا فعاد ترابا.

*** وقد روى السُّدى - بإسناده - عن ابن عباس، فى خبر ذكره، وفيه:**

أن مَلِكا من ملوك بنى إسرائيل مات وحُمل على سريره، فجاء عيسى عليه السلام، فدَعا الله عز وجل - فأحياه الله عز وجل، فرأى الناس أمرًا هائلاً، ومنظرًا عجيبًا.

*** وقال الله تعالى - فى مجال ذكر الآيات والمعجزات التى وهبه إياها، وأيده بها.**

﴿إِذْ قَالَ الله يَاعِيسَى ابن مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمتِى عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُك بِرُوحِ الْقُدُس تُكَلِم الناس فِى الْمَهْدِ وكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ والحِكْمَة والتَّوراةَ والإِنْجِيلَ، وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِى، وتُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ بإذْنِى، وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِى.. الآيات﴾ [المائدة ١١٠-١١١].

يذكّره تعالى بنعمته عليه، وإحسانه إليه فى خَلْقه إياه من غير أب، بل من أم بلا ذَكَر، وجَعْله له آية للناس ودلالة على كمال قدرته تعالى، ثم إرساله بعد هذا كله (وَعَلَى وَالِدَتِك) فى اصطفائها واختيارها لهذه النعمة العظيمة، وإقامة البرهان على براءتها مما نسبها إليه الجاهلون، ولهذا قال: (إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُس) وهو جبريل، بإلقاء روحه إلى أمه وقَرْنه معه فى حال رسالته، ومدافعته عنه لمن كفر به (تُكَلِّم النّاسَ فى المهد وكَهْلًا) أى تدعو الناس إلى الله فى حال صغرك فى مهدك وفى كهولتك (وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ) أى الخط والفهم، نص عليه بعض السلف، (والتَّوراة والإِنجِيلَ) وقوله: (وإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّين كَهَيْئَةِ الطَّيْر بإِذْنِي) أى تصوره وتشكله من الطين على هيئة الطير عن أمر الله له بذلك ﴿فَتَنفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْرًا بإِذْنِى﴾ أى بأمرى، يؤكد تعالى بذكر الإذن له فى ذلك لرفع التوهُّم. وقوله: ﴿وتُبْرِئُ الأَكْمَه﴾ - وهو الذى يولد أعمى ولا سبيل لأحد من الحكماء إلى مداواته (والأَبْرَصَ) وهو الذى لا طِبَّ فيه، بل قد مرض بالبرص وصار داؤه عضالا (وإِذْ تُخْرِجُ الْموتَى) أى من قبورهم بإذنى.

*** كانت معجزة كلِ نبى فى زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان. فموسى عليه السلام -** كانت معجزته مما يناسب أهل زمانه، وكانوا سحرة أذكياء، فبُعث بآيات بهرت الأبصار وخضعت لها الرقاب.

*** وهكذا عيسى - عليه السلام - بعث فى زمن الطبائعية الحكماء،** فأرسل بمعجزات لايستطيعونها، ولا يهتدون إليها، وأنَّى لحكيم إبراء الأكمه الذى هو أسوأ حالاً من الأعمى، والأبرص والمجذوم، ومن به مرض مزمن، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميّت من قبره؟

هذا مما يعلم كل أحد معجزةٌ دالة على صدق مَنْ قامت به، وعلى قُدرة من أرسله.

* وعيسى بن مريم هو خاتم أنبياء اسرائيل، وقد قام فيهم خطيبًا، فبشرهم بخاتم الأنبياء الآتى بعده، ونوه باسمه، وذكَرَ لهم صفته، ليعرفوه ويتابعوه إذا شاهدوه، إقامةً للحجة عليهم، وإحسانا من الله اليهم، كما قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيّ الأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فى التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ، يَأمُرُهُم بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُم عَنِ المُنْكَرِ ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبات ويُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُم والأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ..﴾ [الأعراف ١٥٧]

* عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله - ﷺ، أنهم قالوا:

«يا رسول الله.. أخبرنا عن نَفْسِك، قال: أنا دعوة أبى إبراهيم، وبُشْرَى عيسى. ورأت أمى حين حملت بِى كأنه خرج منها نور، أضاءت له قصور بُصْرى من أرض الشام»

وذلك أن ابراهيم لما بنى الكعبة، قال: ﴿ربَّنَا وابْعَثْ فِيهِم رَسُولاً منهم﴾ الآية.

ولما انتهت النبوة فى بنى اسرائيل إلى عيسى، قام فيهم خطيبًا فأخبرهم أن النبوة قد انقطعت عنهم، وأنها بعده فى النبى العربى الأمىّ خاتم الأنبياء على الاطلاق أحمد، وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، الذى هو من سلالة اسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليهم السلام.

٥ - صفاته ومكانته وسجاياه - عليه السلام.

أما عن صفات عيسى عليه السلام..

* فقد روى البخارى - بإسناده- عن أبى هريرة، قال: قال النبى ﷺ:

«ليلة أُسرى بِى لقيت موسى: قال فنعته فإذا رجل حسبته قال مُضْطرب، رَجِل الرأس كأنه من رجال شنوءة، قال: ولقيت عيسى فنعته النبى - ﷺ، فقال:

«رَبْعة(١) أحمر، كأنما خرج من ديماس (يعنى الحمام)..(١)

* وعن ابن عمر، قال: قال النبى - ﷺ:

«رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جَعْد، عريض الصدر، وأما موسى فآدم جَسِيم سبْط كأنه من رجال الزُّطّ».

* وقال عبدالله بن عمر، ذكر النبى - ﷺ، يومًا بين ظهرانى الناس المسيح الدجال، فقال: إن الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، وأرانى الليلة عند الكعبة فى المنام، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أُدم الرجال، تضرب لِمَّته بين مَنْكِبيه، رَجِل الشعر يقطر رأسه ماء، واضعًا يديه على منكَبىْ رجلين، وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا:

---

(١) رواه البخارى، والربعة: المتوسط بين الطول والقصر.

المسيح بن مريم، ثم رأيت رجلا وراءه جَعْدًا قططا(١) أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطن واضعًا يده على منكبى رجل يطوف بالبيت، فقلت من هذا؟ فقالوا: المسيح الدجال(٢).

* فبين صلوات الله وسلامه عليه - صفة المسيحين: مسيح الهُدَى، ومسيح الضلالة، ليُعرف هذا إذا نزل، فيؤمن به المؤمنون، ويُعرف الآخر فيحذره الموحدون.

* وعن مكانته - عليه السلام، يقول تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة ٧٥]

سمى المسيح لَمسْحِهِ الأرض، وهو سياحته فيها، وفراره بدينه من الفتن فى ذلك الزمان، لشدة تكذيب اليهود له، وافترائهم عليه وعلى أمه - عليهما السلام. وقيل: لأنه كان ممسوح القدمين.

ويقول ﷺ - فى الصحيحين: «ما من مولود إلاّ والشيطان يطعن فى خاصرته حين يولد فيستهل صارخًا إلاّ مريم وابنها، ذهب يطعن فطعن فى الحجاب».

* وروى البخارى ومسلم، من حديث الشّعبى، عن أبى بُردة بن أبى موسى، عن أبيه. قال: قال رسول الله - ﷺ «إذَا أدَّبَ الرجل أَمَتَه فأحسن تأديبها، وعلَّمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران، وإذَا آمن بعيسى بن مريم ثم آمن بى فله أجران، والعبد إذا اتقى رَبّه وأطاع مواليه فله أجران»(٣).

* أما عن سجاياه - عليه السلام

فقد روى البخارى بإسناده - عن أبى هريرة، عن النبى - ﷺ، قال:

«رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والذى لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنت بالله وكذّبتُ عينى»(٤).

وفى رواية: «آمنت بالله وكذّبت بصرى»

وهذا يدل على سجية طاهرة، حيث قدم حَلف ذلك الرجل فظن أن أحدًا لا يحلف بعظمة الله كاذبًا على ما شاهده منه عيانا، فقبل عذره ورجع على نفسه، فقال: آمنت بالله، أى صدّقتك وكذبت بصرى لأجل حلفك.

* وعن شمائله وفضائله - عليه السلام.

روى البخارى - بإسناده - عن أبى هريرة، قال: سمعت رسول الله - ﷺ يقول:

---

(١) الجعد: خلاف السبط وهو المسترسل من الشعر، والقَطَط: الشديدة الجعودة.

(٢) رواه البخارى ١٢٤/٢.

(٣) رواه البخارى وهذا لفظه.

(٤) ورواه مسلم.

«أنا أَوْلى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علّات، ليس بيني وبينه نَبيّ»(١).

وفي رواية: «والأنبياء إخوة أولاد علّات، وليس بيني وبين عيسى نبيّ»

*وروى الإمام أحمد - بإسناده - عن أبي هريرة، عن النبي - ﷺ - قال: «الأنبياء إخوة لعلّات، ودينهم واحد، وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لأنه لم يكن بينى وبينه نبى، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مَرْبوع إلى الحُمْرة والبياض، سَبْط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلَلَ بين مِخْصَرتين(٢)، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجِزْية، ويعطِّل المِلِلَ، حتى تهلك فى زمانه كلها غير الإسلام، ويهلك الله فى زمانه المسيحَ الدجال الكذاب، وتقع الأمنة فى الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعا، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيّات لا يضر بعضهم بعضًا، فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه.

وفى رواية: «فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون».

وفى رواية: «وأنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق، وقد أقيمت صلاة الصبح، فيقول له إمام المسلمين: تقدّم يا روح الله فَصَلِّ، فيقول: لا، بعضكم على بعض أمراء مكرَمَةُ الله هذه الأمة».

وفى رواية: «فيقول له: عيسى.. إنما أقيمت الصلاة لك، فيصلى خلفه، ثم يركب معه المسلمون فى طلب المسيح الدجال فيلحقه عند باب لدّ، فيقتله بيده الكريمة.

ولقد ذكر العلماء والمؤرخون(٣): أنه قَوِى الرجاء حين بُنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق، التى هى من حجارة بيض، وقد بُنيت أيضا من أموال النصارى حين حرقوا التى هدمت وما حولها، فينزل عليها عيسى بن مريم - عليه السلام، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، وأنه يخرج من فجّ الروحاء حاجًّا أو معتمرًا أو لِثِنْتَيْهما، ويقيم أربعين سنة، ثم يموت، فيدفن فيها قيل، فى الحجرة النبوية عند الرسول الله - ﷺ - وصاحبيه.

وقد ورد ذلك فى حديث ذكره ابن عساكر فى آخر ترجمة المسيح، فى كتابه، عن عائشة - مرفوعا: أنه يدفن مع رسول الله - ﷺ - وأبى بكر وعمر فى الحجرة النبوية».

* وروى البخارى - بإسناده - عن سلمان قال: الفترة ما بين عيسى ومحمد - ﷺ - ستمائة سنة، وعن قتادة: خمسمائة وستون سنة.. والمشهور ستمائة سنة. ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة بالقمرية لتكون ستمائة بالشمسية، والله أعلم.

* أما عن الإنجيل، فقد ذكر غير واحد، أن الإنجيل نقله عنه أربعة: لُوقَا ومَتّى ومُرْقُس

---

(١) ورواه ابن حبان فى صحيحه.

(٢) المخصرة: ما يتوكأ عليه كالعصا.

(٣) ابن كثير: قصص الأنبياء ٤٦٨/٢.

ويوحنا، وبين هذه الأناجيل الأربعة تفاوت كثير بالنسبة إلى كل نُسخة ونُسخة، وزيادات كثيرة، ونقص بالنسبة إلى الأخرى، وهؤلاء الأربعة منهم اثنان ممن أدرك المسيح ورآه وهما: متّى ويوحنا، ومنهم اثنان من أصحاب أصحابه، وهما: مرقس ولوقا.

٦ - رفع عيسى إلى السماء.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ: يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران ٥٥].

قال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَقَوْلِهِمْ: قُلُوبُنَا غُلْفٌ بل طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا، وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا، وَقَوْلِهِمْ: إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ..﴾ [النساء ١٥٥-١٥٨].

* روى ابن أبي حاتم، بإسناده - عن ابن عباس، قال[١]: «لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء، خرج على أصحابه، وفي البيت اثنا عشر رجلا منهم من الحواريين، يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماءً. فقال: إنّ منكم من يكفر بي اثنى عشرة مرة بعد أن آمن بي، ثم قال: أيّكم يُلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي؟

فقام شاب من أحدثهم سنًّا، فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشاب، فقال: أنا، فقال: أنت هو ذاك، فأُلقى عليه شَبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء.

قال: وجاء الطلب من اليهود، فأخذوا الشَّبه فقتلوه، ثم صلبوه، فكفر به بعضهم اثنتى عشرة مرة، بعد أن آمن به، وافترقوا ثلاث فرق:

فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية.

وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النَّسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبدالله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الفرقتان الكافرتان على المسلمة، فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدًا - ﷺ.

قال ابن عباس[٢]: وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف ١٤].

---

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء ٤٥١/٢، الثعالبي: قصص الأنبياء ص ٤٠٠، وانظر تفسير ابن كثير سورة آل عمران.

(٢) وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم، ورواه النسائي وابن جرير.

* وروى ابن جرير، بإسناده - عن وهب بن منبه، قال: «أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين فى بيت، فأحاطوا بهم، فلما دخلوا عليهم صَوَّرهم الله كلهم على صورة عيسى، فقالوا لهم: سحرتمونا، لتبرزن إلينا عيسى أو لنقتلنّكم جميعا، فقال عيسى لأصحابه: من يشترى منكم نفسه اليوم بالجنة؟ فقال رجل: أنا، فخرج إليهم فقال: أنا عيسى، وقد صوّره الله على صورة عيسى، فأخذوه فقتلوه وصلبوه، فمن ثَمَّ شُبِّه لهم، وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى، فظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى، ورفع الله عيسى من يومه ذلك.

قال الحسن البصرى: كان عمر عيسى - عليه السلام - يوم رُفِع أربعًا وثلاثين سنة.

* وقد روى الضحاك، عن ابن عباس، قال: «إن عيسى لما رُفِع إلى السماء جاءته سحابة فَدَنَتْ منه حتى جلس عليها، وجاءته مريم فودَّعته وبكت، ثم رفع وهى تنظر، وألقى إليها عيسى بُردًا له، وقال: هذه علامة ما بينى وبينك يوم القيامة، وألقى عمامته على شمعون، وجعلت أمه تودّعه بإصبعها تشير بها إليه حتى غاب عنها.

* وذكر اسحاق بن بشر، عن مجاهد بن جبير،«أن اليهود لما صَلَبُوا ذلك الرجل، شُبِّه لهم، وهم يحسبونه المسيح، وسلّم لهم أكثر النصارى بجهلهم ذلك، تسلَّطوا على أصحابه بالقتل والضرب والحبس، فبلغ أمرهم إلى صاحب الروم، وهو ملك دمشق، فى ذلك الزمان.. فقيل له: إن اليهود قد تسلطوا على أصحاب رجل كان يذكر لهم أنه رسول الله، وكان يُحيى الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويفعل العجائب، فعَدَوا عليه فقتلوه، وأهانوا أصحابه وحبسوهم، فبعث فجىء بهم، وفيهم يحيى بن زكريا، وشمعون وجماعة، فسألهم عن أمر المسيح فأخبروه عنه، فبايعهم فى دينهم، وأعلى كلمتهم، وظهر الحقّ على اليهود، وعَلَت كلمة النصارى عليهم، وبعث إلى المصلوب، فوضع على جِذْعه وجىء بالجذع الذى صُلب عليه ذلك الرجل، فعظّمه، فمن ثَمَّ عَظَّمت النصارى الصليب، ومن هاهنا دخل دين النصرانية فى الروم.

* ويتضح من هذا الأثر عدة أمور:

أحدها: أن يحيى بن زكريا نبيٌّ لا يُقرّ على أن المصلوب عيسى، فإنه معصوم، يعلم ما وقع على جهة الحق.

والثانى: أن الروم لم يدخلوا فى دين المسيح إلا بعد ثلاثمائة سنة، وذلك فى زمان قسطنطين بن قَسْطن بانى المدينة المنسوبة إليه.

والثالث: أن اليهود لما صَلَبُوا ذلك الرجل ثم ألقوه بخشبته جعلوا مكانه مَطْرَحًا للقمامة والنجاسة، وجِيَف الميتات والقاذورات، فلم يزل كذلك حتى كان فى زمان قسطنطين المذكور، فعمدت أُمُّهُ هيلانة الحرانية الفندقانية، فاستخرجته من هنالك معتقدة أنه المسيح، ووجدوا

الخشبة التى صُلِب عليها المصلوب، فذكروا أنه ما مسَّها ذو عاهة إلّا عُوفى، فالله أعلم أكان هذا أم لا؟

وهل كان هذا لأن ذلك الرجل، الذى بذل نفسه كان رجلا صالحا، أو كان هذا محنة وفتنة لأمّة النصارى فى ذلك اليوم، حتى عَظَّموا تلك الخشبة، وغَشّوها بالذهب واللآلئ، ومن ثم اتخذوا الصلبان وتبرّكوا بشكلها وقبّلوها.

وأمرت أم الملك (هيلانة) فأزيلت تلك القمامة، وبنى مكانها كنيسة هائلة، مزخرفة بأنواع الزينة، فهى هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس، التى يقال لها: القمامة، باعتبار ما كان عندها، ويسمونها (القيامة) يعنون التى يقوم جسد المسيح منها.

ثم أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناسته وقاذوراته على الصخرة التى هى قبلة اليهود، فلم تزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس، فكنس عنها القمامة بردائه، وطهّرها من الأخباث والأنجاس، ولم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها، حيث صلى رسول الله - ﷺ ليلة الإسراء بالأنبياء، وهو المسجد الأقصى.

٧ - نزول عيسى من السماء فى المرة الثانية فى آخر الزمان:

قال الحق سبحانه: ﴿وإنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بها﴾ [الزخرف ٦١] أى إن عيسى - عليه السلام - ظهوره عِلْمٌ يُعْلَمُ به مَجِيء الساعة، لأن نزوله فى الأرض من أشراطها ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ﴾ أى لا تَشُكُّنّ فى مَجيئها..

وقيل للحسين بن الفضل: «هل تجد نزول عيسى - عليه السلام فى القرآن؟ قال: نعم، قوله ﴿وكَهْلا﴾ وهو لم يكن يكْهل فى الدنيا، وإنما معناه: وكهلا بعد نزوله من السماء.

* روى أبو صالح شعيب بن محمد البيهقى، بإسناده عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء إخوة لِعَلّات، أمهاتهم شتى ودِينُهم واحد، وإنى أولى الناس بعيسى بن مريم - عليهما السلام - لأنه لم يكن بينى وبينه نبىّ، ويُوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، وإنه نازل على أمّتى وخليفتى عليهم، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مَرْبُوع الخَلْق، إلى الحُمْرةِ والبياض، سَبْطَ الشعر، كأن رأسه يقطُرُ ولم يُصِبْه بلل، ينزل بين ممصرتين، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضعُ الجزية، ويقبض المال، ويُهلّ من الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو مُلَبِّيًا بهما جميعا، ويقاتل الناسَ على الإسلام حتى يَهْلك فى زمانه المِلَلُ كلها غير الاسلام، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين... الحديث[1]... ثم يلبث فى الأرض أربعين سنة، ويتزوج ويُولد له، ثم يُتَوَفَّى ويصلى عليه المسلمون، ويدفنونه فى المدينة بجنب عُمر، اقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ

(١) الثعالبى: قصص الأنبياء ص ٤٠٤.

إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يكون عَلَيْهِم شَهِيدًا﴾[النساء ١٥٩] - أى قبل موت عيسى، يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات.

* وأخبر محمد بن القاسم الفارسى - بإسناده - عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - ﷺ. «إذَا أَهْبَط اللهُ المسيح عيسى، يعيش فى هذه الأمّة ما يعيش، ثم يموتُ فى مدينتى هذه، ويُدفن إلى جانب قبر عُمَرَ، فطوبى لأبى بكر وعُمر يُحْشَرَان بين نَبيّين».

* وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله - ﷺ: «كيف يُهْلِكُ الله أُمّةً أنا فِي أوّلها وعَيسَىَ فى آخرها، والمَهْدِى مِنْ أَهْلِ بَيْتِى فى وسطها».

- ٦ -
محمّد بن عبد الله ﷺ

وخامس أولى العزم من الرسل، وأوّلهم فضلا ومكانة، الرسول المصطفى محمدبن عبدالله - ﷺ - ابن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قُصَىّ بن كلّاب بن كعب بن مرّة بن لؤى بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن معَدّ بن عدنان، من ولد اسماعيل بن ابراهيم - عليهما السلام[١].

مولده - ﷺ - بمكة، بدار أبي يوسف، ولدته آمنة بنت وهب بن زُهرة بن عبدمناف بن قُصَىّ بن كلاب، فى صبيحة يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول، عام الفيل، الموافق لأغسطس عام ٥٧٠ ميلادية ومات والده عبدالله، وهو حُمْل فى بطن أمه، وكفله جده عبدالمطلب، وماتت والدته آمنة، وهو ابن ست سنين، وحضنته أم أيمن جارية أبيه، ومات جده فكفله عمه أبو طالب.

تزوج فى الخامسة والعشرين من عمره، بخديجة بنت خويلد، إحدى شريفات قريش، فأنجب منها ولدين هما القاسم، وعبدالله، وقيل: ثلاثة، وزيد الطيِّب، وماتوا جميعا وهم صغار وأنجب أربع بنات، هن: فاطمة الزهراء، وزينب، ورقية وأم كلثوم.

ولم يزاول - ﷺ - من الأعمال، فى هذه الفترة من عمره، سوى رعى الغنم. يقول ﷺ: «ما بعث الله نبيًّا إلّا ورعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة[٢]».

---

(١) سيكون اعتمادنا فى التأريخ للرسول - ﷺ - على الحديث النبوى الشريف، استمرارًا لمنهج الدراسة، وقد ذكرنا فى الفصول السابقة أحاديث كثيرة، تحدث فيها الرسول - ﷺ - عن نفسه.

(٢) البخارى ١٠٩/٣ كتاب الإجارة، باب رعى الغنم على قراريط.

وعمل بعد ذلك فى التجارة، حيث خرج مع عمه إلى الشام مرة واحدة، وخرج بعد ذلك فى تجارة لخديجة، فربح لها ربحا عظيا.

وكان ﷺ فى هذه المدة من حياته، يتمتع بأفضل الأخلاق، وأطيب الشمائل، فلم يعرف عنه ما يخل بمكارم الأخلاق قط، فلم يأت ولا مرة ما كان يأتيه بنو قومه أبدًا، فلم يسجد لصنم، ولم يشرب خمرًا، ولم يلعب قمارًا ولا ميسرًا، ولم يستقسم بزلم، ولم يظلم أحدًا فى عِرض، ولا مال، ولا دم. فلقبوه بإجماع قريش بالأمين. لقد كان ﷺ - أمينا فى سرِّه، وفى علنه، أمينا فى قوله وفى عمله، أمينا فى غيبه ومشهده، أمينا فى كل شىء، وعلى كل شىء.

وإذا كانت قريش قد منحته ذلك اللقب السامى والرفيع، فإن الله تعالى، قد أقسم له فى مطلع نبوته على أنه على خُلق عظيم، وهى شهادة لا تعادلها شهادة أبدًا، إذ قال سبحانه: ﴿ن، والقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُون، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ، وإنَّ لَكَ لأجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ، وَإنَّك لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم﴾[القلم ١ - ٤].

ولم يكن الكمال الذى عاش عليه محمد - ﷺ - وعُرِفَ بِهِ قَبْلَ نُبُوتّه، نتيجة تربية أم أوْ أب، أو أثر تعليم معلم أو مرب قط، وإنما كان أثر عناية الله تعالى له، فالله الذى خلقه لأن يكون واسطة بينه وبين عباده، ليبلّغهم شرعه ودينه، هو الذى حماه من كل ما يلوث نفسه، أو يعكر صفاء روحه، إعدادًا له لحمل الرسالة، وتبليغها إلى خلقه.

* يقول الرسول - ﷺ - عن عناية الله به، وحمايته له من التلوث النفسى منذ صغره، فيما رواه البيهقى - بإسناده - عن على بن أبى طالب، قال: «سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: ما هممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يهمّون به إلّا ليلتين، كلتاهما عصمنى الله - عز وجل - فيهما.

قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاء غنم أهلها، فقلت لصاحبى: أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة أَسْمَرُ فيها كما يسمر الفتيان، فقال: بلى، قال: فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة فسمعت عزفا بالغرابيل، والمزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر، وضرب الله على أذنى، فوالله ما أيقظنى إلّا مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبى، فقال: ماذا فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئا، ثم أخبرته بالذى رأيت (وذكر أنه حصل له مرة أخرى فتم له مثل الذى حصل فى الأولى). ثم قال: فوالله ما هممت ولا عُدت بعدهما لشىء من ذلك حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته[1].

* وروى البخارى ومسلم - بإسنادهما - أن النبى - ﷺ - كان ينقل معهم الحجارة للكعبة

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٢/٢٨٨ الطبعة الأولى.

(لما أرادوا تجديد بنائها) وعليه إزاره، فقال له العباس – عمّه: يابن أخي: لو حَلَلْت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة، قال: فحلّه فجعله على منكبيه، فسقط مغشيا عليه، فما رُئِىَ بعد ذلك عريانَ(١).

● كانت بعثته – ﷺ – كما هى سُنة الله فى الأنبياء – على رأس الأربعين، إذ جاءه الوحى وهو بغار حراء، بعد أن قد حُبِّب إليه الخلاء فيه مدة شهر رمضان، فجاءه جبريل، وهُوَ بِهِ فضمه إلى صدره، وأرسله ثلاثا، وقال لهِ: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ.

وفى الرابعة، قال: ﴿اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَق، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَق، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَم﴾ فذهب بها – ﷺ – إلى زوجه خديجة الكريمة، ترجف بوادره، وهو خائف على نفسه فهدّأت من روعه، وسكّنت من اضطراب نفسه، وهى تقول له : «كلاَّ، والله ما يخزيك الله أبدًا، إنّك لتَصِل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتُكْسِب المعدوم، وتُقْرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، وانطلقت به – رضى الله عنها – إلى ورقة بن نوفل بن أسد، ابن عمها، وكان امرءًا قد تَنَصَّر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرًا قد عمى، فقالت له خديجة: يابن عم اسمع من اةن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله – ﷺ – خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس، الذى نزّل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعا، يا ليتنى أكون حيًّا، إذ يُخْرجك قومك، فقال النبى – ﷺ –: أوَ مُخْرِجِىَّ هم ؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلاّ عُودِىَ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن تُوُفِّى، وفتر الوحى(٢).

وبعد فترة فتور الوحى، تبدّى له جبريل فى صورته الملائكية وقد سدَّ الأفق، وله ستمائة جناح، ثم أخذ يدنو منه ويتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله ما أوحى، ونزل عليه قول الله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّر، قُمْ فَأَنْذِر، وَرَبَّكَ فَكَبِّر، وَثِيَابَكَ فَطَهِّر، والرُّجْزَ فاهْجُر﴾ [المدثر ١-٥].

فكانت هذه الآيات أمرًا ببدء الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله وكتابه ولقائه وتوحيده تعالى فى عبادته، بدأها فردية، وتلقى هو ومن آمن به صنوفا من الأذى، وأنواعا من الاضطهاد، مما اضطر بعض أصحابه إلى الهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة.

كما حُوصر هو وأسرته والمؤمنون من بنى هاشم، فى شِعب أبى طالب ثلاث سنوات، جاعوا فيها جوعا أكلوا معه ورق الشجر.

وفى هذه الفترة توفيت زوجه خديجة – رضى الله عنها – كما توفى عمه أبو طالب، الذى لم يأل

---

(١) البخارى ٩٧/١، ومسلم ١٨٤/١، واللؤلؤ والمرجان ٧٢/١ وما بين القوسين ليس من الحديث.

(٢) الحديث أخرجه فى أول كتابه الصحيح ٥/١، ومسلم ٩٧/١، وانظر اللؤلؤوالمرجان ٣٢/١.

جهدًا يدفع عن رسول الله - ﷺ - ويحميه من كيد أعدائه له، فكان ذلك العام عام الحزن.

وفى نهاية السنة العاشرة من بعثته - ﷺ، ومطلع الحادية عشرة، عُرِّج به إلى الملكوت الأعلى حتى بلغ سدرة المنتهى عند جنة المأوى، وتجاوزها إلى مقام أسمى سمع عنده صريف الأقلام وناجاه ربه، وناداه، وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس(١).

وفى هذه الأثناء عقد - ﷺ - اتفاقية مع بعض رجالات الأوس والخزرج، تنص على أن يحمى أولئك الرجال من يهاجر إليهم من المؤمنين، مما يحمون به أنفسهم وأموالهم، وأن لهم عند الله تعالى الجنة، وسميت هذه الاتفاقية ببيعة العقبة الأولى، وتمت عندها أخرى مثلها، فسمّيت ببيعة العقبة الثانية(٢).

وهاجر الرسول - ﷺ - إلى المدينة، بعد أن كثر بها الإسلام والمسلمون، وكانت قبل ذلك تسمى «يثرب» فصارت بحلول النبى فيها تسمى «المدينة المنورة».

وفى المدينة المنورة، شُرعت كل الأحكام والقوانين التشريعية، وبها تكونت الدولة الإسلامية الأولى فى تاريخ الإسلام.

ومن المدينة المنورة انطلق المسلمون ينشرون كلمة التوحيد، ويحملون راية العدل والحق فى ربوع الدنيا، ويخرجون الناس من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جُور السلطان إلى عدل الإسلام - كما قال ربعى بن حراش لكسرى ملك الفرس.

ولم يُقْبض رسول الله، وينتقل إلى رحاب بارئه حتى انتظم الإسلام جميع شبه جزيرة العرب، وحتى تم التشريع الإسلامى أوفر وأقوى ما يكون.

ونزل فى ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة ٣].

* وقُبض رسول الله - ﷺ - يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، بعد ما مضى عشر سنوات وشهران وبعض الليالى على هجرته إلى المدينة، والتى كانت مبدأ التاريخ الإسلامى، ولم يلتحق - ﷺ - بالرفيق الأعلى حتى لم يترك خيرًا قط إلّا دلّ عليه أمة الاسلام، ولا شرًّا إلّا حذّرها منه.

هذه نظرة سريعة ألقيناها على تاريخ محمد رسول الله - ﷺ - بمناسبة الحديث عن رسالته ونبوّته، نقدمها بين يدى بحث دلائل نبوته، وعموم رسالته - ﷺ.

* إن مؤهلات نبوته - ﷺ - تتضح من دراستنا لعاملين هامين: العامل الزمنى، والمثالية.

---

(١) حديث الاسراء ثابت فى الصحيحين، واللؤلؤ والمرجان ٣٥/١.

(٢) أحاديث العقبة فى البخارى ٦٩/٥.

١ - أما العامل الزمنى:

فلقد أجمع المؤرخون للدولتين الكبيرتين: الفارسية والرومانية - قبل بعثته - ﷺ - على أن فسادًا عاما قد عمَّ هاتين الدولتين، فسادًا فى الدين، وفسادًا فى الأخلاق، وفسادًا فى الحكم، فسرى ضعف هائل فى كل أجهزة هاتين الدولتين.

هذا فى دولتى الفرس والروم الحضاريتين، أما فى غيرهما، فإن الأحوال أسوأ، والأمور أردأ، والظلام فى كل جوانب الحياة أحلك.

* ففى شبه جزيرة لعرب، أصنام تُعبد، وخمور تُشرب، وبنات تُوأد، كهانات حلّت محل النبوات وأعراف قبلية سائدة سيادة الشرائع الإلهية، من له يُعطى ويزاد، ومن ليس له يؤخذ منه، وليس حال غيرهم خيرًا من حالهم، فالعالم يومئذ كله يعيش فى ظلام دامس من الظلم والشر والفساد، وهى حال تدعو به بل تصرخ بذى نبوة إلهية، ورسالة ربانية، يصلح الله به، وعلى يديه فساد البلاد والعباد.

وحقا فقد تطلّع الناس إلى صاحب هذه النبوة، وحامل تلك الرسالة، ففى الجزيرة العربية إرهاصات كثيرة، وبين أهل الكتاب تنبؤات أكثر، همسات خفية فى كل واد، ومنميّة بقرب نبوة سماوية.

كل الدلائل كانت تشير إلى أن هذه النبوة ستكون هذه المرة فى الأمة العربية، قد يلوح سناها بين جبال فاران (مكة)، وتطلع شمس ضحاها فى (يثرب) ذات النخيل والظّل الظليل، إنها مهاجر النبى الذى قد أظل زمانه.

وسابق بعض أهل الكتاب الأحداث، فهاجروا إلى الحجاز، ونزلوا يثرب نفسها، وتأكدت التنبؤات عند بعضهم، حتى استفتحوا على العرب جيرانهم بأن النبى المنتظر سيبعث قريبا.

وبالجملة.. فإن تلك الفترة - وهى السبعون سنة بعد الخمسمائة - من ولادة السيد المسيح - عليه السلام، كانت فترة إرهات كثيرة، وتطلعات كبيرة، وتنبؤات لا حدّ لها، وفى أنحاء شتى من العالم، إلى نبوّة يتغير بها مجرى التاريخ الإنسانى، ويوقف بها تيار الفساد العام من البلاد والعباد.

* وبُعث محمد - ﷺ - دعوة ابراهيم الخليل - ﷺ، القائل: ﴿رَبَّنَا وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُم يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمْ الكِتَابَ والحِكْمَةَ، وَيُزَكِّيهِمْ إنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة ١٢٩].

* وبعث محمد - ﷺ - بشارة عيسى المسيح - عليه السلام، القائل: ﴿يَابَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف ٦].

* وبعث محمد - ﷺ، النبى الأمىّ العربى، الذى نادى الناس جميعا، قائلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف ١٥٨].

٢ - مثاليته:

إن المثالية المحمدية، هى التى أهلته بإذن الله لقيادة البشرية، وَهَيَّأَتْهُ لتلقى الوحى من السماء، ليكون رسول الله إلى الناس جميعا. والمثالية المحمدية لها جانبان:

(أ) جانب خِلْقى ذاتى.

(ب) وجانب خُلُقى نفسانى.

* أما ما يتصل بالجانب الخِلْقى.. فقد كان - ﷺ - أكمل الناس ذاتا، وأجملهم وجها، وأحسنهم قدًّا واعتدالاً. قال البراء - فى رواية مسلم:

«كان رسول الله - ﷺ - رجلا مربوعا، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه. عليه حلة حمراء، ما رأيت شيئا قط أحسن منه - ﷺ.[1]

* وقال أنس فى رواية مسلم:

«كان رسول الله - ﷺ - أزهر اللون، كأن عَرَقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ، ولا مَسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله - ﷺ -، ولا شَمَمْتَ مِسْكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله - ﷺ ».[2]

* وروى الحسن بن على رضى الله عنهما، قال: سألت هند بن أبى هالة عن حِلْية رسول الله - ﷺ. وكان وصَّافًا، وأنا أرجو أن يصف لى منها شيئا أتعلق به، فقال:

«كان رسول الله - ﷺ - فَخْمًا مفخما، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع (بين القصر والطول) وأقصر من المشذَّب (البائن الطول) عظيم الهامة، رَجِل الشعر (ليس بسبط ولا جَعد) إن انفرقت عقيقته فرقها، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أُذنيه إذا هو وفَّره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ من غير قَرَن بينهما، عرق يُدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلو، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحّية، أدعج، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلّج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دُمية فى صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادنا (ذو لحم) متماسكا سواء البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس (رؤوس العظام) أنور المتجرد، موصول ما بين اللّبة والسُّرة بشعر يجرى كالخط، عارى الثديين، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شِثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، عبل الذراعين، خَمصان

---

(١) الحديث متفق عليه، وهو فى البخارى ٢٢٨/٤، ومسلم ٨٣/٧، واللؤلؤ ١٠٧/٣.

(٢) صحيح مسلم ٨١/٧.

الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنها الماء، إذا زال زال تقلعا، ويخطو تكفؤا، ويمشى هونا، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب (علو) ارتقاه، وإذا التفت التفت جميعا، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة، يسُوسُ أصحابه، ويبدأ مَنْ لقيه بالسلام»(١).

هذا الجانب الخَلْقى الذاتى، محض عطاء الله تعالى وهبته، لاكسب فيه للإنسان، فإن النبى -ﷺ- قد أُعْطِى منه ما لم يُعط غيره، حتى كان فى جماله الذاتى مثلا عاليا لا يُسامى فيه، ولا يُطاول أبدًا.

*** وأما ما يتصل بالجانب الخُلُقى النفسانى من مثاليته -ﷺ-، فيمكن تتبعه فيما جاء عنه من أخبار تحدث عن رجاحة عقله، وسياسته ورحمته، وكرمه، وعدله، وعفوه وحلمه -ﷺ.**

*** أما رجاحة عقله، فنجد لها كثيرا من الشواهد، قبل النبوة، وبعد النبوة.**

● فمما يشهد لرجاحة عقله قبل النبوة:

١ - **حضوره حلف الفضول**، وقوله فيه: «لقد حضرت حلف الفضول بدار عبدالله بن جُدْعان، وما أحب أن لى بحِلْف حضرته فى دار عبدالله بن جُدعان حُمر النَّعم، ولو دعيت به لأجبت»(٢)

فهذا الحلف تم على أساس نُصرة المظلوم، والوقوف إلى جنبه حتى يؤخذ له الحق ممن ظلمه، فحضور النبى - ﷺ - له تأييدًا للحق، واغتباطه به حتى قال: **«ما أحب أن لى به حُمر النعم»** دال على كمال عقله ورجحانه بدون شك.

٢ - **حكمه بأن يوضع الحجر الأسود فى ثوب**، ثم تأخذ بأطرافه القبائل القرشية، حتى إذا بلغ الحجر مكانه من جدار البيت تناوله هو -ﷺ- ووضعه فى مكانه، فقضى بذلك على خصومه من أشد الخصومات، وحقن دماء كانت قد تُراق لولا ذلك التصرف الحكيم، الذى إن دلّ على شىء فإنه يدل على **كمال العقل المحمدى** ورجاحته.

*** ومما يشهد لرجاحة عقله فى عهد النبوة:**

١ - **تنازله - ﷺ - لقريش على كتابة لفظة «الرحمن الرحيم»، وعلى لفظ «رسول الله»** فى كتابة وثيقة المعاهدة التى أبرمها مع قريش على **صلح الحديبية**.

إذ أمر كاتبه، وهو علىّ بن أبى طالب، أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال ممثل قريش

---

(١) محمد المثل الكامل ١١/١٠ [والأزج: الحاجب المقوس الطويل الكثير الشعر، والقنا: ارتفاع الأنف ودقة أرنبته، الشنب: رقة الاسنان ورونقها، المَسْربة: الشعر بين الصدر والسرة.

(٢) رواه مسلم ١٧٨/٦، واللؤلؤ والمرجان ٢٢٤/٢.

- وهو سُهيل بن عمرو: أمسك، لا أعرف «الرحمن الرحيم»، بل اكتب «باسمك اللهم» فتنازل عن ذلك وكتب «باسمك اللهم»، ولما قال للكاتب اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، قال ممثل قريش أمسك، لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله، فتنازل عن ذلك وكتب[1] فى حين أن أصحابه، وعلى رأسهم عمر وعلىّ قد كرهوا ذلك، وأبوا أن يفعلوه، ورأوه أنه إعطاء للدنية فى دينهم.[2]

بيد أن النتائج الطيبة التى أعقبت ذلك التنازل دلّت على قصر نظر القوم، وبعد نظر الرسول محمد -ﷺ-، وكمال عقله ورجاحته، الأمر الذى كان مضرب المثل فى كمال العقل، وحسن السياسة والتدبير.

٢ - لما دخل -ﷺ- مكة يوم الفتح منتصرا، ووجد رجالات قريش قد تجمعوا حول الكعبة ينظرون حكم الفاتح المنتصر فيهم، ناداهم -ﷺ- قائلا: «يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»[3].

إن هذا الموقف المثالى فى تاريخ العظماء يُنم قطعا على ما أوتى رسول الله محمد - ﷺ - من رجحان العقل وكماله، ما أصبح به مثلا عاليا فى هذا الشأن.

* وفى الجانب السياسى.. نجد أن سياسة النبى محمد - ﷺ - فى كلا مجاليها المدنى والعسكرى أو السلمى والحربى، كانت مضرب الأمثال فى السياسة النبوية الرشيدة. والدليل على ذلك:

١ - إذنه - ﷺ - لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، بعد أن اشتد أذى المشركين لهم، حيث علم أنه لا يقدر على دفع الأذى عنهم، وأن بالحبشة ملكا صالحا كريما، سيكرم وفادة أصحابه، ويحسن جوارهم وهو أصحمة النجاشى، فكان هذا الإذن بالهجرة تدبيرا سياسيا جديرًا بالتقدير والاحترام[4]

٢ - اتخاذه -ﷺ- دار الأرقم بن أبى الأرقم مركزًا للدعوة إلى الله، أيام اضطهاد المشركين لها، وتثقيف أصحابه فيها، وتربيتهم وتعليمهم كان تدبيرًا حكيما دل على رشد فى السياسة، مع حكمة التصرف وكمال التدبير.

٣ - عقده - ﷺ - اتفاقيتى العقبة، وهما بيعتان بايع فيهما رجالا من أهل المدينة لتأمين الهجرة إليها، وحماية المهاجرين فيها، ثم أمره أصحابه بالهجرة، وبالتالى هجرته هو - ﷺ - إليها،

(١) متفق عليه بذكر محو (محمد رسول الله) الرحمن الرحيم. رواه مسلم ١٧٨/٥، واللؤلؤ والمرجان ٢٢٤/٢.

(٢) جاء هذا فى حديث متفق عليه، البخارى ٢٢٨/٣، ومسلم ١٧٣/٥.

(٣) سيرة ابن هشام ٤١/٤.

(٤) انظر صحيح البخارى ٦٢/٥، وراجع البداية والنهاية ٦٦/٣، وسيرة ابن هشام ٣٣٠/١.

مما جعلها فى بضعة أعوام مقر دولة الإسلام، وعاصمة خلافة فى الأرض، ومنطلق فتح، وهداية لكافة البشر(١).

٤ - معاهداته - ﷺ - لطوائف اليهود الثلاث بالمدينة، وما حققته تلك المعاهدات من فوائد للدعوة الإسلامية، وما وفّرته من حماية لها أيام حاجتها الملحّة إلى الحماية والتأمين، وذلك لضعفها، ومناوأة الأعداء لها.

٥ - مؤاخاته - ﷺ - بين المهاجرين والأنصار، تلك المؤاخاة التى لحمت ما بين المهاجرين النازحين، من مكة، وأهل البلاد المواطنين فجعلتهم كجسم واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالحمى والسهر، تلك المؤاخاة التى لم يتم نظير لها على وجه الأرض قط، تحققت بفضل الله تعالى، ثم بتلك الحنكة السياسية والرشد المنقطع النظير فيها.

٦ - سراياه وغزواته العديدة، والتى تجلّت فيها جميعا الخبرة العسكرية، والقيادة المثالية الحكيمة، الأمر الذى اعترف به العدو قبل الصديق، ويكفى فى تقرير هذه الحقيقة، أنه فى خلال عشر سنوات من جهاده المقدس، انتظم الإسلام أرض الجزيرة العربية كلها، واستنارت بنوره كل ديارها، وأن قتلى تلك الحروب والمعارك الهائلة، التى دارت رحاها مدة عشرة سنوات تقريبا، ودانت نتيجة لها أرض شبه الجزيرة كلها بالإسلام، لم يتجاوز الألفين والخمسمائة ما بين شهيد وقتيل.

* أما رحمته - ﷺ -، فقد سجلها القرآن الكريم، فى قوله تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ من أَنْفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَليكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة ١٢٨]

* إن أبرز مظاهر رحمته - ﷺ - تتجلى فيما يلى:

١ - أنه رفع إليه ولده إبراهيم بن مارية القبطية، وهو مريض يجود بنفسه، فوضعه بين يديه وبكى، وقال -ﷺ: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»(٢).

٢ - أنه زار مرة قبر أمه بين مكة والمدينة، وقف عليه وبكى طويلا، وانصرف وهو يقول: «استأذنت ربى فى أن استغفر لها فلم يُؤذن لى، واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى.»(٣)

٣ - ولما فتح رسول الله - ﷺ - القموص حصن بنى أبى حُقيق، من خيبر، أتى رسول الله -ﷺ- بصفية بنت حُيَىّ بن أخطب وبأخرى، فمرّ بها بلال على قتلى يهود، فلما رأتهم الجارية

(١) بيعتا العقبة مذكورتان فى البخارى ٦٩/٥، والبداية والنهاية ١٤٧/٣، ١٥٨، وسيرة عبلأهشام ٤٧/٢، ٥٦.

(٢) متفق عليه، وهو فى اللؤلؤ والمرجان ١٠٣/٣.

(٣) أخرجه مسلم ٦٥/٣.

التى مع صفية صاحت، وصكت وجهها، وحثت التراب على رأسها، فلما رأى رسول الله - ﷺ - بتلك الجارية ما رأى، قال: «أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالها»(١).

* **أما كرمه -ﷺ- فلا يأتى عليه الوصف، إنه -ﷺ-لم يُسأل شيئا طول حياته وهو فى حوزته، وقال: لا، قط.**

١ - خرج يوما وعليه حُلّة أجمل الحلل، فرآه أحد أصحابه، فعزم أن يطلبها ليلبسها فتمس جلده بعد أن مسّت جلد الرسول -ﷺ- فقال: يا رسول الله، أعطنيها، فدخل رسول الله -ﷺ- بيته فخلع الحلة وأتاه بها».

٢ - جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: «يا قوم اسلموا فإن محمدًا يعطى عطاء لا يخشى الفاقة»(٢).

٣ - وبايع مرة جابر بن عبدالله فى جمل له كان قد كلَّ فى السفر، فباعه إياه بكذا مائة درهم، ولما جاء يتقاضاه الثمن، أعطاه الثمن والجمل(٣).

* **أما المثالية فى عدله - ﷺ - فتتجلى فى مواقف كثيرة منها.**

١ - حينما سرقت المخزومية، وجاء أسامة بن زيد مدفوعا برجالات قريش يشفع لها فى إسقاط الحدِّ عنها. قال له الرسول - ﷺ - وهو فى غضب شديد: «أتشفع فى حدٍّ من حدود الله يا أسامة؟ والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها»(٤).

٢ - أن رسول الله - ﷺ - كان ينظم صفوف المجاهدين يوم بدر، وفى يده قدح يعدل به القوم، فمر سواد بن غذية - حليف بنى عدى بن النجار، وهو متقدم من الصف، فضرب فى بطنه بالقدح، وقال: اسْتَوِ يا سواد، فقال: يا رسول الله.. أوجعتنى، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقِدْنى.. فكشف رسول الله - ﷺ - عن بطنه وقال: استقد..»(٥).

* **أما شمائل الحلم والعفو عنده - ﷺ - فمظاهرها كثيرة:**

١ - صحَّ أنه كان - ﷺ - فى غزاة، فأعطى رجاله فرصة للاستراحة فيها، فانتشروا فى واد يستريحون تحت ظلال أشجاره، وأتى هو شجرة فعلق سيفه فى أحد أغصانها، ونام.

فجاء أعرابى من المشركين فاخترط السيف، وقال للرسول: من يمنعك اليوم منى يا محمد؟ فرفع

---

(١) البداية والنهاية ١٩٧/٤.

(٢) رواه مسلم ٧٤/١.

(٣) متفق عليه وهو فى اللؤلؤ والمرجان ١٨٥/٢.

(٤) متفق عليه وهو فى اللؤلؤ والمرجان ١٨٥/٢.

(٥) سيرة ابن هشام ٣١٠/٢، والبداية والنهاية ٢٧١/٣.

إليه رسول الله - ﷺ - رأسه، وقال: «الله» فارتاع الرجل، وسقط السيف من يده، فتناوله الرسول - ﷺ - وقال: «من يمنعك أنت الآن منى؟ فقال الأعرابى: «لا أحد» فعفا عنه الرسول وانصرف»[١]

٢ - دخل أعرابى مسجده - ﷺ - واضطرته الحاجة إلى البول، فانتحى ناحية من المسجد وأخذ يبول، فانتهره أصحاب الرسول - ﷺ - وصاحوا فيه، فقال لهم رسول الله - ﷺ: دَعُوه لَا تَزْرِمُوه - أى لا تقطعوا عليه بوله، فتركوه حتى قضى حاجته، ثم أمر رسول الله - ﷺ - بدلو من ماء فصب عليه..

فحِلْم الرسول - ﷺ - أنطق الأعرابى، فقال: «اللهم ارحمنى ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا، فقال الرسول - ﷺ - تحَجَّرت واسعا»[٢].

كانت هذه نماذج من المثالية المحمدية، وهى أحد مؤهلات ثلاثة،تقدم اثنان منها وبقى الثالث وهو شرف النسب وطيب الأصل.

ولنستمع إلى الرسول المصطفى - ﷺ - نفسه، وهو يقرر هذه الحقيقة، فيقول:

«إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم»[٣] فكان - ﷺ - خيارًا من خيار من خيار.

- ٧ -

الأصول المشتركة التى دعا إليها الأنبياء والرسل

إن الرسول الكريم - محمد بن عبد الله - ﷺ - لم يأت من فراغ، بل بشر به الأنبياء والرسل السابقون، وشهدوا له بالنبوة وقرب المَبْعث، وذكروا مَقْدَمِه، وطلبوا من المؤمنين بهم الإيمان به، والدخول فى طاعته.

ذلك أن الأنبياء جميعا يدعون إلى أصول مشتركة ، لا تختلف فى حقيقتها وجوهرها، ويبنون أحكامهم على أسس متناسقة، قال سبحانه:

﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّين بِهِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا والَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى ١٣]

(١) متفق عليه بمعناه، وهو فى اللؤلؤ المرجان ١٦٢/١.

(٢) متفق عليه بمعناه وهو فى اللؤلؤ والمرجان ٦٤/١ وزيادة (اللهم أرحمنى ومحمد) عند أبى داود. متن ٩١/١.

(٣) مسلم ٥٨/٧، ورواه الترمذى أتم منه ٢٨١/٢.

فالأصل والهدف واحد، أما تفاصيل الشرائع والأحكام وفروعها، فتختلف من أمة إلى أمة، بحسب اختلاف زمان الناس وأحوالهم، واستعداداتهم، وما يحيط بهم من عوامل وملابسات، قال الحق عزّ شأنه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُم شِرْعَةً ومِنْهَاجًا﴾ [المائدة ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [الحج ٣٤]

وقد أخذ الله سبحانه عهدًا على كل نبى أرسله أن يؤمن بمحمد - ﷺ - خاتم الأنبياء، والمرسل إلى الناس كافة، وأن يبشر قومه به، وينعته لهم ببعض صفاته، وأن يأخذ عليهم العهد: لئن جاءوهم أحياء ليتبعنه وينصرنّه، قال عزّ وجل:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّين لَمَا آتَيْتُكُم من كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ: أَأَقْرَرْتُم وَأَخَذْتُم عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى؟... قَالُوا: أَقْرَرْنَا. قَالَ: فَاشْهَدُوا وأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِين﴾ [آل عمران ٨١]

● وهكذا توالت البشارات والعهود من نبى إلى نبى، ومن جيل إلى جيل بالنبىّ المنتظر، خاتم الأنبياء والرسل، محمد بن عبدالله، المبعوث رحمة للعالمين.

ومن المهم أن نذكر، أن النبى المتقدم إذا أخبر عن النبى المتأخر، لا يُشترط التفصيل فى أخباره وصفاته، بل يكون على الغالب بشكل مجمل ولاسيما عند العوام.. أما الخواص، فقد يصير جليا عندهم بوساطة القرائن، وقد يبقى خفيا عليهم أيضا لا يعرفون مصداقه إلا بعد مجيئه وإخباره أن المتقدم قد بشّر به، وبعد ظهور صدقه بالمعجزات وعلامات النبوة.

هذا والنصوص الواردة فى التوراة والإنجيل معظمها إشارات تحتاج إلى تأمل، وكان علماؤهم يجادلون ويشوّشون وجه الدلالة فيها بإلقاء الشبهات ، ثم ازداد الأمر غموضا بنقل هذه الكتب من لغة إلى لغة[١].

وإن استشهادنا بنصوص من أسفار العهد القديم، أو أناجيل العهد الجديد، ليس إقرارًا بصحة الكتاب، أو اعترافا بأنه الوحى الصحيح الذى أنزله الله سبحانه على موسى وعيسى - عليهما الصلاة والسلام، والذى فيه هدى ونور.. بل إنما هو من قبيل إقامة الحجة، ليزداد الذين آمنوا إيمانا مع إيمانهم.

---

(١) عبد الوهاب عبد السلام طويلة: وجاء النبى المنتظر ص ٢٩ طبع الجامعة الإسلامية سنة ١٤٠٥ هـ والملل والنحل للشهرستانى ٢١٢/١، وقصص الأنبياء للنجّار ص ٢٩٣، وعقيدة المؤمن - للشيخ أبى بكر الجزائرى طبع المكتبة الأزهرية.

أولا: بشارات موسى بمحمد - ﷺ -

البشارة الأولى فى توراة موسى

* جاء فى سفر التثنية، الإصحاح الثامن عشر، قول موسى لبنى إسرائيل:
١٥ - «يقيم لك الرب إلٰهك نبيّا من وسطك، من إخوتك، مثلى، له تسمعون».
١٧ - قال لى الرب: «نِعْمَ ما قالوا».
١٨ - «وسوف أقيم لهم نبيًّا مثلك، من بين إخوتهم، وأجعل كلامى فى فَمِه، ويكلمهم بكل شىء آمره به».
١٩ - «ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم فيه باسمى، فأنا أكون المنتقم من ذلك».

فهذه البشارة الواردة فى آيات التوراة تشهد شهادة واضحة بنبوة النبى محمد - ﷺ - ووجوب اتباعه، ولزوم طاعته، وهى حجة على أهل الكتاب جميعا، وإن جحدوها وتأولوها..

* فقول التوراة: «سوف أقيم لهم نبيا مثلك» فى الخطاب الموجّه لموسى..

أى إن هذا النبى المنتظر يشابه موسى فى أوصافه ويماثله، ولا توجد مماثلة أو مشابهة بين يوشع وموسى - عليهما السلام، لأن موسى صاحب شريعة جديدة، مشتملة على أوامر ونواه، ويوشع لم يكن كذلك، بل هو تابع لشريعة موسى.

وكذلك لا توجد مماثلة بين موسى والمسيح - عليهما السلام، لأن شريعة موسى كاملة مشتملة على الحدود والتعزيرات، وأحكام الطهارة والمحرمات وغير ذلك - بخلاف المسيح - عيسى بن مريم، فإنه لم يكن صاحب شريعة كاملة مستقلة، وما جاء به خال من كل هذه الأمور، كما تشهد بذلك الأناجيل الأربعة التى يعترفون بها.

* ففى إنجيل متّى - على سبيل المثال - الإصحاح ١٥، الفقرة ١٧.

[لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل جئت لأُكَـمِّل]

والنصارى يأخذون معظم أحكامهم من العهد القديم، كما هو معروف.

ولأن موسى كان رئيسا مطاعا فى قومه، أمرهم بالجهاد، وجاهد معهم، وحارب أعداءه وانتصر عليهم، ولم يكن المسيح كذلك، بل إن من تعاليمه كما يزعمون:

[مَنْ ضَرَبك على خَدِّك الأيمن فأَدِرْ له خدَّك الأيسر، من اسْتَلَب منك الرداء فاترك له القميص، صَلُّوا من أجل لاَعِنِيكُم].

ولأن موسى – عليه السلام – تزوج وله أولاد، ومات على الفراش، ودُفن فى القبر ولم يُصْلَب..

والمسيح – عليه السلام – لم يتزوج، وبالتالى ليس له أولاد، وفى زعمهم أنه مات مصلوبًا، ثم قام من قبره.

* **أما محمد – ﷺ، فإنه يماثل موسى – عليه السلام – فى أمور كثيرة أهمها:**

١ – كونه عبد الله ورسوله، فهو نبىّ، وهو من أب وأم، وقد تزوج وله أولاد، ومات على الفراش، ودفن فى القبر.

٢ – كونه صاحب شريعة، وشريعته كاملة، فهى مشتملة على نظام متكامل للحياة دينيًا ودنيويا.

٣ – كونه مُطاعا فى قومه، مأمورًا بالجهاد، جاهد مع أصحابه، وحارب أعداءه وانتصر عليهم.

فالبشارة إذًا تصدق على محمد – ﷺ – أكمل صدق، وتنطبق عليه أتم الانطباق.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُم كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَـوْنَ رَسُولاً﴾ [المزمل ١٥]

هذا ولا يصح أن يكون يوشع أو المسيح – عليهما السلام – هو المبشّر به، ويماثل موسى – عليه السلام – بدليل أن الجملة العاشرة من الإصحاح الرابع والثلاثين فى سفر التثنية، تنص على:

* ولم يقم بعد ذلك نبى فى بنى إسرائيل مثل موسى يعرف الربَّ وجها لوجه] أى كلمة وأوحى إليه بشرع.

* فقول الرب – فى التوراة – [سوف أقيم لهم نبيا مثلك] هو الشهادة على صدق نبوة محمد – ﷺ – وصحة رسالته، لأن المتكلم هو الله، والمخاطب هو نبى الله موسى، ومن كان (مثله) فهو نبى ورسول مبعوث أيضا.

* جاء فى الجملة الخامسة عشرة: [نبيا من وسطك من إخوتك، مثلى له تسمعون]

* وجاء فى الجملة الثامنة عشرة: [من بين إخوتهم].

ولاشك أن الأسباط الاثنى عشر، كانوا حاضرين فى ذلك الوقت مع موسى – عليه السلام، ولو كان المقصود أن النبى المبشَّر به منهم، لقيل فى الكلام [منهم] ولم يُقل [من إخوتك] ولا [من بين إخوتهم].

ويوشع والمسيح – عليهما السلام – كانا من بنى إسرائيل، فلا تَصْدُق هذه البشارة عليهما، لأن الاستعمال الحقيقى لهذا اللفظ يقتضى ألا يكون المبشَّر به له علاقة الصُلْبِيَّة، أو البطنية

بالـمُبَشَّرين، وهم بنو إسرائيل، بل من فرع آخر غير فرعهم، وهو ما لا يمكن أن يكون إلّا من إسماعيل عليه الصلاة والسلام.

* ورد أيضا فى الجملة الثامنة عشرة: [وأجعل كلامى فى فمه]

وهذا التعبير يشير إلى أن ذلك النبى ينزل عليه الكتاب، وأنه لا يتكلم من تلقاء نفسه أو هواها، بل بوحى من الله، وأنه يكون أميًّا حافظا للكلام. ومحمد - ﷺ - كان كذلك، لأنه هو الذى يقرأ كلام الله ويحفظه، وهو القرآن الكريم. قال الله تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى، إنْ هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم ٣،٤] وكان أُمِّيا، قال سبحانه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى ٦]

هذا ولم يدّع أحد من أبناء اسماعيل ذلك سوى محمد - ﷺ، ولم يقم نبى أُمِّىّ سواه منذ خلق الله الدنيا إلى اليوم.

* وجاء فيها أيضا: [وَيُكَلِّمهم بكل شيء آمر به]

ومحمد - ﷺ - كان يبلّغهم كل شيء أَمَرَه الله به، فبلّغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، قال الله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة ٦٧]

وقال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل ٤٤]

كما تكلم محمد - ﷺ - بغيب لم يتكلم به نبى سواه، إذ أخبر بكثير من الأمور الغيبية، فأخبر عن أصحاب الكهف، وذى القرنين، والخضر صاحب موسى، وتحدث عن الروم، ونَبَّأ بفتح فارس، إلى آخر هذه الأمور التى لم يكن يعرفها من قبل.

* جاء فى الجملة التاسعة عشرة [ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم فيه باسمى فأنا أكون المنتقم من ذلك]

فقد دل النّص على أن من يعصى ذلك النبى المبشر به ولا يطيع كلامه الذى هو وحى من عند الله، فإن الله سبحانه هو المنتقم منه، وهذا يدل على تعظيم ذلك النبى وتأييده، لأن الله سبحانه أضاف الانتقام إلى نفسه، وعقبه (بالفاء) التى تفيد الترتيب من غير تراخ زمنى، فلابد أن يتميّز هذا النبى بصفات لا توجد فى غيره من الأنبياء. ويكون النبى المبشّر به موحى إليه بكلام من عند الله، فيه تشريع تفصيلى، ومأمورًا بالجهاد مؤيدًا بنصر الله، ومأمورًا بإقامة الحدود والقصاص.

ومحمد - ﷺ - كان كذلك:

* فقد أنزل الله عليه القرآن تبيانا لكل شيء، وهو بدوره قد بيّن للناس ما نزل إليهم،

وما كان ينطق عن الهوى، بل يتبع ما يوحى إليه، ويتكلم باسم الله.

* وأمر بالجهاد فى المدينة المنورة، بعد أن كان المسلمون مستضعفين مضطهدين فى مكة.

* وأيده الله بنصره وبالمؤمنين، وألقى الرعب فى قلب عدوه.

* عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ:

«أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى: نُصِرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلَت لى الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليُصَلِّ، وأُحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»(١).

* وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ:

«بُعِثت بين يدى الساعة مع السيف، وجعل رزقى تحت ظل رُمْحِى، وجعلت الذِّلّة والصَّغار على من خالف أمرى، ومن تشبّه بقومٍ فهو منهم»(٢).

* وعن سلمة بن نفيل الكندى - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ، قال:

«ولاتزال من أمتى أمة يقاتلون على الحق ، ويُزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة وحتى يأتى وعد الله»(٣).

ويتجلى ذلك عندما ينزل عيسى - عليه السلام - إلى الأرض، فيحكم بشريعة محمد - ﷺ، ويجاهد المشركين ويقيم الحدود(٤).

البشارة الثانية

* جاء فى سفر التثنية فى الإصحاح الثانى والثلاثين ما يلى:

٢١ - [هم - أى بنو إسرائيل - أغاروني بغير إله، وأغضبونى بمعبوداتهم الباطلة، وأنا أيضا أغيرهم بغير شعب، وبشعب جاهل أغضبهم].

فبنو إسرائيل أغضبوا الله وأغاروه، بعبادتهم للمعبودات الباطلة، ومنها العجل. ولذلك فإن الله - سبحانه - سوف يعاقبهم ويغيّرهم، وذلك باصطفاء واختيار الشعب الآخر الذى هو عندهم جاهل محتقر.

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم والنسائى.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده وحسنه الحافظ ابن حجر.

(٣) أخرجه النسائى وأحمد.

(٤) انظر النبى المنتظر ص ٣٥ ، وعقيدة المسلم، فصل الإيمان بالرسل.

ولا شك أن المقصود بالشعب الجاهل العرب، لأنهم كانوا فى غاية الجهل والضلال، ولم يكن عندهم اتجاه إلى العلم، سواء كان من العلوم الشرعية أو العلوم العقلية أو التجريبية، وكان معظمهم أميا لا يقرأ ولا يكتب، وكانوا يعبدون الأصنام ويئدون البنات، ويغير بعضهم على بعض، كما كانوا محتقرين لدى اليهود، لكونهم من أولاد جارية إبراهيم - عليه السلام - هاجر.

وأوفى الله بما وعد، فبعد أن كان بنو إسرائيل أفضل العالمين فى زمانهم، استبدل بهم قوما غيرهم، وهم العرب الأميون، فبعث فيهم رسولا منهم، أميا مثلهم، فهداهم من الضلال، وجمعهم من الشتات، وألف بين قلوبهم على الحق والخير. قال الله سبحانه:

﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُم يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُم الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِين﴾ [الجمعة ٢].. كما فضّل أمته على سائر الأمم..

* هذا - ويؤيد ذلك ما جاء فى المزامير: [الحجر الذى رفضه البناؤون صار حجر الزاوية لذلك أقول لكم: إن مُلك الله ينزع منكم، ويُعطى لأمة تحمل ثماره]

* هذا - ويؤيد ذلك ما جاء فى المزامير: الحجر الذى رفضه البناؤون صار حجر الزاوية لذلك أقول لكم: إن مُلك الله ينزع منكم، ويُعطى لأمة تحمل ثماره].

وقد نُزع منهم، وحملت ثماره أمة محمد - ﷺ - فأخرجت الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام وسماحته.

* عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى، كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلّا موضع لبنة من زاوية من زواياه. فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضِعت هذه اللبنة؟ فأنا اللّبنة وأنا خاتم النبيين[١]».

أى فكنت أنا اللبنة وختمت الأنبياء.

البشارة الثالثة

* جاء فى سفر التثنية، فى الإصحاح الثالث والثلاثين، ما يلى: [جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران، ومعه ألوف الأطهار.].

فمجيئه من طور سيناء: إنزاله التوراة على موسى - عليه السلام، وقد كلّمه ربه فى جبل الطور، حيث ناداه من واديه الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة، وهذا الأمر متفق عليه. وإشراقه

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

من ساعير: إنزاله الإنجيل على عيسى – عليه السلام. وساعير جبل ببلاد الشام بجانب بيت لحم، وهى القرية التى ولد فيها السيد المسيح، وبعضهم يطلق على أرض الجليل التى فيها مدينة الناصرة، ساعير، ويسمى جبالها جبال ساعير[1].

* واستعلانه من جبل فاران: إنزاله القرآن على محمد – ﷺ. وفاران: أحد الجبال المحيطة بمكة، وهو الذى فيه غار حراء، حيث نزل الوحى على رسول الله – ﷺ – أول مرة، وليس حول مكة جبل أعلى منه، وحوله جبال كثيرة، وليس هناك خلاف بين المسلمين وبين أهل الكتاب فى أن فاران هى مكة.

* وجاء فى سفر التكوين، فى الباب الحادى والعشرين، فى حال اسماعيل – عليه السلام – ما يلى:

٢٠ – [وكان الله معه ونما وسكن فى البرية، وصار شابا يرمى السهام.]

٢١ – [وسكن برية فاران، وأخذت له أمه امرأة من مصر]

ولا شك أن اسماعيل هو جد النبى محمد – ﷺ – وأن سكناه كانت بمكة بوادٍ غير ذى زرع، وذلك المكان يسمى برية فاران إلى اليوم.

وقد اعترف اليهود بأن الوحى هو المراد فى طور سيناء، فلابد أن يكون الأمر كذلك فى ساعير وفاران، ولم ينزل بعد المسيح – عليه السلام – كتاب فى برية فاران، أوجبالها إلاّ على محمد بن عبد الله – ﷺ – فعُلم أن المراد من [استعلانه بفاران]: إرسال محمد – ﷺ – وظهوره.

* فيكون الله سبحانه – ذكر الجبال الثلاثة حقا، وذكر الكتب المنزلة على الترتيب الزمانى.. فذكر إنزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن، كما قال سبحانه: ﴿الٓمٓ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[آل عمران ١-٣].

* وتلك الأماكن الثلاثة أقسم الله بها فى القرآن، حيث قال عز وجل: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ، لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين ١-٤].

فأقسم عز وجل – بالتين والزيتون، والمراد الأرض المقدسة التى نبت فيها ذلك، ومنها بُعث المسيح وأنزل عليه الإنجيل، وأقسم – عز شأنه – بطور سينين، وهو الجبل الذى كلم الله فيه موسى، وناداه من شاطئ الوادى الأيمن. وأقسم – جل جلاله – بالبلد الأمين، وهو البلد الذى أسكن فيه إبراهيمُ ابنه اسماعيل، وأمه هاجر.

قال الشهر ستانى: «ولما كانت الأسرار الإلهية، والأنوار الربانية فى الوحى والتنزيل على

---

(١) ورد فى التوراة أن نسل العيص كانوا سكانا بساعير، وأمر الله موسى ألاّ يؤذيهم.

مراتب ثلاث: مبدأ ووسط وكمال، والمجيء أشبه بالمبدأ، والظهور أشبه بالوسط، والإعلان أشبه بالكمال، عبرت التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجيء من طور سيناء، وعن طلوع الشمس بالظهور على ساعير، وعن البلوغ إلى درجة الكمال بالاستواء والإعلان على فاران»(١)

واليهود بأسرهم مجمعون على أن التوراة بشارة بواحد بعد موسى - عليه السلام، وإنما يفترقون فى تعيين ذلك الواحد، أو فى الزيادة عليه. ولذلك هاجر عدد كبير منهم من أوطانهم ببلاد الشام إلى تلك البقاع فى الجزيرة العربية، وأقاموا القلاع والحصون فى الأرض الواقعة بين حرّتين، وفيها نخل، فإنها دار هجرة رسول الله المنتظر، نبيّ آخر الزمان، لنصرته إذا ظهر. «فلما ظهر، وأعلن الحق بفاران وهاجر إلى دار هجرته، هجروه وتركوا نصرته(٢).

البشارة الرابعة

* جاء فى سفر دانيال الإصحاح الثانى: فى تعبير رؤيا الملك بختنصر:

٤٤ - [فأمّا فى أيام تلك الممالك، يبعث إله السماء مملكة لن تنقضى أبدًا، وملكها لا يُعطى لشعب آخر، وهى تُسحق وتُفنى جميع الممالك، وهى تثبت إلى الأبد].

وقد أعطى الله سبحانه السلطة لمحمد وأمته، ففتحوا شرقًا وغربا، وقضوا على الدولتين العُظْميين فى ذلك الوقت الفرس والروم، ثم تقدموا نحو أوربا تارة عن طريق الأندلس حتى وصلوا إلى بواتيه فى فرنسا، وتارة عن طريق تركيا شمالاً. وهذه السلطة لا تفنى أبدًا وإن اعتراها الوَهَن والضعف، بيد أنها لا تمحق، بل تبقى مرهوبة الجانب.

* عن المغيرة بن شعبة - رضى الله عنه، قال: قال رسول الله - ﷺ:

* لا يزال ناس من أُمّتى ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»(٣).

* وعن ثوبان - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يَضُرّهم من خذلهم، حتى يأتىأمر الله وهم كذلك»(٤).

فهذه هى السلطة الأبدية التى لا تنقضى، وملكها لا يُعطى لشعب آخر، وسيظهر كما لها عن

---

(١) الملل والنحل ٢١٣/١.

(٢) عبد الوهاب طويلة: وجاء النبى المنتظر ص ٥٢.

(٣) رواه البخارى ومسلم بالأسانيد المتصلة

(٤) رواه مسلم والترمذى وأبو داود.

قريب بإذن الله فى زمن المهدى، ونزول المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام.

* عن ابن عباس - رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله - ﷺ:

«لن تهلك أمة أنا أولها، ومهديها أوسطها، والمسيح آخرها».(١)

البشارة الخامسة

* جاء فى سفر أشعيا، فى الإصحاح الثانى والأربعين:

١ - هو ذا عبدى الذى أعضده، مختارى الذى سُرّت به نفسى، وضعت عليه روحى، فليخرج الحق للأمم]

٣ - [لا يصيح ولا يسمع فى الشارع صوته...]

٤ - [لا يكلّ ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته].

* وجاء أيضا: [الذى جعله الله عهدًا للشعب، ونورًا للأمم، ليفتح عيون العمىّ، ليخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن، الجالسين فى الظلمة.]

وبتحليل هذا النص، نجد أن هذه الصفات تتمثل فى محمد - ﷺ - بجلاء ووضوح:

(أ) فمحمد - ﷺ - اختاره الله واصطفاه، وأيده بنصره، ليخرج الحق للأمم كلها.

* عن واثلة بن الأسقع - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول:

«إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم»(٢).

* وعن المطلب بن وداعة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ -، قال:

«أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم، ثم جعلهم فرقتين، فجعلنى فى خير فرقة، ثم جعلهم قبائل، فجعلنى فى خير قبيلة، ثم جعلهم بيوتًا، فجعلنى فى خيرهم بيتا وخير نفسًا(٣)»

فهو - ﷺ - خيار من خيار من خيار، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

(ب) ومحمد - ﷺ - كان لا يرفع صوته فى الكلام من غير حاجة، وضحكه التبسّم.

* جاء فى التوراة ما نصه:

«يا أيها النبى إنا أرسلناك مبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل

(١) أخرجه أبو نُعيم.

(٢) رواه مسلم والترمذى.

(٣) رواه الترمذى وقال: حديث صحيح»

ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا صَخّاب فى الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به المِلّة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلّا الله، فيفتح به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غُلْفا»(١).

* وعن عائشة - رضى الله عنها - «أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يحدث حديثا لوعدّه العاد لأحصاه»(٢).

(جـ) ومحمد -ﷺ- لم يكل ولم ينكسر حتى وضع الحق فى الأرض، رغم ما اعتراه من الشدائد.

قال الله سبحانه:
﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَهُم﴾ [الأحقاف ٣٥].
أى داوم على الصبر واستمر عليه، علما بأنه ما أوذى أحد فى الله كما أوذى رسول الله.

(د) ومحمد - ﷺ - أرسله الله ليضىء الطريق للناس ويخلصهم مما هم فيه.

قال تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ومُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إلَى الله بِإذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب ٤٥].

ثانيا: بشارة عيسى بن مريم بمحمد - ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَإذْ قَالَ عِيسَىَ ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِى إسْرَائِيلَ إنِّى رَسُولُ الله إلَيْكُم مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف ٦]

لم تزل الأنبياء تبشر برسول الله محمد - ﷺ - وتصفه لأممها فى الكتب، وتأمرهم باتباعه ونصره ومؤازرته إذا بعث.

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - ما بعث الله نبيا إلّا أخذ عليه العهد، لئن بُعث محمد - ﷺ - وهو حى ليتبعَنّه، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته، لئن بعثَ محمد - ﷺ - وهم أحياء ليتبعنّه وينصرنه. وكان أول من ما اشتهر الأمر فى أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد

(١) أخرجه البخارى والطبرى.
(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى

الأنبياء بعده - عليهم السلام، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم، ثم على لسان عيسى بن مريم - عليه السلام.

* عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم، أنهم قالوا:

يا رسول الله.. أخبرنا عن نفسك، قال: «دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى عليهما الصلاة والسلام. ورأت أمى حين حملت بى كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بُصْرَى من أرض الشام»[1].

فمن الأغراض التى جاء عيسى بن مريم لتقريرها: البشارة باقتراب ملكوت السموات والأرض، أى الشريعة الإلهية التى يرسل الله بها النبى الأمى، ولذلك خاطب بنى إسرائيل قائلا:

* «إنى رسول الله إليكم، وقد بشَّرت التوراة بى، وأنا مصداق ما أخبرتْ عنه، وأنا أبشركم بِمَنْ بعدى، ألا وهو الرسول النبىّ الأمىّ العربى المكىّ أحمد».

فعيسى خاتم أنبياء بنى إسرائيل. وقدأقام فى ملئهم مبشرًا بمحمد، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين، الذى لا رسالة بعده ولا نبوة، فلما جاء أحمد المبشَّر به فى الأعصار المتقادمة، اتهموه بالسحر وغيره.

وكان المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام، يعبر عن المبشَّر به بلفظ النبى، وبلفظ مَسِيًّا[2] وبلفظ أحمد - فارقليط، كما جاء فى البشارات.

البشارة الأولى

* جاء فى إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر.. قول المسيح لأتباعه:

١٥ - [إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى - ١٦ - وأنا أطلب من الأب (أى الله) فيعطيكم «فارقليط» آخر، ليثبت معكم إلى الأبد].

٢٦ - [وأما الفار قليط روح القدس الذى سيرسله الأب باسمى، فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم]

٢٩ - [والآن قد قلت لكم قبل أن يكون، حتى إذا كان تؤمنون]

---

(١) رواه أحمد، ورواه ابن اسحاق بسنده، قال ابن كثير: إسناده جيد وله شواهد.

(٢) مسيا: كلمة آرمية تعنى رسول، والمسيح كلمة عربية معناها الملك أو النبى، وهو لقب لابن مريم، أما عيسى فأسم العلم له يشوع أى المخلِّص. [انظر قصص الأنبياء للنجار ص ٣٧٦-٣٩٨].

* وجاء فى الإصحاح الخامس عشر:

٢٦ - [ومتى جاء الفارقليط الذى أرسله إليكم من الأب، روحُ الحق الذى ينبثق من الأب، فهو يشهد لى]

٢٧ - [وأنتم أيضًا تشهدون، لأنكم معى من الابتداء]

* وفى الإصحاح السادس عشر.

٧ - لكنى أقول لكم الحق، أنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق، لا يأتيكم الفارقليط، فأما إن انطلقت فإنى أرسله إليكم - ٨ - ومتى جاء فهو يوبخ العالم على خطيئته وعلى بر وعلى دينونة]

١٢ - [وعندى أيضًا أشياء كثيرة أقولها لكم، غير أنكم لا تطيقون حملها الآن.

١٣ - ولكن متى جاء هو روح الحق فإنه يعلمكم الحق، لأنه لا يتكلم من عند نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية.

١٤ - إنه سيمجدنى، لأنه يأخذ مما لى ويخبركم.

إن المسيح عليه السلام - لفت انتباه السامعين إلى أن ماسيلقيه عليهم ضرورى وهام، واجب الحفظ والرعاية، فشوقهم إلى ذلك بقوله: [إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى] وذلك لما علم بنور النبوة وبالتجربة أن الكثيرين من بنى اسرائيل ينكرون النبى المبشَّر به، فأكد ذلك بتلك الفقرة. ثم أخبر بمجيئه: [وأنا أطلب من الله فيعطيكم فارقليط آخر].

ما معنى كلمة فارقليط؟

* فى الأناجيل المترجمة إلى العربية: المطبوعة فى لندن فى السنوات ١٨٢١، ١٨٣١، ١٨٤٤ ميلادية، ورد لفظ الفارقليط بمعنى روح القدس.

* وفى كتاب العهد الجديد، الصادر عن جمعيات الكتاب المقدس فى الشرق الأدنى عام ١٩٦٣ م - ورد بدلا من فارقليط لفظ «المعزّى» وهو اسم فاعل مشتق من العزاء، بمعنى الصبر، وتخفيف المصاب.

* وفى كتاب العهد الجديد الصادر عن المطبعة البولسية فى حريصا بلبنان عام ١٩٦٤ م. والذى يذكرون فى مقدمته أنه نقله عن اليونانية، وعَلّق عليه القَس جورج فاخورى، وقدمه إلى البطريرك مكسيموس الرابع، وجدتُ فيه كلمة «المحامى» بدلا من «الفارقليط» وبدلا من المعزّى.

ويعلّق القَس على ذلك فيقول فى الحاشية: وهذا المحامى المعزّى الذى يقيم فى الكنيسة إلى الأبد، ويكون شِبْه روح لها، هو الروح القدسي، الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس.

ولا نريد أن نخوض فى معنى الأقانيم وتكوّنها وتميزها عن بعضها، فإن ابن تيمية رحمه الله- يقول فى «كتاب الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» سألت أكثر من عشرين قسيسًا عن معنى الأقانيم؟ فأجابونى بأكثر من عشرين جوابا»

وعلى كل حال فالنصارى يرون أن الفارقليط أو المعزّى أو المحامى هو الروح القدسى، الأقنوم الثالث الذى وعد المسيح تلاميذه بأن ينزل عليهم، ويقيم معهم فى الكنيسة إلى الأبد، ويكون شِبْه روح لها.

* أما عن أصل الكلمة ومعناها..

فيقول الشيخ رحمة الله بن خليل الهندى: [١] إن من عادة أهل الكتاب أن يترجموا الأسماء، ولا يبقوها على لفظها، وعيسى - عليه السلام - كان يتكلم الآرامية المشتقة من العبرية، واللفظ العبرى مفقود. إذًا لم يبق شك فى أن يوحنا ترجم اسم المبشّر به إلى اليونانية، حسب عادتهم، ثم إن المترجمين إلى العربية عرّبوا اللفظ اليونانى بـ «فارقليط».

ثم يذكر رحمه الله - أنه قد وجد رسالة صغيرة باللغة الأردية لبعض القسس طبعت فى كلكتا، يدّعى مؤلفها أنه يحقق فى لفظ فارقليط، وملخص كلامه:

«أن هذا معرّب من اليونانى وأن الصحيح فيه «باراكليت» وهو بمعنى المعزّى والمعين والوكيل والشافع» ويدعى بأن علماء المسلمين التبس الأمر عليهم، ففهموا أن اللفظ فى الأصل «بيراكلوت» ومعناه قريب من محمد أو أحمد، فقالوا: إن عيسى بشر بمحمد - عليهما الصلاة والسلام.

ويرد الشيخ - رحمه الله - على ذلك بقوله: إن التفاوت بين اللفظين يسير جدًا، وإن الحروف اليونانية كانت متشابهة، فتبديل «بيراكلوت بباراكليت» قريب القياس، ثم رجح أهل التثليث هذه النسخة التى فيها «باراكليت» على النسخ الأخرى، أى التى فيها «بيراكلوت» ومثل هذا الأمر منهم ليس ببعيد.

وعلى كل فإن كانت الكلمة فى الأصل «بيراكلوت» بمعنى محمد أو أحمد أو محمود، فإن عيسى - عليه السلام. قد بشّر بمحمد - ﷺ - صراحة، كما هو الحال فى إنجيل برنابا، وكما هو صريح فى الآية الكريمة: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

وإن سلّمنا أنها كانت «باراكليت» بمعنى المعزّى والمعين والوكيل والشافع، فإن عيسى عليه السلام. قد كنّى عن رسول الله محمد- ﷺ لأن هذه المعانى كلها تصدق عليه[٢].

---

(١) إظهار الحق ٢٦١/٢ ، ٢٦٢.

(٢) وجاء النبى المنتظر ص ٧٩.

* إن الذى لاشك فيه، أن أهل الكتاب من يهود ونصارى كانوا ينتظرون بعث نبى قبل ظهور محمد- ﷺ والدليل على ذلك: (١)

١ - ماروى عن الراهب بحيرا، ومعرفته للنبى المنتظر.
٢ - مارواه عبد الله بن سرجس، عن رؤيته لخاتم النبوة.
٣ - ماروى عن ورقة بن نوفل وبدء الوحى.
٤ - ماروى عن أبى سفيان وهِرَقْل.
٥ - ماروى عن إسلام عبد الله بن سَلاَم.

* ونظرة فاحصة فى النصوص الإنجيلية السابقة نجد مايلى:
(أ) جاء فى الجملة (١٦): [وأنا أطلب من الأب- أى الله - فيعطيكم فارقليط آخر].

والنصارى يدّعون أنه روح القدس- كما ذكرنا من قبل، ولاصحة لا دعائهم، لأن هذا الروح كما يعتقدون متّحد بالأب مطلقًا، وبالابن من ناحية لاهوته- لامن ناحية ناسوته، اتحادًا حقيقيا، فلا يصدق فى حقّه أنه فارقليط آخر، بخلاف النبىّ المبشر به.

ثم إن كان معناه المعزّى والوكيل والشفيع- كما يقولون- فإن هذه الأمور من خواص النبوة، لا من خواص هذا الروح المتحد، كما ورد فى الجملة نفسها [أنه يقيم إلى الأبد]، وقد حفظ الله سبحانه القرآن صحيحًا سليمًا دون غيره من الكتب. قال سبحانه: ﴿إنا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ [الحجر ٩]

(ب) جاء فى الجملة (٢٦): [فهو يعلمكم كل شىء ويذكّركم بجميع ما قلته لكم]

وبالفعل، فإن رسالة محمد- ﷺ - تشمل جميع نواحى الحياة من علاقة الفرد بالفرد، إلى علاقة الأمة بغيرها من الأمم سلما وحربًا.

* عن سلمان- رضى الله عنه- وقال له المشركون: «إنه علمكم نبيّكم كل شىء حتى الخراءة؟» قال: أجل، لقد نهانا أن يستنجى أحدنا بيمينه، أو يستقبل القِبْلة بغائط أو بَوْل، ونهى عن الروثة والعظام، وقال لا يستنجى أحدكم بدون ثلاثة أحجار»(٢).

وقد ذكّر النبى - ﷺ - النصارى بكل ما قاله عيسى بن مريم، وما جاء به من التوحيد الخالص. ونهاهم عن التثليث والغلو فى الدين، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ الله يَاعِيسَى بن مَرْيَمَ أأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاس اتّخِذُونِى وأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ الله؟ قَالَ سُبْحَانَكَ مَايَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَالَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ [المائدة ١١٦]

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقى ج ٢. وجاء النبى المنتظر ص ١٠٥ ومابعدها.
(٢) أخرجه الخمسة إلا البخارى، واللفظ لمسلم.

* وعن أبي هريرة رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله - ﷺ يقول:
«أنا أولى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة، ليس بينى وبينه نبىّ، والأنبياء إخوة، أبناء علّات، أمهاتهم شتىّ ودينهم واحد»[١].

ولم يثبت من رسائل العهد الجديد، أن الحواريين كانوا قد نسوا ما قاله عيسى، ثم أتى هذا الروح النازل فذكرهم به.

(جـ) وجاء فى الجملة (٢٩): [والآن قد قُلت لكم قبل أن يكون، حتى إذا كان تؤمنون]
وهذا يدل على أن المراد به غير الروح القدس- كما يزعمون، كما أن عدم الإيمان ماكان مظنونًا منهم وقت نزوله، أما إذا حملنا النص على النبىّ المبشَّر به، فإن الكلام يكون حسنا.

(د) جاء فى الإصحاح (١٥) - فى الجملة (٢٦) : [فهو يشهد لى] ، وفى الجملة (٢٧) [وأنتم تشهدون لأنكم معى من الابتداء].

وبالفعل فقد شهد محمد - ﷺ - لعيسى بالنبوة، وأمر المسلمين بالإيمان به، وبّرأه مما نُسِب إليه من الألوهية، وبرَّأ أمه من تهمة الزنى التى ألصقها بها اليهود[٢].

أما ما يزعمون أنه الروح، فلم يشهد بشىء بين يدى أحد، لأن تلاميذ المسيح الذين نزل عليهم الروح - كما يزعمون كانوا يعرفون المسيح، وماكانوا محتاجين إلى هذه الشهادة، بل هم يشهدون بأن عيسى- عليه السلام- ما أخبر عن نفسه إلا أنه رسول يبشّر بنبى يأتى من بعده اسمه أحمد، أما من بعدهم، فقد التبس عليهم الأمر.

(هـ) جاء فى الاصحاح (١٦) الفقرة (٧): [إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم الفارقليط..] فعلّق مجيىء الفارقليط بذهابه، وهذا الروح بزعمهم، نزل على الحواريين فى حضوره لما أرسلهم إلى البلاد، وهو خلاف ما دلّ عليه النص، من أن مجىء الفارقليط مشروط بذهابه، فلا يكون المراد بالفارقليط هذا الروح الذى عنه يتكلمون، بل إنما المراد به شخص لم يره أحد من الحواريين، ومجيؤه يكون بعد ذهاب عيسى، ورفعه إلى السماء، فهو محمد- ﷺ بلا شك[٣].

(و) وجاء فى الفقرة (١٣): [ومتى جاء روح الحق فإنه يعلمكم جميع الحق، لأنه لا يتكلم من عند نفسه، بل كل مايسمع يتكلم به].

ومحمد- ﷺ - ماكان يتكلم من عند نفسه، بل يجعل الله كلامه فى فمه، ويكلم الناس بما يوحيه الله إليه من أمر أو نهى، كما سلف فى البشارة الأولى من بشارات العهد القديم[٤] قال سبحانه:
﴿قُلْ مَاكُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَاأَدْرِى ما يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَايُوحَى إِلَىَّ وَمَا أَنَا

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود.
(٢) أنظر الآية ٧٥ من المائدة.
(٣) وجاء النبى المنتظر ص ٨٤.
(٤) إظهار الحق ٢٧٨/٢ - ٢٩٧.

إلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف ٩].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم ٤]

(ز) وجاء فى الفقرة نفسها: [ويخبركم بأمور آتية].

وما الذى أخبر به الروح للحواريين أو لغيرهم من الأمور الغيبية الآتية؟.. لم يحدث هذا.

أما محمد - ﷺ - فقد أخبر عن أمور كثيرة ستقع فى المستقبل، منها ما وقع فأتت كما قال، ومنها مالم يقع حتى الآن، والمسلمون ينتظرون وقوعها.

١ - عن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنهما - قال:

«قام فينا رسول الله - ﷺ - مقاما، فما ترك شيئًا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدّثه، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد عَلِمه أصحابى هؤلاء، وإنه ليكون منه الشىء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه»(١)

٢ - وعن عمرو بن أخطب، رضى الله عنه، قال:

«صلى رسول الله - ﷺ يوما الفجر، وصعد على المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلّى، ثم صعد المنبر، فَخَطَبَنَا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن إلى يوم القيامة، قال: فأعلمنا أَحْفَظُنَا»(٢).

٣ - عن جابر بن سمرة، وأبى هريرة رضى الله عنهما - قالا: قال رسول الله - ﷺ:

«إذا هَلَكَ كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذى نفسى بيده، لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله»(٣).

وقد أنفقت كنوزهما فى سبيل الله، بعد وفاة النبى، ﷺ، ووزعت على أصحابه - رضى الله عنهم، فاجتمعت أكوام من المال أمام عمر - رضى الله عنه - فى مسجد رسول الله - ﷺ فجعل يقلّبها ويبكى، ثم وزعها.

٤ - وعن أبى ذر الغفارى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ:

«إنكم ستفتحون مصر، وهى أرض يسمى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا»(٤).

٥ - وعن حذيفة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ.

«تكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء الله أن يرفعها.

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) رواه البخارى ومسلم.

(٤) أخرجه مسلم.

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم يكون مُلْكًا عاضًا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها. ثم تكون مُلكًا جبريًا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت[١].

٦ – وعن أبي قبيل، قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنه، وسئل أى المدينتين تفتح أولا: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبد الله: «بينما نحن حول رسول الله – ﷺ – نَكْتُبْ، إذ سئل رسول الله: أى المدينتين تفتح أولًا: أقسطنطينية أو رمية؟ فقال رسول الله – ﷺ: مدينة هِرَقْل تفتح أولا، يعنى قسطنطينية[٦]

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند، وأخرجه البزار والطبرانى.

(٢) أخرجه أحمد فى المسند، والحاكم وصححه.

الباب الخامس

الأشخاص والأبطال فى عالم الشهادة

الفصل الأول : والدا الرسول.

الفصل الثانى : آل الرسول وزوجاته وأولاده.

الفصل الثالث : صحابته: نقباؤه ونجباؤه وأمناؤه وأمراؤه.

الفصل الرابع : الملوك والأمراء.. والقبائل والبطون والوفود.

الأشخاص والأبطال فى عالم الشهادة

هذا هو العنصر الخامس والأخير من عناصر التاريخ - كما حددها العلماء..

وهو عنصر هام يرتبط بالواقع، بالعالم المشهود والحياة الإنسانية، وصلة الرسول -ﷺ- بالآل والناس والمجتمع والأبطال.

وقد احتفل الحديث النبوى الشريف بالتأريخ والحديث عن الأشخاص الذين كان لهم علاقة برسول الله - ﷺ - فى عالم الحياة.

وهؤلاء الأشخاص أو الأبطال كثيرون، منهم من كان له أثر فى نفسه، وارتبط به بعلامة ما، ومنهم من لم يكن له علاقة تذكر.

ويهمنا فى هذا البحث هؤلاء الأشخاص الذين كان لهم أثر فى حياته - ﷺ - وتحدث عنهم، وسجّل أخبارهم فى حديثه الشريف.

فى مقدمة هؤلاء الأشخاص:

أولا: والدا الرسول ﷺ.

ثانيا: آل الرسول وزوجاته وأولاده.

ثالثا: صحابة الرسول - ﷺ : نقباؤه وأمراؤه ونجباؤه وأمناؤه.

رابعا: وبالإضافة إلى هؤلاء - هناك أفراد آخرون كانت له بهم علاقات معينة، واتصلوا برسول الله - ﷺ - بطريقة أو بأخرى - كما كان هناك وفود اتصلوا وملوك وأمراء وقبائل وبطون كانت بينه وبينهم علاقات واتصالات فى مناسبات عديدة.

وسنتناول فى هذا الباب هذه العلاقات التى ربطت بين رسول الله - ﷺ. وبين هؤلاء الأشخاص الذين كان لهم أثر كبير فى حياته - ﷺ - مما جعله يخلّدهم بحديثه الشريف.

الفصل الأول

والدا الرسول - ﷺ

سلك بعض العلماء - حين تعرضوا للحديث - عن والدى رسول الله - ﷺ -، مسلكين:

* المسلك الأول: يقول إنهما فى النار لأنهما لم يُسْلِما وتوفيا فى الجاهلية.

واستدل أصحاب هذا المسلك بأحاديث رسول الله عن أبويه فى مناسبات عديدة..

* فقد روى مسلم فى صحيحه، عن أنس بن مالك، أن رجلا قال: يا رسول الله.. أين أبى؟ قال: فى النار، فلما قفا دعاه فقال: «إن أبى وأباك فى النار».

* وروى مسلم أيضا، عن أبى هريرة - رضى الله عنه، أن النبى - ﷺ - استأذن فى الاستغفار لأمه فلم يؤذن له.

* وأخرج البزار والطبرانى والبيهقى، من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهرى، عن عامر بن سعد، عن أبيه، أن أعرابيا قال لرسول الله - ﷺ -: أين أبى؟ قال: فى النار، قال: فأين أبوك؟ قال: حيثما مررت بقبر كافر فبشّره بالنار».

- وقد زاد الطبرانى والبيهقى فى آخره، قال:

«فأسلم الأعرابى بعد، فقال: لقد كلفنى رسول الله - ﷺ. تعبا، ما مررت بقبر كافر إلّا بشّرته بالنار».

* أما المسلك الثانى: فقد مال إليه مجموعة أخرى من حفاظ الحديث، وهو أن الله أحيا له أبويه حتى آمنا به.

وهذا المسلك مال إليه ابن شاهين، والخطيب البغدادى، والسهيلى، والقرطبى، والمحبّ الطبرى، والعلّامة ناصر الدين ابن المنير، وغيرهم.

* واستدلوا لذلك بما أخرجه ابن شاهين فى «الناسخ والمنسوخ»، والخطيب البغدادى فى «السابق واللاحق» والدارقطنى وابن عساكر كلاهما فى «غرائب مالك»:

- عن عائشة - رضى الله عنها قالت: «حجّ بنا رسول الله -ﷺ- حجة الوداع، فمرّ بى على عقبة الحجون - وهو باك حزين مغتم، فنزل فمكث عنى طويلا ثم عاد إلىّ وهو فرح مبتسم، فقلت له، فقال: ذهبت بقبر أمى فسألت الله أن يحييها فأحياها فآمنت بى وردّها الله»(١).

(١) السيوطى: مسالك الحنفا ص ٦٤، رسالة ضمن الرسائل التسع، طبع دائرة المعارف العثمانية بالهند.

* وأورد السهيلي، في الروض الآنق» - بسنده - عن عائشة - رضى الله عنها. أن رسول الله - ﷺ - سأل ربه أن يحيى أبويه فأحياهما له، فآمنا به ثم أماتهما».

● وقال السهيلي بعد إيراده:

«الله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيّه -ﷺ- أهل أن يختص بما شاء من فضله، وينعم عليه بما شاء من كرامته.

● وقال القرطبي: لا تعارض بين حديث الإحياء، وحديث النهي عن الاستغفار، وأن حديث إحيائهما متأخر عن الاستغفار لهما، بدليل حديث عائشة - رضى الله عنها، أن ذلك كان في حجة الوداع. ولذلك جعله ابن شاهين ناسخا لما ذكر من الأخبار.

* وقال العلاّمة ناصر الدين بن المنير المالكي - في كتاب «المقتفى في شرف المصطفى»:
«قد وقع لنبينا - ﷺ، إحياء الموتى، نظير ما وقع لعيسى بن مريم.. إلى أن قال:
«وجاء في حديث، أن النبي - ﷺ - لما منع من الاستغفار للكفار، دعا الله أن يحيى له أبويه، فأحياهما فآمنا به وصدقا وماتا مؤمنين».

* وقال القرطبي: فضائل النبي - ﷺ - لم تزل تتوالى وتتتابع إلى حين مماته، فيكون هذا مما فضّله الله به وأكرمه، قال: «وليس إحياؤهما وإيمانهما به الممتنع عقلا ولا شرعًا»

وقد ورد في القرآن إحياء قتيل بني إسرائيل، والإخبار بقاتله، وكان عيسى عليه السلام - يُحيى الموتى، وكذلك نبينا - ﷺ - أحيا الله على يديه جماعة من الموتى.

قال: «وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته»[١]

* وقال الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس، في سيرته، بعد أن ذكر قصة الإحياء والأحاديث الواردة في التعذيب:

«وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين الروايات ما حاصله أن النبي - ﷺ - لم يزل راقيا في المقامات السنيّة، صاعدا في الدرجات العليّة، إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه، وأزلفه بما خصه لديه من الكرامات حين القدوم عليه، فمن الجائز أن يكون هذه درجة حصلت له - ﷺ - بعد أن لم تكن، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخرا عن تلك الأحاديث، فلا تعارض.

وقد أشار بعض العلماء إلى ذلك، فقال بعد إيراده خبر حليمة، وما أسداه - ﷺ - إليها حين قدومها عليه:

هَـذَا جَزَاءُ الأُمِّ عَنْ إِرْضَـاعِـهِ   لَكِن جَـزَاءُ الله عنـه عَـظِيمُ

---

(١) السيوطي: مسالك الحنفا ص ٦٥.

وكَـذَاكَ أَرْجُو أَنْ يكُونَ لأُمِّهِ عَنْ ذَاكَ آمِنَـةُ بـدر نَـعِيمُ
ويكـونُ أَحْيـاهَـا الإِلَـهُ وآمَنتْ بمحَمَّـدٍ فَحَـدِيثُـهـا مَعْـلُومُ
فَلَرُبَّمَا سَعِـدَتْ بـهِ أيْضًـا كَـمَا سَعِدَتْ بِهِ بَعْـدَ الشَّقَـاء حَلِيمُ

وقال الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقى، فى كتابه المسمى «مورد الصاوى فى مولد الهادى».

حَبَـا الله النَّبِىَّ مَـزِيـدَ فَضْـلٍ عَـلَى فَضْـلٍ وَكَـانَ بـه رَؤُوفًـا
فـأَحْـيَـا أُمَّـهُ وَكَـذَا أبـاً لإيمـانٍ بِـه فَـضْـلاً لَـطِيـفًـا
فَـسَلِّم فـالـقَـدِيمُ بـذا قَـدِيـرٌ وَإِنْ كَـانَ الحَـدِيثُ بـهِ ضَعِيفًـا

* وجمع من العلماء لم تقو عندهم هذه المسالك، فأبقوا حديثى مسلم ونحوهما، على ظاهرهما، من غير عدول عنهما، بدعوى نسخ ولا غيره، ومع ذلك قالوا:

«لا يجوز لأحد أن يذكر ذلك».

* قال السهيلى: فى «الروض الآنق» بعد إيراده حديث مسلم:

«وليس لنا بحق أن نقول ذلك فى أبويه - ﷺ - لقوله: «لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِى الدُّنْيَا والآخِرَةِ وأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مهِينًا﴾ [الأحزاب ٥٧]

وسئل القاضى أبوبكر ابن العربى، أحد الأئمة المالكية، عن رجل قال: «إن آباء النبى -ﷺ- فى النار، فأجاب: بأن من قال ذلك فهو ملعون، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَه لَعَنَهُم الله.. الآية﴾.

قال: ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه: إنه فى النار.

* ومن العلماء من ذهب إلى قول آخر، وهو «الوقف».

* قال الشيخ تاج الدين الفاكهانى - فى كتابه «الفجر المنير»: «الله أعلم بحال أبويه».

* وقال الباجى فى شرح الموطأ: «إنه لا يجوز أن يؤذى النبى - ﷺ - بفعل مُبَاح ولا غيره. وأما غيره من الناس، فيجوز أن يؤذى بمباح، وليس له المنع منه، ولا يأثم فاعل المباح وإن وصل بذلك أذى إلى غيره.

قال: ولذلك قال النبى -ﷺ-: إذا أراد على بن أبى طالب أن يتزوج ابنة أبى جهل، إنما فاطمة بضعة منى، وإنى لا أحرِّم ما أحل الله تعالى، ولكن والله لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبدًا». فجعل حكمها فى ذلك حكمه أنه لا يجوز أن يؤذى بمباح.

واحتج على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّـه... الآيتين﴾

فشرط على المؤمنين أن يؤذوا «بغير ما اكتسبوا» وأطلق الأذى فى خاصة النبى -ﷺ- من غير شرط[1].

* ومسألة والدى رسول الله - ﷺ - كانت سببا فى تأليف السيوطى لعدة رسائل هامة درس فيها هذه المسألة وغيرها. من هذه الرسائل.. رسالته القيّمة: «الدرج المنيفة فى الآباء الشريفة[1]»، قال فى مقدمتها: «ذهب جمع كثير من الأئمة الأعلام إلى أنهما ناجيان، ومحكوم لهما بالنجاة فى الآخرة، وهم أعلم الناس بأقوال من خالفهم.

وقال جمع آخر بغير ذلك، وهم لا يقصرون عنهم فى الدرجة، ومن أحفظ الناس للأحاديث والآثار، ومن أنقد الناس للأدلة التى استدل بها أولئك، فإنهم جامعون لأنواع العلوم، متضلعون من الفنون، خصوصا الأربعة التى يستمد منها فى هذه المسألة، فإنها مبنية على ثلاث قواعد: كلامية، وأصولية، وفقهية، وقاعدة رابعة مشتركة بين الحديث وأصول الفقه، مع ما يحتاج إليه من سعة الحفظ فى الحديث، وصحة النقد له، وطول الباع فى الاطلاع على أقوال الأئمة، وجمع متفرقات كلامهم.

فلا يظن بهم أنهم لم يقفوا على الأحاديث التى استدل بها أولئك، معاذ الله، بل وقفوا عليها، وخاضوا غمرتها، وأجابوا عنها الأجوبة المرضية التى لا يردها منصف، وأقاموا لما ذهبوا إليه أدلة كالجبال الرواسى، والفريقان أئمة أكابر أجلاء.

* وقد اختلف القائلون بالنجاة فى مدرك ذلك على ثلاث درجات:

* الدرجة الأولى: أن الدعوة لم تبلغ والديه، لأنهما كانا فى زمن فترة، عمَّ الجهل فيها أهل المشرق والمغرب، فلم يكن إذ ذاك أحد يبلغ الدعوة على وجهها، ولا يدرى شيئا من الشرائع، مع ضميمة أنهما قبضا فى حداثة السن، ولم يبلغا سنا يحتمل الوقوف على الأخبار والفحص عنها بالأسفار.

فإن والده - ﷺ - صحح الحافظ صلاح الدين العلائى، أنه عاش نحو ثمانى عشرة سنة، ووالدته عاشت نحو العشرين تقريبا، مع زيادة أنها مخدَّرة مصونة محجوبة فى البيت، لا تجتمع بالرجال، ولا تجد من يخبرها.

وحكم من لم تبلغه الدعوة باتفاق الأئمة الشافعية من الفقهاء، والأئمة الأشاعرة من أهل الكلام، وأصول الفقه، أنه يموت ناجيا، ويدخل الجنة، وعلى ذلك الإمام الشافعى، وتبعه سائر الأصحاب.

---

(١) السيوطى: مسالك الحنفا ص ٦٧.

(٢) انظر الرسائل التسع للسيوطى، الرسالة الثانية.

واستدلوا على ذلك بثمانى آيات من القرآن، وبستة أحاديث(١):

أما الآيات القرآنية:

فالآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[الإسراء ١٥].

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أن لَمْ يَكُن رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُون﴾ [الأنعام ١٣١].

والآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أن تُصِيبَهُم مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِين﴾ [القصص ٤٧].

والآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه ١٣٤].

والآية الخامسة: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى حَتَّى يَبْعثَ فِى أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص ٥٩].

والآية السادسة: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فاتَّبِعُوهُ واتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عن دِراسَتِهِمْ لَغَافِلِين﴾ [الأنعام ١٥٥، ١٥٦].

والآية السابعة: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ، ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِين﴾ [الشعراء ٢٠٨، ٢٠٩].

والآية الثامنة: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[فاطر ٣٧].

* وأما الأحاديث النبوية:

١ - فمنها - ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، واسحاق بن راهويه فى مسنديهما، والبيهقىّ فى الاعتقاد وصححه عن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن النبى - ﷺ، قال: «أربعة يحتجوّن يوم القيامة، رجل أصمّ لا يسمع شيئا، ورجل أحمق، ورجل هَرِم، ورجل مات فى فترة، فأما الأصم، فيقول: ربّ، لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا، وأما الأحمق، فيقول: لقد جاء الإسلام وصبيان يخذفوننى بالبعر، وأما الهَرِم، فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا، وأما الذى مات فى الفترة، فيقول: رب ما أتانى منك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلاما، ومن لم يدخلها يسحب إليها».

٢ - ومنها، ما أخرجه البزار فى مسنده بسند حسن على شرط الترمذى، عن أبى سعيد

(١) الدرج المنيفة ص ٣.

الخُدْرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ: «يؤتى بالهالك فى فترة، والمعتوه، والمولود، فيقول الهالك فى الفترة: لم يأتنى كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه: أى رب لم تجعل لى عقلا أعقل به خيرا ولا شرًا، ويقول المولود: لم أدرك العمل، فترفع لهم نار، فيُقال لهم: رِدُوها، فيدخلها من كان فى علم الله تعالى سعيدًا لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيا لو أدرك العمل، فيقول تبارك وتعالى: إياى عصيتم فكيف برسلى بالغيب».

٣ - ومنها ما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر - فى تفاسيرهم - بسند صحيح على شرط الشيخين، عن أبى هريرة - رضى الله عنه، قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الاسلام، ثم أرسل إليهم أن ادخلوا النار، فيقولون: كيف ولم يأتنا رسل، قال: وأيم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلاما، ثم يرسل عليهم أن أطيعوا، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه». قال أبو هريرة: فاقرءوا إن شئتم: ﴿وماكُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾.

٤ - وحديث رابع، أخرجه الحاكم فى مستدركه، من حديث ثوبان - رضى الله عنه، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقرّه الذهبى.

٥ - وحديث خامس، أخرجه البزار، وأبو يعلى من حديث أنس - رضى الله عنه.

٦ - وحديث سادس، أخرجه أبو نُعَيم فى «الحلية»، من حديث معاذ بن جبل - رضى الله عنه.

* قال العلماء: هذه الآيات والأحاديث ناسخة لكل ما خالفها من الأحاديث فى صحيح مسلم وغيره[1]. وقد مشى على ذلك المدرك جماعة آخرهم: قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى، فقال: «الظن بآبائه - ﷺ - كلهم، يعنى الذين ماتوا قبل البعثة، أنهم يطيعون عند الامتحان، لتقرّ به عينه - ﷺ - ويدل له من الأحاديث، ما أخرجه ابن جرير - فى تفسيره - عن ابن عباس، رضى الله عنهما، فى قوله تعالى: ﴿ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ قال: رضاء محمد - ﷺ - أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار.

* وما أخرجه الحاكم، وصححه، عن ابن مسعود - رضى الله عنه، أنه سئل النبى - ﷺ - عن أبويه، فقال: ما سألت ربى فيعطينى فيهما، وإنى لقائم يومئذ المقام المحمود. فهذا يلوح بترجى الشفاعة عند الامتحان، ولولا عدم بلوغهما الدعوة لم يكن هذه الشفاعة، لأن الشفاعة لا تكون لمن بلغته الدعوة وعاند.

* وقد صّرح - ﷺ - بهذا التلويح، فى حديث أخرجه الرازى فى فوائده، بسنده، عن ابن

(١) الدرج المنيفة ص ٥.

عمر، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله - ﷺ: «إذا كان يوم القيامة شفعت لأبى وأمى وعمى أبى طالب، وأخ لى كان فى الجاهلية». وهو ابن حليمة السعدية.

* الدرجة الثانية: أن الله أحياهما له فآمنا به. وذلك فى حجة الوداع. لحديث فى ذلك، عن عن عائشة - رضى الله عنها، أخرجه الخطيب البغدادى فى «السابق واللاحق» والدارقطنى وابن عساكر، كلاهما فى «غرائب مالك»، وابن شاهين فى «الناسخ والمنسوخ» وأورده السهيلى فى «الروض الآنق»، من وجه آخر، بلفظ آخر، وإسناده ضعيف.

وقد مال إليه هؤلاء الثلاثة مع ضعفه، وقال به الصلاح الصفدى فى نظم له، والحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقى فى أبيات له. «وجعلوه ناسخا لما خالفه من الأحاديث لتأخره، ولم يبالوا بضعفه لأن الحديث الضعيف يعمل به فى الفضائل والمناقب، وهذه منقبة(١)».

وقد أيد بعضهم هذا الحديث بالقاعدة التى اتفق عليها الأمة، أنه ما أوتى نبى معجزة أو خصيصة إلّا أوتى نبينا - ﷺ - مثلها، وقد أحيا الله تعالى لعيسى عليه السلام الموتى من قبورهم، فلابد أن يكون لنبينا -ﷺ- مثل ذلك، ولم يرو من هذا النوع إلّا هذه القصة، فلم يستبعد ثبوتها، وإن كان من هذا النمط نطق الذراع، وحنين الجذع.. إلّا أن هذه القصة عين ما وقع لعيسى - عليه السلام، فهو أشبه بالمماثلة.

ولاشك من الطرق التى يُعضد بها الحديث الضعيف موافقته القواعد المقررة.

* الدرجة الثالثة: أنهما كانا على التوحيد ودين ابراهيم - عليه السلام. وقد كان على ذلك طائفة من العرب الحنفاء، كزيد بن عمرو بن نفيل، وقُس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، وعمير بن حبيب الجهنى فى جماعة آخرين(٢).

وهذا رأى الإمام فخر الدين الرازى، وزاد: إن آباء النبى - ﷺ - كلهم إلى آدم على التوحيد، لم يكن فيهم مشرك، قال: ومما يدل على أن آباء محمد - ﷺ - ما كانوا مشركين، قوله ﷺ: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة ٢٨] فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا(٣). قال: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ، وتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء ٢١٨، ٢١٩] معناه: أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد.

ولهذا التقرير، فالآية دالة على أن جميع آباء محمد - ﷺ - كانوا مسلمين.

وقد وافقه على الاستدلال بالآية الثانية بهذا المعنى الامام الماوردى، صاحب «الحاوى الكبير».

---

(١) الدرج المنيفة ص ٦.

(٢) انظر كتابنا الشعراء الحنفاء - فصل التعريف بالحنفاء - طبع دار المعارف سنة ١٩٨١.

(٣) الدرج المنيفة ص ٨.

* **قال السيوطى:**[١] «وقد وجدت ما يعضد هذه المقالة من الأدلة ما بين مجمل ومفصل»:

* **فالمجمل:** دليل مركب من مقدمتين:

- **إحداهما:** أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من أصوله - عليه الصلاة والسلام - من آدم - عليه السلام - إلى أبيه خير أهل زمانه.

- **وثانيتهما:** الأحاديث الصحيحة والآثار، دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح - عليه السلام - إلى بعثة النبى - ﷺ - من أناس على الفطرة، يعبدون الله ويوحّدونه، ويصلّون له، وبهم تحفظ الأرض، ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها.

ومن أدلة المقدمة الأولى:

١ - **حديث البخارى:** «بعثت من خير قرون بنى آدم قَرْنًا فَقَرْنًا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه»

٢ - **وحديث البيهقى:** ما افترقت الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرهما، فأخرجت من بين أبوى، فلم يصبنى شىء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح لا من سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى وأمى، فأنا خيركم نفسًا وخيركم أبا»

٣ - **وحديث أبى نُعيم وغيره:** «لم يزل ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، مصفًّى مهذَّبًا لا ينشعب شُعْبتان إلاّ كنت فى خيرهما» فى أحاديث كثيرة.

ومن أدلة المقدمة الثانية

١ - ما أخرجه عبد الرزاق فى المصنف، وابن المنذر فى تفسيره بسند صحيح على شرط الشيخين، عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه، قال: «لم يزل على وجه الأرض من يعبد الله عليها»

٢ - وأخرج الإمام أحمد فى «الزهد»، والخلاّل فى كتاب «كرامات الأولياء»، بسند صحيح على شرط الشيخين، عن ابن عباس - رضى الله عنهما:

«ما خلت الأرض من بعد نوح - عليه السلام - من سبعة يدفع الله بهم العذاب عن أهل الأرض» فى آثار أخر.

وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج منها قطعا: أن آباء النبى - ﷺ - لم يكن فيهم مشرك، لأنه قد ثبت فى كل منهم أنه خير قرنه، فإن كان الناس الذين هم على الفطرة هم آباؤه فهو المدعى، وإن كان غيرهم، وهم على الشرك، لزم أحد الأمرين:

---

(١) الدرج المنيفة ص ٩ وما بعدها.

– إما أن يكون المشرك خيرا من المسلم، وهو باطل بنص القرآن والإجماع.
– وإما أن يكون غيرهم خيرا منهم، وهو باطل لمخالفته الأحاديث الصحيحة.
فوجب قطعا أن لا يكون فيهم مشرك ليكونوا خير أهل الأرض كلٌّ فى قرنه.

* وأما المفصل:

* فأخرج البزار فى مسنده، وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر فى تفاسيرهم، والحاكم فى المستدرك.

وصححه عن ابن عباس – رضى الله عنهما – فى قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة ٢١٣]

قال: بين آدم ونوح – عليهما السلام – عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين.

* وأخرج ابن أبي حاتم، عن قتادة، قال: «ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم علماء يُهتدى بهم، وعلى شريعة من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث الله نوحا، وكان أول رسول أرسله الله تعالى إلى أهل الأرض»

* وفى التنزيل حكاية عن نوح – عليه السلام، أنه قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح ٢٨]

فثبت بهذا إيمان أجداده – ﷺ – من آدم إلى نوح، وثبت بما قررناه، أن الأجداد الشريفة من آدم إلى ابراهيم – عليهم السلام، منصوص على إيمانهم، ومتفق عليهم، إلّا الخلاف فى آزر من حيث كونه أبًا وعمًا، فإن كان أبا استثنى من الأجداد، وإن كان عمًا خرج منها وسلمت السلسلة.

وأما من بعد إبراهيم واسماعيل – عليهما السلام، فقد اتفقت الأحاديث الصحيحة، ونصوص العلماء على أن العرب من بعد إبراهيم، وهم على دينه، لم يكفر منهم أحد قط، ولم يعبد صنما إلى عهد عمرو بن لحيّ الخزاعي، فإنه أول من غير دين ابراهيم – عليه السلام، وعبد الأصنام، وسيّب السوائب.

* أخرج البخارى ومسلم، عن أبي هريرة – رضى الله عنه، قال: قال رسول الله – ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قُصْبه فى النار، وكان أول من سيَّب السوائب»

* وأخرج أحمد فى مسنده، عن ابن مسعود – رضى الله عنه، عن النبى – ﷺ – قال: «إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإنى رأيته يجرّ أمعاءه فى النار»

فثبت بهذا التقرير، أن أجداده – ﷺ – من ابراهيم إلى كعب بن لؤى، وولده مرّة منصوص

على إيمانهم، ولم يختلف فيهم اثنان، ويقى بين مرّة وبين عبد المطلب أربعة آباء، هم: كلاب وقُصيّ وعبد مناف وهاشم، ولم يذكر فيهم نقل، لا بهذا ولا بهذا.

* ويقى ثلاثة أدلة متعلقة بعقب إبراهيم، المنظومين فى سلسلة نسبه الشريفة[1]

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيه وَقَوْمِهِ إِنَّنِى بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ. وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ﴾ [الزخرف ٢٦، ٢٧]

أخرج عبد بن حميد، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ﴾

قال: لا إله إلّا الله باقية فى عَقِب ابراهيم.

قال قتادة: شهادة أن لا إله إلّا الله والتوحيد، لايزال فى ذريته من يقولها بعده.

وقال ابن جريج: (فى عَقِبِه): فى عقب إبراهيم، فلم يزل بعد من ذرية ابراهيم من يقول: لا إله إلا الله.

والثانى: قال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى﴾ [ابراهيم ٤٠]

فلن يزال من ذرية إبراهيم أناس على الفطرة يعبدون الله.

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَدًا آمِنًا وارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ﴾ [البقرة ١٢٦]

وقوله تعالى: ﴿وإِذْ قال ابْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا البَلَدَ آمِنًا واجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم ٣٥]

* أخرج ابن جرير، عن مجاهد فى الآية، قال: فاستجاب الله تعالى لإبراهيم دعوته فى ولده، فلم يعبد أحدٌ من ولده صنما بعد دعوته، واستجاب الله له، وجعل هذا البلد آمنا، ورزق أهله من الثمرات، وجعله إماما، وجعل من ذريته من يقيم الصلاة.

* وأخرج ابن أبى حاتم، عن سفيان بن عيينة، أنه سئل: هل عَبَدَ أحد من ولد اسماعيل الأصنام؟

قال: لا، ألم تسمع قوله ﴿واجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أن نعبد الأصنام﴾

قال: لأنه دعاء لأهل البلد خاصة أن لا يعبدوا إذا أسكنهم فقال: ﴿اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِنًا﴾ ولم يدع لجميع البلدان بذلك، وقال: ﴿واجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ فيه، فقد خص أهله. فظهر بجميع ما قررناه من الأدلة والنقول مصداق ما قاله فخر الدين[2]

(١) الدرج المنيفة ص ١٤.

(٢) الدرج المنيفة ص ١٥.

* ولم يبق بعد المذكورين إلاّ عبد المطلب، وفيه خلاف بين الناس، والأحسن فى شأنه: أنه لم تبلغه الدعوة[١]

قال الشهرستانى: ظهر نور النبى - ﷺ - فى أسارير عبد المطلب بعض الظهور، وببركة ذلك النور أُلهم النذر فى ذبح ولده، وببركته قال لأبرهة: إن لهذا البيت ربا يحفظه، وببركة ذلك النور كان يأمر ولده بترك الظلم والبغى، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور، وببركة ذلك النور كان يقول فى وصاياه:

«إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى يُنتقم منه، وتُصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبته». فقيل لعبد المطلب فى ذلك، ففكر وقال: والله وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب فيها المسىء بإساءته.

فهذا يدل على أنه لم تبلغه الدعوة على وجهها، ولم يجد من يعرّفه حقيقة ما جاءت به الرسل، فإنه لو وَجَد من يخبره بأن الأنبياء جاءت بالبعث، لم يكن فى غفلة منه حتى وقعت هذه الواقعة، فتفكر فيها، واستدل بها على أن ثم دارًا أخرى[٢].

(١) انظر ترجمته فى كتاب الشعراء الحنفاء.
(٢) الدرج المنيفة ١٧.

الفصل الثانى

أزواجه وسراريه وأولاده

أولا: أزواجه -ﷺ-:

قال ابن هشام[1]: وكن تسعا: عائشة بنت أبى بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب، وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة، وسَوْدة بنت زَمْعة بن قيس، وزينب بنت جحش بن رئاب، وميمونة بنت الحارث بن حَزْن، وجُوَيْرِيَّة بنت الحارث بن أبى ضرار، وصفية بنت حيىّ بن أخطب، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم.

وكان جميع من تزوج رسول الله - ﷺ - ثلاث عَشْرَة.

قال العلاّمة القرطبى فى تفسيره: الجامع لأحكام القرآن، مانصه: «شرّف الله تعالى أزواج نبيّه - ﷺ - بأن جعلهن **أمهات للمؤمنين**، أى فى وجوب التعظيم، والمبرّة، والإجلال، وحرمة النكاح على الرجال، فكان ذلك تكريما لرسوله، وتشريفا لهن.

١ - خديجة بنت خُوَيْلد

وهى أول من تزوج، زوّجه إياها أبوها خويلد بن أسد، ويقال: أخوها عمرو بن خويلد، وأصدقها رسول الله - ﷺ - عشرين بكرة، فولدت لرسول الله - ﷺ - وُلْده كلهم إلاّ إبراهيم.

تزوجها الرسول الكريم - ﷺ - قبل البعثة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهى ثَيِّب ﴿أرملة﴾ بنت أربعين سنة.

وقد اختارها - ﷺ - لسداد رأيها ووفرة ذكائها، وكان زواجه بها زواجا حكيما موفقا، لأنه كان زواج العقل للعقل، ولم يكن فارق السن بينهما بالأمر الذى يقف عقبة فى طريق الزواج، لأنه لم يكن الغرض منه قضاء الوطر والشهوة، وإنما كان هدفا إنسانيا ساميا. فالرسول - ﷺ - هَيَّأه الله لحمل الرسالة، وتحمل أعباء الدعوة، وقد يسّر الله تعالى له هذه المرأة التّقية النقيّة، العاقلة الذكية، لتعينه على المضى فى تبليغ الدعوة، **فهى أول من آمن به من النساء**.

ويدل ما جاء فى الحديث النبوى الشريف على قوة عقلها، وسداد رأيها.. فالرسول - ﷺ -

---

(١) السيرة النبوية ٦٤٣/٤. وسيكون اعتمادنا فى التأريخ لهن على الحديث النبوى الشريف استمرارًا لمنهجنا فى البحث.

حين جاءه جبريل وهو فى غار حراء، رجع إلى خديجة يرجف فؤاده، فدخل عليها وهو يقول: زمِّلُونى زمِّلونى، حتى ذهب عنه الروع، فحدَّثها بالخبر، وقال لها: لقد خشيت على نفسى، فقالت له: «أبشر، كلَّا والله ما يُخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق(١)».

* وقد تحدث الرسول - ﷺ - عن خديجة كثيرا: من ذلك حديث على رضى الله عنه، قال: سمعتُ النبى - ﷺ - يقول: «خير نسائها مَريمُ بنة عمران، وخير نِسَائِها خديجة(٢)».

وكانت السيدة عائشة تغار منها مع أنها لم تجتمع معها ولم ترها، حتى تجرأت مرة عليه، عند ذكره لها، فقالت: «وهل كانت إلّا عجوزًا فى غابر الأزمان، قد أبدلك الله خيرا منها؟ تعنى نفسها. فغضب - ﷺ - من هذه الكلمة، وقال لها: «لا والله ما أبدلنى خيرًا منها، لقد آمنت بى إذ كفر الناس، وصدَّقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء». قالت: فلم أذكرها بسوء بعده أبدًا(٣).

* وروى الشيخان عنها أنها قالت: «ما غِرْتُ على أحد من نساء النبى -ﷺ- ما غِرْتُ على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبى - ﷺ - يُكثر ذكرها، وَرُبَّما ذَبَحَ الشَّاةَ ثم يقطِّعها أعضاء، ثم يَبْعَثُها فى صدائق خديجة، فربما قلتُ له: كأنه لم يكن فى الدنيا امرأةٌ إلّا خديجة؟ فيقول: «إنها كانت، وكانت، وكان لى منها ولد»(٤).

* وروى الشيخان، حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: «أتى جبريلُ النبى - ﷺ - فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدَام - أو طعام وشراب - فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربِّها وَمِنِّى، وَبَشِّرها ببيت فى الجنة من قَصَب، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ(٥)».

* وروى الشيخان من حديث عائشة - رضى الله عنها - قالت: «استأذنت هالة بنت خُوَيْلد، أخت خديجة، على رسول الله - ﷺ فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك، فقال: «اللَّهُمَّ هَالَة». قالت: فغرت فقلْتُ: ما تَذْكُرُ من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشِّدْقَين، هلكت فى الدهر، قد أبدلك اللهُ خيرًا منها(٦)».

وهالة بنت خويلد: هى زوج الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس، والد أبى العاص بن

---

(١) الحديث بتمامه فى الصحيحين.

(٢) أخرجه البخارى، وهو فى اللؤلؤ والمرجان - فضائل الصحابة ص ١٣٨.

(٣) رواه الشيخان، اللؤلؤ والمرجان ١٣٩.

(٤) رواه الشيخان، وهو فى اللؤلؤ والمرجان ١٣٩.

(٥) اللؤلؤ والمرجان ١٣٩.

(٦) رواه الشيخان وهو فى اللؤلؤ والمرجان ص ١٤٠.

الرَّبيع، زوج زينب بنت النبى، فعرف استئذان خديجة، أى صفة استئذان خديجة، لشبه صوتها بصوت أختها، فتذكر خديجة بذلك، فارتاع، أى فزع وتغيرَّ، فقال اللهم: أى اجعلها.

عاشت خديجة مع رسول الله - ﷺ - خمسا وعشرين سنة، خمس عشرة قبل البعثة، وعشرًا بعدها، ولم يتزوج الرسول الكريم امرأة عليها، ورُزق منها جميع أولاده إلا ابراهيم، فإنه كان من جاريته مارية القبطية، والمتفق عليه من أولاده منها: القاسم، وبه كان يكنّى، مات صغيرا قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع: زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، وعبد الله، ولد بعد المبعث، فكان يقال له الطاهر والطيب، ويقال: هما أخوان له، ومات الذكور صغارا بالاتفاق.

وحين انتقلت خديجة إلى رحمه الله، كان الرسول قد بلغ الخمسين من العمر، وليس عنده سواها، فلم يعدد زوجاته إلّا بعد وفاتها، ودُفنت بالحجون، ولم تكن الصلاة على الجنائز يومئذ[١]. ونزل الرسول - ﷺ - فى قبرها. وهى أولى زوجات النبى - ﷺ - وفاة.

٢ - سَوْدَة بنت زمعة

وتزوج رسول الله -ﷺ- سَودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ، زوّجه إياها سليط بن عمر، ويقال: أبو حاطب بن عمرو بن شمس، وأصدقها رسول الله - ﷺ - أربعمائة درهم. تزوجها رسول الله - ﷺ - بعد وفاة خديجة.

وهى أرملة السكران بن عمرو الأنصارى، والحكمة فى اختيارها، مع أنها أكبر سنا من رسول الله، أنها كانت من المؤمنات المهاجرات، توفى عنها زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية، فأصبحت فريدة وحيدة، لا معيل لها ولا معين، ولو عادت إلى أهلها - بعد وفاة زوجها - لأكرهوها على الشرك، أُو عذّبوها عذابا نكرًا، ليفتنوها عن الإسلام، فاختار - ﷺ - كفالتها فتزوجها.

* **تقول كتب السيرة**: بعد أن ماتت خديجة لم يبق فى بيت الرسول - ﷺ - من يرعى شؤونه، ويخدم البنات، وجَلَب ذلك انتباه السيدة خولة بنت حكيم، امرأة عثمان بن مظعون، فأتت الرسول - ﷺ - وفاتحته فى أمر زواجه[٢]، فقال: من؟ قالت: سَوْدة بنت زمعة، وقد آمنت بك واتبعتك، فقال: اذكريها.

فجاءت إلى السيدة سَودة، وقالت لها: ما أدخل الله عليك من الخير والبركة، قالت: وما ذاك؟ قالت: إن رسول الله - ﷺ - بعثنى إليك قالت: وددت ذلك، ولكن ادخلى على أبى، فدخلت خولة

---

(١) السيرة الحلبية ٣٧٧/١، محمد رسول الله ص ١١٢.

(٢) حياة الصحابة ٣٠٧/٣.

على أبيها زمعة وحيّف،وقالت: إن محمدًا بن عبد الله يذكر سودة. قال: هو كفؤ كريم، ما تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك، قال لها: فقولى له فليأت.

وجاء الرسول - ﷺ - فخطبها وتزوجها وأصدقها أربعمائة درهم[١]. ودخل بها فى شهر رمضان من السنة العاشرة للمبعث فى مكة، فى الشهر الذى ماتت فيه السيدة خديجة. ولما صارت الهجرة، وهاجر الرسول - ﷺ، واستقر بالمدينة، بعث إلى مكة من جاء بها مع أهل بيته.

كانت السيدة سَوْدة - رضى الله عنها - امرأة مسنّة، ثقيلة الجسم، ويروى عنها قولها: «ووالله ما بى على الأزواج حرص، ولكن أحب أن يبعثنى الله تعالى يوم القيامة زوجا للرسول - ﷺ[٢]».

كما كانت كريمة تحب الصدقة والإحسان إلى الفقراء والمساكين: «ولما رأت نفسها أنها عاجزة تجاه النبى المصطفى - ﷺ - وهبت ليلتها من رسول الله إلى السيدة عائشة تلتمس بذلك رضاءه، وقالت له: «يا رسول الله.. لا تطلقنى، وأجلسنى مع نسائك، ولا تقْسِم لى، واجعل يومى لعائشة[٣]» ودعنى أُحشر فى جملة نسائك[٤].

لذلك فإن السيدة عائشة كانت تحبها، وفيها قالت: «ما رأيت امرأة أحب إلى أن أكون فى جلدها من سودة بنت زمعة[٥]» ولثقل جسمها كان الرسول - ﷺ - يضحك من مشيتها، ويأنس أحيانا إلى خفة روحها. وتوفيت فى المدينة فى شهر شوال سنة أربع وخمسين للهجرة[٦].

٣ - عائشة

وتزوج رسول الله - ﷺ - عائشة بنت أبى بكر الصديق بمكة، وهى بنت سبع سنين، وبَنَى بها بالمدينة، وهى بنت تسع سنين أو عشر، ولم يتزوج رسول الله - ﷺ - بكرًا غيرها، زوّجه إياها أبوها أبو بكر، وأصدقها رسول الله - ﷺ - أربعمائة درهم.

* ويدل ما جاء فى الحديث النبوى الشريف، أنها كانت أذكى أمهات المؤمنين وأحفظهن، بل كانت أَعْلَم من أكثر الرجال، فقد كان كثير من كبار علماء الصحابة، يسألونها عن بعض الأحكام التى تشكل عليهم فتحلّها لهم.

* روى عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - أنه قال: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله - ﷺ - حديث قط، فسألنا عائشة إلّا وجدنا عندها منه علما».

---

(١) السيرة الحلبية ٣٧٨/١.
(٢) نساء النبى ص ٤٥.
(٣) تفسير مجمع البيان ١٢٠/٣.
(٤) تفسير روح المعانى ١٤٣/١٣.
(٥) الطبقات الكبرى ٥٤/٨.
(٦) الطبقات الكبرى ٥٧/٢.

* وقال أبو الضحى عن مسروق: «رأيت مشيخة أصحاب رسول الله الأكابر يسألونها عن الفرائض».

* وقال عروة بن الزبير: «ما رأيت امرأة أعلم بطبٍّ ولا فقه، ولا شِعْر من عائشة».

ولا عجب فكل كتب الحديث تشهد بعلمها الغزير، وعقلها الكبير، فلم يرد فى الصحيح عن أحد من الرجال أكثر مما روى عنها إلا شخصان هما: أبوهريرة، وعبدالله بن عمر، رضى الله عنهما.

وكان - ﷺ - يحب عائشة أكثر من بقية نسائه، وكان يعدل بينهن فى القسمة، ويقول: «اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما لا أملك». سُئل مرة: «من أحب إليك من الناس؟ قال: عائشة، قيل: ومن الرجال: قال: أبوها».

* روى الشيخان، من حديث عائشة - رضى الله عنها - أن النبى - ﷺ - قال لها: «أُريتُكِ فى المَنَامِ مَرَّتَيْنِ، أَرَى أَنَّكِ فى سَرَقَةٍ من حرير، ويقول: هذه امرأتُكَ، فاكْشِف عنها، فإذا هى أَنْتِ، فأقُول: إنْ يَكُ هذا من عِنْدِ الله يُمْضِهِ(١)».

وسَرَقة: هى الشقق البيض من الحرير، وقوله ﷺ: إن يك هذا من عند الله يُمْضه. قال فى شرح المشكاة: هذا الشرط مما يقوله المتحقق لثبوت الأمر، المدل بصحته، تقريرًا لوقوع الجزاء وتحققه.

* وروى الشيخان أيضا، من حديث عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال لى رسول الله - ﷺ، «إنى لأعلم إذَا كُنتِ عنىٍّ راضية، وإذا كنت علىَّ غَضْبىَ» قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: «أما إذا كُنتِ عنىٍّ راضية فإنك تقولين: «لا، وربِّ محمد، وَإِذا كُنْتِ غَضْبىَ قُلْتِ: لا، ورب إبراهيم، قالت: قُلت: أجَلْ والله يا رسول الله ما أهجر إلاّ اسْمَكَ(٢)».

ففى هذا الحديث الحكم بالقرائن، لأنه - ﷺ - حكم برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها اسمه الشريف وسكوتها، واستدل على كمال فطنتها وقوة ذكائها بتخصيصها إبراهيم - عليه السلام - دون غيره، لأنه - ﷺ - أولى الناس به كما فى التنزيل، فلما لم يكن لها بُدّ من هجر اسمه الشريف، أبدلته بمن هو منه بسبيل. حتى لا تخرج عن دائرة التعلق بالجملة.

وقولها: «والله يارسول الله ما أهجر إلا اسمك» هذا الحصر فى غاية من اللطف فى الجواب، لأنها أخبرت أنها إذا كانت فى غاية الغضب الذى يسلب العاقل اختياره، لا يغيرها عن كمال المحبة المستغرقة ظاهرها وباطنها، الممتزجة بروحها، وإنما عبرت عن الترك بالهجران لتدل به على أنها تتألم من هذا الترك الذى لا اختيار لها فيه.

* وروى الشيخان، من حديث عائشة- رضى الله عنها- قالت:

---

(١) وهى فى اللؤلؤ والمرجان ص ١٤٠.

(٢) أخرجه البخارى، وهو فى اللؤلؤ والمرجان ص١٤١.

«إن الناس كانوا يتحرّون بهداياهُم يوم عائشة، يبتغون بها، أو يبتغون بذلك مرضاة رسول الله - ﷺ»(١).

* وفى فضلها ومكانتها.. روى الشيخان من حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه، قال: «سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «فَضْل عائشة على النساء كَفَضْل الثَّريد على الطعام»(٢).

* وروى الشيخان من حديث عائشة رضى الله عنها، أن النبى - ﷺ، قال لها: «يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى مَالاَ أرى، تريد النبى - ﷺ(٣).

ولما نزلت آية التخيير، بدأ بعائشة، فقال لها: إنى ذاكر لك أمرًا فلا تعجلى حتى تستأمرى أبويك.

قالت: وقد علم أن أبوىَّ لم يكونا يأمرانى بفراقه، فقرأ عليها:

﴿يَـٰأَيُّهَا النَّبِىُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ [الأحزاب ٢٨]

فقالت: أوفى هذا أستأمر أبوى؟ فإنى أريد الله ورسوله، والدار الآخرة.

وفى فضلها نزلت الآيات فى تبرئتها من حادث الإفك تتلى آناء الليل وأطراف النهار.

* ولقد تُوفى رسول الله - ﷺ فى حجرة عائشة، وكانت رأسه بين نحرها وسَحْرِها.

* روى الشيخان - من حديث عائشة - رضى الله عنها.

«أن رسول الله - ﷺ - كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه، يقول:

«أينَ أنا غدًا؟ أين أنا غدًا» يريد يوم عائشة، فأذِنَ له أَزْواجه يكون حيث شاء، فكان فى بيت عائشة حتى مات عندها.

قالت عائشة: فمات فى اليوم الذى كان يدور عَلَىَّ فيه، فى بيتى، فقبضه الله، وإنّ رأسه لَبَيْنَ نَحْرِى وسَحْرِى(٤).

* وروى الشيخان من حديث عائشة، أنها سمِعت النبىّ - ﷺ - وأصغَتْ إليه قَبْلَ أن يموت وهو مسنِدٌ إلى ظَهْرَهُ يقول: «اللهم اغفرْ لى وارحمنى وألحقنى بالرفيق»(٥).

---

(١) اللؤلؤ والمرجان ص١٤١.
(٢) اللؤلؤ والمرجان ص١٤٣.
(٣) اللؤلؤ والمرجان ص١٤٤.
(٤) أخرجه البخارى باب مرض النبى - ﷺ ووفاته، واللؤلؤ والمرجان ص١٤٠.
(٥) اللؤلؤ والمرجان ص١٤٢.

ولما مات رسول الله - ﷺ كان لها من العمر ثمانية عشرة سنة[١]، وقد بقيت عنده تسع سنين[٢]، وامتد بها العمر حتى أيام معاوية بن أبي سفيان، ولما حدثها ابن عباس عن نفسها قالت: «ياليتنى كنتُ نسيًا منسيا»[٣]

وماتت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة مضت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين للهجرة، ولها من العمر ست وستون سنة، وصلى عليها أبو هريرة بعد الوتر، ودفنت ليلًا بالبقيع[٤]- كما أرادت فى ولاية مروان بن الحكم على المدينة، وأوصت إلى عبدالله بن الزبير.

٤ - حفصة بنت عمر

وتزوج رسول الله - ﷺ - حفصة بنت عمر بن الخطاب، زوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب، وأصدقها رسول الله - ﷺ - أربعمائة درهم. وكانت قبله عند خُنيس بن حُذافة السَّهْمى، وقد استشهد فى غزوة بدر، بعد أن أبلى بلاء حسنا، فقد كان من الشجعان الأبطال، وتركها أرملة وهى فى الثامنة عشرة من العمر.

وكان أبوها قد عرضها على عثمان بنّ عفان بعد وفاة زوجته رقيّة بنت الرسول، ثم تزوجها الرسول - ﷺ - فكان ذلك أعظم إكرام ومنّه وإحسان لأبيها عمر بن الخطاب.

* أخرج البخارى - عن عبد الله بن عمر، رضى الله عنهما - أن عمر حين تأيمت حفصة، لقى عثمان، فقال: إن شئت أنكحتك حفصة؟ قال: سأنظر فى أمرى، فلبث ليالى، فقال: قد بدا لى أن لا أتزوج، قال عمر: فقلت لأبى بكر: إن شئت أنكحتك حفصة، فصمَت، فكنت عليه أوجد منى على عثمان. فلبث ليالى ثم خطبها النبى ﷺ - فأنكحتها إياه. فلقينى أبو بكر فقال: لعلك وجدت علىَّ حين عرضت عَلَيَّ حفصة، فلم أرجع إليك شيئًا؟ قلت: نعم، قال: إنه لم يمنعنى أن أرجع إليك إلّا أنى علمت أن النبى - ﷺ - ذكرها، فلم أكن لأفشى سره، ولو تركها لقبلتها.

وفى رواية أخرى، أن عمر بن الخطاب انطلق يشكو صاحبيه إلى رسول الله - ﷺ - فابتسم الرسول - ﷺ، وقال:

«يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة»[٥]

فعاد عمر متهلل الوجه يزف البشرى لابنته، ولقيه أبو بكر فهنأه واعتذر قائلا: «لا تجد علىَّ

(١) الطبقات الكبرى ٨/٦٠، والكامل فى التاريخ ٢/٢٠٤.
(٢) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ١٨٨٢/٤.
(٣) الطبقات الكبرى ٧٥/٨.
(٤) الشجرة المحمدية ١٠٢.
(٥) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ١٨٧/١٤.

يا عمر، فإن رسول الله ذكر حفصة، فلم أكن لأفشى سر رسول الله، ولو تركها لتزوجتها.

وعاشت السيدة حفصة مع زوجات النبى - ﷺ - الأخريات، ثم طلقها النبى تطليقة واحدة ولما أراد أن يطلقها نهائيا، جاءه جبريل عليه السلام، وقال له: «لا تطلقها فإنها صوّامة قوامة، وإنها زوجتك فى الجنة[1] فعاد وراجعها[2].

وبعد وفاة الرسول - ﷺ - تفرغت السيدة حفصة للعبادة.

وروى عنها جماعة من الصحابة والتابعين، روى البخارى ومسلم فى الصحيحين ستين حديثًا عنها[3].

وعندما جمع أبو بكر الصديق القرآن فى مصحف، أودعه لدى السيدة حفصة.

وماتت فى المدينة فى شهر شعبان سنة خمس وأربعين للهجرة، وهى ابنة ستين سنة، وصلى عليها مروان بن الحكم، ودفنت بالبقيع، وأوصت إلى أخيها عبد الله بما أوصى به إليها عمر.

٥ - زينب بنت خُزيمة

وتزوج رسول الله - ﷺ - زينب بنت خُزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف، وكانت تسمى أم المساكين[4]، لرحمتها إياهم، ورقتها عليهم، زوّجه إياها قبيصة بن عمرو الهلالى، وأصدقها رسول الله - ﷺ - أربعمائة درهم.

وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، شهيد الإسلام، الذى استشهد فى أول مبارزة فى غزوة بدر[5] وقد كانت حين استشهاد زوجها تقوم بواجبها فى إسعاف الجرحى، وتضميد جراحهم، ولم يشغلها استشهاد زوجها عن القيام بواجبها حتى كتب الله النصر للمؤمنين فى أول معركة خاضوها مع المشركين ولما علم رسول الله - ﷺ - بصبرها وثباتها وجهادها، وأنه لم يعد هناك من يعولها خطبها لنفسه وآواها.

وكانت قد بلغت الستين فى عمرها حين تزوج بها النبى - ﷺ، ولم تعمرّ عند النبى الكريم سوى عامين، ثم توفاها الله إليه راضية مرضية، واختلف الرواة فى المدة التى أقامتها فى بيت النبى - ﷺ - فقيل: إنها شهران، وقيل: إنها ثلاثة، وقيل: ثمانية.

وماتت فى شهر ربيع الأول من السنة الرابعة[6]- فى حياة الرسول- ﷺ، ولم يمت غيرها من

---

(١) الطبقات الكبرى ٨٤/٨.
(٢) السيرة الحلبية ٣٥٣/٣.
(٣) القاموس الاسلامى ١١٧/٢.
(٤) سيرة ابن هشام ٢٩٦/٤.
(٥) السيرة الحلبية ٣٥٧/٣.
(٦) الطبقات الكبرى ١١٥/٨.

نسائه فى حياته[١]. فى المدينة، وصلى عليها الرسول- ﷺ، ودفنت بالبقيع.

وروى عنها سبعة أحاديث[٢].

٦ - أم سَلَمة

وتزوج رسول الله - ﷺ أم سلمة هند بنت أبى أُمَيّة بن المغيرة المخزومية، زوجه إياها سلمة بن أبى سلمة ابنها، وأصدقها رسول الله- ﷺ فراشا حشوه ليف، وقَدَحا وصَحْفة، ومجشة[٣]. وكانت قبله عند أبى سلمة بن عبد الأسد، وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، وكانت معه خرجت فرارًا بدينها، واستشهد زوجها فى غزوة أحد، فبقيت هى وأيتامها الأربعة بلا كفيل ولا معيل، فلم ير- ﷺ - عزاء ولا كافلا لها ولأولادها غير أن يتزوج بها، ولما خطبها لنفسه اعتذرت إليه، وقالت:

«إنى مسنّة، وإنى أم أيتام، وإنى شديدة الغيرة»

فأجابها - ﷺ، وأرسل لها يقول: أما الأيتام فأضمهم إلىّ، وأدعو الله أن يذهب عن قلبك الغيرة، ولم يعبأ بالسن، فتزوجها - ﷺ - بعد موافقتها[٤]،ودخل بها فى شوال، وأقام عندها ثلاث ليال، ونزل عليه الوحى وهو فى منزلها.

وقد اجتمع لأم المؤمنين- أم سلمة- النسب الشريف، والسبق إلى الإسلام.

على أن لها فضيلة أخرى هى جودة الرأى، ويكفى دليلا على ذلك استشارة النبى - ﷺ - لها فى أهم ما أحزنه وأهمّه من أمر المسلمين، وذلك فى «صلح الحديبية».

فقد تأثر المسلمون بالغ التأثر من ذلك الصلح مع المشركين، على ترك الحرب عشر سنين بالشروط التى قدموها، ورأوا فى ذلك هضمًا لحقوقهم، مع أنهم كانوا فى أوج عظمتهم، وكان من أثر هذا الاستياء، أنهم تباطئوا عن تنفيذ أمر رسول الله حين أمرهم بالحلق أو التقصير، لأجل العودة إلى المدينة المنورة، فلم يمتثل أمره أحد.

فدخل الرسول- ﷺ - على أم سلمة، وقال لها: «هلك الناس، أمرتهم فلم يمتثلوا. فهوّنت عليه الأمر، وأشارت عليه بأن يخرج إليهم ويحلق رأسه أمامهم، وجزمت بأنهم لايترددون حينذاك عن الاقتداء به، لأنهم يعلمون أنه صار أمرًا مبرماً لا مردّ له، وكذلك كان.

فما أن خرج الرسول وأمر الحلّاق بحلق رأسه، حتى تسابقوا إلى الإقتداء به[٥] - ﷺ -

---

(١) الكامل فى التاريخ ٢٠٤/٢.

(٢) القاموس الإسلامى ١٦٩/٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٢٩٤/٤.

(٤) الطبقات الكبرى ٩٤/٨.

(٥) التاريخ الإسلامى العام ١٩٣.

فحلقوا وتحللوا، وكان ذلك بإشارة أم المؤمنين أم سلمة- رضى الله عنها، حيث ضربت بذلك أعلى مثل فى أصالة الرأى وبعد النظر.

* روى الشيخان، من فضائل أم سلمة، حديث أسامة بن زيد:

«أن جبريل - عليه السلام - أتى النبى- ﷺ - وعنده أم سلمة، فجعل يحدّث، ثم قام، فقال النبى- ﷺ - لأم سلمة: «من هذا؟» قالَ، قالت: هذا دحيّةُ..

قالت أم سلمة: «أيم الله ما حسبتهُ إلاّ إيّاه، حتى سمعتُ خطبة نبى الله - ﷺ - يُخْبِر جبريل[1]».

صحبتْ أم سلمة- رسول الله - ﷺ - فى خروجه لفتح مكة، وفى حصار الطائف، وغزوة هوازن وثقيف. ولما مرض رسول الله أذنت له أن يمرض حيث أحب.

وعاشت بعد الرسول - ﷺ - أعوامًا، وتقدم بها العمر حتى سمعت باستشهاد الحسين فى كربلاء.

وماتت السيدة أم سلمة فى شهر ذى القعدة سنة تسع وخمسين للهجرة، وصلى عليها أبو هريرة، ودفنت بالبقيع، ولها من العمر أربع وثمانون سنة، وهى آخر من مات من أزواج النبى ﷺ.

٧ - زينب بنت جَحْش

وتزوج رسول الله - ﷺ زينب بنت جَحْش بن رئاب الأسدية، زوّجه إياها أخوها أبو أحمد ابن جحش، وأَصْدَقَها رسول الله - ﷺ - أربعمائة درهم، وكانت قبله عند زيد بن حارثة، مولى رسول الله- ﷺ- ففيها أنزل الله تبارك وتعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا .. الآيَة﴾ [الأحزاب ٣٧]

وقد تزوجها رسول الله - ﷺ - لحكمة لا تعلوها حكمة فى زواج أحد من أزواجه، وهى إبطال بدعة التبنى، التى كان يفعلها العرب قبل الإسلام، فقد كانت دينا متوارثا عندهم، يتبنى أحدهم ولدًا ليس من صُلْبه، ويجعله فى حكم الولد الصُلبى، ويتخذه ابنا حقيقيا له حكم الأبناء من النسب فى جميع الأحوال. فى الميراث، والطلاق، والزواج، ومحرمات المصاهرة، ومحرمات النكاح، إلى غير ما هنا لك مما تعارفوا عليه. كان الواحد منهم يتبنى ولد غيره فيقول له: «أنت ابنى، أرثك وترثنى».

وماكان الإسلام ليقرهم على باطل ولايتركهم يتخبطون فى ظلمات الجهالة، فمهّد لذلك بأن ألهم

(١) أخرجه البخارى فى كتاب المناقب، واللؤلؤ والمرجان ص١٥٤.

رسوله ﷺ - أن يتبنى أحد الأبناء، وكان ذلك قبل البعثة النبوية، فتبنى - ﷺ «زيد بن حارثة».

وفى سبب تبنيه قصة من أروع القصص، وحكمة من أروع الحكم، ذكرها المفسرون وأهل السير، وهكذا تبنى النبى - ﷺ - زيد بن حارثة.

* روى البخارى ومسلم، عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما، أنه قال: «إن زيد بن حارثة مولى رسول الله - ﷺ - ما كنا ندعوه إلاّ زيد بن محمد، حتى نزل القرآن ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب ٥] فقال - ﷺ: «أَنْتَ زيدبن حارثةبن شراحيل».

وقد زوّجه - ﷺ - بابنة عمته «زينب بنت جحش» وقد عاشت معه مدة من الزمن، ولكنها لم تطل فقد ساءت العلاقات بينهما. ولحكمة يريدها الله، طلّق زيد زينب، فأمر الله رسوله أن يتزوجها ليبطل بدعة التبنىّ، ويقيم أسس الإسلام، ولكنه - ﷺ - كان يخشى من ألسنة المنافقين والفجار أن يتكلموا فيه، ويقولوا: تزوّج محمد امرأة ابنه، فكان يتباطأ حتى نزل العتاب الشديد لرسول الله - ﷺ، فى قوله جل وعلا: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ، فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب ٣٧].

وقد كان هذا الزواج بأمر الله تعالى، ولم يكن بدافع الهوى والشهوة، كما يقول بعض الأفاكين المرجفين من أعداء الله، وكان لغرض نبيل، وغاية شريفة هى إبطال عادات الجاهلية، وقد صرّح الله عز وجل بغرض هذا الزواج بقوله ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ.. الآية﴾.

* روى البخارى بسنده، أن زينب بنت جحش - رضى الله عنها - كانت تفخر على أزواج النبى - ﷺ - وتقول: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وزوّجنى الله من فوق سبع سموات.

* وعن فضلها ومكانتها: روى الشيخان من حديث عائشة - رضى الله عنها: «أن بعض أزواج النبى - ﷺ - قُلْنَ للنبىّ أَيُّنَا أسرعُ بك لحوقا؟ قال: «أطولكن يدًا» فأخذوا قصبة يذرعونها، فكانت زينب أطولهن يدًا، فعلمنا بعد أنّما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقا به، وكانت تحب الصَّدقة».

أحب رسول الله - ﷺ - زينب حبا كبيرًا، وكانت تنافس السيدة عائشة فى حب رسول الله، وكانت السيدة عائشة تغار منها، ولكنها كانت تصفها بالدين والتقوى فى حديث الإفك، وذكرت السيدة عائشة لها هذا الموقف النبيل وقالت فى ذلك: «فأما زينبُ فعصمها الله تعالى بدينها فلمْ تقل إلا خيرًا[1]».

---

(١) نساء النبى ص ١٣٩.

وبسبب السيدة زينب بنت جحش نزلت آية الحجاب، وكان من حب الرسول - ﷺ - لها، أنه كان يمكث عندها ويشرب العسل.

وكانت السيدة زينب بنت جحش - كما قال الرسول - ﷺ - أول نساء النبى لحوقا به[1]» وماتت فى خلافة عمر بن الخطاب، فى سنة عشرين من الهجرة، وصلى عليها عمر، وحملت على نعش. وهى أول من حمل على نعش.

* وقالت السيدة عائشة حين بلغها نعى زينب: «ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل» وقالت أيضا: «لم تكن امرأة خيرًا منها فى الدين، واتقى الله تعالى، وأصدق حديثا، وأوصل رحما. وأعظم صدقة، وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تتصدق به ويقرب إلى الله[2]».

٨ - جُوَيْرِيّة بنت الحارث

وتزوج رسول الله - ﷺ - جُوَيرِيّة بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية، واسمها فى الأصل «بَرّة» كانت من سبايا بنى المُصْطلق من خزاعة، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس الأنصارى، فكاتبها عن نفسها بمبلغ كبير من المال نظير عتقها. فأتت رسول الله - ﷺ - تستعينه فى كتابتها، فقال لها: هل لك فى خير من ذلك؟ قالت: وما هو؟ قال: أقضى عنك كتابتك وأتزوجك؟ قالت: نعم يا رسول الله، فتزوجها وأصدقها أربعمائة درهم[3].

قال ابن هشام: حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبدالله البكائى، عن محمد بن اسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، عن عائشة - رضى الله عنها.

قال: ويقال: لما انصرف رسول الله - ﷺ - من غزوة بنى المصطلق، ومعه جُوَيْرية بنت الحارث، فكان بذات الجيش، دفع جُويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسول الله - ﷺ - المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق، نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء، فرغب فى بعيرين منها، فغيبها فى شِعْب من شعاب العقيق، ثم أتى النبى -ﷺ- فقال: يا محمد، أصبتم ابنتى وهذا فداؤها، فقال رسول الله ﷺ - فأين البعيران اللذان غَيّبت بالعقيق فى شعب كذا وكذا؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، صلى الله عليك، فوالله ما اطّلع على ذلك إلاّ الله تعالى، فأسلم الحارث، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما، فدفع الإبل إلى النبى - ﷺ - ودفعت إليه ابنته

(١) الكامل فى التاريخ ٢٠٤/٢، والسيرة الحلبية ٣٥٨/٣.
(٢) الأنوار المحمدية ١٥٤.
(٣) الطبقات الكبرى ١١٧/٨.

جُوَيرية، فأسلمت، وحَسُنَ إسلامها(١).

وخطبها رسول الله - ﷺ - إلى أبيها، فزوجه إياها، وأصدقها أربعمائة درهم، وكانت قبل رسول الله - ﷺ - عند ابن عم لها، يقال له عبد الله.

* وأخرج البخارى فى صحيحه، عن عائشة - رضى الله عنها، أنها قالت: «أصاب رسول الله - ﷺ، نساء بنى المصطلق، فأخرج الخمس منه، ثم قسمه بين الناس، فأعطى الفرس سهمين، والرجل سهما، فوقعت جُوَيْرِيَّة بنت الحارث، فى سهم ثابت بن قيس، فجاءت إلى رسول، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث سيِّد قومه، وقد أصابنى من الأمر ما قد علمتَ، وقد كاتبنى ثابت على تسع أواق، فأعنِّ على فكاكى، فقال - ﷺ - أو خير من ذلك؟ فقالت: ما هو؟ فقال: أؤدى عنك كتابتَكِ وأتزوجك، فقالت: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله: قد فعلت».

وخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله يُسْترقُّون؟ فأعتقوا ما كان فى أيديهم من سبى بن المصطلق، فبلغ عتقهم مائة بيت(٢) بتزوجه - ﷺ - بنت سيد قومه. فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل والسمو، وهذه الشهامة والمروءة، أسلموا جميعا ودخلوا فى دين الله، وأصبحوا من المؤمنين.

فكان زواجه - ﷺ - بها بركة عليها وعلى قومها وعشيرتها، لأنه كان سببا لإسلامهم وعتقهم، وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها.

روى لها البخارى ومسلم سبعة أحاديث. وامتد بها العمر وعاشت حتى استقر الأمر لمعاوية، ثم توفيت بالمدينة فى شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين للهجرة، ولها من العمر سبعون سنة، وصلى عليها مروان بن الحكم.

٩ - أم حبيبة

وتزوج رسول الله - ﷺ - أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبى سفيان بن حرب، زوّجه إياها خالد بن سعيد بن العاص، وهما بأرض الحبشة، وأصدقها النجاشى - عن رسول الله - ﷺ - أربعمائة دينار، وهو الذى كان خطبها على رسول الله - ﷺ. وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدى، ابن عمة رسول الله - ﷺ. وقد أسلم وأسلمت معه، وبقى أبوها على الكفر، وخشية من أذاه هاجرا إلى الحبشة فى الهجرة الثانية، وهى مثقلة بحملها، وهناك فى أرض الحبشة وضعت ابنتها حبيبة، فصارت تدعى أم حبيبة(٣).

(١) السيرة النبوية ٦٤٥/٤.
(٢) محمد والسيرة ٢١٩.
(٣) القاموس الإسلامى ٣٤/٢.

وفى الحبشة ارتد زوجها عن دينه، واعتنق النصرانية دين الأحباش، وحاول أن يردّها عن الاسلام فامتنعت وصبرت على دينها(١).

سمع الرسول - ﷺ - بذلك بعد حقبة من الزمن، فكتب إلى النجاشى أن يزوجه أم حبيبة. وأن يبعث بها إليه(٢). وبعد أن تم الزواج أصدقها النجاشى أربعمائة دينار عن رسول الله - ﷺ - وأولم وليمة الزواج على سنة الأنبياء(٣)، وبعث بها إلى المدينة مع شرحبيل بن حسنة، وكان ذلك فى السنة السادسة من الهجرة، وكانت إذ ذاك تقترب من الأربعين(٤).

ولما قيل لأبى سفيان - وهو يومئذ مشرك - إن محمدًا قد تزوج ابنتك قال: «ذلك الفحل لا يقرع أنفه(٥)».

وعندما جاء أبو سفيان إلى المدينة لمفاوضة الرسول - ﷺ - فى أمر تجديد الهدنة، مرّ على بيت ابنته رملة فدخله، ولما حاول الجلوس على فراش رسول الله طوته، ولما سألها فى ذلك الوقت، قالت: «إنه فراش رسول الله وأنت رجل مشرك فلم أحب أن تجلس عليه».

وسجدت أم حبيبة لله شكرًا حين سمعت بإسلام أبيها، وقول زوجها رسول الله - «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن».

وعندما حان رحيلها عن الدنيا، دعت السيدة عائشة وقالت لها - وهى تحتضر - أن تحلها مما كان قد وقع بين الضرائر، فأحلتها عائشة، واستغفرت لها، ثم أسلمت الروح، وأودع جسدها ثرى البقيع، وكان ذلك فى سنة أربع وأربعين للهجرة، فى خلافة أخيها معاوية(٦).

١٠ - صَفِيَّة بنت حُيَىّ

وتزوج رسول الله - ﷺ - صفية بنت حُيىّ بن أخطب، سباها من خيبر، فاصطفاها لنفسه، وأولم رسول الله - ﷺ - وليمة، ما فيها شحم ولا لحم، كان سويقا وتمرًا(٧). وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق، وكان أبوها سيد بنى النضير، وأمها بَرّة بنت سموءل من بنى قريظة، وينتهى نسبها إلى هارون بن النبى عمران(٨).

* روى أن صفية - رضى الله عنها - لما دخلت على النبى - ﷺ، قال لها: «لم يزل أبوك من أشد اليهود لى عداوة حتى قتله الله، فقالت يا رسول الله: إن الله يقول فى كتابه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

---

(١) السيرة الحلبية ٣/٣٦٠.
(٢) تاريخ الأمة العربية ٢/١٩١.
(٣) الطبقات الكبرى ٨/٩٨.
(٤) نساء النبى ١٦٧.
(٥) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٤/١٨٤٥.
(٦) الكامل فى التاريخ ٢/٢٠٤.
(٧) سيرة ابن هشام ٤/٢٩٦.
(٨) تاريخ اليعقوبى ٢/٧٣.

وِزْر أخرى﴾ فقال لها الرسول الكريم: اختارى، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسى، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك، فقالت: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدّقت بك قبل أن تدعونى إلى رَحْلك، ومالى فى اليهودية أرب، ومالى فيها والد ولا أخ، وخيرّتنى الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحبُّ إلى من العِتْق، وأن أرجع إلى قومى. فأمسكها رسول الله - ﷺ - لنفسه.

* فى المدينة عَرّس بها الرسول - ﷺ - فى الصبهاء، تحت قبة يطيف بها أبو أيوب خالد بن زيد الأنصارى ساهرًا يقظا متوشحا سيفه على غير علم من الرسول - ﷺ. حتى إذا أصبح النهار، رآه النبى - ﷺ - فسأله: ما بالك يا أبا أيوب، قال: «يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة، وهى جارية حديثة عهد بالكفر، وكنت قتلت أباها وأخاها وزوجها[١]» فدعا له الرسول - ﷺ - بالبركة.

وحدث الرسول - ﷺ - صفية بذلك، فقالت: «والله يا رسول الله لأنت أعزّ علىّ من أبى وأمى وأنا على دينك[٢]». وقد حسن إسلامها.

وفى بيت النبوة قررت السيدة صفية أن تتقرب من السيدة عائشة، والسيدة حفصة، والسيدة فاطمة الزهراء.

وبلغها مرة كلام صادر عن السيدة عائشة والسيدة حفصة، وإذ قالتا: «نحن خير من صفية نحن بنات عمه وأزواجه[٣]» فلما حدثت به النبى - ﷺ - قال لها: «ألا قلت وكيف تكونان خيرًا منى، زوجى محمد، وأبى هارون، وعمى موسى[٤]، وأنك بنت نبىّ، وعمك نبى، وأنك تحت نبى، فبم تفخران عليك[٥]».

روى أن أمهات المؤمنين اجتمعن حول فراش النبى - ﷺ - فى مرضه الأخير، فقالت السيدة صفية: «إنى والله يا نبى الله لوددت أن الذى بك بى[٦]».

فتبادلت الأخريات نظرات ذات معنى، فما راعهن إلاّ أن قال الرسول - ﷺ: «مَضْمَضْنَ» فتساءلن فى دهشة، «من أى شىء يا نبى الله؟ قال: «من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة[٧]».

وبعد أن التحق الرسول - ﷺ - بالرفيق الأعلى افتقدت السيدة صفية الحماية الطيبة.

وفى شهر رمضان سنة خمسين للهجرة توفيت السيدة صفية، ودفنت بالبقيع، وأوصت بما خلفت من أرض إلى ابن أختها اليهودى، وقيل بثلثه[٨].

---

(١) حياة الصحابة ٣٢٢/٣.
(٢) وحى السيرة ١٠٧.
(٣) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ١٨٧٢/٤.
(٤) نساء النبى ١٥٦.
(٥) السيرة الحلبية ٥٥/٢.
(٦) محمد رسول الحرية ٣٨٠.
(٧) الطبقات الكبرى ١٢٨/٨.
(٨) السيرة الحلبية ٣٦٠/٣.

١١ - ميمونة بنت الحارث

وتزوج رسول الله - ﷺ - ميمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بحير بن هُزم بن روبية، زوجه إياها العباس بن عبد المطلب، وأصدقها العباس عن رسول الله -ﷺ- أربعمائة درهم، وكانت قبله عند أبي رُهُم بن عبد العُزّى.

* ويقال: إنها التى وهبت نفسها للنبى - ﷺ - وذلك أن خِطْبة النبى - ﷺ - انتهت إليها، وهى على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنبِيِّ﴾ [الأحزاب ٥٠].

وجاء فى حياة الصحابة، أنه فى فتح مكة، فاتح العباس بن عبد المطلب رسول الله - ﷺ - فى أمر هذه المرأة، وعرض عليه الزواج بها، فاستجاب الرسول - ﷺ - له، وأصدقها العباس أربعمائة درهم عن الرسول، وبعث ابن عمه جعفر بن أبى طالب يخطبها[١].

ولما انتهت الأيام الثلاثة التى نص عليها صُلح الحديبية، غادر الرسول - ﷺ - عائدًا إلى المدينة، بعد أن لم تقبل قريش ببقائه، وترك الرسول - ﷺ - مولاه أبا رافع بمكة ليلحق به بصحبة برة.

وفى الموضع المسمى «سَرْف» بنى بها الرسول - ﷺ - وكان ذلك فى شهر شوال سنة سبع للهجرة، وسماها ميمونة، ثم انصر عائدًا إلى المدينة[٢]. وكانت السيدة ميمونة آخر امرأة تزوجها رسول الله - ﷺ[٣].

وبعد أن انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى، عاشت ميمونة فى ذكرى ذلك اليوم، وحنّت إلى البقعة المباركة فى «سرف[٤]». وعندما كانت تجود بأنفاسها أوصت أن تدفن فى موضع القبة التى بنى بها الرسول - ﷺ - ولمّا ماتت صلّى عليها عبدالله بن عباس، وحملت إلى «سَرْف» وكان ذلك فى سنة إحدى وخمسين هجرية، ولها من العمر إحدى وثمانين سنة.

* وفيها تقول السيدة عائشة: «أما إنها كانت والله من أتقانا لله وأوصلنا للرحم» ومن الحق القول إنها لم تكن تملك ما تثير به غيرة الزوجات الأخريات، وقد أقبلت عليهن بوقارسنّها، وهيبة شخصها، فلم يجدن فيها منافسة جديدة بقدر ما وجدن فيها من أمومة حانية[٥]».

(١) حياة الصحابة ٣٢٥/٣.
(٢) تاريخ الرسل والملوك ١٧٨/٣.
(٣) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ١٩١٦/٤.
(٤) نساء النبى ١٩٢.
(٥) محمد رسول الله ٣٣٧.

* فجميع من بَنَى بهن رسول الله - ﷺ - إحدى عشرة مات قبله منهن ثنتان: خديجة بنت خُويلد، وزينب بنت خُزَيمة، وتُوُفّى عن تسع، قد ذكرناهن فى أول هذا الحديث.

* وثنتان لم يدخل بهما: أسماء بنت النعمان الكندية، تزوجها فوجد بها بياضا (بَرَصًا) فمتعها وردّها إلى أهلها. وعَمرة بنت يزيد الكُلابية، وكانت حديثة عهد بكُفْر، فلما قدمت على رسول الله -ﷺ- استعاذت من رسول الله - ﷺ - فقال رسول الله - ﷺ - منيعٌ عائذ الله، فردّها إلى أهلها.

ويقال: إن التى استعاذت من رسول الله - ﷺ - كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ويقال: إن رسول الله - ﷺ - دعاها، فقالت: إنّا قوم نُؤْتى ولا نأتى فردّها رسول الله - ﷺ - إلى أهلها.

ثانيا: سَرَارِى رسول الله

وكان لرسول الله - ﷺ - أربعة من السرارى المملوكات، تزوج بهن، وهن: مارية القبطية، وريحانة القرظية، وثالثة[1] وهبتها له زوجته زينب بنت جحش، والرابعة أَمَةٌ يهودية من سبى بنى قريظة، اسمها زليخة[2].

وجاء فى كتاب «سيرة الرسول» ذكر ثلاث سرارى أخريات، هن: سلمى، وميمونة بنت سعد، وأميمة[3]. ولم نجد لهن تراجم.

١ - مَارية القِبْطِيّة

جاء فى الحديث الشريف، قوله - ﷺ - «استوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم ذمة ورحمة[4]».

ورد فى السيرة، أن رسول الله - ﷺ - بعث برسالة إلى المقوقس، عظيم القبط صاحب الاسكندرية ومصر، بيد حاطب بن بلتعة، يدعوه فيها إلى الإسلام.

تسلم المقوقس الكتاب بعناية وتوقير، ودعا كاتبه، وأملى عليه رسالة إلى الرسول - ﷺ: «أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيًّا قد بقى، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم، وبثياب ومطية وعبد، والسلام عليك[5]».

كانت الجاريتان مارية، وأختها سيرين، كانتا فى حداثتهما الأولى فى قرية من صعيد مصر،

(١) نهاية الأرب ٢٠٧/١٨.
(٢) نهاية الأرب ٢٠٧/١٨.
(٣) سيرة الرسول ٤٥.
(٤) نساء النبى ١٧٥.
(٥) نساء النبى ١٧٧.

وانتقلتا فى مطلع شبابها الباكر إلى قصر المقوقس.

* تلقى رسول الله - ﷺ - الرسالة والهدية، وأعجبته مارية لبياضها وجمالها، فاكتفى بها، ووهب أختها إلى حسان بن ثابت الأنصارى(١).

أنزل الرسول - ﷺ - مارية بمنزل الحارثة بن النعمان قرب المسجد، وكان يكثر عليها التردد، ويمكث لديها طويلا، ومن ثم ضرب عليها الحجاب(٢).

ولما استقبلت عامها الثانى فى كَنَف رسول الله - ﷺ - أحست ببوادر الحمل، فأفضت بالأمر إلى أختها سيرين، فأكدت لها هذه صحة الحمل، ولما أعلنت الرسول - ﷺ - بذلك، رفع وجهه إلى السماء يشكر لخالقه تلك النعمة، التى أنعم بها عليه.

ولما سرت البشرى بالمدينة، غارت نساء النبى منها، واتهمتها بخادمها «مابور»، ولكن الخادم كان مجبوبا(٣) ماله مما للرجال قليل ولا كثير.

خاف عليها الرسول - ﷺ - من العواقب فنقلها إلى العالية فى ضواحى المدينة، وفى شهر ذى الحجة من السنة الثامنة من الهجرة، وضعت السيدة مارية مولودها، الذى سماه الرسول - ﷺ «إبراهيم»، واعتق مارية إكرامًا لولدها(٤). وقال - ﷺ: «أيما أَمَةٌ ولدت من سيدها فإنها حرة إذا مات إلاّ أن يعتقها قبل موته».

ولما مات إبراهيم، اعتكفت السيدة مارية فى بيتها تحاول أن تتجمل بالصبر، ومن ثم لحق الرسول - ﷺ - بالرفيق الأعلى، وترك مارية تعيش من بعده خمس سنوات فى عزلة عن الناس، لا تخرج إلاّ لزيارة قبر الرسول - ﷺ - فى مسجده، أو قبر إبراهيم فى البقيع(٥).

وفى شهر محرم من السنة السادسة عشرة من الهجرة تُوفيت، ومشى عمر بن الخطاب فى جنازتها، وهو يحشر الناس(٦)، وصلى عليها ودفنت بالبقيع.

٢ - ريحانة القُرَظيّة

ريحانة بنت شمعون بن زيد القُرَظى - من بنى قُرَيْظة(٧). ملكها النبى - ﷺ - بعد غزو قومها بنى قريظة، وعرض عليها الإسلام وأن تكون زوجة له، وليست جارية، فأبت إلاّ اليهودية، وقالت: «بل تتركنى فى ملكك فهو أخف على وعليك(٨)» فعزلها.

(١) حياة محمد - إميل ٣١٨.
(٢) الطبقات الكبرى ٢١٢/٨.
(٣) الاستيعاب ١٩١٢/٤.
(٤) الطبقات الكبرى ٢١٥/٨.
(٥) تاريخ الأمة العربية ١٩٤/٢.
(٦) نهاية الأرب ٢٠٧/١٨.
(٧) الطبقات الكبرى ١٢٩/٨.
(٨) محمد رسول الحرية ٢٠٣.

ثم أسلمت فاعتقها، وعرض عليها الزواج فأجابت وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونصف، ودخل بها فى شهر محرم سنة ست للهجرة، وضرب عليها الحجاب، فقالت: «بل تتركنى يا رسول الله» فألحقها بأهلها(١).

وقيل: إنها بقيت عنده - ﷺ - حتى ماتت بعد رجوعه من حجة الوداع سنة عشر للهجرة، ودفنت بالبقيع.

* روى الزبير بن بكار، بإسناده - عن أيوب بن عبد الرحمن بن عبدالله بن صعصعة: «أن ريحانة قالت: كنت تحت زوج محب لى مكرم، فقلت لا أستخلف بعده، ت ذات جمال، فلما سُبى بنو قريظة، عرض السبى على رسول الله - ﷺ - فكنت فيمن عرض عليه، فأمر بى فعزلت، وكان يكون له صفى من كل غنيمة، فلما عُزلت خار الله لى، فأرسل بى إلى بيت أم المنذر بنت قيس أياما، حتى قتل الأسارى، وفرق السبى. فدخل رسول الله - ﷺ - فدعانى فأجلسنى بين يديه، فقال: إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله - ﷺ - لنفسه، فقلت: فإنى اختار الله ورسوله. فلما أسلمتُ اعتقنى وتزوجنى وأصدقنى اثنتى عشرة أو قية ونصفا، كما كان يصدق نساءه، وأعرس بى فى بيت أم المنذر. وكان يقسم لى كما يقسم لنسائه، وكان رسول الله - ﷺ - بها معجبا، لا تسأله شيئا إلّا أعطاها إياه، لقد قيل لها: لو كنت سألت رسول الله - ﷺ - سبى بنى قريظة لأعتقهم، فكانت تقول: لم يخلُ بى حتى فرق السبى(٢).

ولم تزل عنده حتى توفيت، وكان تزوجه إياها سنة سبت من الهجرة.

ثالثا: أولاد النبى ﷺ

رزق النبى - ﷺ - ولدين وأربع بنات من زوجته الأولى خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - ورزق بابراهيم من مارية القبطية. ولم يرزق بأولاد من زوجاته الأخريات، أمهات المؤمنين، وشاءت إرادة الحق - سبحانه، أن لا يعيش له من الأولاد أحد، فقد ماتوا كلهم وهم صغار، وبقى -ﷺ- حياته كلها وهو يحن إلى الولد، الذى يرجو أن يبلغ مبلغ الرجال.

وقد أغرت هذه الحالة العاص بن وائل السهمى، أن يتطاول على النبى - ﷺ - بعد وفاة عبدالله، فينعته بالأبتر، أى الذى انقطع ولده، فأنزل الله سبحانه وتعالى - قرآنا فى الرد على ذلك(٣): ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَر، فَصَلِّ لِربِّكَ وانحَرْ، إنّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر﴾ [الكوثر ١ - ٣].

---

(١) سيرة الرسول ص ٤٥.

(٢) منتخب من كتاب أزواج النبى ص ٥٦.

(٣) الطبقات الكبرى ٧٣/٣.

(أ) أولاده الذكور

١ - القاسم:

وأمه خديجة بنت خويلد، وهو أول ولد لرسول الله - ﷺ - قبل البعثة، ولد بمكة وبه - كان - ﷺ - يكنّى.

مات صغيرا، واختلفت الأقوال فى عمره يوم وفاته، فقيل: إنه لبث سبع ليال فقط[١]. وقيل: مات وهو ابن سنتين. وقيل: عاش حتى مشى[٢]. كما قيل إنه كان ابن أربع سنين[٣].

وهو أول من مات من أولاده، ومشى الرسول - ﷺ - فى جنازته، ونظر إلى جبل من جبال مكة وقال: «يا جبل لو أن مابى بك لهدّك[٤]».

٢ - عبد الله:

وأمه خديجة، وكان يقال له الطيب والطاهر، ويؤكد الزبير وأكثر أهل النسب أن عبدالله الطيب، وهو الطاهر، له ثلاثة أسماء[٥] وهذا هو الصحيح.

واختلفت المصادر فى مولده، هل ولد قبل النبوة أو بعدها[٦]، والراجح أنه ولد بعد النبوة، وكان آخر أولاد النبى - ﷺ - ومات وهو طفل.

قال اليعقوبى:[٧] «إنه مات بعد موت القاسم بشهر ولم يُفطم»

وقالت خديجة لرسول الله - ﷺ : «يا رسول الله لو يقى حتى أفطمه؟»

قال ﷺ: «إن فطامه فى الجنة».

٣ - إبراهيم:

وأمه مارية القبطية، ولد بالمدينة المنورة[٨] فى شهر ذى الحجة من السنة الثامنة من الهجرة، بالعالية، فى المكان الذى يعرف اليوم بـ «مشربة أم ابراهيم»[٩]. وكانت قابلته سلمى أم رافع، مولاة رسول الله - ﷺ، وعندما بشر أبو رافع الرسول ﷺ، بولادته، وهب له عبدًا[١٠].

---

(١) المعارف ٦١.
(٢) تاريخ اليعقوبى ٢/٢٦ والشجرة المحمدية ١٠٤.
(٣) تاريخ اليعقوبى ٢/٢٦.
(٤) تاريخ اليعقوبى ٢/٢٦.
(٥) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ١٨١٩/٤، مروج الذهب ٢٩١/٢.
(٦) الأنوار المحمدية ١٤٧.
(٧) تاريخ اليعقوبى ٢/٢٦.
(٨) تاريخ اليعقوبى ٢/٢٦.
(٩) نهاية الأدب ٢٠٨/١٨.
(١٠) السيرة الحلبية ٣٤٧/٣.

* جاء فى الخبر، أن جبريل - عليه السلام - هبط إلى الرسول - ﷺ - وقال له: «السلام عليك يا أبا إبراهيم»[١]. وقال الرسول - ﷺ - لأصحابه: «وُلد لى الليلة غلام فسمّيته باسم أبى إبراهيم» وأعتق -كما ذكرنا- مارية إكرامًا لولدها[٢].

* وفى اليوم السابع من مولده، عتق عنه الرسول كبشًا، وقيل: كبشين، وَحَلَق أبوهند له رأسه، وختنه، وسماه الرسول -ﷺ- إبراهيم، وتصدّق بوزن شعره فضة على المساكين، ودفنوا شعره فى الأرض[٣].

وتنافست نساء الأنصار فيمن ترضعه، فجاءت أم برّة بنت المنذر بن زيد الأنصارى - وهى زوجة البراء بن أوس. فطلبت إلى الرسول أن ترضعه بلبن ابنها فى بنى مازن، وترجع به إلى أمه، فأودعه الرسول -ﷺ- إليها، وأعطاها قطعة نخل، وجعل فى حيازتها سبعا من الماعز ترضعه لبنها[٤].

وحمل النبى - ﷺ - إبراهيم يوما بين ذراعيه إلى السيدة عائشة - وهو يفيض بشرًا، ودعاها لترى ما بين إبراهيم وبينه من عظيم الشبه، فنظرت عائشة إلى الطفل وقالت: «إنها لا ترى بينهما شبها».

لقد كان مولد إبراهيم سببا أثار فى زوجات النبى - ﷺ - امتعاضا، وبعث فيهن كوامن الغيرة والضجر. وفى عامه الثانى مرض إبراهيم مرضا شديدًا.

* روى عن أنس بن مالك: أن جذوة الحياة بدأت تخبو فى إبراهيم، وصار يجود بنفسه، فلما سمع رسول الله -ﷺ- بذلك، ذهب إليه معتمدًا على عبدالرحمن بن عوف لشدة ألمه، فأتى نخل جوار العالية، فإذا ابراهيم فى حِجْر أمه وهو يتألم، فأخذه النبى - ﷺ - فوضعه فى حِجْره، وقلبه الكريم يقطر دما، وقد ملك عليه الحزن فؤاده، وبدت صورة الألم على قسمات وجهه، ودمعت عيناه وقال ﷺ:

«تدمع العين، ويحزن القلب يا ابراهيم.. إنا لا نغنى عنك من الله شيئا، ولولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وأن آخرنا سيلحق بأولنا، لحزنا عليك حزنا هو أشد من هذا، ولا نقول إلا ما يرضى الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»[٥].

ثم نظر - ﷺ - إلى مارية فى عطف وقال يواسيها:

«إن له لمرضعا فى الجنة[٦] تتم رضاعته، ولو عاش لكان صديقا نبيا، ولأعتقت أخواله من

(١) تاريخ اليعقوبى ٧٥/٢
(٢) الطبقات الكبرى ٢١٥/٨.
(٣) الطبقات الكبرى ١٣٥/١.
(٤) حياة محمد لهيكل ٤٤١.
(٥) الاستيعاب ٥٥/١.
(٦) صحيح البخارى ٥٤/٨.

القبط، ولما استرق قبطى[١] ولوضعت الجزية عن كل قبطى[٢].

مات إبراهيم وعمره ثمانية عشر شهرًا[٣]، فى يوم الثلاثاء لعشر خلون من شهر ربيع الأول من السنة العاشرة للهجرة، وقامت أم بردة بتغسيله، وقيل: إن الذى غسّله هو الفضل بن العباس، وحمَل جثمانه إلى البقيع، وسار وراءه الرسول وأصحابه، وصلى الرسول - ﷺ - عليه، وكبّر عليه أربع تكبيرات ثم أضجعه بيده فى قبره.

ثم جلس النبى - ﷺ - على شفير القبر وهو يبكى دون أن يرفع صوته، وسوى الرسول عليه التراب، ونداه ورشّه بالماء، وهو أول قبر رش عليه بالماء، ثم قال -ﷺ- مخاطبا إبراهيم: «يابنى قُلْ الله رَبِّى، والإسلام دينى، ورسول الله أبى». ونزل قول الله تعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم ٢٧]

وتلاها النبى - ﷺ - على أصحابه، فطابت النفوس، وسكنت القلوب، وشكروا الله[٤].

* ووافق موت ابراهيم كسوف الشمس ساعتين من النهار، فقال قوم: «إن الشمس كُسفت حُزْنًا لموت إبراهيم» فلما سمع النبى - ﷺ - ذلك خاطبهم قائلا:

«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى مساجدكم، وإلى ذكر الله عز وجل والصلاة»[٥].

(ب) أولاده الإناث

رزق رسول الله - ﷺ - من زوجته الأولى - خديجة بنت خويلد أربع بنات[٦]

فكانت زينب ثم رقية، ثم جاءت بعدها أم كلثوم، حتى إذا كان العام العاشر من الزواج، وهو العام الذى أعادت فيه قريش بناء الكعبة ولدت فاطمة.

١ - زينب:

وهى أكبر بنات الرسول - ﷺ - وأولى ثمرات الزواج، ولدت قبل البعثة[٧] - وبحوالى

---

(١) الأنوار المحمدية ١٤٨.

(٢) الطبقات الكبرى ١/١٤٤.

(٣) الشجرة المحمدية ١٠٤.

(٤) السيرة الحلبية.

(٥) صحيح البخارى ٢/٤٣.

(٦) انظر فى بنات الرسول - ﷺ: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٤/١٨٥٣، بنات النبى ٨٠، الشجرة المحمدية ١٠٤، نساء النبى ٨٥، وسيرة ابن هشام ٢/٣٠٧، تاريخ الأمم والملوك ٢/٢٩١.

(٧) خديجة زوجة الرسول ١٢٢.

اثنين وعشرين عاما قبل الهجرة، والرسول آنذاك فى نحو الثلاثين من عمره[١].

تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس، وهو ابن أخت خديجة الكبرى[٢]، وقرشى صميم يعرف باسم «جرو الصحراء»[٣].

ولما بعث الرسول - ﷺ - برسالة السماء آمنت به زينب وأسلمت[٤]، ودعا الرسول - ﷺ - أبا العاص إلى الإسلام فلم يُجِب، وقال لزوجته زينب:

«والله ما أبوك عندى بِمتهم وليس أحب إلى من أن أسلك معك فى شعب واحد، ولكنى أكره لك أن يقال إن زوجك خذل قومه، وكفر بآبائه إرضاء لامرأته».

وقال المشركون له: فارق صاحبتك ونحن نزوجك أى امرأة شئت من قريش، فقال: لا والله إذًا لا أفارق صاحبتى، وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش[٥].

ولما هاجر الرسول إلى المدينة، وبعث من يحضر له أهل بيته، سافرت أخوات زينب، وبقيت هى مقيمة فى مكة مع أبى العاص، هى على إسلاما وهو على شِرْكه.

وفى معركة بدر وقع أبوالعاص أسيرًا بيد المسلمين، فكان بالمدينة عند رسول الله -ﷺ-

* قال ابن اسحاق - بإسناده - عن عائشة، قالت:

«لما بعث أهل مكة فى فداء أَسَرَائهم، بعثت زينب بنت رَسول الله - ﷺ - فى فداء أبى العاص بن الربيع بمالٍ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بَنَى بها، قالت: فلما رآها رسول الله - ﷺ - رقَّ لها رقَّة شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تُطْلِقُوا لها أسيرها، وتردُّوا عليها مالها، فافعلوا، فقالوا: نعم يارسول الله، فأطلقوه وردُّوا عليها الذى لها[٦].

وكان رسول الله - ﷺ - قد أخذ عليه أن يخلى سبيل زينب إليه، وبعث رسول الله - ﷺ - زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار ليصحبا زينب إلى المدينة، إلاّ أنها تعرضت لهجوم من قبل المشركين، فخرج عليها هبّار بن الأسود بن المطلب، والفهرى، فروَّعاها بالرمح وهى فى هَوْدجها، وكانت حاملاً، فلما ريعت طرحت ذا بطنها.

ولما علم رسول الله - ﷺ - بذلك غضب غضبا شديدًا.

* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بعث رسول الله - ﷺ - سريّةً أنا فيها، فقال لنا: إن ظفرتم بهبّار بن الأسود أو الرجل الآخر، الذى سبق معه إلى زينب، فحرِّقُوهما بالنار، قال: فلما كان الغد بعث إلينا، فقال: إنى كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت أنه

(١) الاستيعاب ١٨٥٣/٤.
(٢) بنات النبى ٨٠.
(٣) القاموس الإسلامى ١٦٦/٣.
(٤) نساء النبى ٨٥.
(٥) سيرة ابن هشام ٣٠٧/٢.
(٦) السيرة النبوية ٦٥٣/١.

لا ينبغى لأحد أن يعذِّب بالنار إلا الله، فإن ظفرتم بها فاقتلوها(١).

وأقام أبو العاص بمكة، وأقامت زينب عند رسول الله - ﷺ - بالمدينة، حتى إذا كان قبيل الفتح، خرج أبو العاص تاجرًا إلى الشام، فلقيته سرية لرسول الله - ﷺ - فأصابوا ما معه، وأعجزهم هاربا، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دَخَل على زينب بنت رسول الله - ﷺ - فاستجار بها، فأجارته.

* فلما خرج رسول الله - ﷺ - إلى الصبح، فكبّر وكبّر الناس معه، صَرَخَت زينب من صُفَّة النساء: أيها الناس: إنى قد أُجرتُ أبا العاص بن الربيع.

فلما سلّم رسول الله - ﷺ - من الصلاة أقبل على الناس، فقال: أيها الناس.. هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم، قال: أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشىء من ذلك حتى سمعتُ ما سمعتم، إنه يُجير على المسلمين أدناهم، ثم انصرف رسول الله - ﷺ - فدخل على ابنته، فقال: أى بُنَيّة.. أكرمى مثواه، ولا يَخْلُصَنّ إليك، فإنك لا تحلِّين له»(٢).

وحدث عبد الله بن أبى بكر، أن رسول الله - ﷺ - بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبى العاص، فقال لهم: إن هذا الرجل منّا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالا، فإن تُحْسِنُوا وتردُّوا عليه الذى له، فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فَىء لله الذى أفاء عليكم، فأنتم أحق به، فقالوا: يارسول الله، بل نردّه عليه، فردوه عليه».

ثم احتمل إلى مكة، فأدى إلى كل ذى مال من قريش ماله، ومن كان أبضع معه، ثم قال:

يا معشر قريش، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيرًا، فقد وجدناك وفيا كريما..

قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، والله ما منعنى من الإسلام عنده إلّا تخوّف أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أدّاها الله إليكم، وفرغت منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله - ﷺ.

* عن ابن عباس - رضى الله عنهما قال: «ردّ عليه رسول الله - ﷺ - زينب على النكاح الأول، لم يُحْدِث شيئا بعد ست سنين»(٣).

٢ - رقيـــة:

أما رقية بنت رسول الله - ﷺ - فقد حدث الزبير بن بكار - بإسناده - عن أبى بكر بن عثمان أنها «كانت عند عتبة بن أبى لهب، وبنى بها، فلما أنزل على رسول الله - ﷺ - ﴿تبَّت يدَا

(١) السيرة النبوية ٦٥٧/١.

(٢) السيرة النبوية ٦٥٨/١.

(٣) السيرة النبوية ٦٥٩/١.

أبي لَهَب﴾ قالت العوراء أم جميل بنت حرب بن أمية، وهى أم عتبة بن أبي لهب، وهى حمالة الحطب: «أيهجونا محمد وتمسك ابنته فطلّقها تنكحك غيرها، فأنكحته بنت أبي العاص بن أمية، فولدت له جارية، فتزوجها يزيد بن أبي سفيان بن حرب.

* ثم خلف على رقية بنت رسول الله - عثمان بن عفان، فولدت له عبدالله، فمات.

ولما كانت الهجرة الأولى إلى الحبشة، كان عثمان ومعه زوجته رقية ضمن المهاجرين الأولين، مع قرب عهدهما بالزواج، وقال فيهما رسول الله - ﷺ : «إنهما لأول من هاجر إلى الله - تبارك وتعالى - بعد لوط».

ثم هاجرت إلى المدينة بصحبة زوجها، وسُمّيت «ذات الهجرتين»[1]، وهناك فى دار الهجرة وضعت طفلها الثانى عبدالله.

وسقطت رقية تحت وطأة الهم مريضة، فأقام عثمان يرعاها ويمرضها، والرسول يتجهز لمعركة بدر، فخلّف عثمان عليها، وأبقى معه أسامة بن زيد، وأسلمت الروح، وأغمض عثمان عينيها، وهو يسمع هتاف البشير بانتصار المسلمين ببدر.

وعاد الرسول - ﷺ - إلى المدينة، وصلى عليها، وقال فى ردّه للمعزين له:

«الحمد لله دفن البنات من المكرمات»[2].

٣ - أم كلثوم:

أما أم كلثوم، فكانت عند عتبة بن أبي لهب، ولم يدخل بها حتى تنبأ الله - تبارك وتعالى - محمدًا - ﷺ - فقال أبو لهب: رأسى من رأسك حرام حتى تفارق ابنته، فقارقها، فخلف على أم كلثوم - عثمان، فهلكت عنده.

* عن ابن جريج قال: لما وضعت عند القبر، قال رسول الله - ﷺ - لينزل فى قبرها رجلان لم يقارفا النساء البارحة، فنزل فى قبرها رجلان كان أحدهما طلحة بن عبيد الله[3]

٤ - فاطمـــة:

وأما فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - فكانت عند على بن أبي طالب، فولدت له: الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ورقية. فكانت زينب بنت على عند ابن عمها عبدالله بن جعفر، فولدت له على بن عبدالله، وأم كلثوم بنت عبدالله، التى تزوجها الحجاج بن يوسف، ففرق بينها

---

(١) بنات النبى ١٤٢.

(٢) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ١٨٤٣/٤.

(٣) منتخب من كتاب أزواج النبى ص ٣١ - ونزول طلحة فى قبرها ثابت فى صحيح البخارى (انظر فتح البارى ١٥١/٣، ٢٠٩).

عبد الملك بن مروان، وهو كان أذن له فى تزوجها.

وكانت أم كلثوم بنت على عند عمر بن الخطاب، فولدت له زيدًا، فقتل زيدُ بن عمر خالد بن أسلم، مولى عمر، قتله وهو لا يعرفه، رماه بحجر.

وتزوج رقية بنت على، ابراهيم بن نعيم النحام، فلم تلد منه، ثم هلك عُمر عن أم كلثوم، فتزوجها عبدالله بن جعفر، فلم تلد منه[١].

* لما فكّر علىّ فى الزواج على فاطمة من جويرية بنت أبى جهل، أسرع الرسول - ﷺ - إلى المسجد وخطب فى الناس قائلا:

«إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم عليًّا بن أبى طالب، فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، اللهم إلاّ أن يحب على بن أبى طالب أن يطلّق ابنتى، وينكح ابنتهم، فإن ابنتى لبضعة منى، يريبنى ما أرابها، ويؤذينى ما آذاها[٢]. وإنى أخاف أن تفتن فى دينها[٣]. والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبدًا»[٤].

وضعت فاطمة مولودها البكر فى السنة الثانية، فسماه الرسول حَسَنا، ووضعت الثانى فى السنة الرابعة وسماه حُسَيْنا[٥]. وفى السنة الخامسة وضعت زينب، وفى السادسة أم كلثوم[٦]، وكانت الصدمة قوية على فاطمة حين ألم المرض بالرسول - ﷺ - ولما اشتد به المرض، أدناها منه وأسَرَّ إليها «إن جبريل كان يأتينى كل عام فيعارضنى بالقرآن مرة، وأنه أتانى هذا العام فعارضنى مرتين، ولا أدرى الأجل إلاّ قد اقترب»، فلما بكت هون عليها قائلا:

«وإنك أول أهل بيتى لحوقًا بى» - ثم أضاف - ﷺ - قائلا:

«أما ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة»[٧] فسرّها ما سمعت وضحكت.

وانتقل الرسول - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى، ومرضت فاطمة واعتكفت فى بيتها.

* عن عبيدالله بن على بن أبى رافع، عن أبيه، عن أمه سلمى، قالت:

«اشتكت فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - فمرضت، فأصبحت يوما كأمثل ما كانت تكون، وخرج علىّ - رضى الله عنه - فقالت: يا أمتَاه اسكبى لى غُسْلا، ثم قامت فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل، ثم قالت: هات ثيابى الجدد، فأعطيتها إياها فلبستها، ثم جاءت إلى البيت الذى كانت فيه، ثم قالت: قدّمى الفراش إلى وسط البيت، فقدمته، فاضطجعت واستقبلت القِبْلة،

---

(١) منتخب من كتاب أزواج النبى ص ٣٢.
(٢) صحيح مسلم ٣٧٦/٢.
(٣) صحيح البخارى ١٠٣/٤.
(٤) صحيح مسلم ٣٧٦/٢.
(٥) فاطمة الزهراء ٤٢.
(٦) تأريخ الأمم والملوك ٢٠٢/٢.
(٧) اللؤلؤ والمرجان ١٥٤.

ووضعت يدها تحت خدها ثم قالت: يا أمتاه إنى مقبوضة الآن، وإنى قد اغتسلت فلا يكشفنى أحد.

قال: فقبضت مكانها، وجاء علىّ - رضى الله عنه - فأخبرته، فقال: لا جرم، والله لا يكشفها أحد، فحملها بغسلها ذلك ودفنها».[1]

* وفيها تقول السيدة عائشة - رضى الله عنها: «ما رأيت أحدًا قط أفضل من فاطمة غير أبيها».

(١) أبوزيد عمر بن شبة: تاريخ المدينة المنورة ج١ ص ١٠٩، وفاء الوفا ٩٢/٢، والطبقات الكبرى ٢٧/٨.

الفصل الثالث

نقباء رسول الله ونجباؤه وأمناؤه وأمراؤه ومواليه

ومن الأبطال والأشخاص الذين اتصلت حياتهم بالرسول - ﷺ - وذكرهم مرارًا فى حديثه الشريف: نقباؤه ونجباؤه وأمناؤه وأمراؤه وخدامه ومواليه، وكتّاب وحيه.. وقد ذكروا.. أن **لكل نبى سبعة نقباء إلا النبى المصطفى - ﷺ - فكان له اثنا عشر نقيبًا**(١).

أولا: النقباء

١ - أبو بكر الصديق.
٢ - عمر بن الخطاب.
٣ - عثمان بن عفان.
٤ - على بن أبى طالب.
٥ - الزبير بن العوام.
٦ - جعفر بن أبى طالب.
٧ - مصعب بن عُمير.
٨ - بلال بن رباح.
٩ - عمار بن ياسر.
١٠ - المقداد بن الأسود.
١١ - عثمان بن مظعون.
١٢ - عبد الله بن مسعود.

وسنقف عند أبرزهم وأكثرهم صلة برسول الله - ﷺ.

١ - أبو بكر الصديق:

هو عبد الله بن عثمان أبو قحافة بن عامر بن عمر بن كعب، ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر، وصادق النبى - ﷺ - وألفه قبل البعثة، ووافاه وأخلص له بعدها، وأنفق ماله كله فى سبيل الله، أسلم وله أربعون ألف درهم، ومات ولم يترك دينارًا ولا درهما. وكان فى الجاهلية رئيسا من رؤساء قريش ووجيها من وجهائها، وأعلمهم بالأنساب. وأسلم والداه وجميع أولاده. ومناقبه أشهر وأذكر من أن تحصر، تولى الخلافة بعد رسول الله - ﷺ - وبه ثبّت الله هذا الدين، وقمع المرتدين والمنافقين، فله بهذا وغيره اليد البيضاء الحسنى على جميع المسلمين إلى أن توفى يوم الاثنين فى جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر تقريبًا(٢).

(١) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ٣٥/١.

(٢) تاريخ الطبرى ٤١٩/٣، والإصابة لابن حجر ٣٤١/٢، والاستيعاب ٢٤٣/٢، طبقات ابن سعد ١٦٩/٣.

* عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله -ﷺ- جلس على المنبر، فقال:

«إن عبدًا خيَّره الله بين أن يُؤْتِيَهُ من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده، فبكى أبو بكر، وقال: فَدَيْنَاك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يُخبر رسول الله -ﷺ- عن عبد خيَّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: فَدَيْناكَ بآبائنا وأُمهاتنا، فقال رسول الله -ﷺ- هو المخير وكان أبو بكر هو أعْلَمُنَا به.

وقال رسول الله- ﷺ: «إن من أَمَنِّ الناس عَلَيَّ في صُحْبَتِه ومالِهِ أبا بكر، ولو كُنْتُ متخذًا خليلاً من أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أبا بكر، إلاّ خُلَّة الإسلام، لا يبقيَنّ في المسجد خُوخَةٌ إلاّ خوخَة أبي بكر.(١).

والمراد بزهرة الدنيا: نعيمها وأعراضها وحدودها، وشبهها بزهر الروض.

وقوله - ﷺ: «إن من أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، معناه: أكثرهم جودًا وسماحة لنا بنفسه وماله، وليس هو من المن الذي هو الاعتداد بالصنيعة، لأنه أذى مبطل للثواب. ولأن المنة لله ولرسوله -ﷺ- في قبول ذلك وفي غيره. وقوله: (إلا خلّة الإسلام) قيل: أصل الخلة الافتقار والانقطاع، فخليل الله، المنقطع إليه. وقيل: الخلة الاختصاص، وقيل: الاصطفاء.

والمعنى: إن حب الله تعالى لم يبق في قلبه موضعا لغيره.

* وروى عبد الله، عن رسول الله - ﷺ، قال: «لو اتخذت خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا»(٢)

* وروى جبير بن مطعم، قال: أتت امرأة النبي - ﷺ - فأمرها أن ترجع إليه. قالت: أرأيتَ إن جئتُ ولم أَجِدك؟ كأنها تقول: الموت. قال ﷺ: «إن لم تجديني فأْتِي أبابكر»(٣)

* وعن عبد الله بن الزبير، أن النبي - ﷺ - نظر إلى أبي بكر - رضي الله عنه، فقال: هذا عتيق الله من النار، فمن يومئذ سمي عتيقا، وكان قبل ذلك اسمه عبد الله بن عثمان(٤).

* وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قُبض رسول الله - ﷺ - ولم يستخلف. قالت: وقال رسول الله - ﷺ: «لو كنت مستخلفًا أحدًا لاستخلفت أبا بكر»(٥).

---

(١) اللؤلؤ والمرجان ١٢٣.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤٣٩/١، ومسلم في صحيحه ١٨٤٤/٤.
(٣) اللؤلؤ والمرجان ١٢٤، وأخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي.
(٤) رواه البزار والطبراني ورجالها ثقات.
(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٦٣/٦، ومسلم ١٨٥٦/٤.

٢ - عمر بن الخطاب:

عن ابن اسحاق، قال: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن ملك، يكنى أبا حفص، وأمه خيثمة بنت هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم(١).

* عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - ﷺ:

«إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه».

* وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - ﷺ:

«قد كان فيما خلا قبلكم من الأمم ناس يُحدِثُون، فإن يكن فى أمتى هذه أحدٌ منهم فعمر بن الخطاب»(٢).

* وعن أبي سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله - ﷺ:

* بيْنَا أنا نائم رأيت الناس يُعْرَضُون علىَّ وعليهم قُمُصٌ، منها ما يبلغ الثدى، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعُرِض علىَّ عمر بن الخطاب، وعليه قميص يجرُّه، قالوا: فماذا أوَّلت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدين.

* وعن الزهرى عن سالم عن أبيه، قال: قال النبى - ﷺ:

«بينما أنا نائم رأيتُ أنِّى أُتيتُ بقدحٍ فشربت منه حتى إنِّى أرى الرِّىَّ يخرج، ثم أعطيتُ فَضْلى عمرَ، قالوا: فما أوّلت يا رسول الله؟ قال: العلم.(٣)

* عن عبد الله بن مسعود، قال: فضل عمر بن الخطاب الناس بأربع:

* بذكر الأسرى يوم بدر، أمر بقتلهم، فأنزل الله عز وجل:

﴿لولا كِتَابٌ مِنَ الله سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال ٦٨]

* وبذكر الحجاب، أمر نساء النبى - ﷺ - أن يحتجبن، فقالت له زينب، وإنَك علينا يابن الخطاب والوحى ينزل فى بيوتنا، فأنزل الله عز وجل:

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب ٥٣]

وبدعوة النبى - ﷺ - اللهم أيد الإسلام بعمر.

* وبرأيه فى أبي بكر، كان أول من بايعه.(٤)

---

(١) رواه الطبرانى وهو صحيح عن ابن اسحاق.

(٢) أخرجه البخارى ٥١٢/٦.

(٣) أخرجه البخارى فى مواضع العلم ١٨٠/١، والفضائل ٤١/٧.

(٤) رواه أحمد والبزار والطبرانى.

* وعن منزلته عند الله ورسوله - ﷺ.

* روى أبوسعيد الخُدرى، قال: قال رسول الله - ﷺ - من أبغض عمر فقد أبغضنى. ومن أحب عمر فقد أحبنى، وإن الله باهى بالناس عشية عرفة عامة، وباهى بعمر خاصة، وإنه لم يبعث الله نبيا، إلا كان فى أمته مُحْدِث، وإن يكن فى أمتى منهم أحد فهو عُمر، قالوا: يا رسول الله: كيف محدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه».(١)

٣ - عثمان بن عفان:

قال مصعب بن عبد الله الزبيرى: عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر، يكنى أبا عمرو، ويقال: أبا عبدالله. وأم عثمان بن عفان، أم حكيم البيضاء بنت عبدالمطلب، عمة رسول الله -ﷺ- وأم أم حكيم بنت عمرو بن عايد بن عمران ابن مخزوم، وهى جدة رسول الله - ﷺ.(٢)

عن خُلُقه، روى عبد الرحمن بن عثمان القرشى، أن رسول الله - ﷺ - دخل على ابنته وهى تغسل رأس عثمان، فقال: يا بُنية. أحسنى إلى عبد الله فإنه أشبه أصحابى بى خُلُقا»(٣)

وعن أمره فى غزوة بدر والحديبية..

* روى عن شقيق قال: لقى عبدُ الرحمن بن عوف الوليدَ بن عتبة، فقال له الوليد: مالى أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ قال: أبلغه عنى أنى لم أفر يوم عينين، يعنى يوم أُحد، ولم أتخلف عن بدر، ولم أترك سُنّة عمر، قال: فانطلق فخبّر ذلك عثمان. قال: فقال:

- أما قوله: إنى لم أفر يوم عينين، فكيف يعيرنى بذنب قد عفا الله عنه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا الله عَنْهُم﴾ [آل عمران ١٥٥].

وأما قوله: إنى لم أتخلف عن بدر، فإنى كنت أُمرض رقية بنت رسول الله -ﷺ- حتى ماتت، وقد ضرب لى رسول الله - ﷺ - بسهم، ومن ضرب له رسول الله بسهم فقد شهد.

- وأما قوله: إنى لم أترك سُنة عمر، فإنى لا أطيقها أنا ولا هو فائته فحدثه بذلك(٤).

وعن إعانته فى جيش العُسْرة..

روى أنس، قال: جاء عثمان بن عفان بدنانير فألقاها فى حِجْر النبى - ﷺ - فجعل رسول

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات.

(٢) رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

(٣) رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

(٤) رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى ورجاله ثقات.

الله - ﷺ - يقلّبها ويقول: ما على عثمان ما فعل بعد هذا اليوم»(١)

* وعن فضائل النقباء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان.

أخبر أبو موسى الأشعرى، أن رسول الله - ﷺ - كان في حائط (بستان) بالمدينة، على قُفِّ البئر، مدليا رجليه، فدق الباب أبو بكر، فقال له رسول الله - ﷺ - ائذن له وبشره بالجنة، ففعل، فدخل أبو بكر فدلّى رجليه، ثم دق الباب عُمر، فقال له رسول الله - ﷺ - ائذن له وبشره بالجنة، ففعل، ثم دق عثمان الباب، فقال له رسول الله -ﷺ- ائذن له، وبشره بالجنة وسيلقى بلاءً.(٢)

والبلوى التي أصابت عثمان هي ما امتحن به في آخر حياته، من تسلط القوم عليه، وطلبوا منه أن ينخلع من الخلافة، ثم قتل مظلوما - رضى الله عنه وأرضاه، واعتقاد كل مسلم من أهل السنة والجماعة أنه قتل مظلوما.

* أخرج الإمام أحمد في مسنده - بإسناد صحيح عن ابن عمر، قال: ذكر رسول الله - ﷺ - فتنة، فمر رجل فقال يقتل فيها هذا يومئذ ظلما قال: فنظرت فإذا هو عثمان.

* وعن فضائلهم أيضا، روى أنس بن مالك، أن نبي الله -ﷺ- صعد أُحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله، وقال: اثْبُتْ.. نبيٌّ وصديق وشهيدان(٣).

٤ - على بن أبي طالب:

عن نسبه، روى جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «الناس من شجر شتى، وأنا وعليّ من شجرة واحدة(٤).

وقال الطبراني: على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك. يكنى أبا الحسن.

وقال أحمد بن حنبل: بلغنى: بنو هاشم أن أبا طالب اسمه عبدمناف بن عبدالمطلب، وعبد المطلب اسمه شيبة بن هاشم، وهاشم اسمه عمروبن عبد مناف بن قصى، وقصى اسمه: زيد.

وقال الزبير بن بكار: أم على بن أبي طالب، فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ويقال: إنها أول هاشمية ولدت لهاشمي، وقد أسلمت وهاجرت إلى رسول الله -ﷺ- بالمدينة. وماتت ودفنها رسول الله -ﷺ- وأمها فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص بن عامر بن لوى(٥).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط.

(٢) أخرجه البخارى في الأدب المفرد رقم ١١٩٥.

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه ٧/٢٢، ٤٢ وأبو داود رقم ٤٦٥١.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط. (٥) رواه الطبراني وهو صحيح.

* عن أبي ذر وسلمان، قالا: أخذ النبي -ﷺ- بيد عليّ فقال: إن هذا أوّل من آمن بي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب (رئيس) المؤمنين والمال يعسوب الظالمين(١).

* وعن ابن عباس، عن النبي -ﷺ- قال: «السبق ثلاثة، السابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى ياسين، والسابق إلى محمد على بن أبوطالب(٢).

* عن سلمة بن الأكوع، قال: كان عليّ رضي الله عنه، تخلّف عن النبي -ﷺ- في خيبر، وكان به رمد، فقال: أنا أتخلّف عن رسول الله -ﷺ- فخرج عليّ فلحق بالنبي فلما كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها، فقال رسول الله -ﷺ- «لأعطينّ الراية» أو قال: «ليأخذن غدًا رجل يُحبُّه الله ورسوله» أو قال: يُحبُّ الله ورَسُولَه يفتح الله عليه» فإذا نَحْنُ بعليّ وما نرجوه، فقالوا: هذا عليٌّ، فأعطاه رسول الله -ﷺ- ففتح الله عليه»(٣).

* وعن سعد بن أبي وقاص، أن رسول الله -ﷺ- خرج إلى تبوك، واستخلف عليًّا، فقال أتُخلّفني في الصبيان والنساء؟ قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبيٌّ بَعْدِي»(٤).

* وعن زيد بن أرقم، قال: لما رجع رسولُ الله -ﷺ- عن حجة الوداع ونزل غدير خُم، أمر بدَوْحات فقممن، ثم قال: كأني قد دُعيت فأجبت، إنّي قد تركتُ فيكم الثّقَلين، أحدهما أكبرَ من الآخر كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردًا عليَّ الحوضَ. ثم قال: إن الله مولاي، وأنا ولّي كل مؤمن، ثم أخذ بيدي عليٍّ فقال: من كنتُ وليّه، فهذا وليُّه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه.

* قيل لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟

قال: ما كان في الدّوحات رجل إلا رآه بعينه وسمعه بأذنه.(٥)

وعن فضائل نقبائه وخلفائه الأربعة، وردت أحاديث كثيرة.

* روى سفينة مولى رسول الله -ﷺ- قال: قال رسول الله -ﷺ-:

«الخلافة في أُمتّي ثلاثون سنة، ثم مُلْكًا بعد ذلك».

قال: فحسبنا فوجدنا أبا بكر وعمر وعثمان وعليا(٦).

(١) رواه الطبراني والبزار.

(٢) رواه الطبراني ورجاله حديثهم حسن أو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، واللؤلؤ والمرجان ١٣٣.

(٤) اللؤلؤ والمرجان ١٣٢.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٣٦٧/٤ والحاكم في مستدركه ١٠٩/٣ وصحيح مسلم في كتاب الفضائل ١٨٧٣/٤.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٢٠/٥ وأبو داود في سننه رقم ٤٦٤٦.

ثانيًا: النُّجَبَاء(١)

١ - أبو بكر الصديق.
٢ - عمر بن الخطاب.
٣ - حمزة بن عبد المطلب.
٤ - على بن أبى طالب.
٥ - جعفر بن أبى طالب.
٦ - أبو ذر الغفارى.
٧ - المقداد بن الأسود.
٨ - سلمان الفارسى.
٩ - حذيفة بن اليمان.
١٠ - عبد الله بن مسعود.
١١ - عمّار بن ياسر.
١٢ - بلال بن رباح.

وسنقف عند أبرزهم إن شاء الله.

١ - جعفر بن أبى طالب:

هو جعفر بن أبى طالب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم النبى -ﷺ-، وأخو علىّ وكان أسن منه بعشر سنين، أحد السابقين إلى الإسلام، أسلم بعد خمسة وعشرين رجلا، وهاجر إلى الحبشة فى الهجرة الثانية، فلم يزل هنالك إلى أن هاجر النبى إلى المدينة، ووقعت خيبر فقدم جعفر المدينة سنة سبع للهجرة، وأرسله النبى -ﷺ- فى غزوة مؤتة فأبلى بلاء حسنا حتى قطعت يداه واستشهد فيها سنة ثمان. فعوضه الله عن يديه جناحين فى الجنة.(٢)

* تحدث الرسول -ﷺ- عنه فى أحاديث عدة.

منها ما رواه أبو هريرة، قال: ما احتذى النعال ولاركب الكوَر (الرُّحل) ولا ركب المطايا، بعد رسول الله -ﷺ- أفضل من جعفر بن أبى طالب(٣).

* وقال اسماعيل بن عامر، كان ابن عمر إذا سلّم على عبد الله بن جعفر قال: «السلام عليك يابن ذى الجناحين(٤). لأن النبى -ﷺ- أخبر أن لجعفر جناحين يطير بهما فى الجنة، عوضا عن يديه اللتين قطعتا فى غزوة مؤتة، وهو مقبل غير مدبر.

وعن أبى قتادة، أن رسول الله -ﷺ- صعد المنبر فأمر المنادى أن ينادى: الصلاة جامعة،

---

(١) نهاية الأرب ٢٣٧/١٨.

(٢) ترجمته فى: ابن سعد ٣٤/٤، الاستيعاب ٢١٠/١، حلية الأولياء ١١٤/١، مقاتل الطالبيين ٦، أسد الغابة ٢٨٦/١ الإصابة ٢٣٧/١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٤١٢، والترمذى فى جامعه ٣٣٨/٤.

(٤) قول ابن عمر هذا أخرجه البخارى فى صحيحه، الفضائل ٥/٧ والترمذى ٥١٥/٧.

فقال رسول الله -ﷺ- ثَابَ خبرٌ، ثابَ خبر، ثاب خبر.. ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازى، إنهم انطلقوا حتى إذا لقوا العدو، لكن زيدًا أصيب شهيدًا، فاستغفروا له ثم أخذ اللواء جعفر فشدّ على القوم، فقتل شهيدًا، أنا أشهد له بالشهادة، فاستغفروا له.. الحديث[١].

٢ - عمّار بن ياسر

هو عمار بن ياسر أبو اليقظان العنسى ثم المذحجى، والده ياسر، عربى قحطانى وأمه سُميّة أَمَةٌ لبعض بنى مخزوم، فولدت له عمارًا، كان عمّار من السابقين الأولين إلى الإسلام، هو وأبوه وأمه.

وكان رسول الله -ﷺ- يمر عليهم فيقول: صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة، شهد المشاهد كلها مع رسول الله -ﷺ- ثم شهد اليمامة فأبلى بلاء حسنا[٢].

وقد تحدث عنه رسول الله -ﷺ- كثيرا، وذكر فضائله:

* قال خالد بن الوليد: «بعثنى رسول الله -ﷺ- فى سريّة، فأصبنا أهل بيتٍ قد كانوا وحّدوا، فقال عمار: هؤلاء قد احتجزوا منا بتوحيدهم، فلم ألتفت إلى قول عمّار، فقال عمار: أما لأخبرَنّ رسول الله -ﷺ- فلما قدمنا عليه شكانى إليه، فلما رأى النبى -ﷺ- لا ينتصر منى أَدْبَرَ وعيناه تدمعان، فردّه النبى -ﷺ- ثم قال ﷺ: يا خالد.. لا تسبّ عمارًا فإنه من سبّ عمارًا يسبّه الله، ومن ينتقص عمارًا ينتقصه الله، ومن سفّه عمارًا يسفهه الله.

قال خالد: فما من ذنوبى شىء أخوف عندى من تسفيهى عمارًا.[٣].

* عن عمرو بن شرحبيل، قال: حدثنا رجل من أصحاب النبى -ﷺ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: ملئ عمّار بن ياسر إيمانه إلى مشاشه.[٤].

والمشاش: رؤوس العظام اللينة التى يمكن مضغها، كناية عن كمال إيمانه وتمكن الإيمان من قلبه.

* وقال عمرو بن العاص: إنى لأرجو أن لا يكون النبى -ﷺ- مات يوم مات وهو يحب رجلا فيدخله الله النار، قالوا: قد كنا نراه يحبك، قد كان يستعملك، قال: الله أعلم، أحبنى أم تألّفنى، ولكنا قد كنا نراه يحب رجلا، قالوا: من ذاك الرجل؟ قال: عمار بن ياسر، قالوا: فذاك قتيلكم يوم صفين، قال: قد والله قتلناه.[٥].

* عن أم سلمة، أن رسول الله -ﷺ- قال لعمّار: تقتلك الفئة الباغية.[٦].

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٢٢٩/٥.
(٢) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٢٤٦/٣، حلية الأولياء ١٣٩/١، الاستيعاب ٤٧٦/٢، الإصابة ٥١٢/٢.
(٣) أخرجه الحاكم ٣٨٩/٣، وقال صحيح الاسناد.
(٤) فتح البارى لابن حجر ٩٢/٧.
(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣٩٢/٣.
(٦) مسند الإمام أحمد ٣٠٠/٦، ومسلم ٢٢٣٦/٤.

٣ - عبد الله بن مسعود:

هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلى، أمه أم عبد، أسلمت وهاجرت، فهو صاحبى ابن صحابية. كان سادس ستة فى الإسلام - لا مسلم غيرهم، وهاجر الهجرتين، وشهد بَدْرًا وأُحدًا، والمشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ - وكان مقربا إلى رسول الله - ﷺ - ومن القراء والفقهاء والعلماء والأخيار، تناول سبعين سورة من فى رسول الله - ﷺ - وكان موضع إجلال من جميع الصحابة لمكانته فى العلم والفقه[١].

ذكره رسول الله - ﷺ - فى أحاديث كثيرة..

* عن عمر - رضى الله عنه - قال: قال النبى - ﷺ - «ومن سَرَّه أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أُنْزِل، فليقرأه على قراءة ابن مسعود»[٢].

وفى رواية: «من أحب أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل، فليقرأ على قراءة ابن أم معبد.

* عن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله - ﷺ - بمكة عبد الله بن مسعود، قال: اجتمع يوما أصحاب رسول الله - ﷺ - فقالوا:

والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يُسْمِعُهُمُوه؟

قال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعونى فإن الله عز وجل سيمنعنى، قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام من الضحى، وقريش فى أنديتها، فقام عند المقام، ثم قال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ رافعاً صوته ﴿الرحمن علم القرآن﴾ قال: ثم استقبلها يقرأ فيها، قال: وتأملوا فجعلوا يقولون ما يقول ابن أم عبد، ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون فى وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثروا فى وجهه، فقالوا: هذا الذى خشيناه عليك، قال: ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها، قالوا: حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون[٣].

* وعن عبد الرحمن بن يزيد، قلنا لحذيفة، أخبرنا بأقرب الناس سمتا من رسول الله - ﷺ - نأخذ عنه ونسمع منه، فقال: كان أشبه الناس سمتا ودَلًّا وهديا برسول الله - ﷺ - ابن أم عبد[٤].

---

(١) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ١٥٠/٣، حلية الأولياء ١٢٤/١، والاستيعاب ٣١٦/٢، والإصابة ٣٦٨/٢.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ٧/١، والحاكم فى مستدركه ٣١٨/٣، وابن ماجه ١٣٨.

(٣) مرسل ورجاله ثقات، الجرح ١٧٥/٢/٤، التهذيب ٢٥٧/١١.

(٤) مسند الإمام أحمد ٤٠١/٥.

والسمت: حسن الهيئة والنظر فى الدين.

قال حذيفة: لقد علم المحفوظون أصحاب محمد ابن أم عبد من أقربهم إلى الله وسيلة(١).

* عن حارثة قال: قرئ علينا كتاب عمر:

«السلام عليكم، أما بعد، فإنى قد بعثت إليكم عمارًا أميرًا، وعبد الله (ابن مسعود) معلمًا ووزيرًا، وإنهما من نجباء أصحاب محمد، وممن شهد بدرًا، اسمعوا لهما، وأطيعوا، وقد آثرتكم بهما على نفسى.

٤ - بِلَال بن رَبَاح الحبشى:

اسمه بلال، واسم أبيه رباح، واسم أمه حمامة، كان صادق الإسلام، طاهر القلب، عُذِّب فى الله أشد العذاب فصبر، ثم اشتراه أبو بكر الصديق فأعتقه، وكان مؤذنا لرسول الله - ﷺ - وخازنا، وشهد مع رسول الله - ﷺ - المشاهد كلها، فضائله كثيرة شهيرة، ذكره رسول الله - ﷺ - فى أحاديث عدة:

* فعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله - ﷺ - أريت أنى دخلتُ الجنة، وسمعت خَشْفًا أمامى، فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا بلال، فإذا قصرٌ أبيض بفنائه جارية. فقلت: لمن هذا يا جبريل؟ قال: هذا لعمر بن الخطاب(٢).

* وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ - لبلال عند صلاة الفجر، حدِّثنى بأَرْجَى عمل عملته عندك فى الإسلام، فإنى سمعت البارحة خَشْف نعليك بين يدىّ فى الجنة.

قال: ما عملت فى الإسلام أرجى عندى أنى لم أطَهِّر طهورًا تاما فى ساعة من ليل ولا نهار إلاّ صليت لربى ما كتب لى أن أُصلى(٣).

وقد بوّب البخارى على هذا الحديث: (باب الطهور بالليل والنهار، وفضل الصلاة عند الطهور بالليل والنهار) وقد وقع هذا السمع مناما، ورؤيا الأنبياء وحى، ومشى بلال بين يدى النبى - ﷺ - كان من عادته فى اليقظة، فاتفق مثله فى المنام، وهذه فضيلة ومنقبة ظاهرة لسيد المؤذنين.

* عن سعد بن أبى وقاص، قال: كنا مع رسول الله - ﷺ - ونحن ستة نفر، فقال المشركون: اطرد هؤلاء عنك، فإنهم وإنهم، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان نسيت أسماءهما، قال: فوقع - يعنى فى نفسه - ما شاء الله، وحدَّث به نفسه، فأنزل الله عز وجل:

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير ٨٧/٩.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٧٢/٣، والبخارى فى صحيحه ٤٠/٧، ومسلم فى صحيحه ١٩٠٨/٣ والخشف حركة الرجلين.

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٣٣/٢، والبخارى ٣٤/٣.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِنْ شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِنْ شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام ٥٢][1].

٥ - سَلْمَان الفارسى:

أبو عبد الله، يعرف بسلمان الخير، سئل عن نسبه، فقال: أنا سلمان ابن الإسلام، وأصله من فارس، وسبب إسلامه مشهور، هرب من أبيه وكان دهقانا مجوسيا، فلحق براهب، ثم جماعة من الرهبان واحد بعد آخر، يصحبهم إلى وفاتهم.

روى عنه البخارى فى صحيحه، أنه تداوله بضعة عشر سيدًا، إلى أن ألقت به النوى إلى الحجاز، وذلك بإشارة آخر راهب كان عنده، وأخبره بظهور النبى - ﷺ - فقصده مع عرب، فغدروا به وباعوه إلى يهودى، ثم اشتراه منه يهودى من قريظة، فقدم به المدينة، فأقام بها مدة حتى قدمها رسول الله - ﷺ - فأتاه بصدقة فلم يأكل منها، ثم أتاه بعد مدة بهدية فأكل منها، ثم رأى خاتم النبوة بين كتفيه، فقبّله وبكى، فأجلسه النبى - ﷺ - بين يديه[2].

ذكره الرسول - ﷺ - فى أحاديث جمة، وأثنى عليه وعلى صدق إيمانه، وأخذ برأيه فى حفر الخندق.

* قالت عائشة - رضى الله عنها: كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ - ينفرد به، حتى كاد يغلبنا على رسول الله - ﷺ.

* وعن أبى هريرة، قال: كنا جلوسا عند النبى - ﷺ - إذْ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ ﴿وآخرين منهم لمَّا يلحقوا بهم﴾ [الآية ٣] قال: من هؤلاء يا رسول الله؟

فلم يراجعه رسول الله ﷺ - حتى سأله مرّة أو مرتين أو ثلاثا،

قال: «وفينا سلمان» فوضع النبى - ﷺ - يده على سلمان، ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال من هؤلاء»[3].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ١٨٧٨/٣، وابن ماجه فى سننه رقم ٤١٢٨.

(٢) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧٥/٤، الاستيعاب ٥٦/٢، الإصابة ٦٢/٢، فتح البارى ٢٧٧/٧.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ٦٤١/٨، ومسلم فى صحيحه ٩٧٢/٤.

ثالثًا: الحَوَارِيُّون(١)

١ - أبو بكر الصديق.
٢ - عمر بن الخطاب.
٣ - عثمان بن عفان.
٤ - على بن أبى طالب.
٥ - طلحة بن عبيد الله.
٦ - الزبير بن العوّام.
٧ - سعد بن أبى وقاص.
٨ - أبو عبيدة بن الجرّاح.
٩ - عثمان بن مظعون.
١٠ - عبد الرحمن بن عوف.
١١ - حمزة بن عبد المطلب.
١٢ - جعفر بن أبى طالب.

وكان أكثرهم شهرة الزبير بن العوام، إذ كان يسمى حوارىّ رسول الله.

١ - الزُّبَيْر بن العوام:

هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن العزّى بن قُصى بن كلاب القرشى، أبو عبد الله حوارى رسول الله - ﷺ - وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، الصحابى الشجاع المقدام، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى لانتخاب الخليفة بعد عمر. وهو أول من سل سيفه فى سبيل الله، شهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله(٢)

تحدّث عنه رسول الله - ﷺ - فى أحاديث كثيرة، ونوّه بِذِكْرِه ومكانته.

فقد روى جابر، قال: قال رسول الله - ﷺ - من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا، فقال رسول الله - ﷺ - «إن لِكُلِّ نبىٍّ حواريًّا، وحوارىَّ الزبير»(٣).

وعن جابر بن عبدالله أيضًا، قال: قال النبى - ﷺ: «الزبير هو ابن عمتى وحوارى من أُمّتى»(٤) والحوارى، قيل فى معناه - الناصر، والخالص، والخليل، والوزير، والذى يصلح للخلافة، والخاصة من الأصحاب، وحوارى الرجل: صفوته وصاحب سره من الحَوَر، شدة البياض، والحواريون: أصحاب عيسى بن مريم - عليه السلام - وأنصاره.

قال ابن عباس: سمىّ الحواريون، لبياض ثيابهم، وكانوا صيادين، وأصله من التحوير أى التبييض. يبيضون قلوبهم من غرائز الشر والدنس المعنوى، وثيابهم من الدنس المادى.

---

(١) نهاية الأرب ٢٣٧/١٨، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ٣٦/١.

(٢) ترجمته فى طبقات ابن سعد ١٠٠/٣، حلية الأولياء ٨٩/١، الاستيعاب ٥٨٠/١، أسد الغابة ١٩٦/٢.

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٠٧/٣، والبخارى، الفضائل ٧٩/٧، ومسلم ١٨٧٩/٤.

(٤) مسند الامام أحمد من حديث عبد الله بن الزبير ٤/٤.

وشبه رسول الله - ﷺ - الزبير بهم فى نصرته، وإخلاصه له.

* عن عبد الله بن الزبير، قال : كنت يوم الأحزاب جُعلت أنا وعمر بن سلمة مع النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجع قلت له: يا أبت رأيتك تختلف قال: أَوَ هل رأيتنى يابُنَى ؟ قلت: نعم، فإن رسول الله - ﷺ - قال: من يأتى بنى قريظة فيأتنى بخبرهم، فانطلقت، فلما رجعت جمع لى رسول الله - ﷺ - أبويه، فقال: فداك أبى وأمى»[١].

٢ - طلحة بن عُبيد الله:

هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمى القرشى المدنى، أبو محمد، صحابى شجاع من الأجواد، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، الذين سمّاهم عمر.

قال ابن عساكر: كان من دهاة قريش، ومن علمائهم، وكان يقال عنه: طلحة الجود، وطلحة الخير، وطلحة الفياض، شهد أُحُدا وثبت مع رسول الله - ﷺ، وبايعه على الموت، وشهد الخندق وسائر المشاهد[٢] استشهد يوم الجمل سنة ٣٦ للهجرة.

ذكره رسول الله - ﷺ - فى أحاديثه، وأثنى على شجاعته وبطولته، ومايتنتظره عند الله.

فعن أبى بكر بن حفص، أن رسول الله - ﷺ - ظاهر يوم أُحد بين درعين، قال: فلما صعد فى الجبل، انتهى إلى صخرة فلم يستطع أن يصعدها، فجاء طلحة فبرك له فصعد رسول الله - ﷺ - على ظهره. قال: وجاء رجل يريد أن يضربه بالسيف، فوقاه طلحة بيده فشُلّت، فقال رسول الله - ﷺ أوجب طلحة.

* عن ابن أبى مليكة، أن رسول الله - ﷺ - قال له يومئذ: أبشر يا طلحة بالجنة اليوم.

* عن عبدالله بن الزبير، عن الزبير، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول يومئذ: أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ - ماصنع. يعنى حين برك له طلحة، فصعد رسول الله - ﷺ - على ظهره[٣].

* وعن موسى بن طلحة، أن طلحة ضربت كفه يوم أحد، فقال: حِسّ، فقال له النبى - ﷺ: لو قلت «بسم الله» لرأيت يُبْنَى لك بها بيت فى الجنة وأنت حى فى الدنيا[٤].

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه. الفضائل ٨٠/٧، ومسلم فى صحيحه ١٨٨٠/٤.

(٢) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٢١٤/٣، حلية الأولياء ٨٧/١، الاستيعاب ٢١٩/٢، تهذيب ابن عساكر ٧١/٧ الاصابة ٢٢٩/١/٢. تهذيب التهذيب ٢٠/٥.

(٣) مسند الإمام أحمد ١٦٥/١، وأخرجه الترمذى ١/٤، والحاكم ٣٧٤/٣.

(٤) تهذيب ابن عساكر ٧٧/٦، وابن حجر فى الاصابة ٢٣٠/٢، وكنز العمال ٦٩٧/١١ (وَحِسّ: كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما أمضّه وأحرقه غفلة) النهاية ٣٨٥/١.

٣ - سعد بن أبي وقّاص:

هو سعد بن أبي وقاص بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو اسحاق، الصحابي الجليل، أسلم وهو ابن سبعة عشر عاما، وشهد بدرًا، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. وآخرهم موتا. كان أحد الفرسان الأبطال. وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، في سرية عبيدة ابن الحارث، بعد الهجرة. وأحد الستة أهل الشورى الذى سمّاهم عُمر.

وقال: إن اصابته الإمرة فذاك وإلا فليستعن به الوالى. وكان رأس من فتح العراق، وولى الكوفة لعمر، ووليها لعثمان، ثم عزله فعاد إلى المدينة، وكان رحمة الله عليه مستجاب الدعوات، بدعوة المصطفى - ﷺ - «اللهم استجب لسعد إذا دعاك» مات سنة خمس وخمسين للهجرة[١].

تحدث عنه الرسول - ﷺ، وورد ذكره ومناقبه في أحاديث كثيرة..

* فعن عبد الله بن شداد، قال: سمعت عليا يقول: ما سمعت النبى - ﷺ، يجمع أباه وأمه لأحد غير سعد بن أبي وقاص، فإني سمعته يوم أُحُد يقول: «ارم ياسعد فداك أبي وأمي»[٢].

* وعن عائشة بنت سعد: قالت: «أنا بنت المهاجر الذى فداه رسول الله - ﷺ - يوم أُحُد بالأبوين».

* وعن عائشة رضى الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - سهر ذات ليلة وهى إلى جنبه، قالت: فقلت: ماشأنك يارسول الله؟ فقال: ليت رجلا صالحًا من أصحابي يحرسنى الليلة. قالت: فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح، فقال: من هذا؟ فقال: سعد بن مالك. قال: ماجاء بك؟ قال: جئت لأحرسك يارسول الله، قالت: فسمعت غطيط رسول الله - ﷺ في نومه»[٣].

٤ - أبُو عُبَيْدة بن الجرّاح:

هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب، ويقال: وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي الفهرى، أبو عبيدة الجراح، الصحابي الجليل، السابق إلى الإسلام، أحد العشرة المبشرين بالجنة، شهد مع النبى - ﷺ - المشاهد كلها، وولاه عمر بن الخطاب قيادة الجيش الزاحف إلى الشام بعد خالد بن الوليد، فتم له فتح الديار الشامية، لقبه النبى - ﷺ - بأمين الأمة[٤].

---

(١) ترجمته في: طبقات ابن سعد ١٣٧/٣، الاستيعاب ١٨/٢، تذكرة الحفاظ ٢٢/١، أسد الغابة ٢٩٠/٢. الاصابة ٣٣/١/٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٩٢/١، والبخارى ٩٣/٦ ومسلم ١٨٧٦/٤، والترمذى ٦٥٠/٥.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٤١/٦، والبخارى ٨١/٦ ومسلم ١٨٧٥/٤، والترمذى ٦٥٠/٦.

(٤) ترجمته في: ابن سعد ٤٠٩/٣، حلية الأولياء ١٠٠/١، صفة الصفوة ٣٦٥/١، الاستيعاب ٢/٣ وأسد الغابة ٨٤/٣، الإصابة ٢٥٢/١/٢.

تحدث عنه الرسول - ﷺ - فى أحاديث كثيرة، وذكر مناقبه وفضائله.

* فعن حذيفة، قال: جاء العاقب والسيد- وهما صاحبا نجران- إلى النبى - ﷺ، فقالا أرسل معنا رجلاً أمينًا أمينًا أمينًا، قال: فجثا لها أصحاب النبى - ﷺ -على الركب، قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح(١).

* وقال عبد الله، قال رسول الله - ﷺ - أخلائى من هذه الأمة ثلاثة: أبوبكر وعمر وأبوعبيدة بن الجراح(٢).

* وعن أنس بن مالك، أن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله - ﷺ - سألوه أن يبعث معهم رجلا يعلمهم، فبعث أبا عبيدة، وقال: هو أمين هذه الأمة.(٣).

* عن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال رسول الله - ﷺ: أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلى فى الجنة، وقال مرة أخرى: وعلى فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وطلحة فى الجنة، والزبير فى الجنة، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة(٤).

رابعا: الأمناء

كان لرسول الله ﷺ مجموعة من الأمناء(٥).

(أ) الأمين على النساء:

١ - عبد الرحمن بن عوف.
٢ - أبو أسيد بن أسيد الساعدى.

(ب) الأمين على النفقات:

بلال بن رباح.

(جـ) الأمين على الخاتم:

معيقيب.

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٤٠١/٥، والبخارى ٩٣/٨، والترمذى ٦٦٧/٥.
(٢) ذكره الذهبى فى سير النبلاء ٧/٣.
(٣) المسند ١٢٥/١، ومسلم ١٨٨١/٤، وابن سعد ٤١١/٣.
(٤) أخرجه أحمد فى مسنده ١٩٣/١ والترمذى فى جامعة ٣٣٤/٤.
(٥) السيرة الحلبية ٣٦٥/٣.

عبد الرحمن بن عوف:

هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشى الزهرى، أبو محمد. من أكابر الصحابة، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، الذين جعل عمر الخلافة فيهم، هاجر الهجرتين، وشهد مع النبى -ﷺ- بدرًا وسائر المشاهد، كان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة، أو عبد عمرو، فسماه الرسول -ﷺ- عبدالرحمن. كان أحد أثرياء الصحابة، ينفق ماله فى سبيل الله، وخدمة أزواج النبى -ﷺ- بعده[١].

* عن عبد الرحمن بن الأخنس، قال: قام سعيد بن زيد، فقال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وطلحة فى الجنة، والزبير فى الجنة، وسعد فى الجنة، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة، ولو شئت أن أسمى التاسع لسميتُ فظنناه يعنى نفسه[٢].

* وعن عبد الرحمن بن الأخنس، عن سعيد بن زيد، قال: اهتز حراء فقالَ رسول الله -ﷺ- اثبت حراء، فليسَ عليك إلا نبىّ أو صدِّيق أو شهيد، وعليه رسول الله وأبو بكر، وعمر وعثمان، وعلى، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وأنا[٣]».

* عن عبد الله بن جعفر، عن أم بكر، أن عبدالرحمن بن عوف باع أرضا له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار، فقسم فى فقراء بنى زُهرة، وفى ذى الحاجة من الناس، وفى أمهات المؤمنين، قال المسوّر: فدخلت على عائشة بنصيبها من ذلك، فقالت: من أرسل بهذا؟ قلت: عبد الرحمن بن عوف، فقالت: إن رسول الله - ﷺ - قال: «لا يحنأ عليكن بعدى إلاّ الصابرون، سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة[٤].

خامسًا: أمراء رسول الله ﷺ

كان رسول الله - ﷺ - يبعث بأمرائه إلى خارج المدينة المنورة، عاصمة الدولة الإسلامية. لإدارة شئون تلك البلاد، وقيادة المسلمين فيها، وتعليمهم الفرائض والأحكام والقرآن، وجمع الزكاة من المسلمين، وتحصيل الجزية من أهل الذمة، وهؤلاء الأمراء هم:[٥]

---

(١) ترجمته فى: ابن سعد ١٢٤/٢، حلية الأولياء ٩٨/١، الاستيعاب ٣٩٣/٢، أسد الغابة ٣٩٣/٢ البداية والنهاية ١٦٣/٧، الإصابة ١/٢.

(٢) أخرجه الامام أحمد فى مسنده ١٨٧/١، وأبو داود فى سننه رقم ٤٨، والترمذى فى جامعه ٣٣٦/٤.

(٣) المسند ١٨٧/١، سنن أبى داود رقم ٤٨.

(٤) المسند ١٣٥/٦، وابن سعد ١٣٢/٣.

(٥) زاد المعاد فى هدى خير العباد ٣١/١.

١ - باذان بن ساسان من ولد بهرام
أمّره الرسول - ﷺ - على اليمن كلها بعد موت كسرى، فهو أول أمير فى الإسلام على اليمن، وأول من أسلم من ملوك العجم.

٢ - خالد بن سعيد بن العاص.
كان أميرًا على صنعاء بعد مقتل أميرها شهر بن باذان.

٣ - زياد بن لبيد الأنصارى. كان أميرًا على حضرموت.

٤ - أبو موسى الأشعرى. كان أميرًا على زبيد وعدن والساحل.

٥ - معاذ بن جبل.. كان أميرًا على اليمن، ومعه على بن أبى طالب على القضاء.

٦ - أبو سفيان بن حرب.. كان أميرًا على نجران.

٧ - يزيد بن أبى سفيان.. كان أميرًا على تيماء.

٨ - عتاب بن أسيد.. كان أميرًا على مكة وعلى إقامة الموسم والحج بالمسلمين.

٩ - عمرو بن العاص.. كان أميرًا على عُمان وأعمالها.

* وجعل الرسول - ﷺ - أبا بكر الصديق أميرًا على الحج فى السنة التاسعة للهجرة، وبعث فى أثره عليا بن أبى طالب فقرأ على الناس سورة براءة.

* وجعل المهاجر بن أبى أمية المخزومى أميرًا على كندة والصدف، ولكن رسول الله - ﷺ - تُوفى قبل خروج المهاجر.

عمرو بن العاص:

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم السهمى القرشى، أبو عبد الله. أسلم قبل الفتح، فى صفر سنة ثمان، وقيل بين الحديبية وخيبر، كان فى الجاهلية شديدًا على الإسلام، فلما أسلم كان شديد الحياء من رسول الله - ﷺ، لا يرفع طرفه إليه، ولّاه النبى - ﷺ - إمرة جيش ذات السلاسل، وأمده بأبى بكر وعمر، ثم استعمله على عُمان، ثم كان من أمراء الجيوش فى الجهاد بالشام فى زمن عمر. وهو الذى افتتح قنسرين، وولاه عمر فلسطين ثم مصر فافتتحها، وعزله عثمان. ولما كانت الفتنة بين علىّ ومعاوية، كان عمرو - رضى الله عنه - مع معاوية، وولاه معاوية مصر، فكان بها حتى توفى سنة ٤٣ للهجرة[١].

* ذكره رسول الله - ﷺ - فى أحاديث جمة، وأثنى على بطولته وجهاده.

روى عن عمرو بن العاص، أنه قال: قال لى رسول الله - ﷺ - يا عمرو.. أشدد عليك

(١) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٢٥٤/٤، الاستيعاب ٥٠٨/٢، أسد الغابة ١١٥/٤، الإصابة ٢/٣.

سلاحك وثيابك وائتني، ففعلت فجئته وهو يتوضأ، فصعَّد فيَّ البصر وصَوَّبه، وقال: يا عمرو.. إني أريدأن أبعثك وجها فيسلمك الله ويغنمك، أرغب لك من المال رغبة صالحة.. قال: قلت: يا رسول الله إني لم أسلم رغبة في المال، إنما أسلمت رغبة في الجهاد والكينونة معك.

قال: يا عمرو نعمًا بالمال الصالح للمرء الصالح[١].

* وقال طلحة بن عبيد: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «نعم أهل البيت عبد الله، وأبو عبد الله، وأم عبد الله[٢]».

* وقال عقبة بن عامر: سمعت رسول الله - ﷺ يقول: «أسلم الناسُ وآمن عمرو بن العاص[٣]».

* وقال طلحة بن عبيد: لا أحدِّث عن رسول الله شيئا، إلَّا أني سمعته يقول: «إن عمرو بن العاص من صالح قريش[٤]».

وفي رواية مجمع الزوائد[٥] «ألا أخبركم عن رسول الله بشيء إلا أني سمعته يقول:...».

سادسًا: موالي رسول الله - ﷺ -

ذكر النويري - في كتابه[٦] - أن موالي رسول الله - ﷺ - من الرجال الأحرار أحد عشر رجلا هم:

١ - أنس بن مالك بن النضر.
٢ - هند بن حارثة.
٣ - أسماء بن حارثة.
٤ - ربيعة بن كعب الأسلمي.
٥ - عبد الله بن مسعود.
٦ - عُتبة بن عامر بن عبس.
٧ - بلال بن رباح.
٨ - سعد مولى أبي بكر.
٩ - ذو مخمر - ابن أخي النجاشي.
١٠ - بكير بن شراخ الليثي.
١١ - أبو ذر الغفاري.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٠٢/٤، والحاكم ٢/٢ وقال: صحيح على شرط مسلم.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٦١/١.
(٣) أخرجه الترمذي ٨٧٥/٥، أسد الغابة ١١٧/٤.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ١٦١/١ والترمذي ٦٨٨/٥.
(٥) مجمع الزوائد ٣٥٤/٩ - وهذا أوفق للمعنى (فألا) يمكن أن يكون الصواب: ألا أحدث.. إلا أني سمعت.. بأداة التنبيه لا الاستثناء.
(٦) نهاية الأرب ٢٢٣/١٨.

وذكر أبو محمد الدمياطى، أن موالى رسول الله - ﷺ - من الرجال واحد وثلاثون، وهم:

١ - زيد بن حارثة.
٢ - أسامة بن زيد.
٣ - ثوبان بن يجدد.
٤ - أبو كبشة.
٥ - أنسة أبو مسرح.
٦ - شقران.
٧ - رباح.
٨ - بشار.
٩ - رافع.
١٠ - أبو رافع.
١١ - أبو مويهبة.
١٢ - فضالة.
١٣ - مدعم.
١٤ - أبو ضمرة.
١٥ - كركرة.
١٦ - زيد.
١٧ - عبيد.
١٨ - طهمان.
١٩ - مابور.
٢٠ - واقد.
٢١ - أبو واقد.
٢٢ - هشام.
٢٣ - حنين.
٢٤ - أبو عيب وأسمه (أحمر).
٢٥ - سفينة (أبو عبيدة).
٢٦ - أبو هند.
٢٧ - أنجشة.
٢٨ - أنيسة.
٢٩ - أبو لبابة.
٣٠ - رويفع.
٣١ - سعد.

أما ابن الوردى، فقد ذكر فى تاريخه(١)، أن عدد موالى رسول الله من الرجال ستة وخمسون، وذكر منهم حوالى سبعة وأربعين.

● وأما مواليه وسراريه من النساء، فإحدى عشرة، وهن:

١ - بركة أم أيمن.
٢ - أميمة.
٣ - حيضرة.
٤ - رضوى.
٥ - ريحانة.
٦ - سلمى أم رافع.
٧ - مارية.
٨ - ميمونة بنت سعد.
٩ - ميمونة بنت أبى عسيب.
١٠ - ضميرة.
١١ - أم عياش.

---

(١) تاريخ ابن الوردى ١٨٤/١.

* ومهما كان العدد، فالثابت علميا أن عددًا من الرجال والنساء قاموا بخدمة رسول الله - ﷺ - ولازموه حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى.

وسنذكر الآن أبرزهم وأكثرهم أثرًا فى حياة رسول الله ﷺ.

١ - زيد بن حارثة:

كنيته أبو أسامة، وهو ابن لقبيلة من قبائل العرب، خرج مع عشيرته فى إحدى القوافل، فَسَطَا عليه بعض قُطاع الطرق من الأعراب، فسلبوه من أحضان والديه، وباعوه فى مكة، فاشتراه حكيم ابن حزام فى سوق عكاظ للسيدة خديجة بنت خويلد(١).

ولما تزوجت بالرسول - ﷺ - وهبته له، فاعتقه وزوّجه أم أيمن، فولدت له أسامة بن زيد.

أحب زيدٌ رسول الله - ﷺ - وتفانى فى خدمته، جاءه أبوه حارثة وعمه كعب إلى النبى - ﷺ - يطلبانه، فقال: أدعوه وأخيّره، فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى اختار على من اختارنى أحدًا(٢) قالوا: أنصفت وأحسنت.

جاء زيد فلما رأى أباه وعمه عانقهما وبكى، ثم قال للرسول: «ما تريد يامولاى؟».

قال ﷺ: «أتعرف هؤلاء؟» قال: نعم، هذا أبى حارثة وهذا عمى كعب.

قال: «وأنا من قد علمت ورأيت صحبتى لك، قد جاء قومك اليوم يستنقذونك ويفتدونك، فاخترنى أو اخترهما(٣). قال: ما أنا بالذى أختار عليك أحدًا، أنت منى مكان الأب والعم(٤). عندها أمسك رسول الله - ﷺ - بيد زيد، وسار به حتى أتى الحجر وطاف به على حلقات قريش، وقال: «اشهدوا أن زيدًا ابنى، يرثنى وأرثه، وأنه حرأمره بيده»(٥) فلما رأى القوم أباه وعمه، قالوا: الآن طابت نفوسنا، يازيد عليك بهذا الرجل الكريم، فلن ترى مثله أحدًا.

وزيد أول من أسلم من الموالى، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، وكان هو البشير لأهل المدينة بنصر المؤمنين يوم بدر.

وزوّجه رسول الله - ﷺ - زينب بنت جحش، ولم يدم الزواج ووقع الفراق. وقد سبق أن ذكرنا - نزول القرآن فى موضوع إلحاق الموالى، فعاد زيد يدعى «زيد بن حارثة».

* عن عبدالله بن عمر، رضى الله عنهما - أن زيد بن حارثة مولى رسول الله -ﷺ- ما كنا ندعوه إلّا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن ﴿ادْعُوهُم لِآبَائِهِم هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب ٥](٦).

---

(١) السيرة الحلبية ٢٩٦/١.
(٢) محمد رسول الله ٧٦.
(٣) سيرة ابن هشام ٢٦٥/١.
(٤) وحى السيرة ٢٦.
(٥) محمد رسول الله ٧٧.
(٦) اللؤلؤ والمرجان ١٣٧.

* وروى عبد الله بن عمر، قال: بعث النبى -ﷺ- بعثا، وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس فى إمارته، فقال النبى -ﷺ- «إن تطعنوا فى إمارته فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلىّ، وإن هذا لمن أحب الناس إلىّ بعده»(١).

٢ - أَنَس بن مالك:

هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب.. الأنصارى النجارى.

خدم رسول الله - ﷺ - مدة مقامه بالمدينة عشر سنين، فما عاتبه على شىء أبدًا، ولا قال لشىء فعله: لم فعلته؟ ولا لشىء لم يفعله، ألا فعلته.

وأمه أم سُلَيم بنت مِلْحان.. هى التى أعطته رسول الله - ﷺ - فقبله.

وسألته أن يدعو له فقال: «اللهم أَكْثِر ماله وولده، وأَطِلْ عمره وأدخله الجنة».

قال أنس: «فقد رأيت اثنتين، وأنا أنتظر الثالثة. والله إن مالى لكثير، وإن ولدى وولد ولدى ليتعادُّون على نحو من مائة».

وفى رواية: وإن كَرْمى ليحمل فى السنة مرتين، وإن ولدى لصُلْبى مائة وستة أولاد(٢).

وقد اختلف فى شهوده بدرًا، وقد روى الأنصارى عن أبيه، عن ثُمامة قال: قيل لأنس: أشهدت بدرًا؟ فقال: وأين أغيب عن بدر لاَ أُمَّ لك.

* والمشهور أنه لم يشهد بدرًا لصغره، ولم يشهد أُحُدًا أيضا لذلك، وشهد الحديبية، وخيبر، وعمرة القضاء، والفتح، وحُنَيْنا والطائف وما بعد ذلك.

* من فضائل أمه، أن النبى - ﷺ - لم يكن يدخل بيتا بالمدينة غير بيت أُمّ سُلَيْم، إلاّ على أزواجه، فقيل له، فقال: «إنى أرحمها، قُتل أُخُوها معى»(٣).

* قال أبو هريرة: ما رأيت أحدًا أشبه صلاة برسول الله - ﷺ - من ابن أم سليم - يعنى أنس بن مالك.

وكانت وفاته بالبصرة، وهو آخر من كان بقى فيها من الصحابة، فيما قاله على بن المدينى، وذلك فى سنة تسعين، وقيل: ثلاث وتسعين وهو الأشهر.

وأما عمره يوم مات، فقد روى الإمام أحمد فى مسنده، أن أَنَسًا عمّر مائة سنة غير سنة.

(١) اللؤلؤ والمرجان ١٣٧.

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية ٦٥٣/٤.

(٣) اللؤلؤ والمرجان ١٥٥ ورواه البخارى فى كتاب الجهاد.

٣ - الأسْلَع بن شريك:

قال محمد بن سعد:(١) اسمه ميمون بن سنباذ، صاحب راحلة الرسول، وهو الذى يرحل ناقته.

* قال الأسلع: كنت أخدم النبى - ﷺ - وأرحل معه، فقال ذات ليلة: «يا أسلع قُم فارحل»

قلت: أصابتنى جنابة يارسول الله، قال: فسكت ساعة وأتاه جبريل بآية الصعيد، فقال: قم ياأسلع فَتَيَمّم، فتمسحتُ وصليت، فلما انتهيت إلى الماء قال: «ياأسلع قم فاغتسل» قال: فأرانى التيمم، فضرب رسول الله يديه إلى الأرض ثم نفضهما، ثم مسح بهما وجهه، ثم ضرب بيديه الأرض ثم نفضهما فمسح بهما ذراعيه، باليمنى على اليسرى، وباليسرى على اليمنى، ظاهرهما وباطنهما.

قال الربيع بن بدر: فحدثت بهذا الحديث عوف بن أبى جميلة، فقال: هكذا والله رأيت الحسن يصنع.

٤ - أسماء بن حارثة وأخوه هند:

هو أسماء بن حارثة بن سعد بن عبدالله بن عباد بن سعد بن عمرو بن عامر بن ثعلبة الأسلمى. وكانا يخدمان النبى - ﷺ(٢).

قال الإمام أحمد: وكان هند من أصحاب الحديبية، وكان أخوه الذى بعثه رسول الله يأمر قومه بالصيام يوم عاشوراء، وهو أسماء بن حارثة.

* فحدثنى يحيى بن هند، عن أسماء بن حارثة، أن رسول الله - ﷺ - بعثه فقال: «مُرْ قومك بصيام هذا اليوم» قال: أرأيت إن وجدتهم قد طَعِموا؟ قال: «فليُتموا آخر يومهم»

قال أبوهريرة: ما كنت أظن أن هندًا وأسماء ابنى حارثة إلاّ مملوكين لرسول الله - ﷺ.

قال الواقدى: كانا يخدمانه لا يبرحان بابه، هما وأنس بن مالك.

* وقد توفى أسماء بن حارثة فى سنة ست وستين بالبصرة عن ثمانين سنة.

٥ - بُكَير بن الشداخ:

ذكر ابن منده(١) من طريق أبى بكر الهذلى، عن عبدالملك بن يعلى الليثى، أن بُكير بن شدّاخ الليثى كان يخدم النبى -ﷺ- فاحتلم فأعلم بذلك رسول الله، وقال: «إنى كنت أدخل على أهلك، وقد احتلمت الآن يارسول الله، فقال: «اللهم صَدِّق قوله ولقِّه الظَّفر».

---

(١) ابن كثير: السيرة النبوية ٦٥٤/٤.

(٢) السيرة النبوية ٦٥٥/٤.

(٣) السيرة النبوية ٦٥٦/٤.

فلما كان فى زمان عُمر، قُتل رجل من اليهود ، فقام عمر خطيبا، فقال: أنشد الله رجلا عنده من ذلك علم؟ فقام بكير، فقال: أنا قتلته يا أمير المؤمنين، فقال عمر: بُؤْت بدمه فأين المخرج؟ فقال: ياأمير المؤمنين.. إن رجلا من الغزاة استخلفنى على أهله، فجئت فإذا هذا اليهودى عند امرأته وهو يقول:

وأشعث غَـرَّه الإسـلام منى ... خَلَوتُ بعِرْسه ليلَ التَّمامِ
أبيتُ عـلى ترائبهـا ويُمسى ... عـلى جُـرْد الأعنـة والحـزامِ
كـأن مجامـع الرَّبـلاتمنها ... فِئـامٌ يَنْهضون إلى فئـامِ(١)

قال: فصدَّق عمر قوله، وطَلَّ دم اليهودى بدعاء رسول الله - ﷺ - لبُكير بما تقدم.

٦ - ربيعة بن كعب الأسلمى:

* عن أبى سلمة، عن ربيعة بن كعب، قال: كنت أبيت مع رسول الله - ﷺ - فآتيه بوضوئه وحاجته، فكان يقوم من الليل، فيقول: «سبحان ربى وبحمده» الهوِىّ «سبحان رب العالمين» الهوىّ - أى ساعة من الليل، فقال رسول الله - ﷺ -: «هل لك حاجة؟»

قلت: يا رسول الله مرافقتك فى الجنة، قال: «فأعنِّى على نفسك بكثرة السجود».

* وقال الحافظ أبو يعلى - بإسناده - عن ربيعة الأسلمى، يخدم النبى - ﷺ - قال: فقال لى ذات يوم «ياربيعة ألا تَزَوَّج؟ قلت: يارسول الله ما أحب أن يشغلنى عن خدمتك شىء، وما عندى ما أعطى المرأة.

قال: فقلت بعد ذلك: رسول الله أعلم بما عندى منى، يدعونى إلى التزويج، لئن دعانى هذه المرة لأجيبنّه، قال: فقال لى: «ياربيعة ألاَ تَزَوَّج؟» فقلت: يارسول الله ومن يزوِّجنى؟ ما عندى ماأعطى المرأة، فقال: إنطلق إلى بنى فلان فقل لهم: إن رسول الله يأمركم أن تزوجونى فتاتكم فلانة. قال: فأتيتهم فقلت: إن رسول الله أرسلنى إليكم لتزوجونى فتاتكم فلانة، قالوا: فلانة؟

قال: نعم، قالوا: مرحبا برسول الله، ومرحبا برسوله، فزوجونى(٢).

٧ - المغيرة بن شُعبة الثقفى:

كان بمنزلة السلحدار، أى صاحب السلاح، بين يدى رسول الله -ﷺ- كما كان رافعا السيف فى يده، وهو واقف على رأس النبى -ﷺ- فى الخيمة يوم الحديبية. فجعل كلما أهوَى عمُّه عروة بن

(١) الترائب: عظام الصدر، والأعنة: جمع عنان وهو سير اللجام، والجرد: المغيرة، والربلات: جمع ربلة وهى باطن الفخذ أو كل لحمة غليظة، والفئام: الجماعة من الناس.

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية ٦٦١/٤.

مسعود الثقفى، حين قدم فى الرّسيلة إلى لحية رسول الله -ﷺ- على ما جرت به عادة العرب فى مخاطباتها، يَقْرَع يده بقائمة السيف، ويقول: أُخِّر يدك عن لحية رسول الله -ﷺ- قبل ألا تصل إليك.. الحديث.

قال محمد بن سعد: شهد المشاهد كلها مع رسول الله -ﷺ- وولّاه مع أبى سفيان الإمرةَ حين ذهبا فخرّبا طاغوت أهل الطائف، وهى المدعوة «بالرَّبة» وهى اللات.

وكان داهية من دُهاة العرب، قال الشعبى: سمعته يقول: ما غلبنى أحدٌ قط.

وقال الشعبى: سمعت قبيصة بن جابر يقول: صحبت المغيرة بن شعبة، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب، لا يُخرج من باب منها إلا بمكر، لخرج من أبوابها.

وقال الزهرى: الدهاة خمسة: معاوية، وعمرو، والمغيرة، واثنان مع علىّ وهما: قيس بن سعد ابن عبادة، وعبد الله بن بديل بن ورقاء.(١)

سابعا: كُتَّاب الوحى

ذكر ابن كثير(٢) - فى السيرة النبوية - من كُتّاب الوحى ثمانية عشر رجلا، وهم:

١ - الخلفاء الأربعة.
٢ - أبان بن سعيد بن العاص.
٣ - أبىّ بن كعب.
٤ - أرقم بن أبى الأرقم.
٥ - ثابت بن قيس.
٦ - حنظلة بن الربيع.
٧ - خالد بن سعيد بن العاص.
٨ - خالد بن الوليد.
٩ - الزبير بن العوام.
١٠ - زيد بن ثابت.
١١ - سعد بن أبى سَرْح.
١٢ - العلاء بن الحضرمى.
١٣ - عامر بن الحضرمى.
١٤ - العلاء بن عُقبة.
١٥ - معاوية بن أبى سفيان.

وسنقف عند أشهرهم وأكثرهم أثرًا فى جمع القرآن وترتيبه.

١ - أُبَىّ بن كَعب:

السيد القارئ الأنصارى الخزرجى النجارى، أبو المنذر. شهد العقبة الثانية فى السبعين من

(١) السيرة النبوية ٦٦٥/٤.
(٢) السيرة النبوية ٦٦٩/٤ وما بعدها.

الأنصار، وشهد بدرًا، وغيرها من المشاهد مع رسول الله ﷺ.

وهو أول من كتب لرسول الله -ﷺ- بعد هجرته إلى المدينة، وأول من ذيل كتابه بقوله: وكتب فلان بن فلان.

قال الذهبى: أقرأ الأمة، وقد عرض القرآن على النبى ﷺ، وقرأ عليه رسول الله -ﷺ- تقديرا وتنويها بمكانته. وكان عمر بن الخطاب يسميه سيد المسلمين(١) وتوفى فى خلافة عثمان على الصحيح.

* قال أنس: جمع القرآن أربعة يعنى من الأنصار، أُبَىّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت ورجل من الأنصار، يقال له أبوزيد(٢).

* وفى الصحيحين، عن أنس، أن رسول الله -ﷺ- قال لأُبَىّ: «إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن» قال: وسمّانى لك يارسول الله؟ قال: نعم، قال: فذرفت عيناه.

ومعنى «أن أقرأ عليك القرآن» قراءة إبلاغ وإسماع لا قراءة تعلّم منه، هذا لا يفهمه أحد من أهل العلم.

قال أبو عبيدة: المراد بالعرض على أبىّ ليتعلم أبَىّ منه القراءة، ويتثبت فيها، وليكون عرض القرآن سُنة، وللتنبيه على فضيلة أُبَىّ بن كعب، وتقدمه فى حفظ القرآن، وليس المراد أن يستذكر منه النبى -ﷺ- شيئا بذلك العرض»(٣).

* وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، قال: صلّى النبى -ﷺ- الفجر فترك آية، فقال: أفى القوم أُبَىّ بن كعب؟ فقال: يارسول الله نسيت آية كذا وكذا أو نُسِخَت» قال ﷺ: نيها»(٤).

* وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله -ﷺ- خُذُوا القرآن من أربعة: ابن مسعود، وأُبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالمٍ مولَى أبى حذيفة»(٥).

٢ - زيد بن ثابت:

هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان من بنى مالك بن النجار كاتب الوحى، وأحد

---

(١) ترجمته فى: الاستيعاب ٤٧/١، والإصابة ١٩/١، ومعرفة القراء الكبار للذهبى ٣٢/١، وطبقات ابن سعد ٤٩٨/٣، والاستبصار فى نسب الأنصار ٤٨.

(٢) أخرجاه فى الصحيحين.

(٣) فتح البارى ١٥٧/٧.

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١٨٤/٣.

(٥) البخارى فى الصحيح ١٠٢/٧ ومسلم ١٩١٣/٤.

فقهاء الصحابة، كان عمره حين قدم وسول الله -ﷺ- المدينة، أحد عشر عاما، فلهذا لم يشهد بدرًا لصغره، قيل: ولا أُحُدًا. وأول مشاهده الخندق، ثم شهد ما بعدها.

كتب لرسول الله ﷺ، ولأبي بكر وعمر. وكان عمر يستخلفه إذا حجَّ، وكان على بيت المال لعثمان، وكان أعلم الناس بالفرائض.

توفى بالمدينة سنة أربع وخمسين للهجرة، ونعاه ابن عباس، فقال: «**هذا ذهاب العلماء، دفن اليوم علم كثير**»[1]

كان زيد حافظًا لبيبًا عالمًا عاقلًا، ثبت عنه فى صحيح البخارى، أن رسول الله -ﷺ- **أمره أن يتعلم كتاب يهود (التوراة) ليقرأه على النبى -ﷺ- إذا كتبوا إليه فتعلّمه فى خمسة عشر يوما.**

* عن خارجة بن زيد: أن أباه زيدًا أخبره أنه لما قدم رسول الله -ﷺ- المدينة، قال زيد: ذُهب بى إلى رسول الله -ﷺ- فأعجب بى، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلام من بنى النجار، معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك رسول الله، وقال: يا زيد تعلم لى كتاب يهود، فإنى والله ما آمن يهودَ على كتابى». قال زيد: فتعلمت لهم كتابهم ما مرّت خمس عشرة ليلة حتى حذقته، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا له، وأجيبُ عنه إذا كتب» وهذا ذكاء مفرط جدًا.

وقد كان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله -ﷺ- من القراء، كما ثبت فى لصحيحين عن أنس. **وقد ذكره رسول الله -ﷺ- فى أحاديث جمة.**

*** فعن أنس، قال: قال رسول الله -ﷺ- أرحم أُمتى بأُمتى أبو بكر، وأشدّهم فى دين الله عُمر، وأفرضهم زيد، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[2].**

حين كلفه أبو بكر بجمع القرآن، أرسل إليه: «إنك غلام شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحى لرسول الله - ﷺ - فتتبع القرآن فاجمعه»[3].

ويطول بنا الكلام إذا نحن تتبعنا حديث رسول الله -ﷺ- **عن صحابته الأبطال**، وقد نقل عن أبى زُرْعة أنه قال: **يبلغون مائة ألف وعشرين ألفا**[4].

وقال الإمام الشافعى: توفى رسول الله ﷺ، والمسلمون ممن سمع منه ورآه زهاء **ستين ألفا.**

---

(١) ترجمته فى: تهذيب الأسماء واللغات ٢٠٥/١/١، والإصابة ٦١١/١، والاستيعاب ٥٥٤/١، والاستبصار ص ٧١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١٨٤/٣، والترمذى فى جامعه ٣٤٤/٤.

(٣) أخرجه الترمذى ١١/٩، الترمذى فى جامعة ١٢٢/٤، وأحمد فى مسنده ١٣/١.

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ٧٠٠/٤.

وقال الحاكم أبو عبد الله، يُرْوى الحديث عن قريب من خمسة آلاف صحابى.

لذا رأينا أن نختصر - قدر الإمكان - ما يتصل بهؤلاء الأبطال والأشخاص، الذين تحدث عنهم رسول الله - ﷺ - فى عالم الشهادة والواقع.

الفصل الرابع

الملوك والأمراء والقبائل والبطون والوفود

ما إن استتب الأمر للدولة الإسلامية فى المدينة المنورة، ودانت أكثر القبائل العربية بدين الإسلام، حتى وجّه النبى - ﷺ - اهتمامه إلى الملوك والأمراء المتاخمين لحدود الدولة الناشئة، يدعوهم فيها إلى الدخول فى دين الله.

وكان رسول الله - ﷺ - يصدر كتبه أول الأمر كما كانت قريش تكتب، أى بعبارة «باسمك اللهم»، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾[هود ٤١] استعمل عبارة ﴿بِسْمِ اللهِ﴾.

ثم لما نزل قوله عز وجل: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا﴾ [الاسراء ١١٠] كتب فى صدر كتبه ﴿بسم الله الرحمن﴾.

حتى إذا نزل قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل ٣٠] صدّر - ﷺ - كتبه بعبارة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾(١).

* جاء فى الخبر، أن النبى - ﷺ - عندما رجع من الحديبية فى ذى الحجة من العام السادس للهجرة، بعث بالرسل إلى أعظم الملوك فى المشرق والمغرب، يدعوهم إلى الإسلام، وكتب لهم كتبا فى ذلك، قيل: إن إرسال البعوث إلى الملوك كان فى السنة الثامنة للهجرة(٢).

وقيل للنبى - ﷺ: «يا رسول الله: إنّ الملوك لا يقرءون كتابًا إلّا إذا كان مختوما(٣)» فاتخذ الرسول -ﷺ- يومئذ خاتما من فضة فصّه منه، نقشه ثلاثة أسطر، مُنَضّدة من أعلى إلى أسفل، مبتدأة باسم الجلالة، ومنتهية بمحمد، فكان النقش فى الخاتم «محمد رسول الله»، وصار يختم الكتب بهذا الخاتم.

وكان هذا الخاتم الرسمى فى يد النبى - ﷺ - ثم فى يد أبى بكر، ثم فى يد عمر يختمون به الرسائل والكتب، ثم انتقل إلى يد عثمان بن عفان، فسقط منه فى بئر «أريس» فى السنة التى قتل فيها، فالتمسه الناس ثلاثة أيام فلم يجدوه(٤).

---

(١) الطبقات الكبرى ٢٦٤/١، التنبيه والإشراف ٢٢٥.

(٢) الكامل فى التاريخ ١٣٨/٢.

(٣) السيرة الحلبية ٢٧١/٣.

(٤)-محمد رسول الله ٢٦٣.

إن الأبطال والأشخاص الذين اتصل بهم رسول الله - ﷺ - وكتب إليهم خمسة أصناف:

١ - الملوك والأمراء.

٢ - القبائل والبطون.

٣ - الوفود.

٤ - أمراؤه وعماله، حيث أرشدهم إلى الطريق الصحيح فى إدارة أمور المسلمين.

٥ - الأفراد.

ويهمنا منهم - فى بحثنا - الثلاثة أصناف الأول.

أولا: الملوك والأمراء

١ - النجاشى ملك الحبشة:

بعث الرسول - ﷺ - إليه عمرو بن أمية الضمرى، ومعه كتابان، يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن. جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشى الأصحم ملك الحبشة، سلام أنت.. أما بعد: فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلاّ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم، روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة، الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه. وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وإن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى، فإنى رسول الله، وإنى أدعوك وجنودك إلى الله تعالى، وقد بلّغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى، وقد بعثت إليكم ابن عمى جعفرا، ومعه نفر من المسلمين.

والسلام على من اتبع الهدى[1].

* وقف الضمرى يخاطب النجاشى قائلا: «يا أصحمة.. إن علىّ القول وعليك الاستماع، إنك كأنك فى الرقة علينا منّا، وكأنا بالثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه، ولم نخفك على شىء قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ألا يحيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفى ذلك وقع الحزّ وإصابة المعضل، وإلاّ فأنت فى هذا النبى كاليهود فى عيسى بن مريم،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٨٩/٣، محمد رسول الله ٢٧٢.

وقد فرق النبى رسله إلى الناس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه، لخير سالف وأجر منتظر».

* فقال النجاشى: «أشهد بالله إنه النبى الأمىّ، الذى ينتظره أهل الكتاب، وإن بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، وإن العيان له ليس بأشفى من الخبر عنه، ولكن أعوانى من الجيش قليل، فانتظرنى حتى أكثر الأعوان، وألين القلوب(١)».

* أخذ النجاشى كتاب رسول الله - ﷺ - ووضعه على عينه، ونزل عن سريره، وجلس على الأرض تواضعا، ثم أسلم وتشهّد شهادة الحق، وقال: «لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته».

ثم كتب إلى الرسول بإجابته وتصديقه وإسلامه على يدى جعفر بن أبي طالب(٢).

٢ - هِرَقْل عظيم الروم

بعث رسول الله - ﷺ - دِحْية بن خليفة الكلبى، إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث معه كتابا، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بُصرى، الحارث ملك غسان، ليدفعه هذا إلى هِرَقْل(٣). جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تَسْلَم، يؤتك الله أجرك مرتين، وإن تولّيت فإن عليك إثم الأريسيين «فإن إثم الأكابر عليك»(٤).

ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، أن لا نعبد إلّا الله، ولا نشرك به شيئا. ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون(٥)».

استلم قيصر كتاب رسول الله - ﷺ - وهو يومئذ بحمص، فقرأه وجمع عظماء الروم، وقال لهم: «يا معشر الروم.. هل لكم فى الفلاح والرشد، وأن يثبت لكم ملككم، وتتبعون ما قال عيسى بن مريم، قالوا: وما ذاك أيها الملك؟ قال: تتبعون هذا النبى العربى.

فحاصوا حيصة حمر الوحش، وتناحزوا ورفعوا الصلبان، فلما رأى قيصر ذلك منهم، يئس من إسلامهم، وخاف على نفسه وملكه فسكّنهم، وقال: «إنما قلت لكم ما قلت أختبركم لأنظر كيف

---

(١) عشرة أيام من حياة الرسول ٢٠٣.
(٢) الطبقات الكبرى ١/٢٥٩، نهاية الأرب ١٨/١٥٨.
(٣) السيرة الحلبية ٣/٢٧٢.
(٤) محمد رسول الله ٢٦٤، الأغانى ٦/١٩٤.
(٥) صحيح البخارى ١/٧، صحيح مسلم ٢/٩١.

صلابتكم فى دينكم، وقد رأيت منكم الذى أحبّ، فسجدوا له[١] ورضوا عنه.

وعاد دحية بكتاب من قيصر، جاء فيه: «إنى مسلم ولكن مغلوب على أمرى[٢]» وأرسل له بهدية.

* فقال النبى - ﷺ: «كذب عدو الله، ليس بمسلم بل هو على نصرانيته» وقبل هديته وقسمها بين المسلمين.

٣ - كِسْرَى عظيم فارس:

بعث إليه رسول الله - ﷺ - عبد الله بن حذافة السهمى، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابا، وأمره أن يرفعه إلى عظيم البحرين، جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله، إلى كسرى عظيم فارس «السلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله عز وجل، فإنى رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسْلم، فإن توليت فعليك إثم المجوس[٣]».

دفع عبد الله الكتاب إلى عظيم البحرين، فدفعه هذا إلى كسرى..

قرئ الكتاب على كسرى فأخذه ومزّقه، وكتب إلى باذان عامله على اليمن: «أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذى بالحجاز فليأتيانى بخبره[٤]، أوبرأسه[٥]».

بعث باذان قهرمانه فيروز الديلمى، ورجلا آخر يدعى خرخسرو، وكتب معهما كتابا، فلما قدما المدينة دفعا بالكتاب إلى النبى، فتبسم ودعاهما إلى الإسلام، وفرائصهما ترتعد، ثم قال لهما: «ارجعا عنى يومكما هذا حتى تأتيانى الغد فأخبركما بما أريد» فجاءاه الغد، فقال لهما: «أبلغا صاحبكما إن ربى قد قتل ربّه كسرى هذه الليلة، لسبع ساعات مضت منها» - (وكانت ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من شهر جمادى الأولى للسنة السابعة من الهجرة[٦]). وأن الله سلط عليه ابنه شيرويه فقتله.

---

(١) الطبقات الكبرى ١٥٨/١، والكامل ١٣٨/٢.

(٢) عشرة أيام فى حياة الرسول ٢٠٦.

(٣) زاد المعاد فى هدى خير العباد ٦٠/٣، الكامل فى التاريخ ١٤٠/٢.

(٤) الطبقات الكبرى ٢٦٠/١.

(٥) حياة محمد لهيكل ٣٩٤.

(٦) نهاية الأرب ١٦٣/١٨، محمد رسول الله ٢٦٨.

رجع الرجلان إلى باذان فى اليمن، ولما وقف على صحة الخبر، أسلم هو والأبناء الذين باليمن[١].

* وعاد عبد الله بن حذافة إلى المدينة، وأخبر رسول الله - ﷺ - بتمزيق الكتاب، فقال - ﷺ - «مزّق الله مُلْكَه[٢]».

٤ - المقوقس عظيم القبط:

بعث إليه رسول الله - ﷺ - حاطب بن أبي بلتعة اللّخمى يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابا، جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: «فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، اسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم كل القبط. ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، أن لا نعبد إلّا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون[٣]».

* أخذ المقوقس الكتاب، وجعله فى حُق من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جاريته، وقال لحاطب: «ما منعه إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده؟».

فقال حاطب: «وما منع عيسى وقد أخذه قومه ليقتلوه أن يدعو الله ام فيهلكهم؟ فقال المقوقس: «أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم[٤]».

* ثم كتب المقوقس إلى النبى - ﷺ - كتابا جاء فيه: «إنى قد علمت أن نبيا قد بقى، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم، وقد أهديت لك كسوة وبغلة تركبها».

* فلما وقف رسول الله - ﷺ - على ما فى الكتاب قال: «ضَنّ الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه[٥]».

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٣/٩١.

(٢) نهاية الأرب ١٨/١٦٣.

(٣) محمد رسول الله ٢٦٦، الأنوار المحمدية ١٦٨.

(٤) الرسول ١٩٠، سيرة الرسول ١٣٩.

(٥) الطبقات الكبرى ١/٢٦٠، زاد المعاد ١/٣١، نهاية الأدب ١٨/١٦٤.

٥ - الحارث بن أبي شمر الغسانى.. أمير دمشق من جهة ايصر.

بعث إليه رسول الله - ﷺ - شجاع بن وهب الأسدى، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابا، جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله.. إلى الحارث بن أبي شمر.. «سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق.. وإنى أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكُك[1]».

جاء شجاع إلى الحارث، وهو بغوطة دمشق، مشغول بتهيئة الانزال والألطاف لقيصر، وبقى شجاع ببابه يومين أو ثلاثة، ثم قال لحاجبه: «إنى رسول رسول الله» فقال الحاجب: «لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا» ثم صار الحاجب - واسمه مرىّ - يسأل عن صفة رسول الله، وما يدعو إليه حتى رق وغلبه البكاء، وقال: «إنى قد قرأت الإنجيل فوجدت صفة هذا النبى بعينه، فإنى أؤمن به وأصدقه وأخاف من الحارث أن يقتلنى.

وخرج الحارث وعلى رأسه التاج، وأذن لشجاع عليه، فلما دخل دفع إليه كتاب رسول الله - ﷺ، فقرأه ثم رمى به، وقال: «من ينزع منى ملكه، أنا سائر إليه[2]» ولو كان باليمن لجئته.. على بالناس.

فلم يزل يعرض حتى قام، وأمر بالخيول أن تنعل، ثم قال: «أخبر صاحبك بما ترى».

* قدم شجاع على النبى - ﷺ - وأخبره الخبر، وأقرأه سلام الحاجب ﴿مرىّ﴾ فقال رسول الله - ﷺ: «باد ملكه»، وعن مرىّ: صدق. ثم مات الحارث بن أبي شمر عام الفتح[3].

٦ - هوذة بن على.. صاحب اليمامة.

بعث رسول الله - ﷺ - إليه سليط بن عمرو العامرى، يدعوه إلى الإسلام - وكان نصرانيا - وكتب معه كتابا، جاء فيه:

---

(١) محمد رسول الله ٢٦٦، السيرة الحلبية ٢٨٧/٣.
(٢) الكامل فى التاريخ ١٤٠/٢.
(٣) الطبقات الكبرى ٢٦١/١.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله -ﷺ- إلى هوذة بن على.. صاحب اليمامة.

سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فاسلم تَسْلَم، واجعل لك ما تحت يدك.

فلما قدم سليط عليه أنزله وحياه، وقرأ كتاب النبى - ﷺ، وردّ ردًّا دون رد، وكتب كتابا إلى النبى - ﷺ: «ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومى وخطيبهم، والعرب تهاب مكانى، فاجعل لى بعض الأمر اتبعك»، وأجاز سليط بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر.

* عاد سليط إلى رسول الله - ﷺ، وأخبره الخبر، وقرأ كتابه. وقال ﷺ: «لو سألنى سيابة من الأرض ما فعلت.. بَادَ وباد ما فى يديه، اللهم اكفنيه[1]».

٧ - جيفر وعبد ابنى الجُلندى الأزديين.. ملكا عُمان.

بعث رسول الله -ﷺ- إليهما عمرو بن العاص ؓ باليمن، يدعوهما إلى الإسلام، وكتب معه كتابا إليهما، جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله -ﷺ- إلى جيفر وعبد ابنى الجلندي.. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: «فإنى أدعوكما بدعاية الإسلام، إسلما تسلما، فإنى رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، وأنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرّا بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلى تحل بساحتكما، وتظهر نبوتى على مُلككما[2]».

قدم عمرو بن العاص عليهما وهما فى عُمان، وعمد إلى عبد بن الجُلندى، وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خُلقا، وقال له: «إنى رسول رسول الله إليك وإلى أخيك». فقال: أخى المقدم علىّ فى السن والمُلك، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك».

دفع عمرو الكتاب إلى جيفر، ففضه وقرأه، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه، ثم قال لعمرو: «دعنى يومى هذا وارجع إلى غدًا».

فلما أصبح أرسل إلى عمرو، وأجاب إلى الإسلام هو وأخوه، وصدّقا بالنبى[3]، وأسلم معهما

---

(١) الكامل فى التاريخ ١٤١/٢.

(٢) السيرة الحلبية ٢٨٧/٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٢٦٣/١.

خلق كثير، وفُرضت الجزيةّ على من لم يُسْلم(١).

٨ - المنذر بن ساوى العبدى.. ملك البحرين.

بعث رسول الله - ﷺ - إليه **العلاء بن الحضرمى**، يدعوه إلى الاسلام، وكتب إليه كتابا، جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى..

سلام عليك.. فإنى أحمد الله إليك، الذى لا إله إلّا هو، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وأن محمدًا رسول الله.. أما بعد.. فإنى أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وأنه من يطع رسلى، ويتبع أمرهم فقد أطاعنى، ومن نصح لهم فقد نصح لى، وإن رسلى قد أثنوا عليك خيرًا، وإنى قد شفعتك فى قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية(٢). وبأن لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم(٣)».

فكتب المنذر بن ساوى إلى النبى - ﷺ - بإسلامه وتصديقه، وقال: «أما بعد.. يا رسول الله، فإنى قرأت كتابك على أهل هجر - أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه ولم يدخل فيه، وبأرضى مجوس ويهود فأحدث لى فى ذلك أمرك».

فكتب النبى - ﷺ: «أما بعد، فإن من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، الذى له ذمة الله والرسول، فمن أحب ذلك من المجوس، فإنه آمن، ومن أَبَى فإن عليه الجزية».

---

(١) محمد رسول الله ٢٧٧.

(٢) زاد المعاد ٦٢/٣ والسيرة الحلبية ٢٨٤/٣.

(٣) نهاية الأرب ١٦٧/١٨.

ثانيا: القبائل والبطون

واتصل الرسول ﷺ بالعديد من القبائل والبطون، بقصد دعوتهم للدخول في الإسلام، أو لبيان الشرائع والأحكام الإسلامية. ومن تلك القبائل:

١ - بنو نهد في اليمن:

كتب إليهم رسول الله - ﷺ - كتابا جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله ﷺ إلى بنى نهد بن زيد.. السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله..

لكم يا بنى نهد فى الوظيفة الفريضة، ولكم العارض والفريش، وذو العنان الركوب، والفلو الضبيس، لا يمنع سرحكم، ولا يعضد طلحكم، ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الآماق، وتأكلوا الرباق. من أقر بما فى هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة، ومن أبَى فعليه الربوة[1].

٢ - ذو المشعار الهمذانى:

اتصل بهم رسول الله - ﷺ - وأرسل إليهم كتابا، جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى مخلاف خارف وأهل خباب الهضب، وحفاف الرمل مع وافدها مالك بن النمط، ومن أسلم من قومه: «على أن لها قراعها ورهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون علافها، ويرعون عناءها، لنا من فيئهم وصرامهم ما أسلموا بالميثاق، والأمانة، ولهم من الصدقة الثلب والناب، والفصيل وألقارض والداجن والكبش الحوْرى، وعليهم فيها الصالغ والقارح[2].

---

(١) سيرة زيني دحلان ٨٤/٣.

(٢) سيرة زيني دحلان ٩٠/٣.

٣ - قطن بن حارثة العليمى:

اتصل بهم رسول الله - ﷺ - وكتب إليهم ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد ﴿رسول الله﴾ لعمائر كلب وأحلافها، ومن ظأره الإسلام من غيرهم من قطن بن حارثة العليمى، بإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة بحقها فى شدة عقدها، ووفاء عهدها، بمحضر من شهود المسلمين.

٤ - وائل بن حَجَر الحضرمى:

كتب إليه رسول الله - ﷺ - ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب..

فى القبعة شاة لا مقورة الألياط ولا ضناك، وفى السيوب الخمس، ومن زنا من بِكْر فاصقعوه مائة، واستوفضوه عاما، ومن زنا من ثيب فضرجوه بالأضاميم، ولا توصم فى الدين، ولا غمة فى فرائض الله تعالى، وكل مُسْكِر حرام(١).

٥ - بنو أسد:

كتب إليهم رسول الله - ﷺ - كتابا جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبى إلى بنى أسد، سلام عليكم، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلاّ هو، أما بعد، فلا تقربن مياه طيء وأرضهم، فإنه لا تحل لكم مياههم، وَلَا يَلِجَنَّ أرضهم إلاّ من أولجوا، وذمة محمد بريئة ممن عصاه، وليقم قضاعى بن عمرو.

٦ - بديل ويسر وسروات بنو عمرو:

كتب إليهم رسول الله - ﷺ - كتابا هذا نصه:

---

(١) سيرة زين دحلان ٩٤/٣، وحياة الرسول المصطفى ص ٣٧٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإنى لم أثم مالكم، ولم أضع فى جنبكم، وإن أكرم أهل تهامة على وأقربهم رحمًا منى أنتم ومن تبعكم من المطيبين.

أما بعد، فإنى قد أخذت لمن هاجر منكم مثل ما أخذت لنفسى ولو هاجر بأرضه، إلا ساكن مكة معتمرًا أو حاجا، فإنى أضع فيكم منذ سالمت، وأنكم غير خائفين من قبلى ولا محصرين.

أما بعد، فإنه قد أسلم علقمة بن علاقة، وابنا هوذة، وهاجرا وبايعا على من تبعهم من عكرمة، وأن بعضنا من بعض فى الحلال والحرام، وإنى والله ما كذبتكم، وليحبنكم الله ربكم.

٧ - الأكبر بن عبد قيس:

كتب إليهم رسول الله - ﷺ - ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى الأكبر بن عبد القيس :

«إنهم آمنون بأمان الله، وأمان رسوله على ما أحدثوا فى الجاهلية من القحم وعليهم الوفاء بما عاهدوا، ولهم أن لا يحبسوا عن طريق الميرة، ولا يمنعوا صوب القطر، ولا يحرموا حريم الثمار عند بلوغه، والعلاء بن الحضرمى أمين رسول الله على برها وبحرها وحاضرها وسراياها وما خرج منها، وأهل البحرين خفراؤه من الضيم، وأعوانه على الظالم، وأنصاره فى الملاحم. عليهم بذلك عهد الله وميثاقه. ولا يبدلوا قولا، ولا يريدوا فُرقة، ولهم على جند المسلمين الشركة فى الفيء، والعدل فى الحكم، والقصد فى السيرة، حكم لا تبديل له فى الفريقين كلاهما، والله ورسوله يشهد على ذلك[١].

٨ - بنو ضُمْرة:

كتب لهم رسول الله - ﷺ، ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله لبنى ضمرة أنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصرة على من رامهم. إلاّ أن يحاربوا فى دين الله ما بل بحر صوفة، وأن النبى إذا دعاهم لنصره أجابوه، عليهم ذمة الله وذمة رسوله[٢].

---

(١) حياة الرسول المصطفى ص ٣٧٥.

(٢) محمد فى المدينة ٥٣٢.

٩ - بنو غفار:

كتب لهم رسول الله - ﷺ - كتابا، قال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنهم من المسلمين، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وأن النبى عقد لهم ذمة الله، وذمة رسوله، على أموالهم وأنفسهم، ولهم النصر على من بدأهم بالظلم، وأن النبى إذا دعاهم لينصروه أجابوه، وعليهم نصره إلا من حارب فى الدين ما بل بحر صوفة، وإن هذا الكتاب لا يحول دون إثم(١).

١٠ - بنو زرعة وبنو الربعة

كتب لهم رسول الله - ﷺ - مانصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وإن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلاّ فى الدين والأهل، ولأهل باديتهم منِ بَرَّ منهم واتقى ما لحاضرتهم، والله المستعان(٢).

١١ - بنو الحرقة:

كتب إليهم رسول الله- ﷺ - مانصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنه من أسلم منهم، وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله، وأعطى من الغنائم الخمس وسهم النبى، ومن أشهد على إسلامه، وفارق المشركين، فإنه من آمن بأمان الله وأمان محمد، وما كان من الدين مدونا لأحد من المسلمين قضى عليه برأس المال، وبطل الربا فى الرهن، وإن الصدقة فى الثمار العُشْر، ومن لحق بهم فإن له مثل ماهم(٣)».

١٢ - أهل اليمن:

كتب إليهم رسول الله - ﷺ - كتابًا جاء فيه:

---

(١) محمد فى المدينة ٥٣٢.

(٢) محمد فى المدينة ٥٣٣.

(٣) محمد فى المدينة ٥٣٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى أهل اليمن.

«فإني أحمد الله إليكم، الذى لا إله إلا هو، وقع بنا رسولكم مقدمنا من أرض الروم، فلقينا بالمدينة، فبلغنا ما أرسلتم به، وأخبرنا ماكان قبلكم، ونبّئنا بإسلامكم، وأن الله قد هداكم، إن أصلحتم وأطعتم الله، وأطعتم رسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من الغنائم خمس الله، وسهم النبى.. فمن أعطى ذلك وأشهد على إسلامه، وظاهر المؤمنين على الكافرين، فإنه من هى زكاة تزكونها عن أموالكم لفقراء المسلمين».[1]

١٣ - همـدان:

كتب إليهم رسول الله - ﷺ - كتابًا هذا نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى عمير بن ذى مران ومن أسلم من همدان. سلم.

« فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلّا هو.

أما بعد، فإنه بلغنى إسلامكم مرجعنا من أرض الروم، فأبشروا فإن الله قد هداكم بهداه، وأنكم إذا شهدتم أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبد الله ورسوله، وأقمتم الصلاة وأتيتم الزكاة فإن لكم نمة الله وذمة رسوله، على دمائكم وأموالكم، وأرض البور التى أسلمتم عليها، سَهْلها وجبلها، وعيونها وفروعها، غير مظلومين ولا مضيق عليكم، وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته، إنما المؤمنين، له ذمة الله وذمة رسوله محمد رسول الله»[2]

١٤ - أهل هجـر:

كتب رسول الله - ﷺ - إلى أهل هجر كتابا: قال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى أهل هجر..

« سلام.. فإنى أحمد الله إليكم، الذى لا إله إلا هو.

أما بعد، فإنى أوصيكم بالله وأنفسكم أن لا تضلّوا بعد إذ هُديتم، ولا تغووا بعد إذْ رشدتم. أما

---

(١) تاريخ اليعقوبى ٦٩/٢.

(٢) محمد فى المدينة ص ٥٣٣ وتاريخ اليعقوبى ٦٩/٢.

بعد، ذلكم، فإنه قد جاءنى وفدكم فلم آت فيهم إلّا ماسرّهم، وإنى لو جهدت حقى كله فيكم أخرجتكم من هجر فشفعت شاهدكم، ومننت على غائبكم، اذكروا نعمة الله عليكم»[1].

ثالثًا: الوفـود

ما إن استتب الأمر لدولة الإسلام فى المدينة المنورة، واتصل الرسول - ﷺ - بالقبائل والبطون كتابيا، وعن طريق رسله ومبعوثيه، حتى قدمت الوفود المختلفة إلى المدينة، معلنة إسلامها، وإسلام من خلفها، فكان رسول الله - ﷺ - يكتب لهم الكتب التى يُبين لهم فيها الفرائض والواجبات. من هذه الوفود التى قدِمت:

١ - وفد من جبل تهامة:

كتب إليه رسول الله - ﷺ - كتابًا، جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبى، رسول الله لعباد الله العتقاء، إنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة فعبدهم حر، ومولاهم محمد، ومن كان منهم من قبيلة لم يرد إليها، وماكان فيهم من دم أصابوه، أو مال أخذوه، فهو لهم، وماكان لهم من دين فى الناس رد إليهم، ولا ظلم عليهم ولا عدوان، وأن لهم على ذلك ذمة الله، وذمة محمد، والسلام.

٢ - وفد ثمالة والحدان:

كتب إليه رسول الله - ﷺ - ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من رسول الله لبادية الأسياف، ونازلة الأجواف، مما حازت صحار، ليس عليهم فى النخل خراص، ولا مكيال مطبق حتى يوضع فى الفداء، وعليهم فى كل عشرة أوْسَاق وسق.[2]

(١) الطبقات الكبرى ٢٧٥/١.

(٢) حياة الرسول المصطفى ص ٣٧٧.

مصادر البحث ومراجعه

- القرآن الكريم.
- التوراة (العهد القديم).
- الإنجيل (العهد الجديد)

(أ)

- الآثار، أبو يوسف (ت ١٨٢ هـ) نشر إحياء المعارف العثمانية، حيدر آباد.
- آداب الشافعي ومناقبه، الرازي عبد الرحمن بن أبي حاتم (٢٤٠ - ٣٢٧ هـ)، تحقيق عبد الغنى عبد الخالق. ط دار الكتب العلمية، بيروت.
- أكام المرجان فى أحكام الجان، محمد بن عبد الله الشبلى (ت ٧٦٩ هـ) ط على صبيح القاهرة.
- الآثار الباقية عن القرون الخالية، الطبرى، طبع محمد محمد مطر سنة ١٣٣٧ هـ. القاهرة.
- الآثار المرفوعة فى الأحاديث الموضوعة، الشيخ اللكنوى طبع الهند.
- أجوبة على أحاديث وقعت فى مصابيح السنة، ابن حجر العسقلانى، مطبوع بآخر مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى، ط المكتب الاسلامى.
- الأحكام السلطانية، الماوردى (ت ٤٥٠ هـ) ط دار الكتب العلمية ببيروت.
- الإحكام فى أصول الأحكام، ابن حزم (٣٨٣ - ٤٥٧ هـ) ط مكتبة عاطف بالقاهرة.
- إحياء علوم الدين، الغزالى أبو حامد محمد بن محمد (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) ط مطبعة المشهد الحسينى - القاهرة.
- أخبار القضاء، وكيع محمد بن خلف (ت ٣٠٦ هـ). طبع عالم الكتب، بيروت.
- أخبار مكة، الأزرقى أبو الوليد محمد (ت ٢٥٠ هـ) ط دار الثقافة ، مكة سنة ١٣٩٧ هـ.
- أدب الكتاب، أبو بكر الصولى، تحقيق محمد بهجة الأثرى، ط القاهرة سنة ١٣٤١ هـ.
- الأدب المفرد، البخارى (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، ط السلفية بالقاهرة سنة ١٣٩٥ هـ.
- الإذاعة لما كان ويكون بين يدى الساعة، صديق حسن خان. ط النمنكانى بمصر سنة ١٣٧٩ هـ.
- الأذكار، للنووى يحيى بن شرف (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) ط مصطفى الحلبى سنة ١٣٧٩ هـ.

- **الأربعون حديثاً**، للعكبرى صدر الدين (ت ٦٥٦ هـ)، ط دار الغرب الإسلامى ببيروت.
- **إرشاد السارى**، القسطلانى أحمد بن محمد (ت ٩٢٣ هـ) ط مطبعة الأمير بمصر سنة ١٣٢٤ هـ.
- **أسباب النزول**، الواحدى (ت ٣٦٨ هـ) ط الحلبى بمصر سنة ١٣٨٧.
- **الاستيعاب فى معرفة الأصحاب**، للنمرى ابن عبد البر (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ). مطبوع بهامش الإصابة ط دار صادر ببيروت.
- **أسد الغابة** ابن الأثير (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) طبع المكتبة الإسلامية.
- **الإسرائيليات والموضوعات**، الشيخ محمد أبو شهبة ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٠ هـ.
- **الأسماء والصفات**، البيهقى (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثرى طبعة سنة ١٣٥٨ هـ.
- **الإشاعة لأشراط الساعة**، البَرْزَنجى طبع السعادة سنة ١٣٢٥ هـ.
- **الإصابة فى تمييز الصحابة**، العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) طبع السعادة سنة ١٣٢٥ هـ.
- **الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار**، الحازمى (٥٤٨ - ٥٨٤ هـ) ط مطبعة الأندلس بحمص سنة ١٣٨٦ هـ.
- **إعراب الحديث النبوى** ، للبكرى أبى البقاء (٥٣٨ - ٦١٦ هـ) تحقيق عبد الاله نبهان ط دمشق سنة ١٣٩٧.
- **الإعلام بحكم عيسى عليه السلام**، السيوطى، ضمن كتاب الحاوى طبع المنيرية سنة ١٣٥٢ هـ.
- **إعلام الموقعين**، ابن القيم (٦٩١ - ٧٥١ هـ) تحقيق عبد الرحمن الوكيل، طبع المدنى بالقاهرة سنة ١٣٨٩ هـ.
- **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، نشره روزنتال فى كتابه علم التاريخ عند المسلمين.
- **إقامة البرهان فى نزول عيسى فى آخر الزمان**، للغمارى، طبع مصر دون تاريخ.
- **أقضية رسول الله** لابن طلاع محمد بن فرج (ت ٤٩٧ هـ) تحقيق د .ضياء الأعظمى، ط دار الكتاب المصرى.
- **الإكمال**، ابن ماكولا على بن هبة الله (٤٢١ - ٤٨٦ هـ) ط حيدر آباد سنة ١٩٦٢ م.
- **أمثال الحديث**، الرامهزى حسن بن عبدالله (٢٦٠-٣٦٠ هـ) تحقيق أمة الكريم، ط باكستان سنة ١٣٨٨هـ.
- **الأم**، للشافعى، (١٥٠-٢٠٤هـ) تصحيح محمد زهرى النجار، طبع دار المعرفة سنة ١٣٩٣هـ.

● الأنبياء فى القرآن، سعد صادق محمد، طبع دار اللواء للنشر والتوزيع.
● الأنساب، السمعانى عبد الكريم أبى محمد (ت ٥٦٢ هـ) مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٧٠ م.
● الأوائل، العسكرى الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق محمد السيد الوكيل.
● الإيمان، ابن أبى شيبة (١٩٥ - ٢٣٦ هـ) تحقيق الألبانى، طبع المطبعة العمومية بدمشق.
● الإيمان، ابن تيمية تحقيق محمد خليل هراس، ط مصر سنة ١٣٩٠ هـ

(ب)

● البدء والتاريخ، أبو زيد البلخى، طبع باريس سنة ١٨٩٨ م.
● البدء والتاريخ، المقدسى، نشر مكتبة خياط، طبع بيروت.
● بدائع السنن، ترتيب الساعاتى (١٢٥٥ هـ) طبع دار الأنوار مصر سنة ١٣٦٩ هـ
● البداية والنهاية، ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) طبع دار الفكر، بيروت سنة ١٣٩٤ هـ
● البحر المحيط فى التفسير، ابن حيان الأندلسى، طبع السعادة سنة ١٣٢٨ هـ
● البعث والنشور، البيهقى مصور الجامعة الإسلامية بالمدينة.
● بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب، الألوسى، طبع القاهرة سنة ١٩٢٥ م.

(ت)

● تاريخ الأمراء والملوك، الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) طبع دار القلم بيروت.
● تاريخ بغداد، البغدادى (٣٩٢ - ٤٦٢ هـ) طبع السعادة بمصر سنة ١٣٤٩ هـ
● تاريخ الخلفاء أبو عبد الله محمد بن يزيد (ابن ماجه) ط. مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٣٩٩ هـ.
● تاريخ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) تحقيق د .أكرم العمرى، ط. مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٣٩٧ هـ.
● تاريخ دمشق، ابن عساكر طبع المجمع العلمى بدمشق سنة ١٣٧١ هـ.
● تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، حمزة الأصفهانى، مطبعة كاديانى، برلين.
● التاريخ الصغير، البخارى (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) ، ط المكتبة الأثرية باكستان.
● التاريخ العربى وجغرافيته، أمين مدنى، ط الهيئة العامة للكتاب.
● تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، نبيه عاقل، طبع دمشق سنة ١٩٧٢ م.
● التاريخ العربى ومصادره، أمين مدنى، طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ م.
● التاريخ، ومصادره، د . حسن على ابراهيم، طبع النهضة المصرية سنة ١٩٨٠ م.

● التاريخ ومناهج البحث، بشار عواد معروف، ط القاهرة سنة ١٩٧٦ م.
● تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد على، طبع بغداد سنة ١٩٥٩ م.
● التاريخ الكبير، البخارى، محمد بن اسماعيل، طبع حيدر آباد الهند سنة ١٣٦٠ هـ.
● تاريخ المدينة المنورة.-ابن شبة عمر بن شبة النميرى (١٧٢ - ٢٦٢ هـ) تحقيق فهيم محمد شلتوت، نشر السيد حبيب محمود، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ.
● التاريخ، يحيى بن معين، تحقيق د. أحمد محمد نور سيف، ط. مركز البحث الإسلامى بمكة سنة ١٣٩٩ هـ.
● تاريخ اليمن «فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن» طبع القاهرة سنة١٣٤٦.
● تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) ط. المطبعة الأزهرية.
● التبر المسبوك فى ذيل السلوك، السخاوى ، ط. بولاق سنة ١٨٩٦ م.
● تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، السيوطى، طبع مصر.
● تحفة الأشراف. المزى، جمال الدين (٦٥٤ - ٧٤٢ هـ) ط دار القيمة، الهند ١٣٨٤ هـ
● تحفة الذاكرين. الشوكانى (١١٧٣ - ١٢٥٥ هـ) ط دار الكتب العلمية، بيروت.
● تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، المراغى طبع السعادة سنة ١٣٧٤ هـ.
● تخريج أحاديث فضائل الشام، الألبانى محمد ناصر الدين ط. المكتب الإسلامى سنة ١٣٧٩ هـ.
● تدريب الراوى، السيوطى، جلال الدين (٨٤٩-٩١١هـ) تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ط مكتبة القاهرة.
● التذكار فى أفضل الأذكار، القرطبى (ت ٦٧١ هـ) تحقيق الغمارى ط. الخانجى سنة ١٣٥٥ هـ.
● تذكرة الحفاظ، الذهبى، دائرة المعارف، حيدر آباد سنة ١٣٧٥ هـ.
● ترتيب ثقات العجلى، الهيثمى، نور الدين (ت ٨٠٧ هـ) مصور جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة.
● الترغيب فى فضائل الأعمال، ابن شاهين، مصور الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
● الترغيب والترهيب، المنذرى، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية سنة ١٣٨١ هـ.
● تركة النبى صلى الله عليه وسلم، حماد بن اسحاق، مصور الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
● التصريح بما تواتر فى نزول المسيح، محمد أنور شاه الكشميرى، نشر مكتب المطبوعات بحلب سنة ١٩٨١ م.
● تعجيل المنفعة، العسقلانى أحمد بن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) دار المحاسن للطباعة، القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ.

● التعريف بما أنست الهجرة فى معالم دار الهجرة، جمال الدين أبى عبد الله المطرى، تصحيح محمد بن عبد المحسن الخيال. نشر أسعد درابزونى.

● تفسير التاريخ، عبد الحميد صديقى، ترجمة كاظم الجهادى، طبع الدار الكويتية بالكويت.

● تفسير غريب القرآن ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق السيد أحمد صقر، ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٣٩٨ هـ.

● تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧٧٤ هـ) ط مطبعة الفجالة الجديدة، سنة ١٣٨٤هـ.

● تقريب التهذيب، للعسقلانى (٨٥٢ هـ) ط دار الكتاب العربى بمصر سنة ١٣٨٠ هـ.

● تقييد العلم، للخطيب البغدادى (٣٩٢-٤٦٣ هـ) تحقيق يوسف العشى، دار إحياء السنة ١٩٧٤.

● التلخيص الحبير، العسقلانى، ط شركة الطباعة الفنية سنة ١٣٨٤ هـ.

● تلخيص المستدرك، الذهبى شمس الدين (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) ط حيدر آباد، الهند.

● تلقيح فهوم الأثر، ابن الجوزى، ط المطبعة النموذجية بمصر.

● تنزيه الشريعة، ابن عراق الكنانى (٩٠٧ - ٩٦٣ هـ) ط مطبعة القاهرة.

● كتاب التوحيد، ابن خزيمة محمد بن اسحاق، تعليق محمد خليل هراس، ط دار الباز بمكة المكرمة.

● تهذيب تاريخ دمشق، الشيخ عبدالقادر بدران، ط. دار المسيرة، بيروت سنة ١٣٩٩ هـ.

● تهذيب التهذيب، العسقلانى، ط دائرة المعارف، حيدر آباد سنة ١٣٢٥ هـ.

(ث)

● الثقات، ابن حبان البستى (ت ٣٥٤ هـ) ط دائرة المعارف، حيدر آباد ١٣٩٧ هـ.

(ج)

● الجامع، ابن وهب، تحقيق ديفيد ويل، ط المعهد الفرنسى بالقاهرة سنة ١٩٣٩ هـ.

● جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر النمرى (ت ٤٦٣ هـ) ط مطبعة العاصمة بالقاهرة سنة ١٣٨٨ هـ.

● جامع البيان (تفسير الطبرى) ابن جرير (ت ٣١٠ هـ).

● جامع التحصيل: العلائى صلاح الدين (٦٩٤ - ٧٦١ هـ) تحقيق حمدى عبد المجيد، ط وزارة الأوقاف العراقية سنة ١٣٩٨ هـ.

● الجامع الصحيح، البخارى (ت٢٥٦هـ) ط المطبعة السلفية بمصر.

● الجامع الصغير، السيوطي (٩١١هـ) مطبعة الحلبى سنة ١٣٧٣ هـ.
● الجامع لأحكام القرآن، القرطبى (ت ٦٧١ هـ) ط دار الكتاب العربى، القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ.
● الجرح والتعديل، الرازى ط دائرة المعارف ، حيدر آباد سنة ١٣٧١هـ.
● جمهرة أنساب العرب، ابن حزم (٣٨٤-٤٥٦هـ) تحقيق عبدالسلام هارون ط دارالمعارف بمصر.
● الجهاد، المروزى عبد الله بن المبارك (١١٨ - ١٨١ هـ) تحقيق نزيه حماد، نشر دار النور بيروت.
● الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية طبع سنة ١٣٢٣ هـ.

(ح)

● حادى الأرواح، ابن القيم (٦٩١ - ٧٥١ هـ) ط. على صبيح بمصر سنة ١٣٨١ هـ.
● الحاوى للفتاوى، السيوطى (٩١١ هـ) ط. مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٨ هـ.
● حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهانى (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ) ط. دار الكتاب العربى، بيروت سنة ١٣٨٧ هـ.
● حياة الحيوان، الدميرى (٧٤٢ - ٨٠٠ هـ) ط. المكتبة الإسلامية، بيروت.

(خ)

● خصائص على بن أبى طالب، النسائى (٣٠٣ هـ).
● الخصائص الكبرى، السيوطى ط. دار الكتب العلمية، بيروت.
● خلق أفعال العباد، البخارى (ت٢٥٦ هـ) ط مطبعة النهضة الحديثة.

(د)

● الدراية فى تخريج أحاديث الهداية، ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) ط. مطبعة الفجالة، القاهرة سنة ١٣٨٤ هـ.
● الدرة الثمينة فى أخبار المدينة، ابن النجار ط. عيسى الحلبى سنة ١٣٧٥هـ.
● الدر المنثور، السيوطى. ط دار المعرفة، بيروت.
● دراسات تاريخية من القرآن الكريم، د. محمد بيومى مهران ط. جامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٤٠٠ هـ.
● دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الإسلامى، د. زكى محمد حسن، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ج ١/ عدد مايو سنة ١٩٥٠ م.
● دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهانى (ت ٤٣٠ هـ) ط. دائرة المعارف، حيدر آباد سنة ١٣٢٠ هـ.

● دلائل النبوة، البيهقى، تحقيق السيد أحمد صقر، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٧٠ م.

● ديوان الضعفاء والمتروكين، الذهبى (٧٤٧ هـ) تحقيق حماد الأنصارى، مطبعة النهضة بمكة.

(ذ)

● ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث، النابلسى عبد الغنى اسماعيل (١٠٥٠-١١٤٣ هـ) طبع جمعية النشر بالقاهرة سنة ١٣٥٢ هـ.

● ذيل تاريخ بغداد، ابن النجار (ت ٦٤٣ هـ) ط دائرة المعارف، حيدر آباد سنة ١٣٩٨.

● ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ) ط. دار المعرفة، بيروت.

● ذيل القول المسدد، المدارسى محمد صنعة الله، ط. دائرة المعارف، حيد آباد سنة ١٣٨٠ هـ.

(ر)

● الرحلة فى طلب الحديث، الخطيب البغدادى (٤٩٣ هـ) مطابع المجد بالقاهرة سنة ١٣٨٩ هـ.

● الرسائل التسع، السيوطى، ط. دائرة المعارف، حيدر آباد، الهند سنة ١٣٨٠ هـ.

● الرسالة، الشافعى، محمد بن ادريس (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) تحقيق أحمد شاكر سنة ١٣٥٨ هـ.

● الرسالة المستطرفة، الكتانى محمد بن جعفر، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

● الروض الأنف، السهيلى (٥٠٨ - ٥٨١ هـ) تحقيق عبد الرحمن الوكيل، ط. دار النصر بالقاهرة سنة ١٣٨٧ هـ.

● الرياض النضرة فى فضائل العشرة، الطبرى محب الدين (٦١٥ - ٦٩٤ هـ) ط. مكتبة الجندى بالقاهرة.

(ز)

● زاد المعاد فى هدى خير العباد، ابن القيم (٦٩١ - ٧٥٢ هـ) مطبعة السنة المحمدية، بالقاهرة.

● الزهد، للإمام أحمد بن حنبل، طبع مطبعة أم القرى، مكة المكرمة سنة ١٣٥٧ هـ.

● الزهد والرقائق، المروزى عبد الله بن المبارك (١١٨ - ١٨١ هـ)، علمى بريس، الهند سنة ١٣٨٥ هـ.

(س)

● السعاية فى كشف ما فى شرح الوقاية، اللكنوى، طبع الهند سنة ١٣٠٦ هـ.

● السفينة الماخرة إلى البرزخ والآخرة، حامد بن محمد العبادى، ط. دار الثقافة بمكة المكرمة.

● سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألبانى محمد ناصر الدين، ط المكتب الاسلامى.
● سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألبانى ط. المكتب الاسلامى.
● السنة، ابن أبى عاصم أحمد بن عمر (٢٠٦ - ٢٨٧ هـ) مصور الجامعة الاسلامية بالمدينة.
● السنن، الترمذى محمد بن عيسى (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ) ط. المكتبة الإسلامية.
● السنن، الدار قطنى على بن عمر (٣٠٦ - ٣٨٠ هـ) ط. دار المحاسن، القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ.
● السنن، الدارمى عبد الله بن عبد الرحمن (١٨١ - ٢٥٥ هـ) ط دار إحياء السنة النبوية.
● السنن، السجستانى أبو داود سليمان بن الأشعث (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) ط دار إحياء السنة النبوية.
● السنن، سعيد بن منصور (ت ٢٢٧ هـ) ط. علمى بريس، الهند سنة ١٣٨٧ هـ.
● السنن، القزوينى محمد بن يزيد بن ماجه (٢٠٧ - ٢٧٥ هـ) ط. عيسى الحلبى بالقاهرة.
● السنن، النسائى أحمد بن شعيب (٢١٥ - ٣٠٣ هـ) ط. دار إحياء التراث العربى، بيروت.
● السنن الكبرى، البيهقى أحمد بن حسين (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) ط دائرة المعارف ، حيدر آباد سنة ١٣٥٦ هـ.
● السيرة النبوية، ابن كثير، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد. ط. دار المعرفة سنة ١٩٧٦ م.
● السيرة النبوية، ابن هشام عبد الملك (٢١٣ هـ) ط مطبعة الحلبى سنة ١٣٧٥ هـ.
● السير والمغازى، محمد بن اسحاق (ت ١٥١ هـ) تحقيق سهيل زكار، ط. دار الفكر ببيروت سنة ١٣٩٨ هـ.

(ش)

● شرح علل الترمذى، ابن رجب (ت ٧٩٥ هـ) تحقيق صبحى جاسم، ط. العانى ببغداد سنة ١٣٩٦ هـ.
● شرح مسلم للنووى محيى الدين بن شرف (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) ط. دار الفكر، بيروت.
● شرح معانى الآثار، الطحاوى أحمد بن محمد بن سلامة (ت ٣٢١ هـ) تحقيق جاد الحق، ط الأنوار المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٨٧ هـ.
● شرف أصحاب الحديث، الخطيب البغدادى (ت ٤٩٣ هـ) ط. دار إحياء السنة، بيروت.
● شرح المواهب اللدنية، الزرقانى طبع بولاق سنة ١٢٩١ هـ.
● الشفا للتعريف بحقوق المصطفا، القاضى عياض، ط المطبعة العثمانية سنة ١٣١٢ هـ.
● الشماريخ فى علم التاريخ، السيوطى، ط ليدن سنة ١٣١٢ هـ.
● شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ابن العماد ط. مكتبة القدسى سنة ١٣٥٠ هـ.

(ص)

- الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (٦٦١ – ٧٢٨ هـ) ط السعادة بمصر سنة ١٣٧٩ هـ.
- صحيح ابن خزيمة (ت ٣١١ هـ) تحقيق محمد مصطفى الأعظمى، ط. المكتب الاسلامى سنة ١٣٩٥ هـ.
- صحيح الجامع الصغير، الألبانى محمد ناصر الدين، ط. المكتب الاسلامى سنة ١٣٩٩ هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابورى، ط. عيسى الحلبى سنة ١٣٧٤ هـ.

(ض)

- الضعفاء الصغير، البخارى، ط. المكتبة الأثرية، باكستان.
- الضعفاء المتروكون، النسائى، أحمد بن شعيب (٢١٥ – ٣٠٣ هـ)، ط المكتبة الأثرية، باكستان.
- ضعيف الجامع الصغير، الألبانى. ط المكتب الاسلامى سنة ١٣٩٩ هـ.

(ط)

- طبقات الحنابلة، ابن أبى يعلى محمد، ط. دار المعرفة، بيروت.
- طبقات الشافعية، السبكى (ت ٧٧١هـ) تحقيق محمود الطناحى، ط عيسى الحلبى سنة ١٣٨٣ هـ.
- الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٦٨ – ٢٣٠ هـ) ط. دار صادر، بيروت سنة ١٣٨٠ هـ.
- طبقات المدلسين، ابن حجر. طبع المطبعة المحمودية بمصر.

(ع)

- العَرْف الوردى فى أخبار المهدى، السيوطى، ضمن كتاب الحادى للفتاوى ط المنيرية سنة ١٣٥٢ هـ.
- عقيدة السلف، الصابونى أبى عثمان اسماعيل (ت ٤٤٩ هـ) ط الدار السلفية بالكويت سنة ١٣٩٧ هـ.
- العلل، ابن المدينى، تحقيق محمد مصطفى الأعظمى، ط. المكتب الاسلامى، بيروت سنة ١٣٩٢ هـ.

● علل الحديث، الدارمى، محمد بن عبد الرحمن بن أبى حاتم (٢٤٠ - ٣٢٧ هـ)، مكتبة المثنى، بغداد سنة ١٣٤٣ هـ.

● العلل المتناهية، ابن الجوزى (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) دار نشر الكتب الاسلامية، باكستان.

● علم التاريخ، هرنشو، ترجمة عبدالحميد العبادى. ط القاهرة سنة ١٩٣٧ م.

علم التاريخ، جب، ترجمة ابراهيم خورشيد، وعبد الحميد يونس، ط دار الكتاب اللبنانى سنة ١٩٨١ م.

● علم التاريخ عند المسلمين، روزنثال. ترجمة الدكتور صالح أحمد العلى، ط مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٦٣ م.

● علوم الحديث، ابن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ) تحقيق نور الدين عتر، مطبعة الأصيل، حلب سنة ١٣٨٦ هـ.

● عيون الأثر، ابن سيد الناس (ت ٧٣٤ هـ) ط. دار المعرفة بيروت.

(غ)

● غريب الحديث، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) تحقيق عبد الله الجبورى ط العانى ببغداد سنة ١٣٩٧.

● غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام (١٥٧ - ٢٢٤ هـ)، ط دائرة المعارف، حيدر آباد سنة ١٣٨٥ هـ.

(ف)

● الفائق فى غريب الحديث، الزمخشرى، تحقيق البجاوى وأبى الفضل، ط دار الفكر بيروت.

● فتح البارى، العسقلانى ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) ط. السلفية بالقاهرة.

● الفتح الربانى، الساعاتى أحمد بن عبد الرحمن البنا، نشر دار الحديث. القاهرة.

● فتح القدير، الشوكانى (١١٧٣ - ١٢٥٥ هـ) ط مصطفى الحلبى سنة ١٣٨٣ هـ.

● الفتح القسى فى الفتح القدسى، الأصفهانى، عماد الدين القرشى، نشر كارلو دى لاندبرج، لندن سنة ١٨٨٨ م.

● فتح المغيث، السخاوى شمس الدين (ت ٩٠٢ هـ)، ط السلفية بالمدينة سنة ١٣٨٨ هـ.

● الفتن والملاحم، ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ط مؤسسة النور بالرياض سنة ١٣٨٨ هـ.

● فتوح البلدان، البلاذرى (ت ٢٩٧ هـ) ط. دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٣٩٨ هـ.

- **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) تحقيق محمود فائد ط القاهرة.
- **فضائل أبي بكر الصديق**، محمد بن الفتح الحربى، ط أنصار السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٥٨ هـ.
- **فضائل الصحابة**، خيثمة بن سليمان (٢٥٠ - ٣٤٣ هـ) مصور مركز البحث العلمى بجامعة الملك عبد العزيز.
- **فضائل الصحابة**، الدار قطنى (٣٠٦ - ٣٨٥ هـ) مصور مركز البحث العلمى بجامعة الملك عبد العزيز.
- **الفوائد المجموعة**، الشوكانى، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمى، ط مطبعة السنة المحمدية. القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ.
- **فيض القدير**، المناوى، طبع دار المعرفة ، بيروت سنة ١٣٩١ هـ

(ق)

- **القاموس المحيط**، الفيروز ابادى، طبع الحلبى بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ.
- **القرآن والتاريخ**، الدكتور عبد العزيز كامل، طبع دار البحوث العلمية بالكويت سنة ١٩٨٤ م.
- **القرى لقاصد أم القرى**، الطبرى محب الدين أحمد بن عبدالله (٦١٥-٦٩٤هـ) ط الحلبى بمصر سنة ١٣٩٠هـ.
- **قصص الأنبياء**، ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) تحقيق مصطفى عبد الواحد ط . دار الكتب الحديثة بمصر.
- **قصص الأنبياء**، النيسابورى الثعلبى ط مصطفى الحلبى سنة ١٩٥٤ م.

(ك)

- **الكاشف**، الذهبى شمس الدين (٦٧٣ - ٧٤٧ هـ) ط. دار النصر بالقاهرة سنة ١٣٩٢ هـ.
- **الكامل**، ابن الأثير. مراجعة نخبة من العلماء، ط دار الكتاب العربى، بيروت.
- **كشف الأستار عن زوائد البزار**، الهيثمى نور الدين (ت ٨٠٧ هـ) ط مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٣٩٩ هـ.
- **الكفاية فى علم الرواية**، الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) ط. مطبعة السعادة بالقاهرة.
- **الكنى**، البخارى، تحقيق عبد الرحمن المعلمى، ط . دائرة المعارف. حيدر آباد. الهند.
- **الكنى والأسماء**، الدولابى محمد بن أحمد (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) ط دائرة المعارف، حيدر آباد، الهند.

- كنز العمال، على المتقى الهندى (ت ٩٧٥ هـ) ط مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٣٩٩ هـ.
- الكواشف الجلية عن معانى الواسطية، عبد العزيز السلمان، ط رابطة العالم الاسلامى، مكة.

(ل)

- اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة، السيوطى (ت ٩١١ هـ) ط. دار المعرفة. بيروت.
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقى، ط دارإحياء التراث، بيروت.
- اللباب فى تهذيب الأنساب، ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) ط. مكتبة القدسى، القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ.
- لسان العرب، ابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ) ط دار صادر. بيروت.
- لسان الميزان، العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) ط دائرة المعارف، حيدر آباد.

(م)

- المبتدأ والمبعث والمغازى، ابن اسحاق، تحقيق محمد حميد الله، طبعة سنة ١٣٩٦ م.
- مجمع بحار الأنوار، الفتنى محمد طاهر (ت ٩٨٦ هـ) ط. دائرة المعارف حيدر آباد سنة ١٣٨٧ هـ.
- مجمع الزوائد، الهيثمى (ت ٨٠٧ هـ) نشر مكتبة القدسى بالقاهرة.
- المحلّى، ابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) ط دار الاتحاد العربى سنة ١٣٨٧ هـ.
- المراسيل فى الحديث، الرازى طبع مكتبة المثنى بغداد سنة١٣٨٦هـ.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلى القارى ط. الميمنية سنة ١٣٠٩ هـ.
- مسائل الإمام أحمد، ابن أبى هانى (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق زهير الشاويش ط. المكتب الإسلامى سنة ١٤٠٠هـ.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الحاكم (٣٢١ - ٤٠٥ هـ) ط. المطبوعات الاسلامية، حلب.
- المسند، أبوعوانة الاسفرائينى (ت٣١٦هـ) ط. دائرة المعارف، حيدر آباد سنة١٣٨٦هـ.
- المسند، أحمد بن حنبل (ت ٢٤٠ هـ) نشر المكتب الاسلامى ودار صادر، بيروت.
- مسند الإمام الشافعى (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) ط دار الكتب العلمية. بيروت.
- مسند عبد الله بن عمر، تخريج أبى أمية الطرطوسى، ط دار النفائس، بيروت.
- المشتبه، الذهبى محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق على البجاوى، ط عيسى الحلبى سنة ١٩٦٢ م.

● مشكاة المصابيح، التبريزى، تحقيق الألبانى، ط المكتب الاسلامى سنة ١٣٨٠ هـ.
● مشكل الآثار، الطحاوى، أحمد بن محمد بن سلامة (٢٢٩ - ٣٢١ هـ) ط دائرة المعارف حيدرآباد سنة ١٣٣٣ هـ.
● مصادر التاريخ الاسلامى، د . سيدة كاشف. نشر الخانجى بالقاهرة.
● معالم السنن، الخطابى (ت ٣٨٨ هـ) ط . العلمية بحلب سنة ١٣٥١ هـ.
● معجم البلدان، الحموى ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ) ط دار الكتاب العربى، بيروت.
● معجم الصحابة، البغوى (٢١٣-٣١٧هـ) مصور مركز البحث العلمى بجامعة الملك عبد العزيز.
● معجم الصحابة، ابن قانع، مصور مركز البحث العلمى بجامعة الملك عبد العزيز.
● المعجم الصغير، الطبرانى سليمان بن أحمد (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ) ط دار النصر بالقاهرة سنة ١٣٨٨ هـ.
● المعجم الكبير، الطبرانى، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى، ط الدار العربية، بغداد سنة ١٩٧٨ هـ.
● معجم ما استعجم، البكرى، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة سنة ١٣٦٤ هـ.
● معرفة القراء الكبار، الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار التأليف بمصر.
● المعرفة والتاريخ، الفسوى يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ) تحقيق د .أكرم ضياء العمرى، مطبعة الارشاد بغداد سنة ١٣٩٤ هـ.
● المغنى عن حمل الأسفار تخريج أحاديث الأحياء، العراقى زين الدين (ت ٨٠٦ هـ) ط المشهد الحسينى بالقاهرة.
● المغنى فى الضعفاء، الذهبى (ت ٧٤٧ هـ) تحقيق نور الدين عتر، ط مطبعة البلاغة سنة ١٣٩١ هـ.
● المقاصد الحسنة، السخاوى (٩٠٢ هـ) ط دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٣٩٩ هـ.
● المنار المنيف فى الصحيح والضعيف، ابن القيم (٦٩١-٧٥١ هـ) تحقيق أبى رغدة، طبع مكتب المطبوعات الاسلامية سنة ١٣٩٠ هـ.
● مناقب أحمد، ابن الجوزى (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) تحقيق عبد الله التركى، ط مكتبة الخانجى بمصر سنة ١٣٩٩ هـ.
● مناقب الشافعى، البيهقى (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) تحقيق السيد أحمد صقر ط . مكتبة التراث سنة ١٣٩١ هـ.
● المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزى، ط دائرة المعارف، حيدر آباد سنة ١٣٥٧ هـ.

● منحة المعبود ترتيب مسند أبي داود، الساعاتي، أحمد عبد الرحمن البنا، ط المنيرية بالقاهرة سنة ١٣٧٢ هـ.
● مناهج العلماء المسلمين، روزنتال، ترجمة د .أنيس فريحة ط بيروت سنة ١٩٦١ م.
● منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)، المطبعة الأميرية، بولاق سنة ١٣٢١ هـ.
● منهج البحث التاريخي، حسن عثمان، القاهرة سنة ١٩٤٣ م.
● موارد الظمآن، الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة، ط السلفية بمصر.
● المواهب اللدنية، القسطلاني طبع دار الكتب العلمية، بيروت.
● الموضوعات، ابن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) ط مطبعة المجد بالقاهرة.
● الموطأ، الإمام مالك بن أنس (٩٥ - ١٧٩ هـ) ط. مصطفى الحلبي سنة ١٣٧٠ هـ.

(ن)

● نشأة علم، التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوري ط بيروت سنة ١٩٦٠ م.
● نصب الراية لأحاديث الهداية، الزيلعي جمال الدين أبي محمد، نشر المكتبة الاسلامية.
● النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، الشيخ محمد الطاهر عاشور ط تونس سنة ١٩٧٩ م.
● نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني، ط فاس سنة ١٣٢٨ هـ
● النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق طاهر أحمد الزادي ومحمود الطناحي، ط دار إحياء الكتب العربية، وعيسى البابي الحلبي سنة ١٣٨٣ هـ.
● نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ) ط مصطفى الحلبي بمصر.

(و)

● وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، السمهودي ط مكتبة الآداب سنة ١٣٢٦ هـ.
● وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) تحقيق د . احسان عباس، طبع دار الثقافة، بيروت.

(هـ)

● هدى الساري مقدمة فتح الباري، العسقلاني، تصحيح محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٧ هـ.

فهرس تحليلى للموضوعات

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

فهرس الموضوعات

الصفحة

رقم الإيداع		١٩٩٠/٢٠١٣
الترقيم الدولى	٩٧٧-٠٢-٢٨٨٤-٢	ISBN

٣/٨٨/٢٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

